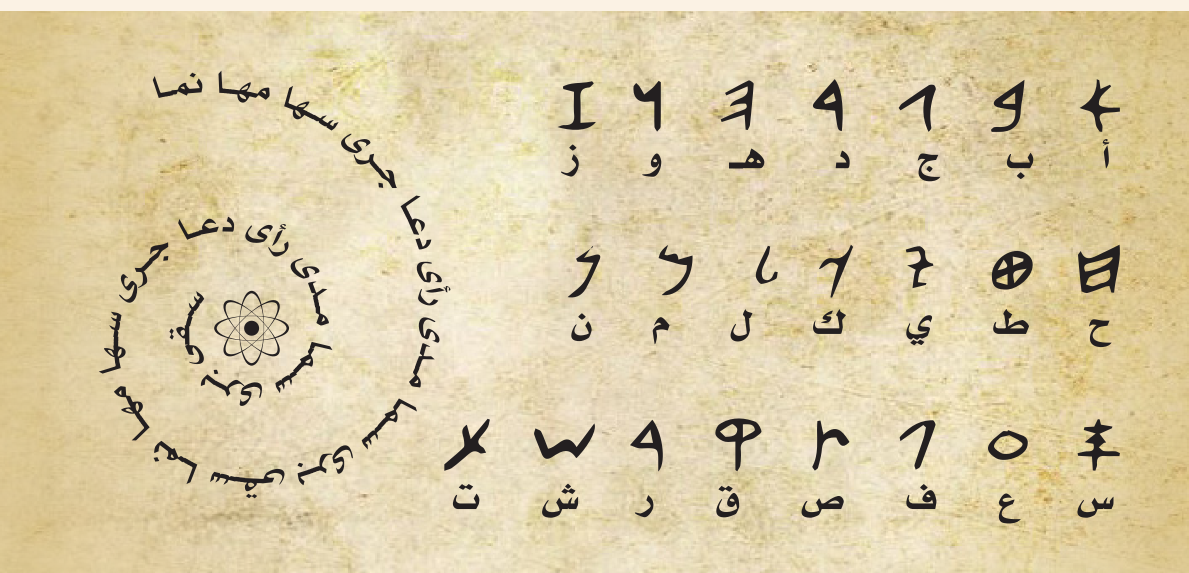
سامر إسلامبولي

عِلميَّةُ اللّسانِ العربي وعالمِيَّتُه

تأسيس نظرية دلالة الأصوات العربية فيزيائياً
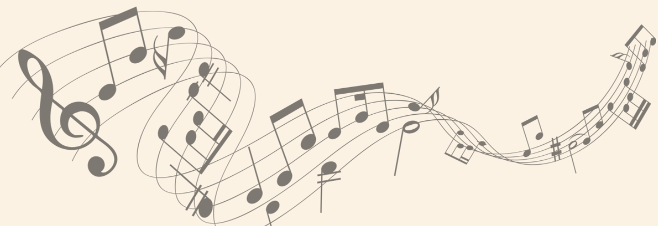


تقديم الدكتور مازن الوعر

أستاذ علم اللغة الحديث (اللسانيات) في جامعة دمشق

دكتوراه دولة من جامعة جورج تاون







سامر إسلامبولي

عِلميَّةُ اللِّسان العربي وعالمِيَّتُه

تأسيس نظرية دلالة الأصوات العربية فيزيائياً

عِلميَّةُ اللِّسان العربي وعالمِيَّتُه

تأسيس نظرية دلالة الأصوات العربية فيزيائياً
للوصول إلى قاموس صوتي مع شرح لمصوَّرات الأبجدية الفينيقية

سامر إسلامبولي

الطّبعة الأولى: 2018م

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com
السويد: 0046734233031

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تصميم الغلاف والاخراج الداخلي:
كمال يوسف
ky.design.a2@gmail.com



مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر
الإسكندرية - مصر
د3، بناء 44، ش سوتر، أمام كلية حقوق الإسكندرية، مصر
موبايل: 01114391600 هاتف: 03 / 4830903
بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com
موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

رقم الإيداع: 17226
الترقيم الدولى: 978-977-6651-08-1

عِلميَّةُ اللِّسان العربي وعالمِيَّتُه

تأسيس نظرية دلالة الأصوات العربية فيزيائياً

للوصول إلى قاموس صوتي مع شرح لمصوَّرات الأبجدية الفينيقية

سامر إسلامبولي

تقديم

الدكتور مازن الوعر

أستاذ علم اللغة الحديث (اللِّسانيات) في جامعة دمشق

دكتوراه دولة من جامعة جورج تاون

التدقيق اللساني

الأستاذ عبد الرزاق الأحمد



دار نشر • دورات • دراسات • استشارات

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ

﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[الحجرات: 13]



الإهداء

إلى الإنسان الذي يهدف:

أن يكون عربياً في تفكيره.

عربيّاً في قِيَمه.

عربيّاً في سُلوكه.

وعربيّاً في تعامُلِه مع القرءان.

أقدّم هذا البحث.

تواصُلاً، تفاعُلاً، ومحبة.

سامر

(إنَّ الكَلمة صوت نُجسِّد فيه أفكارنا، ولَمَّا كان جَسَدُ الشّيء على مثال ما نُجسِّده فيه، فإنَّ أفكارنا الصّوتيَّة إنَّما هي على مثال هذه الأفكار، التي نُجسِّدها فيها، وإذا تبيَّن لنا أنَّ هُناك ضابطاً، أو ضوابط، تحكم أصواتنا التي هي أجساد أفكارنا، فإنَّ هذا الضّابط، أو هذه الضّوابط، تحكم الأفكار التي جُسِّدت فيها أيضاً).

مُحَمَّد عنبر (الشّيء في ذاته).

(أوَّل خُطوة على طريق الوُصُول إلى المعنى الأصل، أو الوُجهة الأصل، أنْ نخرج ممَّا اعتدنا عليه وألفناه، من معاني الألفاظ إلى أبسط حَرَكَاتها في أيَّامها الأُولى).

مُحَمَّد عنبر (جَدَليَّة الحرف العَرَبي).

(اللِّسان العربي ذو جذر طبيعي فطري، وساق اجتماعية، يحمل في طياته دلالة ألفاظه).

المؤلف

(قالوا: إن المباني هي وعاء للمعاني، وأقول: المعنى قائم بالمبنى، والمبنى دليل عليه).

المؤلف

(درس فقهاءُ التفسير واللغة التنزيلَ الحكيمَ وبيدهم قلمٌ أحمر وبالأخرى مقصٌّ !.)

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

[الشعراء: 193 – 195]

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

[النحل: 103]

﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

[الزمر: 28]

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾

[الرعد: 37]

﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[يوسف:2]

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[الزخرف:3]

فهرس الموضوعات

العربية مفتاح اللغات[1]

مقال كتبه الأب (أنستاس ماري الكرملي)

مَنْ ير هذا العنوان، يقلْ: هذه مبالغة صريحة، هذا مديح في غير موطنه، هذا كلام غير عصري. لكني أرجو منك ألا تصدر حكمك إلا بعد الوقوف على هذه السطور، وإلا فالحكم قبل سماع المحكوم عليه يُعَدُّ حمقاً، أو لا أقل من أن يكون جهالة صريحة.

علم أسرار اللغات أو (الفيلولوجية) علم حديث كشف خفايا لم تخطر على بال بشر، ومع تقدُّمه الحديث في جميع الألسنة، لم نجد من تعرض لمقابلة العربية بسائر اللغات الأوروبية، أو باللغات غير السامية. نعم عنَّ هذا الخاطر على بال اثنين من المستشرقين، لكن قيام بقية العلماء عليهما ثبَّط همة الباحثين عن الإمعان في هذا الموضوع الجليل. وكان أول اللغويين (مس أرنلت) فقد وضع كتاباً وسمه بما معناه (المفردات السامية في الإغريقية واللاتينية):

Muss- Arnolt. - On Semitic words in Greek und. (Transactions of ihe American philological Association. Vol. XXlil. 1892)، والثاني (لَوِي) الذي وضع كتاباً سماه (الألفاظ السامية في اللغة الإغريقية) أي:

Lewy Fremdw – Die semitischen Fremdworter inGriechischen. Berlin /1895.

وكلاهما مال في أغلب الأحايين إلى اتخاذ العبرية مثالاً لسائر الأخوات الساميات، وإليها أعاد الأصول التي ظُنت أنها من معدن ساميٍّ. أما العربية فجُعلت في زاوية تكاد تكون منسية.

1 مقال كتبه الأب (أنستاس ماري الكرملي) صاحب مجلة لغة العرب، نُشر في مجلة الهلال عام / 1928م/ . راجع (اللغة العربية) القسم الرابع منشورات وزارة الثقافة في سورية، تحرير وتقديم: الأستاذ محمد كامل الخطيب.

على أني لم أطلع على الكتابين المذكورين، بل عثرت على كلمات نقلت عنهما، فلم أَلْفَ الكاتبَيْن معيبَيْن دائماً في مدَّعاهما. وكنت قد أُولعت منذ أكثر من أربعين عاماً بمقابلة لغات أوروبا باللغات السامية، **فوجدت العربية تقوم أحسن قيام لأداء ما نحن في صدده.**

أي: مقابلة الألفاظ الهندية الأوروبية بالألفاظ السامية، ولا سيما بالألفاظ العربية، **بل وجدت العربية هي اللغة الوحيدة التي تحل لنا ما تَعقّد من أصول تلك اللغات....**

تقديم

الدكتور مازن الوعر[1]

للكاتب رؤية فلسفية متميِّزة، في هذا الكتاب، فقد أسس لمنطلقات البحث الذي يريد أن يعالجه بـ (العلميّة والعالميّة) للغة العربية. ولكي يحقِّق ذلك، نراه يُشخِّص العوامل التي تُبعد العربية عن ذينك البُعدين. **لقد ميّز المؤلف هنا بين الإسلام العربي ببُعديه، القومي والشعبي، والإسلام الإنساني ببُعديه، العلمي والشمولي.**

فالبُعد الإنساني، يتطلب لغة عربية علمية وعالمية، فالعلمية هي الخطوة الأولى نحو العالمية والكونية، **لذلك نراه يدعو العرب أن يكفّوا عن ممارسة الوصاية الثقافية على القرءان الكريم، ليأخذ حركته الإنسانية المنفتحة.**

فهو يقترح معادلة موضوعية لهذه الإشكالية، تتلخص في أن **إنسانية القرءان الكريم تُشكل علمية اللغة العربية، ويتبع هذا، أنّ علمية اللغة العربية تُشكل كونية الثقافة العالمية، وتُبعد الهيمنة العربية على الثقافة.**

ويؤكد المؤلف أن سبب الحاجة إلى هذه المعادلة، هو التحديات المعاصرة التي تواجه اللغة العربية، لذلك لا بُدَّ من عهد جديد للتعامل مع اللغة العربية على أنها نظام علمي، وعلى أن القرءان – حكماً – هو نظام إنساني، وعالمي، وشمولي، ولكي يحقِّق المؤلف هذا

---

1 عنوان رسالة الدكتوراه لمازن الوعر:

نحو نظرية واقعية وحديثة للتراكيب الأساسية في اللغة العربية الفصحى.

Ph. D. Thesis Title

Toward Amodern And Realistic Sentential Theory Of Basic Structures In Standard Arabic.

المشرف على الرسالة: بروفسور والتر كوك

أعضاء اللجنة: بروفسور فرانسيس داينين – بروفسور أليكسا ماكراي.

الدَاعم الرئيسي: بروفسور نعوم تشومسكي، قام مشكوراً بقراءة هذه الأطروحة والتعليق عليها.

الهدف، نراه يُبيِّن الجوانب الكثيرة التي تكشف اللغة العربية.

فقـد تحـدث عن نشـأة اللغـة العربيـة، وعـرض آراء الباحثين في هـذه التقنيـة - قديماً وحديثـاً - وناقشـهم في كل هـذه الآراء، لكـي يطـرح فرضيـة جديـدة ومثيرة.

وقد عرض لدلالات أصوات الحروف العربية، وأعطى أمثلة مقنعة حولها، متحدثاً عن معجم دلالة أصوات الكلمات الثنائية الفطرية، ذلك المعجم الذي تحتاجه اللغة العربية في العصر الحديث.

وقد تحدث المؤلف - أيضاً - عن نماذج تطبيقية لكلمات ثلاثية، منطلقاً من أن **أي تغيير في بنية الكلمة، تقديماً أو تأخيراً، يؤثر في دلالتها ويُغيّر فيها، مثلها في ذلك كمثل العناصر الكيميائية**، إن إضافة حرف إلى الكلمة الثنائية، دليل على بدء عملية التفكير والتقدم في المجتمع الإنساني.

وقد استشهد المؤلف بنماذج عملية لمنظومات لغوية كمنظومة (قط) و(غ) **لكي يحث الباحثين على التعامل مع اللغة العربية، على أساس من المنظومات المترابطة مع بعضها، ذلك لأن الكون عالم واحد لا يتجزأ.**

وقد انتبه المؤلف إلى موضوع لساني حديث، يتعلَّق باللغة واقعاً، وباللغة تفكيراً، والعلاقة الجدلية بينهما، فقد حلل بُنية الثابت اللغوي، وعلاقتها ببنية المتغيِّر اللغوي، وطبق هذا على اللغة العربية التي تقوم في بنيتها على:

- **العلاقة الجدلية التناقضية الفكرية (عدل وظلم).**
- **والعلاقة الجدلية التناقضية الداخلية (موت الكلمة/ حياة الكلمة).**
- **والعلاقة الجدلية الثنائية الضدية التعاقبية (الليل والنهار/ الساخن والبارد).**
- **والعلاقة الجدلية الضدية التلاؤمية الانسجامية، والتعايشية بين الزوجين من جنس واحد (الذكر والأنثى / السالب والموجب).**

وقد أفرزت هذه العلاقة الجدلية، في اللغة، معادلة مؤدَّاها أنه لا بُدَّ لكل فعل من فاعل،

وجوباً إما ظاهراً، أو مستتراً، ولا بُدَّ لكل مبتدأ من خبر، وجوباً، ولا بُدَّ لكل بداية من نهاية. وهذا يعني أن العربية مؤلفة من مجموعة منظومات عامة، إذ إنه لا يمكن فصل الجزء ودراسته على حدة، فلا يتم ظهور دلالة الكلمة العربية، إلا بوضعها في المنظومة العامة للجملة، والنص وما بعد النص.

وهكذا، فاللِّسان العربي نظام عام، لأنه لسان علمي، وهذا هو المحور الثابت فيه، ومن ثم، فهو ثقافة، وهذا هو المحور المتغيِّر فيه حسب المعطيات الزمانية والمكانية.

هذه المعادلة تعطينا نتيجة مهمة، وهي أن النص القرءاني هو نص عربي اللِّسان، ولكنه ليس عربيَّ الثقافة قومياً، فلا يمكن حصر القرءان الكريم، وتقييده بثقافة المجتمع الأول، الذي زامن نزوله.

من هنا فإن المؤلف يطالب بوضع معجم لغوي، يعتمد على نظام اللغة فقط، والابتعاد عن الثقافة العربية، حتى يتمكَّن الناس على اختلاف ألسنتهم، من التعامل مع القرءان بحرية إنسانية، فالقرءان كما يقول المؤلف، حجة على الثقافة العربية، والعكس غير صواب، وما المعاجم اللغوية، إلا توثيق ثقافي تاريخي للمجتمع الذي دُوِّنت فيه.

إن أهم ما في الكتاب، وهو ما يميِّزه عن الكتب الأخرى – في هذا المجال – أن المؤلف **ربط – ربطاً شديداً – ما بين النظرة الإسلامية للكون، وما بين النظام اللغوي العربي الذي يُعَد نظاماً واحداً من أنظمة الكون،** التي تحكم الواقع الفيزيائي المتناهي، والواقع الميتافيزيقي اللامتناهي، وهو بذلك ينقل العربية من واقع الانحسار المحدود، إلى واقع الانفتاح اللامحدود.

فاللِّسان العربي، والقرءان في النهاية، نظامان مترابطان ضمن دائرة الأنظمة الكونية، المتَّسمة بالثبات والتغيُّر في الوقت ذاته.

الدكتور مـازن الوعـر

أستاذ علم اللغة الحديث (اللِّسانيات) في جامعة دمشق

دكتوراه دولة من جامعة جورج تاون

حمص – سورية 2007م

تنويه

بعد انتهائي من كتابة بحث «علمية اللِّسان العربي وعالميته» نشرت مواضيعَ منه في النت، خاصة المتعلِّقة بنشأة اللِّسان، ونفي الاعتباطية، أو الوضعية عنه، وإثبات أنه تفاعل إنساني فطري مع الظواهر الطبيعية، ونفي تطابق الدلالة بين الألفاظ المختلفة التي اشتهرت خطأً باسم الترادف، وأن الأصوات العربية (الحروف) لها دلالة فيزيائية، وأنه يوجد علاقة بين الدال والمدلول،... وغير ذلك.

فذكر لي أحد القراء المتابعين لما أنشر في النت: أن هذه الأبحاث قد سبقني إليها الباحث «سُبيط النيلي» في مجموعة من كتاباته وقد نشرها منذ بضع سنوات وهي: اللغة الموحدة، والنظام القرءاني، والحل القصدي للغة، واطَّلعت عليها فوجدتها عظيمة من حيث البحث والدراسة، وأبدع المؤلف فيها إبداعاً ربما غير مسبوق حسب علمي، وسررت عندما وجدت تطابقاً كبيراً بين بحثي وبحثه في أصول المنهج، وكثير من الفروع، لدرجة أن القارئ لهما يُخيل إليه أن اللاحق (أنا) قطعاً أخذ من السابق (سُبيط النيلي)، والواقع خلاف ذلك تماماً، فأنا لم أطلع على أبحاث «سبيط النيلي» إلا بعد انتهائي من البحث بتوجيه من القارئ الذي ذكرته، وهذا يعرفه كل أصدقائي؛ لأنهم عاصروا كتابة البحث خطوة بخطوة وساهموا في تزكية البحث من خلال الحوار، والجدال أحياناً، ناهيك عن وجود بذور البحث مستخدماً في دراساتي السابقة التي بُدِءَ بطبعها في عام / 1994/ .

والقارئ الحصيف يدرك الفرق بين طريقة البحثين، وأسلوب العلاج للأفكار والوصول للنتائج، فيصل إلى أن الباحث الثاني (أنا) لم يطَّلع أثناء كتابته للبحث على البحث السابق لـ «عالم سُبيط النيلي» قط، وعندما اطلعت عليها لاحقاً حاولت أن أستفيد من أبحاثه على قدر الاستطاعة بما يسمح الوقت به على أن أعود لذلك فيما بعد، رغم أني لا أوافقه في تطرفه

الطائفي وغلوّه، كما أني لا أوافقه في إخضاع النص القرءاني لنظريته اللِّسانية وتصويبه بعض الألفاظ القرءانية على ضوئها والقول بخطئها أو تحريفها من قبل الناس، فهو يقول عن كلمة (مَلَكين) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: 102]. ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: 20]: الصواب هو كسر حرف اللام لتصير (مَلِكين) ويصح المعنى بأن هاروت وماروت هم من ملوك الأرض، وليس من الملائكة حسب ما فهم، وكذلك في النص الآخر! وذلك لأنه نفسه يَعُدُّ النص القرءاني برهاناً على صحة نظريته!، فكيف للبرهان أن ينقلب محلاً للتقويم أو الشك!.

ومع ذلك لم أدّع الأسبقية، ولم أطالب ببراءة اختراع! ولا يهم من كان الأول أو السابق في البحث، واحتمال التوافق أو التقارب بين باحثين وارد في الواقع دون أن يطلع أحد منهما على الآخر، والقارئ حرٌّ بقناعته، فالغاية هي نفي الاعتباطية عن نشأة اللِّسان العربي، وإثبات أن الأصوات العربية لها دلالة فيزيائية، ونفي ما اشتُهر بظاهرة الترادف بين الكلمات، ونفي المجاز، وغير ذلك، لإعادة دراسة التنزيل الحكيم وَفْقَ هذه الرؤية العلمية العربية لتغيير ما بالمسلمين من ذلٍّ وتخلُّف وهبوط في الفكر والمنهج، وربط المسلمين بلسانهم العربي الأصيل، وبالتنزيل الحكيم العربي لساناً وحكماً، لنصل إلى الإنسان العربي تفكيراً وسلوكاً منسجماً مع الكون والإنسانية.

بِسْمِ اللهِ وبه نستعين

مقدِّمة المؤلف

تمر المجتمعات العربية والإسلامية بأزمة ثقافية من الدّرجة الأولى، نتج عنها استبداد سياسي، واستعباد اجتماعي، وانغلاق فكري، وتكفير ديني، ورفض الآخر إلى درجة القمع، وظهرت على أثر ذلك أحزاب سياسية، وثقافية، واجتماعية، تكمن فيها الثّقافة الملوثة في قلوبهم، وتم تلقيحها بأفكار غربية وافدة، فظهرت أحزاب، تحمل خليطاً ثقافياً متناقضاً متنافراً، فتجد حزباً ما، يدعو إلى الحُرِّيَّة والمشاركة، وهو يمارس في حركته الحزبية أشد القمع، والقهر، والاستبداد، بل إن المؤسس له يبقى على رأس حزبه إلى أن يموت، ويرثه في قيادة الحزب زوجته، أو ولده، أو صهره، ولم يصل بعد إلى مستوى قيادة المجتمع، ناهيك عن الأحزاب التي وصلت إلى قيادة المجتمع، فثقافتها، وسياستها الاستبدادية والاستعبادية، تئنُّ تحت وطأتها المجتمعات العربية، والإسلامية منذ عشرات السّنين، ومازال الأمر يتفاقم، والأحزاب تتوالد وتُغيِّر جلدها، انظر إلى حزب (بناظير بوتو) في باكستان، كيف خلفها في قيادته ابنها الصغير !.

ولخطورة الأمر، وجسامته، ينبغي التّوقف، والقيام بعملية النّقد الذّاتي البنَّاء، ولو اقتضى الأمر إجراء عملية جراحية ثقافية، لاستئصال أي ورم خبيث يتموضع في نسيج الثّقافة، فينبغي إجراء هذه العملية - دون خوف أو تردد- ، لأنها مسألة مصيرية، وينبغي أن تتم هذه العملية بأسرع وقت، لأن دول الاستكبار والاستعباد تتكالب علينا، كالكلاب على قصعة الطّعام.

إن المُكَوِّن الأساسي لثقافة المجتمعات العربية، والإسلامية، هو التنزيل الحكيم، فينبغي الانطلاق منه، ودراسته، ومعرفة صواب العلاقة بينه، وبين الثّقافة السّائدة على أرض الواقع، ودراستها بصُورة نقدية، وهذه الدّراسة تقتضي - أولاً- معرفة **صفة التنزيل الحكيم، وموضوعه، وتوجهه.**

صفة التنزيل الحكيم

إن التنزيل الحكيم، هو النّص الذي نزل من السماء، وتمت صياغته بلسان عربي مبين، وأسند للملائكة كثيراً من الحوار والخطاب بإذنه، وهذا ظاهر من دلالة الضمائر التي تأتي بصيغة الجمع أو الغائب أو المخاطب، ونزل على قلب النبي محمد كملف صوتي، وليس مخطوطاً ليقوم بتلاوته على قومه خاصَّة، والنّاس عامَّة، وأخذ التنزيل الحكيم صفة الجامع والمُكَمِّل للدين الإسلامي، وهو محفوظ من التّحريف نصاً، وهذا الأمر مُسلَّم به عند معظم المسلمين كافة، في مشارق الأرض ومغاربها على مختلف توجهاتهم ومذاهبهم ومِلَلِهم، وكذلك عند جمهرة من الباحثين الغربيين المخلصين للحقيقة مثل «موريس بوكاي».

موضوع التنزيل الحكيم

إن التنزيل الحكيم نص يتعلَّق خطابه بالإنسان - أسرةً ومجتمعاً - (الدِّين للنّاس) فأتى خطابه محتوياً الهداية والإرشاد، والفلاح، والصّلاح للإنسان والمجتمع، فاحتوى الأسس الفكرية لعلاقة الإنسان بالكون والحياة، وما بعد الحياة، وطريقة التّفكير، والمنهج العلمي والتّاريخي، إلى جانب وضع شرع اجتماعي حدودي قائم على الثّابت، وفيه خاصية التّحرك ضمن مُتغيرات، تركها لحركة الإنسان بصفته الاجتماعية، ليُناور بها وَفْقَ مفهوم الحنيفية، فضمن بذلك صفة التّطور، والحركة للمجتمعات نحو الأمام والتّقدم، وبذلك يكون مُحافظاً على الصلاحية كصفة له على أرض الواقع، واستمرت صلاحيته في كل زمان ومكان، من جراء ربط خطابه بمحلِّه من الواقع، وَفْقَ الثّابت والمتغير.

توجه التنزيل الحكيم وحركته

إن التنزيل الحكيم، منذ بدء نزوله كان توجهه إنسانياً عالمياً، قال تعالى آمراً رسوله: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّي الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158] فحمل العرب التنزيل الحكيم، وتفاعلوا معه، وتحركوا به على أرض الواقع، وصنعوا نهضة وحضارة.

ولكن الذي حصل، هو أنَّ التنزيل الحكيم، قد أُلصق بحركة العرب وتفاعلهم، وانتشر الإسلام الممزوج بالثّقافة القومية، التي هي نتيجة تفاعل العرب، حسب المعطيات الزّمانية والمكانية حينئذ، واستمر هذا الإسلام القومي، في قيادة المجتمعات إلى يومنا المعاصر، بل تم تصديره إلى المجتمعات الأخرى غير العربية فصار هذا الإسلام القومي - الممزوج بالثّقافة - هو المسؤول الأول، عن تخلف المسلمين في العالم - حالياً - عن ركب الحضارة والنّهضة، وظهر على أرض الواقع، نتيجة تدافع السّنن والبقاء للأصلح والأنفع، صراع بين الإسلام العربي الإنساني، الذي هو دين الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران:19]، والإسلام القومي، الذي هو تفاعل العرب الزّمكاني مع الإسلام، بمعنى آخر، **صراع بين التنزيل الحكيم، وثّقافة القومية العربية الممزوجة بثقافة أهل الكتاب وما دخل إليها دسّاً[1] !.**

وبما أنَّ التنزيل الحكيم وحي من الله إلى النّاس جميعاً، على مختلف ثقافاتهم، وهو عربي الحكم، وعربي النظام، وقد أخذ صفة الكتاب الجامع لما قبله والإكمال، التي تقتضي صلاحيته، واستمراره، في كل زمان ومكان، كان لا بُدَّ من نزوله بلسان عربي مبين، ليتم الانسجام والتوليف بين عربية التنزيل الحكيم حُكماً ونظاماً، وعربية اللِّسان، فاختير اللِّسان

1 لا شك أن الاستعمار السياسي والاقتصادي للأمة خطير، وينبغي مقاومته مثل الاحتلال الصهيوني اليهودي لفلسطين، ولكن الاختراق الثقافي واحتلال التراث كمصادر ومراجع تاريخية ولسانية ودراسات إسلامية، وتحريفهم أكبر بكثير من الاستعمار السياسي، وينبغي التنبه له ومقاومته، وأكبر مثال على ذلك هو تحريف التاريخ العربي و الإسلامي المتعلق بفلسطين ومصر والأنبياء من قبل اليهود، وتحريف اللِّسان العربي الذي نزل به القرءان، ومحاولة أعجمته من قبل الأعاجم! والشعوبيين، وأعرض سؤالاً بريئاً للتفكير فيه: لماذا معظم مؤلفي قواعد اللِّسان العربي أعاجم ؟ وكذلك معظم جامعي الحديث النبوي أعاجم؟ هل العرب قاصرون وجاهلون؟

العربي من دون سائر ألسنة العالم، وذلك لوجود صفة المركزية به، وصفة الأم لسائر الألسنة الأخرى، وتحقق صفة العلمية به في ولادته، ونشأته، وتوسعه، وبنائه، وإذا أخذ الشّيء صفة العلمية، يصعد مُباشرة إلى العالمية، لتحرُّره من القومية والثّقافة المحلية، ويصير مثل سائر العُلُوم مُلكاً للإنسانية جميعاً، فمهمة القوم العرب المتعلِّقة بالتنزيل الحكيم بالنّسبة للنّاس جميعاً، هي تلاوة هذا النَّص، وإيصاله مع بُعده الثقافي التعبدي، وترك الأبعاد الأخرى للعلم وتفاعل الناس، فَهُم بمنزلة الرَّسول الذي يوصل الرِّسالة ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: 54]، وهم قد قاموا بحفظ التنزيل الحكيم كاملاً من خلال تتابعه تلاوة في صدور الأمة، وكتابته خطّاً ونسخه على مصاحف، ومهمة الرّسول تنتهي بتوصيل الرِّسالة، وما ينبغي أن يُلصق الرَّسول بالرِّسالة، **فالقيمة موجَّهة إلى الرِّسالة ذاتها، وليس إلى شخص الرَّسول، ومن ثم، فالإيمان متعلِّق بمضمون الرّسالة، لا بشخص الرّسول**[1].

لذا، ينبغي على القوم العرب أن يكُفُّوا عن مُمارسة الوصاية الثّقافية على التنزيل الحكيم، وأن يرفعوا أيديهم ولَغوِهم عنه، ليتحرك حركته الإنسانية، دون هيمنة الثّقافة القومية عليه، التي خنقت دلالته لدرجة أن أصابته بحالة السُّبات !.

وجُعِل التنزيل الحكيم إنسانيٌّ في خطابه، عالميٌّ في توجُّهه، لأنه خطابٌ من رب النّاس للنّاس جميعاً، ومن **ثم فلا وصاية لأية قومية، أو عرق، أو طائفة، أو مذهب، على التنزيل الحكيم، ولا فضل لأحد على أحد، والجميع سواسية أمام خطاب التنزيل الحكيم، وكلهم معنيون به.**

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1].

1 ينبغي العلم أن كلمة (الرسول) في اللِّسان العربي تأتي بمعنى الرسالة، وهذا يعني أن الأمر بطاعة الرسول في كثير من النصوص القرءانية متعلقة بالرسالة، لا بحاملها مثل قوله تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[النساء:80]، كما أن الطاعة لا تكون إلاّ لحي، وينبغي العلم أن تتابع القرءان لا علاقة له بإثبات مصدريته الربانية، فهذا أمر آخر متعلق بتدبر المتلقي وتفكيره. راجع كتابي « تحرير العقل من النقل» الطبعة الثالثة، وكتابي حوارات ثقافية « الجزء الأول مبحث» التتابع أداة معرفية وليست علمية».

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ * إِلَـهِ النَّاسِ﴾ [الناس: 1 - 3].

وهذا البحث يتضمَّن جواباً على سؤال:

لماذا نزل التنزيل الحكيم باللِّسان العربي دون غيره ؟

وكيف يكون إنسانياً، وعالمياً، وهو بلسان قوم معيَّنين، كما زعموا ! ؟

سؤال، طالما سمعته يتردد على ألسنة الناس، وبعضهم يجعله شبهةً وإشكالاً، ومبرِّراً لرفض عالمية القرءان وإنسانيته، حتى أن معظم فقهاء المسلمين، يعتقدون بوجود مجموعة كبيرة من الكلمات الأعجمية داخل التنزيل الحكيم، رغم أن الله قد قال:

﴿نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ* عَلَىَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مّبِينٍ﴾ [الشعراء: 193- 195].

وأطلقوا على كتب قواميس اللِّسان العربي، اسم المعاجم، وهي جمع (مُعجم) وأصلها من (عجم)، فكيف اجتمع في ثقافة العرب صفة اللِّسان العربي المبين، وصفة العُجمة ؟

انظر إلى معنى العجمة في كتب اللِّسان العربي:

- وباب الأمير معجم، أي: مُبهم مقفل. أساس البلاغة.
- وبابٌ مُعْجَمٌ، أي: مُقْفلٌ به. واسْتَعْجَمَ عليه الكلام: استبهم. الصحاح في اللغة.
- وبابٌ مُعْجَمٌ، كمُكْرَمٍ: مُقْفَلٌ. والعَجْماء: البَهِيمَةُ. القاموس المحيط.
- كلام أعجم ومُعجم يُذهب به إلى كلام العجم. المخصص.

وكلمة (مُعجم) بضم الميم هي اسم لما استغلق فهمه، وهي غير دلالة كلمة (مَعجم) بفتح الميم التي هي اسم مكان يحدث فيه الإعجام على وزن معمل ومسلخ ومعبد ومصنع، وعلى افتراض صواب استخدام كلمة العجمة على كتاب جامع للمفردات العربية، كان ينبغي تسميته على وزن اسم المكان مَعبد مَصنع مَكتب فتصير مَعجماً وليس مُعجماً، ولكن التسمية من أصلها خطأ فاحش. والصواب هو كلمة قاموس أو البيان أو المبين أو الفاتح...

وما شابه ذلك؛ مما يدل على وظيفة الكتاب من كونه مبيناً لمعاني المفردات واستخدامها، ولا يصح القول: إن كلمة معجم أتت من الفعل الرباعي (أعجم)، والهمزة في الفعل هي همزة الإزالة التي تنفي حدوث دلالة الفعل الثلاثي عجم، وبالتالي تصير كلمة أعجم، بمعنى رفع العجمة عن الكلمة وتبيينها، فهذا خطأ في التدبر، فدلالة همزة الإزالة لا يشترط لها نفي حصول الفعل الثلاثي فقط، وإنما تدل أيضاً على تغيُّر في اتجاه الفعل ونقله من الفعل اللازم لصاحبه إلى المتعدي للغير، أو العكس نحو ضرب وأضرب، وقسط وأقسط وكلمة عجم وأعجم هي من هذا القبيل فالهمزة في الفعل الرباعي قامت بنقل الفعل من اللازم إلى المتعدي، ولم تنف صفة العجمة قط، وذلك مثل كلمة ضرب وأضرب، ففعل الضرب لم ينتف، وإنما تغير من المتعدي إلى اللازم لصاحبه.

وزاد الأمر غرابة استخدام مصطلح (اللغة) على اللِّسان العربي، وكلمة (لغة) أصلها من (لغو) وهي تدل على الألفاظ التي لا يُعتَدّ بها، ولا قيمة لها، ولا مقصد، وإنما هي هزل وسخرية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3].

ومن خلال بحثي، لاحظت أن هناك فارقاً كبيراً، بين عظمة اللِّسان العربي، وتخلف من ينطق به وانحطاطه، من المجتمعات العربية المعاصرة، غير عملية الاستلاب، والحظر التي يمارسها المجتمع العربي، وجعل دلالة كلمة (عرب) تدل على القومية فقط، ونتج عن تلك المفاهيم المذكورة آنفاً جعل التنزيل الحكيم من الناحية العملية نصّاً قومياً، لا إنسانياً، وقيدوا فهمه بثقافة القوم الذين زامنوه، وبذلك جعلوه من الناحية العملية مرتبطاً بزمان ومكان معين، ونقضوا شعارهم: **(الإسلام صالح لكل زمان ومكان)** شاؤوا أم أبوا، وصار تعاملهم مع اللِّسان العربي تعاملاً ثقافياً قومياً، وظهر ذلك بصورتين:

الأولى: أخذوا نسخة طبق الأصل عن فهم المجتمع الأول، الذي زامن نزول التنزيل الحكيم، وجعلوها معياراً، ومقياساً، وأساساً لفهم التنزيل الحكيم، فصار التفاعل الثقافي الأول، كأنه التنزيل الحكيم العملي للمسلمين، والتنزيل الحكيم للتلاوة والبركة فقط !، وصارت المجتمعات اللاحقة، تجتر ثقافة المجتمع الأول، وتعيدها، وتكررها، وتعلكها حفظاً، وشرحاً، واختصاراً، وتحسين شكلها دون المساس بمضمونها، أما التنزيل الحكيم، فهو مُعلَّق على الجُدر، ويُتلى على الأموات، رغم أنه نزل من حيٍّ إلى الأحياء.

وترتب على ذلك العمل في الواقع شرخٌ كبير بين المسلمين، والإسلام الممثل بالتنزيل الحكيم، وزاد الأمر سوءاً، عندما قام هؤلاء بتصدير تفاعلهم القومي اللغوي الزمكاني مع التنزيل الحكيم إلى المجتمعات الأخرى، حتى صار في مُخيِّلة الناس أن مفهوم القوم الأوائل، جزء لا يتجزأ من الإسلام، ومن ثم، فكل من يريد أن يتمسك بالإسلام ديناً من غير العرب، نراه أرخى لحيته، ولبس لباس أهل الجزيرة، وغطَّى رؤوس نسائه، ونَقَّب وجوههن، وألبسهن لباساً طويلاً إلى الأرض !.

الصورة الثانية: نجدها في الكتب التي اعتمدها القوم لشرح دلالات مفردات اللِّسان العربي، وأطلقوا عليها اسم القواميس أو المعاجم، فمن يدرس هذه المراجع لا يمكن أن يتصور أن هذه الأمة أنشأت حضارة، وعاشت في مدنية، وتقدُّم، ورُقي، وذلك لاختفاء المفردات التي تدل على المدَنيّة، مثل المفردات الطبية، والفلكية، والرياضية، وغيرها مما يتعلَّق بنظام الدولة، وأسماء الأدوات والمخترعات... إلخ، وانتشر محلَّها مفردات كثيرة تدل على الإبل وأحوالها، والصحراء وتقلباتها، والسيف وصفاته، وأسماء الكلاب... إلخ، ألم تكن هذه الأمة تعيش حضارة ومدَنيّة؟ أليس الآشوريون والبابليون والفينيقيون والأقباط.... إلخ، من العرب وقادوا الحضارة في العالم ؟!

أين أدواتهم المعرفية والعلمية ؟! أين مفرداتهم التي كانوا يستخدمونها في التفكير، وحفظ المفاهيم ؟ من باب أن المفردات، هي بمنزلة حقل للتفكير، ووعاء للمعاني !، فالمجتمعات اللاحقة حينما جعلت فهمَ المجتمع الأول الساكن شبه الجزيرة العربية، وتفاعله الذي زامن نزول التنزيل الحكيم، أساساً، ومعياراً، ونموذجاً لتعاملهم معه، وهجروا التنزيل الحكيم، وقاموا بعملية تأسيس لهذا النموذج الزَّمكاني، وتقعيد له، فوُضعت القواميس والمعاجم لتؤسس ثقافة البدو، وتحفظ هذا التفاعل الثقافي الأول، حتى صارت هذه المراجع اللغوية، هي تاريخ لثقافة المجتمع الأول، وتفاعلهم مع التنزيل الحكيم، واللِّسان العربي، وبذلك استُبدِل اللِّسان العربي بثقافة القوم الأوائل، وظهرت قيمة البدوي، واشتد الطلب عليه، وصار مرجعاً - لا يُستغنى عنه أبداً - ، وامتلأت القواميس بصفة الإبل والصحراء والليل القارس، والنهار الحار، والخيول... إلخ.

وبذلك العمل، انضم اللِّسان العربي إلى التنزيل الحكيم، في عملية الهجر، والإهمال

من قبل القوم، **لتصير هذه المعاجم، بمنزلة التنزيل الحكيم اللِّساني، بجانب فهم السلف، وتطبيقهم، الذي هو بمنزلة قرآن عملي لهم، بل وزاد الأمر سوءاً حينما جعلوا الشعر الجاهلي حاكماً على التنزيل الحكيم، ويكفي لبطلان هذا الرأي وخطله وَصْفُهم للشعر أنه جاهلي!، فكيف يكون الجاهلي حَكماً على كلام الله؟ ومن البديهي أن يُستبعد التفكير، ليحل محلَّه التقليد، ويُستبعد العلم والواقع، ليحل محلَّهما النقل (الآبائية)، وتصير حركة الأمة حركةً ماضوية اجترارية (سلفية) تهوي إلى القعر، وتحفر فيه، لتوغل في أوحال التخلف، والانحطاط، وتغوص في المستنقعات.**

كل ذلك يحدث تحت ظلال التنزيل الحكيم، واللِّسان العربي، رغم استبعاد الاثنين من الناحية العملية، فالأمر على درجة من الخطورة، إنه أمر مصيري، وجود حضاري، أو لا وجود.

لذا، اقتضى ذلك أن نتصدى لهذه المسألة الخطيرة، ونحاول أن نُزيل الشوائب التي تراكمت على مفهوم كلمة (العرب)، ونُبيّن علمية اللِّسان العربي دون غيره من الألسنة الأعجمية، وننفي ظاهرة تطابق المعنى عن الكلمات المختلفة لفظاً، التي اشتُهرت باسم الترادف خطأً، وننفي عنه المجاز الذي يُعرّفه أهل اللغة بأنه استخدام الكلمة في غير معناها الحقيقي، لتظهر لنا العلاقة الجدلية بين التنزيل الحكيم، واللِّسان العربي المبين، ونحررهما من هيمنة ثقافة القومية والشعوبية عليهما، ورفع الحظر عنهما، وجعلهما يتحركان حركة إنسانية، وعلمية، ليصيرا عالميَّيْن.

كما أني أهدف إلى تأسيس مَلَكَة عقلية في الإنسان بتعامله مع اللِّسان العربي من خلال معرفة دلالة أصوات الأحرف العربية فيزيائياً، حتى يستطيع أن يصل إلى الدلالة، أو المفهوم، من خلال سماع ترتيب أصوات بُنية الكلمة، والقيام بتحليلها وتركيبها للوصول إلى مفهومها الفيزيائي، وفهمها ثقافياً من خلال استخدامها في سياق الجملة، والمنظومة التي **تنتمي إليها، وإسقاطها على محلها من الخطاب، وهذا الاستخدام العلمي لمفردات اللِّسان العربي لا يُطَبَّق إلاّ على التنزيل الحكيم فقط، لأنه الوحيد الذي يدل على مُقتضى الحال، حيث أن كلماته هي صورة صوتية لمدلولاتها في الواقع، حالاً، أو وظيفة، أما استخدام القوم للِّسان العربي، فهو استخدام محدود وقاصر على الأصوات العربية (الأبجدية)، ولا**

يخلو من عجمة - أبداً- ، ومن ثم، يظهر لنا تهافت حُجّية الشعر العربي الجاهلي، أو غيره، من الموروث الثقافي، والحُجة بذلك هو التنزيل الحكيم فقط، وإسقاط الكلمة على الواقع محلِّ الخطاب، ومن ذلك الوجه كان التنزيل الحكيم حُجّةً وقاضياً على ما يُسمَّى قواميس أو معاجم، أو شعراً، أو نثراً أو لغة، مع استغناء التنزيل الحكيم عنها جميعاً، لارتباطه بالواقع، ليصير الواقع هو القاموس لمفاهيم ومعاني مفرداته.

فاللِّسان العربي المبين، المتمثل بالتنزيل الحكيم، هو الوحيد الذي يصلح لدراسته بصورة علمية، وتُستخدم الأدوات المعرفية، واللِّسانية عليه، أما سواه من الألسنة، فهي كلها أعجمية بنسب متفاوتة، حتى من يستخدم اللِّسان العربي (أصوات)، في ثقافته وحياته، فهو يستخدمه بصورة أعجمية - غالباً - ، وتظهر قوة الشاعر وبلاغته، إن استطاع أن يُخفف من العجمة في كلامه، ويُقلصها إلى الحد الأدنى، مع استحالة رفعها عن كلامه بصورة كلية، لأن أساس الشعر يقوم على المجاز وما أسموه الترادف خطأً، وهذا يمنعنا من التعامل مع أقوال الرجال، تعاملاً حرفياً لمبنى كلامهم، أو جعل كلامهم برهاناً على خطأ مسألة معينة أو صوابها، من حيث قواعد النحو، أو دلالة لفظة مُعينة واستخدامها، وذلك لوجود صفة القصور، والعجمة، والترادف والمجاز فيهم بصورة لازمة خَلقاً.

لذا، ينبغي التعامل مع المقاصد والمعاني، لا مع الألفاظ والمباني بالنسبة لأقوال الرجال، بخلاف التعامل مع التنزيل الحكيم، فإننا ندخل إلى المعنى من المبنى، وندخل إلى المبنى من خلال محل الخطاب من الواقع، ودلالة أصوات مبنى الكلمة، ومحلها في سياق النص.

وأعرض هذه الدراسة المتواضعة لَبِنَة، وخُطوة أولى في طريق طويل، ولا أدَّعي أني أصبت في كل ما ذكرت، أو أني وصلت إلى سقف المعرفة، وإنما أردت تسليط الضوء على موضوع مهم جداً، ليقوم المخلصون من الأمة بمتابعة البحث، والدراسة، لتمكين الأجيال اللاحقة، من التعامل مع اللِّسان العربي بصورة علمية تُمكّنهم من دراسة التنزيل الحكيم، والتفاعل معه، للوصول إلى الفاعلية، والنهضة، والتطور، والرقي، ويتم القضاء على بذور الاستبداد، والاستعباد الثّقافي الكامن في المجتمعات العربية القومية، والإسلامية، ويتم التّخلص من التّابعية، والشعوبية، والقابلية للاستعمار الغربي، ونبدأ بتدشين عهد جديد من التّعامل مع اللِّسان العربي بنظام علمي، والتعامل مع التنزيل الحكيم خطاباً إلهياً

متصفاً بالإنسانية والعالمية والكونية، وبذلك يصير كل منهما إنسانياً عالميَّ الوجهة.

ولنمض الآن قُدُماً، إلى علمية اللِّسان العربي وعالميته، ونُرجع فاعلية عربية التنزيل الحكيم حُكماً، ونظاماً، ولساناً.

وأخيراً، أتوجه بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور «مازن الوعر»، لقيامه بقراءة البحث، وتقديمه للقارئ العربي، وللأستاذ «محمد هيثم إسلامبولي» لاقتراحه القيام بنفسه بشرح دلالات رسوم الأبجدية الفينيقية، وضمه إلى البحث، فوافقت على ذلك، وتم الأمر على ضوء هذه الدراسة، وللأخ الصديق «مُحيي الدّين الصَّبّان»، لما قدّم لي من دعم في متابعة نشر هذا البحث وغيره.

المؤلف

دمشق – سورية 2007 م



الفصل الأول

الفرق بين مفهوم اللِّسان واللغة

معنى اللِّسان في القواميس:

- مقاييس اللغة:

(لسن) اللام والسين والنون أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على طول لطيفٍ غير بائن، في عضوٍ أو غيره. من ذلك اللِّسان، معروف، وهو مذكّر والجمع أَلْسُنٌ، فإذا كثر فهي الألسنة. ويقال: لَسَنْتُه، إذا أَخَذْتَه بلسانك..... وقد يعبَّر بالرِّسالة عن اللِّسان فيؤنّث حينئذٍ.

- القاموس المحيط:

وألْسَنَهُ قَوْلَه: أبْلَغَه. واللَّسْنُ بالكسر: الكلامُ واللُّغَةُ واللِّسان ومحرَّكاً: الفَصاحَةُ لَسِنَ كفَرِحَ فهو لَسِنٌ وألْسَنُ. ولَسَنَهُ: أَخَذَهُ بِلِسانِهِ وغَلَبَهُ في المُلاسَنَةِ...... والإلْسانُ: الإبلاغ للرِّسالةِ. ألْسِنِّي فُلاناً وألْسِنْ لي فُلاناً كذا وكذا، أي: أبْلِغْ لي.

- مختار الصحاح:

[لسن] ل س ن: اللِّسان جارحة الكلام، وقد يكنى به عن الكلمة فيؤنث حينئذ، فمن ذكَّره قال: ثلاثة ألْسِنة مثل حمار وأحمرة، ومن أَنث قال: ثلاث أَلْسُن مثل ذراع وأذرع، واللَّسَن بفتحتين الفصاحة وقد لَسِنَ من باب طرب فهو لَسِنٌ وألْسَنُ، وفلان لِسَان القوم إذا كان المتكلم عنهم واللِّسَانُ لسان الميزان ولَسَنَه أخذ بلسانه وبابه نصر.

معنى اللغة في القواميس:

- المحيط في اللغة:

لغى ولغو

اللُّغَةُ واللُّغَاتُ واللُّغُون: اخْتِلافُ كلامٍ في معنىً واحِدٍ، لَغَوْتُ أَلْغُو، ولَغِيْتُ أَلْغى. واللَّغْوُ: اخْتِلاطُ الكلام. والباطِلُ أيضاً. وأَلغَيْتُ هذه الكلمةَ: أي: رَأَيْتُها باطِلاً وفَضْلاً في الكلام، وكذلك اللَّغا.

ولاغِيَةٌ: كَلِمَةٌ قَبِيحةٌ فاحِشَةٌ، لَغِيتُ به أَلْغى لَغىً: إذا أولعت به. ولَغى الطَّيْرِ: أصواتُها.

واللَّغْوُ في اليَمِين: لا واللهِ، وبَلى واللهِ.

- مختار الصحاح:

ل غ ا: لَغَا، قال باطلاً، وبابهُ عدَا وصَدِيَ. وأَلْغَى الشيءَ أَبْطَلَه. وأَلْغَاه من العَدَد أَلْقَاه منه. واللاَّغِية اللَّغْو. قال اللهُ تعالى: (لا تَسْمَعُ فيها لاغِيَةً) أي: كَلمةً ذاتَ لَغْوٍ وهو مثل لابِن وتامِر. واللَّغْو في الأَيْمان ما لا يُعْقَد عليه القَلْب كقَوْل الإنسان في كلامه: لا والله وبَلَى والله. واللُّغة أَصْلُها لُغَيٌ أو لُغَوٌ وجَمْعُها لُغًى مثْل بُرَة وبُرًى ولُغَات أيضاً.

- تهذيب اللغة:

لغا: قال الليث: اللغة واللغات واللغين: اختلاف الكلام في معنى واحدٍ.

ويقال: لغا يلغو لغواً، وهو اختلاط الكلام ولغا يلغا لغة.

وقال غيرهما: اللاغية واللواغي بمعنى اللغو مثل راغية الإبل ورواغها بمعنى رغائها، واللغو واللغا واللغوى: ما كان من الكلام غير معقود عليه.

وقال ابن شميل في قوله: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغا»، أي: خابَ.

قال: وألغيته، أي: خبته.

وقالت عائشة في قول الله: (لاَ يؤاخذُكم الله بِاللغْوِ في أيمانِكُمْ) هو قول الرجل: لاَ واللهِ، وبَلَى واللهِ.

قال الفراء: كأنَّ قول عائشة أنَّ اللغو ما يجري في الكلام على غيرِ عَقْدٍ.

- المغرب في ترتيب المعرب:

(اللَّغو): الباطلُ من الكلام. ومنه: « اللَّغوُ في الأَيْمان» لِمَا لا يُعقد عليه القلب. وقد (لغَا) في الكلام (يلْغو) و(يَلْغَى) و(لَغِيَ يَلْغَى). ومنه: (فقد لَغوْتَ) ويُروى: « لَغيْتَ».

- مفهوم كلمة اللِّسان في القواميس هو من لسن، وهو الكلام والقول والرسالة، والأداة الجارحة التي تستخدم لعملية الكلام والقول.

- مفهوم كلمة اللغة في القواميس من لغا يلغو، وهو ما يصدر من الإنسان من لفظ أو قول باطل أو غير مقصود أو عبث.

والقرءان لم يستخدم كلمة (لغة) إلا بمعناها اللِّساني من اللغو:

- ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 225]

- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ [مريم: 62].

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3].

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا القرءان وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26].

مفهوم كلمة (لسان):

كلمة (لسان) من لسن التي تدل على حركة لازمة متثاقلة حرة منتهية بستر، وظهر ذلك المفهوم في النظام الصوتي الذي يحمل معاني محددة للتواصل به، وأساس للتفكير؛ لأن

الإنسان لا يستطيع أن يفكر إلا بنظام صوتي يحتوي مقاطعَ تنضم لبعضها لتحمل المعاني وتحفظها وتميزها عن غيرها، وتكون هي حقلاً للتفكير مرتبطة بواقعها، وأُطلق على هذا النظام الصوتي المنطقي اسم لسان لتحقق السِّمة به.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم4].

وعندما تحققت وظيفة الكلام والتصويت بالعضو الموجود في الفم أطلق عليه اسم لسان.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة:16].

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾﴿وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد:8- 9].

والأصل في استخدام كلمة (لسان) هو الوظيفة وليس العضو، فالبهائم لديها عضو اللِّسان!

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:22].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:103].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾ [مريم50:].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾ [مريم: 97].

اللِّسان العضوي عند الناس واحد لا فرق بينهم كما هو مشاهد، والفرق يكمن بِسِمَة استخدام اللِّسان للنظام الصوتي والكلمات: هل هو عربي مبين أم أعجمي.

وينبغي أن نفرِّق بين لسان الرسول حامل الرسالة، واللِّسان الذي نزل به القرءان.

فلسان الرسول البشري ينبغي أن يكون مثل لسان قومه حتى يُبيِّن لهم، ومن وظائف

اللِّسان عند كل قوم التبيين فيما بينهم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: 4]، فلسان الرسول البشري هو مثل لسان قومه، ولم يصفه الله بالعربي المبين، وهذا بخلاف اللِّسان الذي نزل به القرءان فهو عربي مبين وليس أعجمياً، ولم ينزل بلسان القوم؛ لأنه كتاب عالمي إنساني، والقاسم المشترك بين لسان القرءان، ولسان القوم الذين نزل عليهم القرءان هو الأصوات العربية، ويختلفان بطريقة تركيب الجُمَل والكلام، فالقرءان نزل بلسان عربي مبين محكم، بينما لسان القوم عربي اعتباطي ظهر فيه المجاز والترادف[1].

إذاً، مفهوم كلمة (اللِّسان) عند العرب، وفي الاستخدام القرءاني غير مفهوم كلمة اللغة، وما استخدام كلمة (اللغة) عند أهل اللِّسان على اللِّسان أو الكلام أو القول إلا تساهلاً، وهو خطأ لساني، وما ينبغي أن يستمر ذلك في ثقافة العرب، وينبغي الرجوع إلى الصواب واستخدام كلمة اللِّسان والألسن واللِّسانية.

1 سوف نتوسع في الفرق بين اللِّسان القرءاني، ولسان الرسول البشري وقومه لاحقاً.

نشأة اللِّسان العربي

إن موضوع نشأة اللِّسان، من المواضيع التي تناولها الباحثون - قديماً وحديثاً -، وأسهبوا فيها كثيراً، وأسفر عملهم ذاك عن بضعة آراء، من أهمها:

1. التّواضع والاصطلاح (الاعتباط)، في تسمية الأشياء، دون أي علاقة منطقية بين الشّيء واسمه، ويكون من خلال اجتماع حكماء القوم، واتِّفاقهم على اسم معين يطلق على الشّيء.
2. اللِّسان وحي من الله، وقد عُلِّم الإنسان الأول أسماء كل شيء (توقيف).
3. نشأ اللِّسان نتيجة تفاعل الإنسان مع الأحداث والظواهر فطرة فقام بالتصويت، وضرورة تواصله مع بني جنسه، وحاجاته لتخزين المعلومات، فوُلِدَ اللِّسان بصُورة تراكمية، خاضعة لعامل الزّمكان، وحاجة الإنسان.

لنناقش الآراء الثّلاثة:

الرّأي الأول:

إن عملية الاجتماع لاختيار اسم لشيء معين بصورة اعتباطية، تدل على وُجُود كلمات معلومة بالنّسبة للقوم، أي: لديهم لسان يستخدمونه، وبحثنا هو عن نشأة اللِّسان، وليس عن استخدامه في تسمية الأشياء، **غير أن أساس اللِّسان هو أفعال، وليس أسماء**، فهو رأي ضعيف جدّاً، ولأنه يقول باعتباطية نشأة اللِّسان! فليس هو برأي، حقيقةً [1]، **رغم أن**

1 سألت الدكتور «مازن الوعر» عن الرأي الذي وصل إليه علماء اللِّسانيات حالياً بمسألة نشأة اللِّسان؟ فقال: لقد تم الاتفاق بين معظم علماء اللِّسانيات في العالم على توقيف البحث في هذه المسألة، والاكتفاء بدراسة بُنية اللِّسان، وإمكانية تعلُّمه فقط. فأظهرت استغرابي من ذلك، وقلت: كيف للعلم أن يتوقف عن متابعة دراسة كيف بدأ الحدث؟=

الجرجاني يقول به، واتبعه دي سوسير أحد أكبر علماء اللِّسانيات في العالم المعاصر!.

الرّأي الثّاني:

انطلق القائلون به من مسألتين:

المسألة الأولى: وُجُود نص قرءاني يقول: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَـؤُلآءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة :31].

فَعدُّوا هذا النّص دليلاً على أنَّ اللِّسان وحيٌ من الله إلى الإنسان الأول[1]، وهذا الأمر في حقيقته يقتضي أن كلمات اللِّسان كلها قد علمها، واستخدمها الإنسان الأول !، أي أنَّ الإنسان الأول، كان سابقاً في مفرداته اللفظية على الواقع الذي يعيشه، فهو يعرف أسماء كل ما كان وسيكون، دون وُجُود هذه الأشياء في الواقع، ودون وُجُود لدلالتها في ذهنه ضرورة، وإلا قام بتنفيذها، وإخراجها إلى أرض الواقع، واستفاد منها، ويقتضي أيضاً، قيام الإنسان الأول الذي أُوحيت إليه الأسماء، بتلقينها ألفاظاً دون معانٍ لأولاده، وهكذا تَسْتَمِرُّ عملية التّلقين، من جيل إلى آخر.

أمَّا دلالة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، على أنَّ اللِّسان وحي من السّماء، فهُو استدلال باطل، وواضح أنَّ الفكرة موجودة مُسبقاً، واستُخدم النَّصُّ، لتقوية الرّأي وإثباته، وإن لم تحُسْم المسألة بذلك، ولكنْ، يكفي أنَّه نجح في عمليَّة دسِّ هذا الرّأي في الثّقافة، وساهم في تقوية الاستبداد والاستعباد ودَعْمهما، بشُعُور منه أو دون شعور.

= وهذا شيء مهم لمعرفة القانون الذي يحكم الشيء كينونة وسيرورة وصيرورة! فسكت ولم يقل شيئاً، فعلمت حينئذ عن حجم المؤامرة التي يقودها اليهود لتحريف الكلم عن مواضعه، وإضاعة الحقيقة ليطمسوا علمية اللِّسان العربي الذي تمثل بنص التنزيل الحكيم، وذلك من خلال نشر اللغة تحت اسم العربية مضاهاة للسان العربي، ولكن بقواعد اعتباطية تبدأ بنفي دلالة الأصوات العربية، واعتباطية نشأة اللِّسان، وترسيخ قاعدة (تعدد الألفاظ لمعنى واحد) وأطلقوا عليها اسماً علمياً (الترادف) إضافة إلى ترويج مفهوم المجاز لتضيع الحقيقة!، وجعلوا اللغة حكماً وميزاناً على اللِّسان العربي المبين (التنزيل الحكيم) واتهموه بالشذوذ والأعجمية، وتدخلوا في بنية النص زيادة، ونقصاناً، وتصويباً وتقديماً وتأخيراً أثناء دراسته ليصلوا إلى مفاهيم غير حقيقية لا تمتّ إلى التنزيل الحكيم بشيء سوى أنها موضوعة بين ظلاله!، ودرسوا التنزيل الحكيم وبيدهم قلم أحمر وبالأخرى مقص!، وانطلى التحريف اللغوي الاعتباطي على الأمة إلى يومنا هذا، وتمسكوا بالقواعد الأعجمية الاعتباطية ظناً منهم أنها قواعد اللِّسان العربي المبين الذي نزل التنزيل الحكيم بها!.

1 راجع كتابي: (دراسة إنسانية في الرّوح والنّفس والتفكير) فصل (عملية التعقل والتفكير ونشأة اللِّسان).

فَكَمْ من أفكار باطلة – ولكنَّها فاعلة نشطة في المُجتمع – تُحرِّك وتقود المُجتمع !، وكمْ من أفكار صائبة – لكنَّها كَامنة نائمة مُبعَدَة عن السّاحة الاجتماعيَّة – ولا تُحرِّك ساكناً.

ففاعليَّة الفكرة، ونشاطها في المُجتمع ليس بُرهاناً على صواب الفكرة أو خطئها، وينبغي البحث عن الجهة التي تقوم بتفعيل الفكر الاستبدادي، والاستعبادي والاعتباطي، التي تقوم بقتل الفكر الحُرِّ الصّائب أو تنويمه، وذلك من خلال الصّراع الفكري والوعي الثّقافي.

والذي يبدو لي من فَهْم النَّصِّ ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا**﴾، كَفَهْم مُنسجم مع التنزيل الحكيم والواقع، ومقبول للعقل والعلم هُو:

إنَّ كَلمة آدم في النَّصِّ المذكور لا تعني إنساناً بعينه، وإنَّما هي دلالة على الجنس الآدمي كُلِّه، مُنذُ بداية ظُهُور الإنسان الواعي إلى آخر الزّمن، فهي مُتناولة كُلّ المُجتمعات الإنسانيَّة سابقاً ولاحقاً، والتّعليم لم يكن من اللهّ للإنسان الفرد – بشكل مُباشر – كأُستاذ وتلميذ، وإنَّما كان من خلال مَنْح هذا الإنسان – كجنس – الكائن الاجتماعي مجموعةَ أُمُور، وهي: **العقل، والنظام الصوتي، والحُرِّيَّة، والتّمكين** في الأرض بمقام الخلافة (التسخير)، وأداة التعليم هي **القلم** التي تدل على تهذيب وجدولة الأفكار والمعلومات وترتيبها وتصنيفها وَفْقَ نوعها وأدلتها وحفظها، انظر إلى قوله تعالى: ﴿الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 4– 5]، ولم يذكر النص كلمة (اللِّسان)، وإنما ذَكر كلمة (الأسماء) وهي جمع اسم، من وَسم التي تدل على العلامة والتمييز وما شابه ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75]، بمعنى الناظرين والباحثين والدارسين والمستقرئين للآيات.

فهذه الأُمُور مُجتمعة، هي الأساس للتَّعلُّم، وبفقدانها تنتفي صفة التَّعلُّم عن الإنسان، ومن هذا الوجه، ورد النص يخبر: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. ﴿الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وآدم لا شك أنه من الجنس الإنساني، ويتضمنه الخطاب ضرورة.

كقولنا: (علَّمَ الأبُ أولادَهُ الطِّبَّ)، والمقصد أنَّه هيَّأ لهم الظُّرُوف، وذلَّل العقبات، ولم يُباشر – بنفسه – وظيفةَ التّعليم لهم.

فالفاعل في عمليَّة التّعليم اثنان:

الأوَّل: الفاعل هُو الله، وفعْلُهُ كان في مَنْح الإنسان إمكانيَّة التَّعلُّم بالقلم.

الثّاني: الفاعل هُو الإنسان - كجنس - عندما قام باستخدام منْحَة الله له في التَّعلُّم بالقلم.

ورحلة تعلُّم وظائف الأشياء، وخصائصها، وتوظيفها، وتسخيرها، مازالت قائمة في بني آدم، والسُّؤال للملائكة عن هذه الخصائص، والأشياء التي وصل إليها الإنسان، مازال أيضاً - قائماً، وجواب الملائكة بالنّفي مُستمرٌّ ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32]، ونفي علم الملائكة بذلك العلم الإنساني، هُو شيء طبيعي، لافتقاد الملائكة لمنْحَة الله، التي هي **الحُرِّيَّة، والخلافة** في الأرض، والتقليم للمعلومات، فكان عدم علْمهم بخصائص الأشياء أمراً لازماً لهم، فالملائكة لا تستطيع أنْ تخترع عُود ثقاب، وليس هذا إنقاصاً من قَدْرهم، بل لعدم حاجتهم إليه في حياتهم العمليَّة، ولنفي صفة النمو والتطور عنهم، والحاجة أُمُّ الاختراع، فصفة الحاجة والنمو عند الإنسان، هي الأساس في عمليَّة الابتكار والإبداع والتَّطوُّر.

وعمليَّة الإنباء من بني آدم لخصائص الأشياء، ووظائفها مُستمرَّة من خلال الدّراسة والكَشْف، والتّسخير لها على أرض الواقع المُشاهَد للملائكة، والملائكة تنظر بعَجَب من هذا الجنس الآدمي الضّعيف والصّغير جسماً، والكبير عقلاً وعلماً، فقد استطاع أنْ يغوص في أعماق البحار، ويُحلِّق في السماء، واستطاع أنْ يتعامل مع الذَّرَّة، كما يتعامل مع الشّمس، يا له من مخلوق عظيم يتقدَّم، ويتطوَّر مع الزّمن، ويتعلَّم بالقلم خصائص الأشياء التي لا تعرفها الملائكة نفسها، فَأَمَرَهَا اللهّ أنْ تسجد لهذا الجنس الآدمي، سُجُود تحيَّة، وتعظيم، وإكبار، وتأييد وتسخير لما تحت تصرفهم، وليس سُجُودَ جبهة وعبادة، وهذا السُّجُود مُستمرٌّ - من قِبَل الملائكة- ما دام الإنسان مُستمراً في رحلة التَّعلُّم بالقلم، واكتشاف قوانين الكون، وإنباء الملائكة بأشياء لا تعرفها.

وهذا التدبر ضروري، لانسجام النَّصِّ مع الواقع المُشاهَد، كون الواقع أساساً، وسابقاً في الوُجُود، والنَّصُّ لاحقٌ، وخبرٌ عن الواقع، ولا بُدَّ لهذا الخبر من مصداقيَّة في الواقع.

وعلى أضعف احتمال، لا يصلح الاستدلال بالنَّصِّ المذكور، كَبُرهان على مسألة أنَّ اللِّسان وحي من السّماء، لأنَّ دلالته ظنِّيَّة، وإذا طرأ الاحتمال بطُل الاستدلال.

وتصوُّر نشأة اللِّسان وحياً من الله، هو وَهم مخالف للواقع تماماً، حيث أنَّ صدور الأصوات الواعية من الإنسان، كان نتيجة تفاعل الإنسان مع الواقع - عقلياً وشعورياً- وحركته الجماعية، وانتمائه إلى المجتمع، وتراكَمَ ذلك، وتنامَى ضمن زمن ليس بالقليل، فالنظام الصوتي لم يوجد في زمن واحد، ولم يكن نتيجة تفاعل إنسان واحد، وكذلك لم يكن نتيجة تفاعل مجتمع واحد، بل تفاعل مجتمعات، بصُورة تراكُمية متنامية حسب احتياج كل مجتمع، وسعة تفكيره، ناهيك عن أن دلالة النّص القرءاني السابق ظني الدّلالة، لاحتماله أكثر من مفهوم، وذلك حسب منظومة الباحث التي يستخدمها في البحث[1].

المسألة الثّانية: لقد نظر هؤلاء إلى عظمة اللِّسان العربي، وإحكامه، فتصوروا استحالة أن تكون مفردات هذا اللِّسان من صنع الإنسان، وذلك لانبهارهم بها، وعدم مشاركتهم في عملية ولادتها وبنائها، فلقد وصلت إليهم، بناءً متكاملاً محكماً، ونزل التنزيل الحكيم عربيَّ اللِّسان، وهو نصٌّ إلهي محكم، فوصلوا إلى أنه لا بُدَّ أن يكون اللِّسان الذي يحتوي التنزيل الحكيم من المصدر ذاته، أي: من الله تبارك وتعالى.

أولاً: إن اللِّسان العربي سابق في وُجُوده، عن التنزيل الحكيم، ومن ثم لا علاقة للتنزيل الحكيم باللِّسان العربي ابتداءً.

ثانياً: اللِّسان لم يوجد ابتداءً على صُورته الحالية، دفعة واحدة، وإنَّما وُجد بصُورة تراكمية خلال فترات طويلة من الزّمن، ساهمت المجتمعات الأولى في عملية ولادته وبنائه، وظهر بصور، منها أصيل منسجم مع الفطرة والواقع، وأخرى ابتعدت قليلاً، وانحرفت عن الفطرة والواقع، واستمرت تلك العملية المتنامية لبناء اللِّسان بصورته العربية مع تغلغل العجمة فيه من خلال تقديم، أو تأخير، أو تبديل، أو حذف بعض الأحرف أثناء لفظها إلى أن اكتمل اللِّسان العربي بناء في هذه المجتمعات ككل مع اختلاطه بصفة العجمة ضرورة، وذلك لاتصاف الإنسان بصفة المحدودية في الإدراك والمعرفة والعلم،

1 راجع كتابي القرءان بين اللغة والواقع.

وهذا ينطبق على الجماعة أيضاً كونها مؤلفة من محدود، ومجموع المحدود، محدود ضرورةً، إلى أن نزل التنزيل الحكيم باللِّسان العربي المبين، فجمع نظام اللِّسان، وحفظه من خلال استخدامه في صياغته، بصورة علمية مرتبطة مع محلِّها من الخطاب، فصار التنزيل الحكيم، هو المرجع الوحيد للِّسان العربي المبين، نظاماً ولفظاً، واستخدم الألفاظ العربية المنتشرة في المجتمعات المتفاوتة مدنياً، وحضارياً، وتاريخياً (الآشوريون، والآراميون، والبابليون، والفينيقيون، والأقباط...)، فظهرت كلمات تدل على تقدمٍ، وتطورٍ، ومدنيّةٍ في التنزيل الحكيم غير مستخدمة في مجتمع شبه الجزيرة العربية حينئذ الذي نزل عليه التنزيل الحكيم، مثل إستبرق، وسندس، وأباريق... إلخ.

فاللِّسان العربي، ليس من صنع إنسان بعينه، بل يستحيل عليه أن يُنشئ هذا الصّرح العظيم، فهو نتيجة تلاقح وتفاعل عقول المجتمعات مع الواقع بصُورة تراكمية، وهو اكتشاف وليس اختراعاً.

فاللِّسان ظاهرة اجتماعية، ونتيجة تفاعل الإنسان مع الواقع، ومثل ذلك مثل سائر العُلُوم كلها، فقد بدأ الإنسان من نقطة الصّفر ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل: 78]، وبدأ الإنسان – كمجتمع – في رحلة التّعلم منذ أن تم النّفخ فيه من روح الله، فتفعّل عنده السّمع والبصر والفؤاد، وسار في الأرض ينظر كيف بدأ الخلق، فلو جاء أحد الآن، وهو لا يدري عن نشأة علم الرّياضيات شيئاً، ونظر إلى عظمته، ودقته، وسعته الحالية، لما صدَّق – أبداً– أن ذلك من صنع الإنسان واكتشافه؛ لأن من طبيعة الإنسان عندما ينظر إلى شيء يريد أن يحكم عليه ينطلق من صفة العجلة، ويُهمل عاملَ الزّمان، وصفةَ التّراكم المعرفي للمجتمعات، ويحسب أن ذلك الصّرح الرّياضي العظيم، هو من بناء إنسان واحد، وفي لحظة واحدة، فيحكم مُباشرة باستحالة أن يصدر ذلك من إنسان، ولا بُدَّ أن يكون هذا العلم الرّياضي من جهة عظيمة غير الإنسان !، وما ينطبق على العُلُوم، ينطبق على علم اللِّسان العربي تماماً.

فالإنسان كائن عظيم، بما وهبه الله من نعمة **العقل**، **والتّفكير**، **والحُرِّيَّة** ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70]، وجعله خليفة في الأرض، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وقديماً قيل: إذا عُرِفَ السّبب بَطُل العجب.

فاللِّسان العربي، هو نتيجة تفاعل الإنسان، وتصويته وتعقله، وتفكيره في الواقع، وتواصله مع بني جنسه، وتراكم هذه المعلومات وتواصلها مع المجتمعات اللاحقة، فكل مجتمع، يضيف تفاعله في علم اللِّسان لما سبق إلى أن تم بناء نظام وأساس اللِّسان، واكتمال الأبجدية الصّوتية (المقاطع الصوتية)، التي هي بمنزلة اللّبنات، والعناصر الأساسية، التي استخدمت في بناء اللِّسان.

والتنزيل الحكيم نزل مستخدماً اللِّسان العربي، ليوصل إلى النّاس مضموناً معيناً من الدّلالات، واستخدم الله الكلمات في صياغة التنزيل الحكيم مؤلفة من ذات الأصوات التي يستخدمها الإنسان في كلامه مع الآخرين، والإحكام في التنزيل الحكيم كان في طريقة استخدام الأصوات، وتركيبها مع أخواتها بصُورة مطابقة لمحلِّ الخطاب من الواقع- تماماً - ، وتُغطي الحدث من بدايته إلى مُنتهاه، حيث لا يقبل النّص أي زيادة في المبنى، مع مرور الزّمن، وتقدم العُلُوم عند الإنسان، وهذا لا ينفي الأوجه الأخرى للإحكام.

ومن هذا الوجه نقول: التنزيل الحكيم، صالح لكل زمان ومكان، وتجلّت تلك الحقيقة في ثبات النّص مبنىً صوتياً ومفهوماً فيزيائياً، وتحركه معنىً ومقصداً، ضمن معطيات دلالات المبنى والمفهوم، ومعلومات الواقع، وكل ذلك على محور الثّابت والمتغير.

لذا، إنّ القول بأن نشأة اللِّسان العربي وحي من الله، هو رأي ضعيف جدّاً، وبعيد عن الصّواب، والبحث العلمي، وسنثبت ذلك أثناء كلامنا عن الرّأي الأخير.

الرّأي الثّالث:

إنّ اللِّسان العربي (أصوات)، هو نتيجة تفاعل الإنسان مع الواقع، وتصويته، وتواصله مع المجتمع، وهذا هو الرّأي الصّائب، من بين الآراء المذكورة.

لنرَ ذلك من خلال الشّرح:

أول أمر ينبغي العلم به، هو العلم بأن الإنسان كائن حي له غرائز نفسية وأخرى جسمية، وحاجات نفسية، وحاجات جسمية[1]، ومن غرائزه النّفسية، غريزة التّعلم التي تدفعه إلى البحث والتّقصي عن حقيقة حدوث الأمور، ولكي تكون عنده القدرة على التّعلم، **ينبغي أن يمتلك أدوات التّعلم، ودافع التّعلم،** وهذه الأمور هي من الفطرة التي فطر الله النّاس عليها، فيُوجد انسجام وتكامل بين فطرة الإنسان، والواقع الذي هو من خلق الله، فقد جعل الله الإنسان يتناغم، وينسجم عقله، وتفكيره وجهاز النّطق المتعدد النغمات عنده مع الواقع تماماً، فهو كائن متعلِّم فطرةً.

فالإنسان الأول القديم، هو إنسان فطري، ملتصق بالواقع أكثر من إنسان اليوم، ويتفاعل مع بيئته بصُورة انسجامية، وتناغمية، ويتنبه إلى تغيرات الطّبيعة وتقلباتها، فهو جزء لا يتجزأ من الطّبيعة، فكان واقعاً تحت تأثير الطّبيعة، وهيمنتها عليه، ومن هذا الوجه، كان القوم العرب يبعثون أولادهم إلى البادية، ليعيشوا في أحضانها بصورة متصلة، لينمو عندهم الحس الذوقي والمعرفي لتقلبات الطبيعة، ومظاهرها، وتتفعل حواسهم، ويكتسبوا منها المعرفة، كونها أمّهم الأولى، بعكس إنسان المدنية، والمعاصرة، فهو يعيش حياةً مادِّيَّةً بين أربع جدران، تسد حواسه من أن تتفاعل مع الواقع، بل ويحارب الطّبيعة، ويقوم بتلويث البيئة، ويعيش مخالفاً لفطرته، معادياً بيئته، ويُصنع بصورة آلية، فيصير أعجميَّ اللِّسان، وأعجميَّ التفكير، ومُعطل الحواس.

أما الإنسان الأول، فهو ربيب الطّبيعة، وابنها البار المتكيِّف مع نظامها، والملتصق بها كالتصاق الولد بأمِّه، يأخذ كل شيء منها، فلما بدأ الوعي عند الإنسان صار يحاكي أصوات الطّبيعة، والكائنات الأخرى، وذلك من خلال تفاعله الفيزيولوجي الإيجابي، والسّلبي في استخدام جهاز النّطق عنده، وتفاعله النّفسي شُعُوراً وعقلاً، فبدأ بإصدار الأصوات التي يسمعها فعلاً، وردَّ فعلٍ، وذلك بالتّعلم من الطّبيعة ذاتها، فأخذ صُوراً صوتية للظّواهر الطّبيعية، ولاحظ دلالتها، سواء الحالية، أم الوظيفية من خلال تشكلها في الواقع، مثل ظاهرة سقوط الأشياء من الأعلى إلى الأسفل وارتطامها في الأرض، وصدور صوت (طج) أو (دج)، ومع تكرار ذلك وصل إلى أنّ صوت (د) يدل على دفع شديد،

1 راجع كتابي (دراسة إنسانية في الرّوح والنّفس والتفكير) فصل (الغرائز). وفصل (الفطرة).

وصوت (ط) يدل على دفع وسط، وصوت (ج) يدل على جهد أو شدة أو قوة وطاقة، فقام بتجريد الدلالة الصوتية من الحدث، وجعله مفهوماً مُجرداً يستخدمه في حالات تحقق فيها الدفع والجهد، وظهر الاستخدام الثقافي لها، لتعبر عن الشعور والأفكار، فكانت هي بداية ولادة الاستخدام الواعي لأصوات الأحرف بحدها الأدنى الثنائي عند الإنسان الأول، وتراكم ذلك التّفاعل في المجتمع، وأخذ بُعْداً اجتماعياً، لتواصل الخبرات، ونقلها من جيل إلى آخر، فكان الإنسان الأول يتواصل من خلال التّصويت، الذي هو في حقيقته صُور صوتية للظّواهر الطّبيعية.

ونتيجةً لتراكم هذه الصّور الصّوتية، أوجد أساساً للمجتمعات اللاحقة، لتكوين اللِّسان، وذلك من خلال استخدام هذه اللّبنات الحية، والعناصر الأولى (الصّور الصّوتية الثنائية) بضم صوت إلى آخر، نتيجة علاقة بينهما في الواقع، بصُورة متتابعة كظاهرتين، فصارت الصّورة الصّوتية المؤلفة من مقطعين من الصّوت، بدايةً لنشأة اللِّسان، وأساساً لبنائه، **وكان ذلك في مرحلة التّعقل، والتّفاعل الإنساني،** وعندما اشتدت الحاجة إلى العلاقات الجماعية، وكثرت، وتعقَّدت، تمت عملية ولادة المجتمع.

وبدأ الإنسان في التّفكير، مستخدماً المفردات الأولى الفطرية، كحقل ومجال له، لأنَّ الإنسان، لا يفكر دون مفردات، تحمل معاني ومقاصد أفكاره وتكون جسماً لها، فاعتمد على الأساس الفطري، الذي وصل إليه نتيجة تعقله السابق عن التفكير، وتفاعله مع الواقع، الذي هو المقاطع الصّوتية، وما رَكَّبَه منها من ثُنائيات بصُورة فطرية، وعقلية، فقام بتوسيع هذه الكلمات الثّنائية فطرةً وتفاعلاً، وأضاف إليها صوتاً آخر يدل على الظاهرة الجديدة، لتصير ثُلاثية الأصوات.

وبذلك بدأ التّفكير عند الإنسان، بصُورة مُتنامية، وصاعدة مع توسع اللِّسان طرداً، بحيث كلما زاد التّفكير، نَما نظام اللِّسان بناءً، وكَثرت مُفرداته، لتحتوي عملية التّفكير، إلى أن وصل إلى مستوى عظيم من البناء، واكتملت مقاطع أصوات اللِّسان (الأحرف الأبجدية) التي يحتاجها في عملية سيرورته وصيرورته.

إذاً، ولادة اللِّسان من حيث الأساس، إنَّما هي أمر فطري، وظهر ذلك من خلال

تفاعل الإنسان وتعقُّله، فوصل إلى المقاطع الصّوتية (الأبجدية) من خلال استخدام الكلمات الثّنائية، وهذا العمل لا يحتاج إلى تفكير، وعندما بدأ التّفكير عند الإنسان نتيجة الظاهرة الاجتماعية، ظهر توسع مفردات اللِّسان ضرورةً، فظهرت الكلمات الثّلاثية تباعاً في كل مجتمع، حسب مستواه المعرفي، لتكون الحامل والحقل، لعملية التّفكير، والنهضة.

ودراسة هذه المراحل، التي مر بها اللِّسان العربي أمر مُشاهد في الواقع الحالي من خلال دراسة مراحل اكتساب النطق عند الأطفال، وتمكُّنهم من استخدام نظام اللِّسان، مع ملاحظة الأصوات الفطرية، وتأثير المحيط الخارجي عليهم، بيئة، وغذاء، وثقافة، فتم ظهور أصوات قبل أخرى، مثل صوت الميم، والغين، فهما قد ظهرا قبل صوت القاف أو الضاد قطعاً، والقيام بقياس الغائب على الشّاهد لاشتراكهما بالمواصفات ذاتها.

وعي الإنسان الأول للِّسان قبل الأبجدية

(الكلمة قبل الحرف)

خلق الله الإنسان يملك جهازاً صوتياً متعدد النغمات يستخدمه بصورة واعية، بخلاف البهائم المحدودة في إصدار نغمات صوتية معينة، حيث إن كل بهيمة لها صوت خاص بها.

وبدأ الإنسان رحلة التعلُّم والمعرفة من خلال تفاعله مع البيئة المحيطة به، وذلك كي يسد حاجته من الغذاء، ويؤمن الحماية له، ويتبادل الخبرات مع بني جنسه، ويعبِّر عن شعوره، فلم يكن أمامه بداية إلا استخدام الإشارات الإيمائية بواسطة تغيُّر حركات وجهه، ومحاكاة أصوات المعنيِّ بالكلام مع استخدام الإشارة بيديه، ومحاولة رسم المعنيِّ بالكلام على الرمال، أو أي وسيلة أخرى تحقق المقصد، مثلاً، إن أراد أن يحذر جماعته من خطر الذئب يقوم بإصدار صوت الذئب ذاته (عوو- عوو) ويقلد حركاته، فيستحضر الآخر صورة الذئب في ذهنه، ويفهم المقصد من خلال ربط المعلومة مع محلِّها من الواقع المعروف مسبقاً، ومع استمرار تلك العملية في التواصل كانت الحركات الإيمائية بالوجه واليدين والرسم تتقلَّص لحساب الأصوات فقط، لأن المعلومة قد تم تسجيلها سابقاً، وبصورة فطرية استطاع الإنسان تخزين الأصوات في ذاكرته، وصار ينقلها إلى أولاده مع ربط الصوت بمحلِّه من الواقع لتكتمل المعلومة في ذاكرة الأولاد كصوت وصورة، وتصير المعلومة مفهوماً يُكيّف الإنسان سلوكه بحسبه.

ومع تقدُّم الزمن، وتراكم المعرفة، والتفاعل مع البيئة الحية، وصل الإنسان كجماعة إلى امتلاك مخزون من الأصوات الثنائية المرتبطة بالبيئة؛ لأن الكائنات الحية لا تصدر مقطعاً صوتياً واحداً، وإنما تصدر كحد أدنى مقطعين معاً، وهي مختلفة في النغمات، وكذلك

حصول الأحداث ينتج عنه أصوات، مثل (عَوو، هَوو، ناو، ماء، ننق، ببق، كيكي، ماع، شن، رن، طن، عن....)، التي احتوت في رحمها مقاطع صوتية أحادية، وهذا يدل على أن الإنسان استخدم الكلمات الثنائية أولاً، ولم ينطق الأصوات بصورة أحادية ومقطَّعة، **فهو بدأ من الكلِّ إلى الجزء**، أي: استخدم الكلمات الثنائية أولاً بصورة فطرية عقلية، ومن خلال ذلك ضمناً أتقن نطق المقاطع الصوتية منفردة دون قصد منه، وامتلك في ذاكرته الصوتية مجموعة كبيرة من الأصوات التي احتوت في بُنيتها المقاطع الصوتية الأحادية التي عُرفت فيما بعد بالأبجدية، واستفاد الإنسان من ذلك في وضع السلَّم الموسيقي (دو، ري، مي، فا، صو، لا، سي، دو).

واستمر الإنسان كجماعة في التفاعل مع البيئة الحية بصورة واعية، وأثناء تفاعله وانتشار حركته كانت تتسع معارفه ومداركه، وتزداد الأصوات التي يسمعها، ما أدى إلى توسع الكلمات الثنائية (المخزون الصوتي)، ومع ازدياد عدد الجماعة ظهرت الحاجة إلى تأمين الغذاء والأمن لهم، **فَوُلد المجتمع الإنساني** ولادة الضرورة، وبولادته انبثق منه ضرورة ولادة عملية التفكير التي هي تدبر ودراسة وتجربة وتحصيل معلومات، ورؤية مستقبلية قائمة على المقاصد والعواقب، وهذه خاصة في الفئة التي تصدرت قيادة المجتمع التي حملت مسؤولية العناية[1] بالفرد والأسرة والجماعة، وظهرت الدولة بالحد الأدنى كضرورة اجتماعية، وصار الفرد يستمد وجوده الثقافي من المجتمع، وصار كائناً اجتماعياً، وابناً للمجتمع الذي ينتمي إليه، وصارت العلاقة بين الفرد والجماعة والمجتمع علاقة لازمة جدلية معقدة تنظمها الدولة.

وبولادة التفكير عند النخبة لازمته ولادة الكلمات الثلاثية لتسع التفكير وتكون الوعاء والحقل له، لأنه لا يمكن التفكير إلا بلسان متطور، فنتج عن ميلاد المجتمع ظاهرة التفكير التي لازمها توسع اللِّسان وظهور الكلمات الثلاثية، وفي هذه المرحلة ظهر الفكر كظاهرة اجتماعية قائمة على التفكير واللِّسان المتطور القائمين بداية على

1 العناية هي الكلمة المناسبة للقيام بشؤون الإنسان، أما الرعاية فهي مفهوم يهودي دخيل على ثقافتنا الإسلامية، وهي خاصة بالبهائم فقط. فالعناية للإنسان، والرعاية للبهائم، ونحن نُسمن العجل ونرعاه لنأكله!، ومثلها مفهوم كلمة السياسة فهي لرعاية الخيل، والشعوب لا تُرعى ولا تُساس! ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه: 54].

التعقـل والواقع.

ومع استمرار تطور المجتمعات وتراكم المعارف برزت الحاجة إلى إخراج الأصوات الأحادية المستخدمة في بنية الكلام، فتم ذلك من خلال عملية السبر والتقسيم للكلمات الثنائية والثلاثية، فوصلوا إلى أن الأصوات الأحادية المستخدمة هي ثمانية وعشرون مقطعاً صوتياً سمِّيت أحرف الهجاء أو الأبجدية، وهذه الأبجدية هي بنت الطبيعة في أساسها، والإنسان اكتشفها من خلال تفاعله مع البيئة، ولم يضعها هو اعتباطاً ولم يخترعها، ولم تنزل وحياً من السماء.

انتقال مفهوم الكلمة من المعنى الطبيعي إلى التجريدي

بعد أن حصل الإنسان على مخزون صوتي كبير من الكلمات الثنائية، ونما شعوره النفسي، وتفتَّحت مداركه على العلاقات الإنسانية، وأهمية التواصل مع بني جنسه، وغير ذلك من الأمور الحياتية الملحة فرضت على الإنسان أن يرتقي في عملية تصويته المرتبط بالظواهر الطبيعية إلى الاستخدام الثقافي للكلمة المجرد عن صورته المجسدة (الانتقال من التجسيد إلى التجريد)، فقام بملاحظة الصوت الثنائي (ظاهرة فيزيائية) في الواقع كيف تحصل ؟ وما هي العملية التي تنتج عن ذلك؟

وسنضرب مثلاً لتقريب الفكرة معتمدين على التخيل الإخراجي (سيناريو) لما حصل ضرورة واقعية، **وقياس الغائب على الشاهد.**

نظر الإنسان إلى حركة الماء الذي يغلي فسمع صوت (بقبقة) التي هي عبارة عن حركة الماء الساخن من الأسفل إلى الأعلى بصورة متجمِّعة على بعضها منقطعة ومتوقفة عند سطح الماء، ومع تكرار تلك العملية ومراقبته لها وصل إلى أن صوت (ب) ظاهرته الفيزيائية تدل على جمع الشيء بصورة مستقرة، ولاحظ أن لفظه لصوت (الباء) ساكناً أيضاً يتم من خلال جمع الشفتين مع بعضهما واستقرار الصوت، ولاحظ أن صوت (ق) فيزيائياً يدل على وقف أو قطع حركة الشيء، وكذلك طريقة لفظه من الفم، فتطابقت الدلالة الفيزيائية مع طريقة اللفظ للحرف، حيث أن الجهاز الصوتي للإنسان يقوم بكل أمانة بأخذ صورة صوتية للظاهرة الفيزيائية التي حدثت، وشاهد الإنسان تحقق ذلك المعنى وتكراره في أكثر من ظاهرة في الطبيعة مع

عكس ترتيب الأصوات (قب - بق)[1] فاستطاع أن يصل إلى مفهوم مجرد للصوت، واستخدمه للتعبير عن مفاهيم أخرى تحققت فيها دلالة صوت الباء والقاف.

وهكذا تم الانتقال من الدلالة الفيزيائية للأصوات إلى المفهوم الثقافي المجرد عن الحدث، ومع تقادم الزمن، ونمو اللِّسان الثقافي في المجتمعات تم تناسي جذور الأصوات الفيزيائية إلى درجة الغياب تماماً، - ولا نستبعد وجود مؤامرة التحريف والتضليل اليهودي- أدَّى إلى القول باعتباطية نشأة اللِّسان، ونفي الدلالة عن أصوات الأحرف، ولولا نزول التنزيل الحكيم لضاعت الحقيقة، وانقرض اللِّسان العربي، وانتفت الصفة العلمية عنه، وصار مثل غيره من الألسنة، وأصابته العجمة.

1 مع العلم أن تركيب الكلمة في اللِّسان العربي وترتيب أحرفها أدق نظاماً من عناصر الكيمياء، والرياضيات، فغالب المعادلات الكيميائية لا تتأثر بتقديم عنصر على آخر أثناء تركيبها، وكذلك العمليات الحسابية من جمع أو ضرب لا تتأثر من تقديم أو تأخير عناصرها، مثل 5 + 4 = 4 + 5، بخلاف أحرف الكلمة، فإن أي تغيير في بنيتها تقديماً أو تأخيراً يؤثر على النتيجة، انظر: (كتب، بتك)، (در، رد)، (صر، رص)، (ضر، رض)، (رش، شر)، (دك، كد)...

علاقة نشأة اللِّسان بالتعقل والتفكير

عندما تم النّفخ في الإنسان من الرّوح[1]، ودخلت النفس في الجسم، قام بعملية التّفاعل فطرة (فعل ورد فعل)، وتفعَّل عنده السمع والبصر والفؤاد (جهاز الوعي والإدراك الثلاثي) وربط الأحداث بصُورة واعية، وترتب على ذلك، فعل الفقه، والإدراك المُباشر للأشياء، وهذه هي المرحلة التّعقلية، السّابقة على وُجُود اللِّسان (اللغة)، وتكون لأفعال النّفس من حيث الشُّعُور بالحزن والسّرور، والضّحك والبكاء، والحب والكره، فهذه الأمور لا تحتاج إلى لسان، ومفردات، حتَّى يعقلها الإنسان في نفسه، فهو يحب ويكره دون وجود مفردات لفظية، وكذلك ربط الأحداث بمسبباتها المُباشرة الواضحة، لا تحتاج إلى مفردات ولسان[2]- أيضاً- حتَّى يفهمها الإنسان، **فالإنسان يقوم بتعقل الأحداث بصُورة مُباشرة، نحو إدراكه أن فعل الطّرق، يحتاج إلى طارق، أو لا بُدَّ من وُجُود طارق يقوم بالفعل، وذلك مُرتبط بصفة التّمييز، والتّحليل، والتّركيب، والرّبط، التي هي من صفات التّعقل خَلقاً، نتيجة النّفخة من الرّوح فيه، وهذا الإدراك العقلي، لا يحتاج إلى تفكير (دراسة وتجربة وتحصيل معلومات)، فهو مجرد فقه للأمور على ظاهرها من خلال الحواس.**

إذاً، فعل التّعقل الذي ينتج عنه الفقه والإدراك، هو سابق عن ميلاد اللِّسان، وولادة اللِّسان فعل لاحق لعملية التّعقل، وهذه الولادة للِّسان ظهرت من خلال إصدار أصوات فطرية بمنزلة صُور حالية، أو صوتية للأشياء، أو الأحداث، التي تجري من حول الإنسان، أو معه، وبناء على تفاعل الإنسان، وتراكم أفعاله، وصل إلى تدشين ما يُسمى أساس اللِّسان، من حيث الأبجدية الصّوتية، الكامنة في الكلمات

1 كلمة (الروح) تدل على النظام السنني والشرعي، وليس على الحياة، وليست هي محل التوفي وإنما النفس. ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا... ﴾ الزمر42، راجع كتابي (دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير).

2 انظر إلى درجات السلم الموسيقي كيف مؤلف من مقطعين صوتيين (دو، ري، مي...).

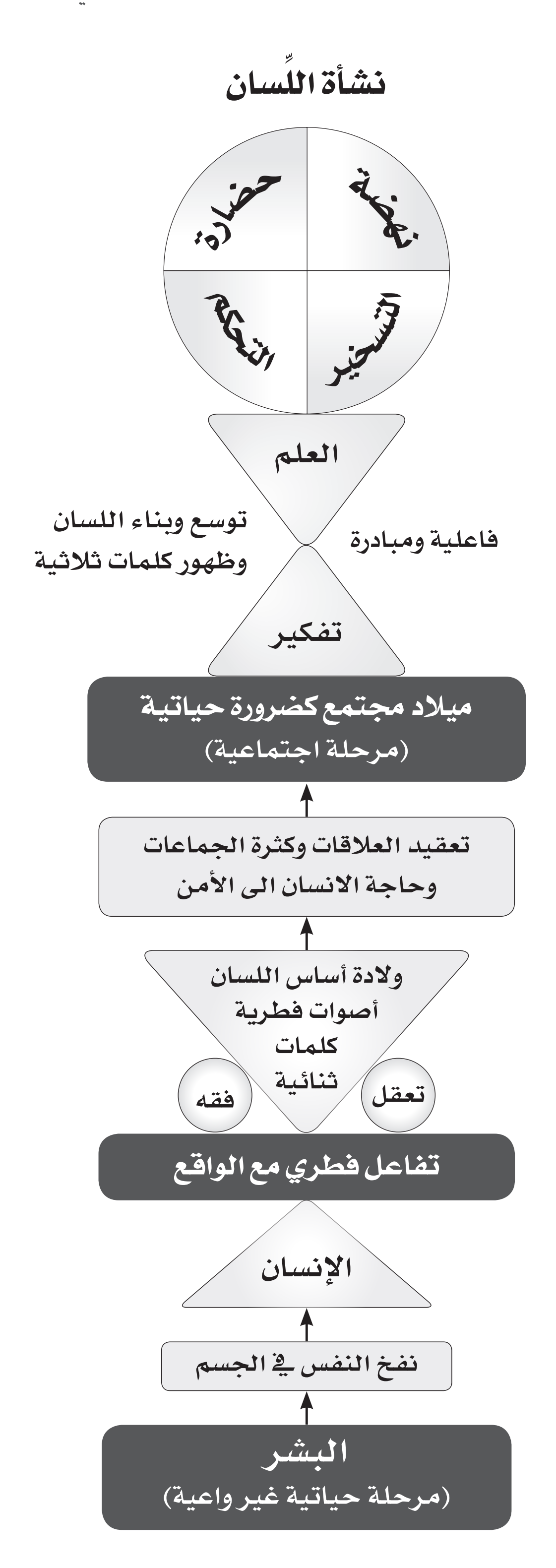
ذات المقاطـع الثّنائيـة بصُـورة فطرية.

وفي هذه المرحلة، لم تكن عملية التّفكير قد بدأت عند الإنسان، **لأنَّ التّفكير غير التّعقل**، إذ التّفكير عملية دراسة وتجربة وتقليم للمعلومات، وفاعلية، وحصول على أدوات تُستخدم في تسخير الأشياء للإنسان، والتّفكير وظيفة هو نتاج لولادة المجتمع، فعندما وُلِدَ المجتمع الإنساني في الجنس البشري، زامن ذلك عملية بداية ظهور التّفكير عنده، ضرورةً اجتماعية، وهذا التّفكير، لا يمكن أن يتم إلا ضمن حقل، ومجال يستخدمه الإنسان في عملية الدّراسة، وجدولة المعلومات وحفظها مستخدماً عملية التقليم، فكان اللِّسان الفطري ذو المقاطع الثّنائية، والأصوات الفطرية، هما الأساس والحقل الذي استخدمه الإنسان في عملية التّفكير، فاستجاب له نتيجة تفاعله معه، فتم توسعه وظهور كلمات ذات مقاطع ثلاثية، وصارت بمنزلة جسم يُمثل أفكار الإنسان، وارتبطت مع الفكر والتّفكير بعلاقة جدلية، كلما توسع التّفكير، توسعت مفردات اللِّسان معه لتسعه، وصارا كلاهما مظهراً من مظاهر المجتمع، والتّقدم، والتّطور، ونتج عن التّفكير صفة الفاعلية والعلم، ليُضافا إلى عملية التّعقل، التي نتج عنها الفقه والتّفاعل، ليحصل بين التّعقل، والتّفكير علاقة جدلية، التّعقل يوصل إلى التّفكير، والتّفكير يُنَزّل المعلومات إلى التّعقل[1].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ **لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 164].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ **لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الرعد:3].

1 راجع كتابي (دراسة إنسانية في الرّوح والنّفس والتفكير) فصل (يعقلون ويتفكرون).


نشأة اللِّسان
حضارة
نهضة
التحكم
التسخير
العلم
توسع وبناء اللسان
وظهور كلمات ثلاثية
فاعلية ومبادرة
تفكير
ميلاد مجتمع كضرورة حياتية
(مرحلة اجتماعية)
تعقيد العلاقات وكثرة الجماعات
وحاجة الانسان الى الأمن
ولادة أساس اللسان
أصوات فطرية
كلمات
ثنائية
فقه
تعقل
تفاعل فطري مع الواقع
الإنسان
نفخ النفس في الجسم
البشر
(مرحلة حياتية غير واعية)

دلالة أصوات الأحرف قائمةٌ فيها

لقد اعتمدنا على نقطتين في إثبات أن للأصوات العربية دلالةً واقعيةً، وذلك خلاف ما هو شائع بين أهل اللغة من أن صوت الحرف العربي ليس له دلالة وحده، ويُدَرِّسون أبناءنا في المدارس أصواتاً لا مفهوم لها، ويطالبونهم بتأليف كلمات منها لها معنى!.

النقطة الأولى: المنطق:

الذّرة هي لبنة الكون التي تم الخلق منها، والخلية لبنة الكائن الحي، واللّبنة هي شيء متناه في الصّغر، وتحتفظ بكل صفات البناء الكبير، فالبناء الكبير سواء الكون أم الحياة، كلاهما يحتفظان بصفة اللّبنة الأولى، ولولا وُجُود هذه الصّفات في اللّبنة الأولى، لما وجدت في الكون والحياة. فالشّيء يأخذ حكم أجزائه، لأنه يُوجد من خلال اجتماعها، فلو كان الجزء ميتاً، وأضفناه إلى آخر مثله، لحصلنا على بناء ميت لا حياة فيه، ميت + ميت = ميت.

والذّرة: كائن ثنائي البنية (متعدد) متحرك، وهي لبنة الكون، فالكون كائن متحرك.

والخلية: كائن حي زوجي البنية، وهي لبنة الحياة، فالكائن المخلوق من خلية، هو كائن حي.

واللِّسان مؤلف من كلمات ذات دلالات في الواقع، وهذا يقتضي أن يكون لصوت الحرف دلالةٌ ضرورةَ كونه لَبنة الكلمة، ولو انتفى عن صوت الحرف دلالته، لانتفت عن الكلمة دلالتها ضرورةً، وصارت كلمة ميتة لا حياة فيها اعتباطية الاستخدام، وأمكن أن تحل أي كلمة مكان كلمة أخرى، وكذلك كل حرف يحل مكان الآخر، ولو حصل ذلك لانتفى البيان، وهلك اللِّسان وضاع التنزيل الحكيم!. فكما أنَّ الذّرة لا تظهر في الواقع بفاعلية، إلا إذا أضيفت إلى غيرها ضمن علاقة معينة، كذلك صوت الحرف، لا يتفعَّل

إلا إذا أضيف إلى غيره، ضمن علاقة معينة، فتظهر دلالة الكلمة من خلال اجتماع لبناتها، ويكون ذلك بصُورة ثنائية كحد أدنى، مثلها كمثل العناصر الكيميائية.

هذا وجه للفكرة الذي اعتمدنا عليه في إثبات ضرورة أن يكون للصوت العربي مفهوماً، لأنه يستحيل أن نؤلِّف كائناً حياً من أجزاء ميتة!، كذلك يستحيل أن نجمع صوتاً لا معنى له مع صوت آخر لا معنى له، ونحصل على كلمة لها معنى.

النقطة الثانية: صفات النص القرءاني

انطلقت من التنزيل الحكيم وصفاته التي ذكرها الخالق له، خاصة أننا المسلمين نعدُّ التنزيل الحكيم مصدراً رئيسياً لمعلوماتنا وتاريخنا، وهو برهان بحد ذاته لإثبات الفكرة.

لنقرأ قوله تعالى:

1- **صفة الحق:** ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ [المائدة: 48].

وكلمة (الحق) تدل على الوجود الموضوعي خارج الذهن والتصور، فنقول: الله حق، واليوم الآخر حق، والموت حق، والتنزيل الحكيم حق، ولا يمكن لمن يتصف بالحق ومن الحق أن تكون صيغته اللِّسانية مؤلفة من أصوات اعتباطية لا مفهوم لها !، ما يؤكد أن أصوات التنزيل الحكيم حق، وبالتالي أصوات اللِّسان العربي حق، ولها مفهوم خارج الذهن والتصور.

2- **التنزيل الحكيم هو فعل من أفعال الله،** وأفعال الله حق ومنبثقة من العليم الحكيم الخبير، فكيف نصف أصوات التنزيل الحكيم أنها وهم واعتباط لا مفهوم لها؟ وكيف صار من هذه الأوهام والاعتباط نصٌّ حكيم يحتوي على الحق؟

3- **الخالق وصف نص كلامه ورسالته بصفة الحكيم** بقوله: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ [**يونس:1**] فكيف يكون النص الحكيم مُؤلفاً من وهم واعتباط في أصواته!؟

4- **وصف الله كتابه** ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء: 195]، فكيف لنصٍّ عربي مبين أن يكون مؤلفاً من وهم واعتباط في أصواته!؟

5- **وصف الله كتابه بالنور،** ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى:52] فكيف للنور أن يكون مؤلفاً من ظلمات ووهم واعتباط!؟

6- **وصف الله كتابه بالهدى** ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، والشفاءُ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾ [فصلت: 44]، فكيف يكون الهدى والشفاء مؤلفاً من وهم واعتباط!؟

بناء على هذه الصفات للتنزيل الحكيم وغيرها نقطع بوجود دلالة للصوت العربي لزوماً، وينبغي أن نبحث عن دلالته في الواقع؛ لأنه محل لها، ومنه صدرت وإليه تعود.

منهجية دراسة مفهوم الصوت

الأحرف العربية ثمانية وعشرون صوتاً منسجمة مع النظام السُّباعي للكون، وعددها من مضاعفات الرقم سبعة، لذا، صوت الهمزة هو جزء من صوت المد (آ) وليس مستقلاً وحده، وهذه الأحرف صُور صوتية لظواهر وأحداث واقعية، وإذا أردنا أن نحدد دلالة هذه الأصوات، فينبغي أن ندرسها من حيث **واقعها**، وكيفية **نطقها**، لأن عملية النّطق عند الإنسان هي عملية فطرية، تفاعلَ من خلالها مع الواقع، فكان الصّوت الذي أصدره هو صُورة صوتية للحدث نقلها جهاز النّطق بأمانة دون زيادة أو نقصان، انظر للصوت الذي يصدره الإنسان حين الألم كيف يختلف عن صوت الضحك، وهذا نتيجة اختلاف الحدث الذي أدَّى لاختلاف الشعور والانفعال والتفاعل، **فدلالة الحرف قائمة فيه، والحرف هو لبنة الكلمة، والكلمة لبنة الجملة،** ودلالة أصوات الأحرف هي مجرَّد صُور صوتية للظّواهر، والأحداث الواقعية، يقوم الإنسان باستخدامها من خلال إضافة صوت إلى آخر منسجم ومتلائم مع الحدث الذي يريد أن يتكلم عنه، فيتم إضافة صوت إلى صوت آخر، ليتم بناء كلمة تدل على المقصود تماماً في الواقع.

أما إذا لم يكن في ذهن الإنسان علم بالواقع، وقام بجمع صوت إلى آخر بصُورة عشوائية اعتباطية، فهذه العملية لا تُعطي للكلمة دلالة واقعية، وإنَّما تُعطيها دلالة تجريدية، كظاهرة فقط، يمكن أن تحصل في الواقع، ويمكن أن لا يصح جمع هذين الحرفين مع بعضهما، لانتفاء وُجُودهما متتابعين في الواقع كظاهرة طبيعية، أو حدث منتهٍ في الواقع ليس له تتمة، أو بقية، نحو كلمة (عح) فحرف الحاء في الكلمة، لا وُجُود لظاهرته في الواقع بعد حرف العين، لأن حرف العين أفاد العمق، أو البُعد في الشيء، أو الامتداد فيه، وفي الواقع لا يمكن أن يأتي بعده دلالة الحاء التي تدل على أرجحة متعددة النقاط منضبطة، وكذلك

حرف الخاء والحاء لا وجود لظاهرتيهما معاً في الواقع؛ لأن الخاء يدل على ارتخاء وطراوة الشيء في ذاته، وهذا لا يمكن أن يأتي بعده صفة الحركة المؤرجحة، انظر إلى (طق) لا يصح إنهائها بحرف الحاء (طقح)، وكذلك كلمة (عب) لا يصح أن نضيف لها حرف الحاء نحو (عبح) لانتفاء وُجُود دلالة صوت حرف الحاء (التأرجح المنضبط) في نهاية دلالة هذه الكلمة، وذلك لوجود حرف العين فيها.

وهذا معروف في علوم اللِّسان **تحت اسم تنافر الحروف من بعضها، وانتفاء مجيئها في كلمة واحدة،** ومَرَدّ التنافر هو لانتفاء وجودها في الواقع فيزيائياً، وانعكس ذلك في اللِّسان العربي، وليس لثقل لفظها، أو لانتفاء استخدامها من قبل العرب الأوائل، كما يظن أهل اللغة ويعتمدون على السماع والنقل.

فينبغي ملاحظة هذه النّاحية الفيزيائية في الواقع، وتطبيقها في عملية تركيب أحرف الكلمات مع بعضها بما يناسب ويدل على الواقع تماماً حتَّى يصير اللِّسان صُورة صوتية، أو وظيفية، أو حالية للواقع تماماً، تعكس الحدث بأمانة، فإذا سمع الإنسان الكلمة، استطاع أن يقوم بعملية التّصُور لدلالتها في الواقع، من خلال دلالة أصوات الأحرف، فيصل إلى مفهومها التجريدي، ثُمّ يقوم بملاحظة سياقها في الجملة مع إسقاطها على محلِّها من الخطاب، فيصل إلى صورة استخدامها الثقافي، ومقصد المتكلم منها (المعنى).

وسنعرض الآن دلالة أصوات الأحرف في الواقع جملة واحدة، ثم، نقوم بعملية الشّرح، وبيان كيفية وُصُولنا إلى هذه الدّلالات، من خلال ملاحظة صوت الحرف كيف يخرج من **جهاز النّطق،** ومن خلال **إسقاطه على الواقع،** واستخدام **التنزيل الحكيم له،** والإتيان **باستخدام العرب للكلمات، وملاحظة دلالتها،** وانسجام ذلك مع دلالة صوت الحرف في الواقع، فقمت بعرض نماذج لكل حرف، واستفدت من قاعدة الثّنائية الضّدية، للتّأكد من دلالة الكلمة، من باب: **وبضدها تتبين الأشياء،** ولأن قانون الضدية الثنائية، هو قانون يقوم الواقع عليه، وألفاظ الإنسان الفطري الواعية، هي صورة صوتية للظواهر الفيزيائية، التي تحدث في الواقع، فَقلبتُ النّماذج أثناء دراستها لضبط الدّلالة والمعنى، فإن تحقق المعنى في أحد الضّدين، فهذا دليل على صواب الدّراسة.

وينبغي الانتباه إلى أنَّ الكلمات الثّنائية هي كلمات فطرية، ومن ثم، فدلالتها كامنة في دلالة أحرفها، ويَصعب على الإنسان المعاصر أن يدرك دلالتها بسهولة، لا سيما أنه يستخدم في حديثه الكلمات ذات المقاطع الثّلاثية، لأنه إنسان ينتمي إلى مجتمع، بينما الكلمات الثّنائية، هي مفردات الإنسان الفطري، عندما كان يعيش في صُورة جماعات وأسر، لذا، ينبغي التّريث والتّعمق في دلالتها، وإدراك الرّابط بينها وبين ظواهرها في الواقع، **وملاحظة كيف أنَّ الكلمة الثّلاثية، لا تُلغي دلالة الكلمة الثّنائية، وإنَّما تضيف لها دلالة**، إما توقيف الحركة، أو إسراعها، أو دفعها، أو تكرارها، أو استمرارها، أو إعطاؤها جهداً، أو بُعداً زمنياً... إلخ، حسب الاستخدام الاجتماعي الوظيفي للكلمة.

مثلاً: كلمة (كت) تدل على قطع، أو ضغط خفيف، وتنتهي بدفع خفيف متوقف. ونستخدم ذلك في حياتنا المعيشية بصُورة: كت الماء في إناء آخر، لاحظ عملية كت الماء، كيف تتم في الواقع، هذه الرؤية هي برهان على ما أقول، وإذا أسرعت في عملية الكت إلى درجة كبيرة، وبدفعة واحدة، نلاحظ أن وصف العملية قد تغير من كلمة (كت) إلى كلمة (صب)، فإذا أضفنا حرف (ب) إلى كلمة (كت) تصير (كتب)، ونكون قد انتقلنا من دلالة فطرية، إلى دلالة اجتماعية، ومن دلالة صوتية إلى دلالة وظيفية، وهذه نقلة عظيمة وكبيرة، لذلك يرى القارئ - للوهلة الأولى - صُعُوبة الرّجوع من الحياة الاجتماعية، إلى الحياة الفطرية، ومن ثم، تَضيع الرّوابط بين الكلمات، وتضيع أصولها.

فكلمة (كتب) تدل على جمع شيء إلى آخر. (مقاييس اللُّغة).

وينبغي الانتباه إلى أن القواميس عند شرح معنى الكلمة غالباً تأتي بمآلها في الواقع، أو دلالة الحرف الأخير منها.

لنر ذلك تفصيلاً، من خلال دلالة الأحرف.

ك: صوت يدل على قطع، أو ضغط خفيف.

ت: صوت يدل على دفع خفيف، متوقف.

ب: صوت يدل على جمع مستقر.

فعملية كت الماء، قد أدركناها في الواقع، فماذا أضاف حرف (ب) لهذه العملية ؟

نقول: كتب التّلميذ الدّرس، ونقول: كتاب القراءة.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَىَ نَفْسِهِ الرّحْمَةَ أَنّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54].

لقد ذكروا أن دلالة كلمة (كت) هي الجمع، وذلك نتيجة رؤيتهم لنهاية عملية الكت.

فهذه الصّورة ذاتها، جعلوها لدلالة كلمة (كتب) رغم وُجُود زيادة حرف (ب) على كلمة (كت)، **والزّيادة في المبنى، هي زيادة في المعنى،** كما هو معلوم.

لذا، ينبغي الانتقال في الدّراسة للكلمات الثّلاثية من المستوى الفطري إلى المستوى الاجتماعي، ومن المستوى الدّلالي الصّوتي، إلى المستوى الدّلالي الوظيفي، أو الحالي، مع استصحاب دلالة أصوات الأحرف فطرة، ودلالة الكلمات الثّنائية، لأنها تفاعل فطري للإنسان الأول.

كت: كلمة تدل ظاهرتها الواقعية، على حركة ضغط خفيف، ودفع لهذا الشّيء المنضغط إلى جهة أخرى بصُورة خفيفة متوقفة، فدلالة كلمة (كت) لا علاقة لها بالجمع أو غيرها، وإنَّما هي وصف دقيق لظاهرة العملية، كيف تتم في الواقع، أي: وصف لعملية كت الماء، وليس لتجمُّع الماء في الإناء الآخر، مع العلم أن عملية الكت، ليس بالضّرورة أن تنتهي بصفة الجمع، نحو: كت الماء على اليدين لغسلهما. فالماء ينتهي به المطاف إلى التّفريق والذّهاب، وينبغي العلم أنَّ الكلمة، لا يدل عليها إلا ذاتها، لأنها ظاهرة قائمة بذاتها كبصمة أصبع الإنسان، وما استخدام الكلمات الأخرى في الشّرح، إلا من باب التّقريب للدّلالة، فإذا وصلت الدّلالة الحقيقية، تُستَبعد كل الكلمات المستخدمة في الشرح والتقريب.

فعندما أضفنا حرف (ب) إلى كلمة (كت) أعطى لظاهرة الكت نهاية بصُورة جمع مستقر، ونقلها من الاستخدام الفطري التّفاعلي، إلى الاستخدام الاجتماعي، بحالة الحركة التي تبدأ بعملية الضّغط الخفيف، والاندفاع الخفيف المتوقف على حالة الجمع المستقر في الجهة الأخرى.

وتحقق ذلك في فعل (كتب) الذي هو ضغط، ودفع خفيف، منتهٍ بحالة جمع العملية هذه، في مكان واحد ضرورةً بصورة مستقرة، وبعد هذا الشّرح، نستطيع أن نفهم قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَىَ نَفْسِهِ الرّحْمَةَ﴾ [الأنعام 54]، أي: ألزم نفسه بفعل الرّحمة، والإلزام أتى من دلالة الجمع المتوقف والمستقر، لدلالة كلمة (كت) عندما أضيف لها حرف (ب).

كتب التّلميذ الدّرس، إذا قام بعملية ضغط ودفع خفيف منته بجمع مستقر.

وعندما قام علماء اللِّسان العربي بوضع قواميسهم، لاحظوا نهاية دلالة كلمة (كتب) ينتهي بجمع مستقر، فقالوا أنها تدل على جمع، وذلك من باب تفسير الشيء بمآله، وهكذا فعلوا مع معظم الكلمات، لذا، ينبغي الانتباه لهذه الملاحظة، وعدم التعامل مع هذه المراجع كأنها حقّ وأصل، وإنما هي تقريب لدلالة الكلمة، ومُساعد لدراستها. وبذات الطّريقة، نقوم بتحليل كل الكلمات التي نريد معرفة دلالتها في الواقع تماماً، لنستخدمها بصُورة صائبة في مكانها المناسب، وسوف أتطرق في آخر الكتاب لمجموعة من الكلمات الثّلاثية، وأبيِّن دلالتها، وعلاقتها بالثّنائية، وذلك كنموذج عملي للتّطبيق والتّدريب.

وينبغي ملاحظة أمر على درجة من الأهمية، وهو أنَّ الكلمة، هي وصف قائم في ذاتها، وليست هي تعبير عن ميول الإنسان، نحو كلمة (الجنة) فقد قيل: إنها سمُيت كذلك لميل قلب الإنسان إليها، والصّواب أنها سُمّيت كذلك لستر وإخفاء ما فيها، لذا، هي خاصَّة بالمكان الذي فيه أشجار كبيرة، وعالية، سواء مال الإنسان إليها، أم لم يَمل، فهي جنّةٌ، ولا تُطلق على الأرض التي فيها زرع صغير فقط، مثل الأزهار والورود.

وسوف نحاول الآن الوُصُول إلى دلالة أصوات الأحرف، من خلال مراقبة **طريقة لفظ صوت الحرف من الجهاز الصوتي الإنساني**، وإسقاط ذلك على **الظاهرة الفيزيائية في الواقع**، والقيام بعملية **سبر وتقسيم للكلمات المختلفة**، التي تنتهي بالحرف ذاته، لمعرفة توجُّه حركة دلالة الكلمة، إلى أين ينتهي ؟ وهل تشترك كل الكلمات بهذه النّهاية ؟ وذلك من باب: **إنَّما الأعمال بنهاياتها، واستخدام الكلمات على هذا الوجه، هو برهان بحد ذاته على دلالة صوت الحرف، في الواقع.**

فإذا صح هذا المعنى، في جميع الكلمات، دلَّ على أن دلالة صوت الحرف، هو ما وصلنا إليه وأثبتناه، لأن الإنسان الفطري كان يُصدر الأصوات بصورة مرتبة، حسب حصول الحدث في الواقع، فبدأ بالصوت الأول الذي يدل على بداية الحدث، وبالصوت الثاني الذي يدل على وسط الحدث، والصوت الثالث على نهاية الحدث، وإذا احتاج الحدث إلى صوت رابع، أو خامس، قام بإضافته.

وأوضح مثال على مسألتنا، هو قيام الإنسان الفطري بأخذ صورة صوتية – طبق الأصل– **عن الأحداث في الواقع، وبما أن الكون قائم على الحركة، انعكس ذلك على اللِّسان العربي، فقام على أساس الحركة (الأفعال) وقليلاً على الأسماء الصوتية، وهذه الطريقة ليست للحصر، فيمكن للآخرين أن يجدوا طرائق أخرى لدراسة دلالة الأحرف، والمهم أن يؤمن الباحث أن الأحرف لها دلالة قطعاً، ويبحث عن الوسيلة التي يمكن أن يصل من خلالها إلى مفهوم صوت الحرف.**

انظر إلى دلالة هذه الكلمات:

1. **صورة صوتية للظاهرة الفيزيائية الصوتية في الواقع:** خرير، صرير، عواء، حفيف، نباح، مواء، عويل، صراخ، شخير، صفير، طرطقة، خشخشة، خرمشة، أزيز، رنيم، طنين، طرير، رنين، قعقعة، صهيل، نهيق، دقدقة.
2. **صورة صوتية للظاهرة الفيزيائية الحالية، في الواقع:** شر، دَب، حف، حك، بق، طب، هب، برق، فر، كر، در، سر، هر.
3. **صورة صوتية للظاهرة الفيزيائية الفعلية، في الواقع:** شحط، سحب، دفش، دعس، عفس، دهس، نشف، نفش، نكش، حفر.

ومن هذه الصور الثلاثة ظهر **اسم الأداة، أو اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو اسم المكان.... ، وذلك على وزن (مِفعال، وفاعل، ومفعول، ومَفعل)** فنقول:

مِشحاط، وشاحط، ومشحوط، ومَشحط.

ومِدفاش، ودافش، ومدفوش، ومَدفش.

ومِدعاس، وداعس، ومدعوس، ومَدعس.

ومِحفار، وحافر، ومحفور، ومَحفر.

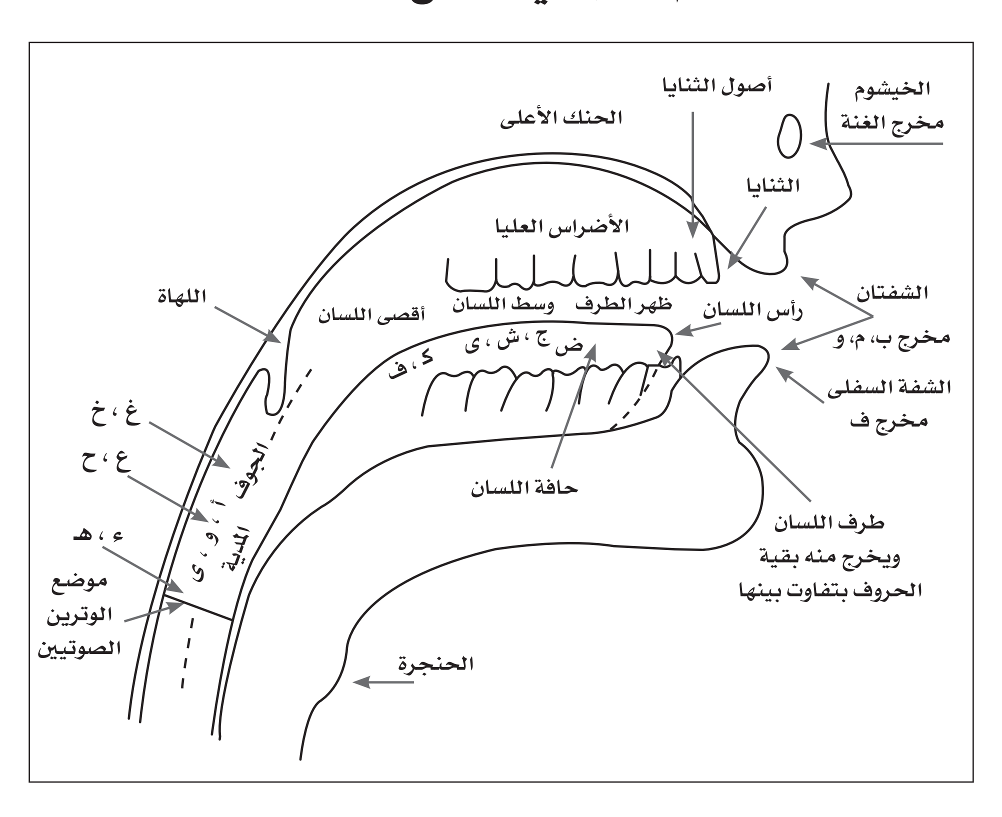
مِكتاب، وكاتب، ومكتوب، ومَكتب.

مِفتاح، وفاتح، ومفتوح، ومَفتح.

مِحراب، ومُحارب، ومَحروب، ومَحرب.

مِخزان، وخازن، ومخزون، ومَخزن....

رسم توضيحي لمخارج الحروف



دلالة أصوات الأحرف العربية فيزيائياً

دلالة أصوات الأحرف العربية فيزيائياً		
0	ء	صوت خفيف يدل على ظهور متوقف. وهو جزء من صوت (آ).
1	ب	صوت يدل على جمع مستقر.
2	ت	صوت يدل على دفع خفيف متوقف.
3	ث	صوت يدل على دفع خفيف ملتصق.
4	ج	صوت يدل على جهد أو شدة.
5	ح	صوت يدل على تأرجح شديد منضبط، أو سعة محددة.
6	خ	صوت يدل على رخاوة أو طراوة.
7	د	صوت يدل على دفع شديد متوقف.
8	ذ	صوت يدل على دفع وسط ملتصق.
9	ر	صوت يدل على تكرار.
10	ز	صوت يدل على بروز متصل.
11	س	صوت يدل على حركة متصلة حرة.
12	ش	صوت يدل على انتشار وتفشٍّ.
13	ص	صوت يدل على حركة متصلة محددة.
14	ض	صوت يدل على دفع شديد جدّاً، متوقف.
15	ط	صوت يدل على دفع وسط متوقف.
16	ظ	صوت يدل على دفع شديد ملتصق.
17	ع	صوت يدل على عمق أو بُعد في الشيء.
18	غ	صوت يدل على غموض، أو غياب.
19	ف	صوت يدل على فتح خفيف منضم.
20	ق	صوت يدل على قطع، أو وقف شديد.
21	ك	صوت يدل على وقف، أو ضغط خفيف.
22	ل	صوت يدل على حركة ثقيلة متصلة لازمة.
23	م	صوت يدل على جمع متصل.
24	ن	صوت يدل على ستر، أو اختباء.
25	هـ	صوت يدل على تأرجح خفيف منضبط.
26	آ - ى	صوت يدل على إثارة وامتداد في الزمان والمكان.
27	و	صوت يدل على ضم ممتد مكانياً.
28	ي	صوت يدل على جهد ممتد زمانياً.

سبر وتقسيم للِّسان العربي للوُصُول إلى دلالة أصوات الأحرف العربية

0 - (ء) صوت يدل على ظهور منقطع أو متوقف خفيف. وهو جزء من صوت (آ).

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات، في الواقع:

1. نبأ: كلمة تدل على ستر، وتجمُّع مستقر منته بظهور منقطع خفيف.

وتحقق ذلك بنبأ السماء، من كونه بدأ من حالة الستر (ن)، وتجمُّع بقلب من نزل عليه النبأ، واستقر ذلك (ب)، لتبدأ عملية الإظهار لهذا النبأ، بصورة خفيفة متوقفة (أ).

2. قرأ: كلمة تدل على قطع، أو وقف شديد مكرر، منته بظهور منقطع خفيف، ومن ذلك كلمة (قُرء) التي تدل على حالة المحيض بالنسبة للنساء وليس الطُّهر.

نحو: قرأ المعلم الدّرس، إذا قام بشرحه، وتفسيره، وإظهار معلوماته مع البراهين، سواء رافق ذلك عملية التّلاوة من قرطاس، أو لم يرافقها، والمراقب لعملية القراءة كيف تتم، يلاحظ عملية التركيز والتوقف عند نقطة معينة، بصورة شديدة (ق)، وتكرار هذه العملية (ر)، والانتهاء بظهور الفهم، والإدراك بصورة منقطعة وخفيفة، و(القُرء) اسم للعملية الواحدة التي تمت، وسُمِّي القرءان كذلك لتحقق عملية القُرء به، بصورة إثارة وامتداد منتهية بستر واختباء، سواء في قلب الإنسان، أو في الواقع من سنن وقوانين، **فهو من قرأ، وليس من قرن،** مثل رَمض رمضان، حَور حُوران، عَور عُوران... ، قَرأ قُرءان، والألف والنون هي لواحق معروفة في اللِّسان العربي.

فالقراءة: دراسة، وتدبر، وتفكير، وتوصل إلى العلم والمعرفة، فهي غير دلالة كلمة **(التلاوة)** التي تدل على تتابع الشيء فقط.

3. بدأ: كلمة تدل على تجمُّع مستقر، ودفع شديد منته بظهور منقطع خفيف.
نحو: بدأ السّباق، لاحظ عملية البداية كيف تجري في الواقع.

4. برأ: كلمة تدل على تجمُّع مكرر منته بظهور منقطع خفيف. نحو: برأ الله النّاس.

5. جبأ: كلمة تدل على جهد وتجمُّع منته بظهور منقطع خفيف.
نحو: جبأ الرّجل عن الأمر، إذا ابتعد وتنحَّى عنه.

6. خطأ: كلمة تدل على رخاوة ودفع وسط منتهية بظهور منقطع خفيف.
نحو: الخطأ في الأقوال أو الأعمال.

7. جنأ: كلمة تدل على جهد وستر منته بظهور منقطع خفيف. نحو: جنأ الرّجل على ابنه، إذا عطف عليه، واعتنى به.

8. جسأ: كلمة تدل على جهد متحرك متصل بصُورة غير محددة، منته بظهور منقطع خفيف. نحو: جسأت الأرض، إذا انتشرت الصلابة فيها.

9. ثفأ: كلمة تدل على دفع خفيف ملتصق منفتح بضم، منته بظهور منقطع خفيف. نحو: ثفأ القدر، إذا خفف من شدة غليان ما فيها.

10. حبأ: كلمة تدل على تأرجح شديد متجمِّع، منته بظهور منقطع خفيف. نحو: حبأ الملك، أي: جليس الملك، وخاصته. انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: أحد، أبق، أمر، إرب، أرق، إبل، أم، أب، أثر، أثل، أجن... إلخ.

1 - (ب) صوت يدل على جمع مستقر.

انظر إلى دلالة هذه الكلمات، ومآلها في الواقع:

1. حَطَبَ: كلمة تدل على عملية بحث بقوة، لتجميع شيء حتَّى يستخدم في دعم شيء آخر، ومن ذلك الوجه، سُمِّي الحطب حطباً، لتحقق عملية التّجميع فيه، لاستخدامه كوَقود للنّار. قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: 4].

   أي: تقوم بجمع الأخبار، والأفكار، والأشخاص، لاستخدامهم كوقود للحرب ضد الحق.

2. كتب: كلمة تدل على حال ضغط خفيف، مع دفع خفيف، منته بجمع مستقر، وتحقق ذلك في عملية جمع الكلمات إلى بعضها في قرطاس، فنقول: الكتابة، ونطلق على الفاعل: اسم الكاتب، واسم المفعول على المكتوب، ولا يُشترط لعملية كتب أن تكون مادية مثل الكُتب الورقية، فيمكن أن تكون معنوية مثل كَتب كتاب النكاح بين الرجل والمرأة، وهكذا.....

   وضد كلمة (كتب) مبنى ومعنى كلمة (بتك) لاحظ عكس عملية تحقق دلالة كتب في الواقع، كيف صارت، إذ بدأت دلالة (بتك) من حيث انتهت دلالة (كتب)، والبتك هو جمع مستقر، مندفع بخفة، منته بقطع أو ضغط خفيف، وهو غير دلالة البتر أو القطع.

   قال تعالى: ﴿وَلأُضِلّنّهُمْ وَلأُمَنّيَنّهُمْ وَلأمُرَنّهُمْ فَلَيُبَتّكُنّ آذَانَ الأنْعَامِ﴾ [النّساء: 119] ومن هذا الوجه تستخدم دلالة كلمة (كتب)، على كل حال يتحقق فيها عملية جمع شيء مع بعضه بصورة مستقرة، نحو قولنا: كتاب العلم والمعرفة، كتاب البحار، كتاب الفضاء، كتاب الفقه، كتاب الصّلاة... إلخ، ولا يُشترط لدلالة كتب، أن تكون في قرطاس، فيمكن أن تكون في الواقع ذاته كعلاقات أو أحداث.

3. حزب: كلمة تدل على سعة، أو تأرجح شديد، منضبط بارز ومتصل، منته بحال جمع مستقر، وظهر ذلك في استخدام دلالة كلمة (حزب) على تجمُّع مجموعة من النّاس، وَفْقَ فكر وهدف معين، فنقول: حزب الرّحمن، وحزب الشّيطان.

4. حقب: كلمة تدل على سعة، أو تأرجح منضبط متوقف بشدة، منته بجمع مستقر، ومن هذا الوجه يظهر استخدام كلمة: حقيبة، لتحقق دلالة السّعة، والتّوقف الشّديد بها، وانتهاء ذلك بعملية الجمع المحدود، وكذلك نطلق على المدة الزّمنية المتعلقة بأحداث معيَّنة، كلمة (حقب) فنقول: الحقب الجيولوجي، وجمعها: أحقاب وهي محدودة زمنياً ضرورة.

5. حلب: كلمة تدل على سعة، أو تأرجح بحركة متصلة لازمة، منتهية بعملية الجمع المستقر، ويظهر ذلك في استخدامنا لدلالة كلمة (حلب) بقولنا: حلب زيد البقرة. لاحظ تحقق دلالة كلمة (حلب) في عملية الحلب للبقرة.

6. جعب: كلمة تدل على جهد بعمق، منتهية بجمع مستقر، ومن ذلك الوجه سميت الجعبة جعبة، وهي الشّيء القوي، الذي تحفظ في داخله الأشياء مجتمعة.

7. جلب: كلمة تدل على جهد وشدة بحركة متصلة بطيئة لازمة، منتهية بجمع مستقر، ويظهر ذلك، عندما يقوم الإنسان بعملية جَلْب الأشياء من السّوق، ويظهر ذلك في قولنا: الجلابية، وهي اللّباس الذي يسدله الإنسان على جسمه، ويرخيه.

8. حرب: كلمة تدل على تأرجح شديد مكرر، منته بعملية جمع مستقر، ويظهر ذلك في عملية الحرب، من كونها تأرجح شديد، وتكرار منتهية بجمع مستقر.

9. قطب: كلمة تدل على وقف، أو قطع شديد مع دفع وسط، منته بجمع مستقر. ويظهر ذلك في الإنسان الذي يكون مرجعاً للآخرين، ويتوقفون عنده، ويجتمعون عليه، ويأتمرون بأمره، فنقول: النّبي محمدٌ قطبٌ للنّاس، ويظهر ذلك في قطبي الأرض، ونقول لكل ما يتحقق به ذلك المعنى: قطب، سواء في النّاس، أو الأشياء مثل: قطب السّالب والموجب.

10. صب: كلمة تدل على حركة متصلة محددة، منتهية بجمع مستقر، ويظهر ذلك في عملية: صب الماء، صب الإسمنت.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات، في الواقع: بقر، بعر، برق، بعل، بغل، بحر، باب، بظر... إلخ.

2 - (ت) صوت يدل على دفع خفيف متوقف.

انظر إلى مآل دلالات هذه الكلمات، في الواقع:

1. خبت: كلمة تدل على ارتخاء، وطراوة مجتمعة، منتهية بدفع خفيف متوقف، وتحقق ذلك في قولنا: خبت النّار، وخبت المعركة.

2. حت: كلمة تدل على تأرجح شديد، منته بدفع خفيف متوقف، وتحقق ذلك في عملية حت الصّخور بالماء.

3. كت: كلمة تدل على ضغط خفيف، منته بدفع خفيف متوقف، وتحقق ذلك في عملية كت الماء في الإناء، كت الماء لغسل اليدين، وما شابه ذلك، وهي غير دلالة كلمة (صب).

4. صمت: كلمة تدل على حركة متصلة محددة مجتمعة بتواصل، منتهية بدفع خفيف متوقف، ويظهر ذلك في عملية الصّمت عن الكلام.

5. كفت: كلمة تدل على ضغط خفيف منفتح بضم، منته بدفع خفيف متوقف، نقول: كَفَت النّاس إلى السّوق، ونقول: كفت الخير على النّاس.

6. كبت: كلمة تدل على قطع، أو ضغط خفيف بتجمُّع، منته بدفع خفيف متوقف، وظهر ذلك في عملية: كبت النّفس.

7. سبت: كلمة تدل على حركة حرة متصلة مجتمعة باستقرار، منتهية بدفع خفيف متوقف، ومن ذلك قولنا: السّبات الشّتوي، للحيوانات التي تتقلص حركتها إلى الحد الأدنى.

8. ثبت: كلمة تدل على دفع خفيف، ملتصق بتجمُّع مستقر منته بدفع متوقف، ومن ذلك قولنا: ثبت الجندي في المعركة، إذا التصق في مكانه، مجمِّعاً قوته بدفع خفيف متوقف.

9. مات: كلمة تدل على جمع متصل ممتد زمانياً ومكانياً، منته بدفع خفيف متوقف،

وظهر ذلك في عملية موت الكائنات الحية وتوقف فاعليتها.

10. بت: كلمة تدل على جمع مستقر، منته بدفع خفيف متوقف، وظهر ذلك في قولنا: بتَّ في الأمر.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات، في الواقع: تمر، تعب، ترح، ترب، توت، تين، تبر، ترع، تفل، تك... إلخ.

3 - (ث) صوت يدل على دفع خفيف ملتصق.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات، في الواقع:

1. غاث: كلمة تدل على حركة غامضة ممتدة بإثارة مكانياً وزمانياً، منتهية بدفع خفيف ملتصق، ويظهر ذلك في قولنا: نزل الغيث، أي: المطر، وقولنا: جاء الغيث بمعنى المساعدة المتصلة، انظر لتحقق مآل الكلمة من دفع ملتصق بالأشياء.

2. بحث: كلمة تدل على جمع مؤرجح، منته بدفع خفيف ملتصق، ويظهر ذلك في عملية البحث عن الشّيء.

3. بعث: كلمة تدل على جمع بعمق، منته بدفع خفيف ملتصق، ومن ذلك قولنا: بعث الله الأموات.

4. حدث: كلمة تدل على تأرجح مندفع بشدة، منته بدفع ملتصق، ومنه الأحداث، للأمور التي حصلت الآن.

5. حرث: كلمة تدل على تأرجح شديد مكرر، منته بدفع ملتصق، ومنه قولنا: حَرَثَ الأرض.

6. كث: كلمة تدل على ضغط، أو قطع خفيف منته بدفع ملتصق خفيف. ومنه قولنا: زيد كث اللّحية، إذا اندفعت لحيته وكثر شعرها وطال.

7. طمث: كلمة تدل على دفع وسط مجتمع بتواصل، منته ملتصق خفيف ومنه قولنا: طمث المرأة، وهي أيام حالة سيلان دم الحيض.

8. رفث: كلمة تدل على تكرار منفتح بضم منته بدفع ملتصق خفيف، ومنه الرّفث في الكلام، بمعنى تكرار الكلام القبيح، الفاحش الملتصق بما يكره الإنسان أن يطلع عليه أحد، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: 187]، أي: عملية الاقتراب من النساء جسمياً، وضمهن، والالتصاق بهن شهوة، وما سوى ذلك.

9. جث: كلمة تدل على جهد وشدة، منتهية بدفع ملتصق خفيف، ومنه قولنا: جثا الرّجل على ركبتيه.

10. خبث: كلمة تدل على رخاوة وطراوة مجتمعة، منتهية بدفع ملتصق خفيف، ونطلق ذلك على كل ما تحققت به دلالة كلمة (خبث) فنقول: الخبائث، ونقصد بها القذارة والأوساخ والمخلفات من فضلات الكائنات الحية، وتُسحب للشّر والضّرر والأذى، فنقول: مرض خبيث، ورجل خبيث.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات، في الواقع: ثوم، ثمن، ثواب، ثائر، ثاب، ثغر، ثلج، ثر، ثدي، ثخن... إلخ.

4 - (ج) صوت يدل على جهد أو شدة أو قوة أو طاقة.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات، في الواقع:

1. رج: كلمة تدل على تكرار منته بجهد وشدة، نحو: رج زيد الماء في القارورة.
2. زج: كلمة تدل على بروز متصل، منته بجهد وشدة، نحو: زج القائد الجُنُود في المعركة.
3. دمج: كلمة تدل على دفع شديد مجتمع بتواصل، منته بجهد وشدة، نحو: دَمَجَ زيد الشّعبين مع بعضهما.
4. مزج: كلمة تدل على جمع متواصل بارز، منته بجهد وشدة، نحو: مزج الرّسام الألوان.
5. لزج: كلمة تدل على حركة متصلة، بطيئة لازمة بارزة، منتهية بجهد وشدة، نحو: السّائل لزج، إذا كانت ذراته متصلة مع بعضها ومتماسكة بقوة.
6. فج: كلمة تدل على فتح منضم بجهد وشدة، نحو: فج الرّجل رأس أخيه، إذا فتح في رأسه شقاً.
7. خرج: كلمة تدل على رخاوة مكررة منتهية بجهد وشدة، نحو: خرج الرّجل، إذا قضى حاجته، وتطلق أيضاً على من كان في داخل شيء وخرج منه، نحو: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل: 78].
8. شج: كلمة تطلق على انتشار وتفشٍّ منتهية بجهد وشدة، نحو: شج الولد رأس رفيقه، إذا قام بضرب رأسه بصُورة عشوائية، أدَّت إلى انتشار الكدمات في رأسه.
9. حج: كلمة تدل على تأرجح شديد منضبط منته بجهد وقوة، نحو: حج بيت الله الحرام، بمعنى قيام الإنسان بأعمال وسُلُوكيات مؤرجحة ومنضبطة بجهد وقوة، (طقوس الحج) ويقصد أيضاً بها قصد بيت الله لأداء الشعائر، وسُمِّي الحج حجاً؛ لأن عملية القصد موجودة - دائماً - ذهاباً وإياباً لا يفترون، وهذا دلالة حرف (ح).

10. طج: كلمة تدل على دفع وسط منته بجهد وشدة، نحو: طج الرّجل رأسه بالجدار، بمعنى أنه قام بضرب رأسه بالجدار. انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: جبل، جمل، جرب، جرو، جدار، جامد، جدع، جلد، جحش.

5 - (ح) صوت يدل على سعة أو تأرجح شديد منضبط.

والأرجحة للشيء في واقع الحال يلزم منها ضوابط تضبط حركته، نحو اهتزاز المرجوحة بين نقطتين، ومن هذا الوجه فُهمت عملية المنع، أو السد، أو الحاجز، أو الحد من دلالة صوت الحاء في مثل هذه الكلمات: حد، حرم، حق، حط، حص... إلخ.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. جمح: كلمة تدل على جهد مجتمع متصل منته بتأرجح شديد، نحو: جمح الحصان.

2. جنح: كلمة تدل على جهد مستور منته بتأرجح شديد، نحو: جنح الرّجل في عمله، إذا قام بعمل خلاف الأصل، وعاد إلى ما كان عليه، ومن ذلك قولنا: جنحة، ونقول: جناح الطّير، وذلك لأنه يتحرك ويعود إلى ما كان عليه، قال تعالى: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 236]، بمعنى أن ذلك العمل لا يكون جنحة، ومن ثم فلا حرج من فعله.

3. مرح: كلمة تدل على تجمُّع متصل مكرر، منته بتأرجح شديد، نحو: حالة المرح التي تصيب الإنسان، وهي خفة وضحك وهزل مكرر، ما إن ينتهي منها حتَّى يعود إليها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[الإسراء: 37].

4. فرح: كلمة تدل على فتح منضم مكرر، منته بتأرجح شديد، نحو: فرح المؤمنون بنصر الله، بمعنى أن أنفسهم انفتحت ودخل السّرور إليها، واستمرت تلك العملية ما بين النّصر والنّفس.

5. رجح: كلمة تدل على تكرار بجهد وشدة، منتهية بتأرجح شديد، نحو: رجح الميزان، إذا قام الميزان بعملية التّأرجح ووقف في جهة منهما.

6. جرح: كلمة تدل على جهد وشدة، مكررة، منتهية بتأرجح شديد، وسُمِّي الجرح جرحاً؛ لأنه جهد مكرر مؤرجح على جسم الإنسان أو نفسه يترك به أثراً. قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 60]، أي: ما قمتم به من عمل ترك أثراً في الواقع على الصّعيد النّفسي، أو الجسمي عند الآخرين، وسميت الجوارح جوارح؛ لأنها أدوات تستخدم في عملية الجرح.

7. زح: كلمة تدل على بروز متصل منته بسعة أو تأرجح. نحو: الزّحزحة، وهي السّعة والتّأرجح في المكان.

8. طح: كلمة تدل على دفع وسط منته بتأرجح شديد. نحو: طاح الرّجل. إذا اندفع متأرجحاً.

9. ذبح: كلمة تدل على دفع وسط ملتصق، متجمّع، منته بتأرجح. نحو: ذبح الشّاة.

10. رح: كلمة تدل على تكرار، منته بتأرجح شديد وسعة. نحو: راح العامل في وقت الظّهيرة، إذا توقف عن عمله ليأخذ نصيباً من الرّاحة.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: حرب، حرك، حبس، حف، حس، حق، حط، حظ، حصر، حضر، حشر، حس، حام، حرى، حز، حث، حاص، حاور... إلخ.

6 - (خ) صوت يدل على رخاوة أو طراوة في الشّيء.

انظر إلى مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. مخ: كلمة تدل على تجمُّع متصل منته برخاوة. نحو: مخ الإنسان.
2. شخ: كلمة تدل على انتشار، وتفشٍّ منته برخاوة. نحو شخ الطّفل.
3. فخ: كلمة تدل على فتح منضم منته برخاوة. نحو: وقع الطّائر في الفخ.
4. لطخ: كلمة تدل على حركة متصلة، بطيئة لازمة، مندفعة منتهية برخاوة. نحو: لطخ الرّجل الجدار بالطّين.
5. صخ: كلمة تدل على حركة محددة، متصلة، منتهية برخاوة. نحو: صخت الآذان من صوت الرّعد.
6. داخ: كلمة تدل على دفع شديد بإثارة وامتداد منته برخاوة. نحو: داخ الرّجل من التّعب.
7. رضخ: كلمة تدل على تكرار، مندفع بشدة جدّاً، منتهية برخاوة. نحو: رضخ الملك لإرادة الشّعب.
8. طبخ: كلمة تدل على دفع وسط، متجمِّع، منته برخاوة. نحو: طبخ الطّعام.
9. زخ: كلمة تدل على بروز متصل، منته برخاوة. نحو: زخ المطر.
10. صرخ: كلمة تدل على حركة متصلة محددة، مكررة منتهية برخاوة. نحو: صرخ الولد لأمه. انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: خنق، خرق، خزق، خشب، خرب، خمر، خل، خبا، خلى، خنز.

7 - (د) صوت يدل على دفع شديد. انظر إلى مآل هذه الكلمات في الواقع.

1. سد: كلمة تدل على حركة متصلة، غير محددة منتهية بدفع شديد.
نحو: سد الماء.

2. صد: كلمة تدل على حركة متصلة، محددة منتهية بدفع شديد.
نحو: صد الحارس الكرة.

3. جهد: كلمة تدل على جهد وشدة، مؤرجحة بخفة، منتهية بدفع شديد.
نحو بذل الإنسان جهده.

4. عضد: كلمة تدل على عمق مندفع، بصُورة مضاعفة شديدة جدّاً جداً.
نحو: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: 35].

5. صمد: كلمة تدل على حركة متصلة محددة مجتمعة ومتواصلة منتهية بدفع شديد نحو: الله الصّمد. بمعنى القيام والاعتماد على النّفس بصُورة مستمرة ودائمة، والثّبات على ذلك بقوة شديدة.

6. أحد: كلمة تدل على ظهور منقطع خفيف مؤرجح مندفع بشدة. نحو: الله أحد. أي: له صفة الوجود بصُورة فردية نافية للجهة الأخرى بقوة شديدة.

7. شد: كلمة تدل على انتشار بدفع شديد. نحو: شد الحبل.

8. كد: كلمة تدل على ضغط خفيف منته بدفع شديد. نحو الكد في العمل.

9. هد: كلمة تدل على تأرجح خفيف، منته بدفع شديد. نحو: هد الجدار.

10. حد: كلمة تدل على تأرجح شديد منضبط منته بدفع شديد. نحو: حد السّكين. ومنه الحدود. التي هي فواصل بين شيئين يمنع تجاوزها.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: دمر، دقر، دب، دع، دود، درب، دسر، دش، دف، دك... إلخ.

8 - (ذ) صوت يدل على دفع وسط ملتصق.

انظر إلى مآلات هذه الكلمات في الواقع:

1. ملذ: كلمة تدل على تجمُّع متصل بحركة بطيئة لازمة، منتهية بدفع وسط ملتصق.
نحو: الملك العادل ملاذ المظلومين.

2. نبذ: كلمة تدل على ستر متجمِّع، منته بدفع وسط ملتصق. نحو:
﴿كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: 4].

3. نفذ: كلمة تدل على ستر منفتح منضم، منته بدفع وسط ملتصق. نحو:

نفذ الماء من الجدار. وهي غير دلالة كلمة (نفد) التي تدل على ستر وفتح منضم خفيف منتهية بدفع شديد، وظهر هذا المعنى بانتهاء بيع البضاعة كلها مثلاً.

4. أخذ: كلمة تدل على ظهور منقطع خفيف برخاوة، منته بدفع وسط ملتصق. نحو:
أخذ زيد الطّعام.

5. غذ: كلمة تدل على غياب، منته بدفع وسط ملتصق. نحو:
غذ الولد، إذا ظهر عليه آثار الصّحة والسّمنة.

6. قذ: كلمة تدل على قطع شديد، منته بدفع وسط ملتصق. نحو:
القذاة في العين، وقولنا: حذو القِذَّة بالقذة، نحو طريقة صف ريش جناح الطّائر.

7. جذ: كلمة تدل على جهد شديد منته بدفع وسط ملتصق. قال تعالى:

﴿وَأَمّا الّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَاوَاتُ وَالأرْضُ إِلاّ مَا شَآءَ رَبّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108]، بمعنى عطاء ملتصق بهم دائم غير منته.

وقال: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاّ كَبِيراً لّهُمْ لَعَلّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 58]، أي: جعلهم مع الأرض ملتصقين بها.

8. شحذ: كلمة تدل على انتشار وتفشٍّ مؤرجح، منته بدفع وسط ملتصق. نحو: شحذ الجندي سيفه. وهي غير دلالة شحد.

9. حنذ: كلمة تدل على تأرجح شديد مستور، منته بدفع وسط ملتصق. نحو قوله تعالى: ﴿جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: 69]، وهو العجل المشوي على الحجارة، بصُورة الإلصاق بها أو طمره تحتها.

10. شذ: كلمة تدل على انتشار، منته بدفع وسط ملتصق. نحو: شذ الرّجل عن قومه، إذا ابتعد عنهم والتّصق بغيرهم.

انظر إلى بداية دلالة هذه الكلمات في الواقع:

ذاب، ذاق، ذر، ذيل، ذهن، ذهل، ذوى، ذاع، ذرع، ذبح، ذبل، ذخر، ذنب... إلخ.

9 - (ر) صوت يدل على التّكرار.

انظر إلى مآلات هذه الكلمات في الواقع:

1. حفر: كلمة تدل على تأرجح شديد، منفتح بضم، منته بتكرار ذلك. نحو: حفر إبراهيم بئر القرية.
2. جر: كلمة تدل على جهد وشدة، منتهية بتكرار ذلك. نحو جر الفلاح العربة.
3. نقر: كلمة تدل على ستر، منقطع بشدة، منته بتكرار ذلك. نحو: نقر الغراب الجبن.
4. شر: كلمة تدل على انتشار، منته بتكرار ذلك. نحو: شر الماء من الإناء.
5. بذر: كلمة تدل على جمع ودفع خفيف ملتصق، منته بتكرار. نحو: بذر الفلاح أرضه.
6. كر: كلمة تدل على ضغط خفيف، منته بتكرار. نحو: كرَّ الجُنُودُ على الأعداء في المعركة.
7. در: كلمة تدل على دفع شديد، منته بتكرار. نحو: در الحليب.
8. فر: كلمة تدل على فتح منضم، منته بتكرار. نحو: فر الأعداء من المعركة.
9. مر: كلمة تدل على جمع متصل، منته بتكرار. نحو: مرَّ القوم من أمامنا.
10. بتر: كلمة تدل على تجمُّع مندفع بخفة، متوقف منته بتكرار نحو: بتر الفارس يد عدوه.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع:

رف، رج، رض، رص، رق، رع، رن، راح، روح، ريح... إلخ.

10 - (ز) صوت يدل على بروز متصل.

انظر إلى مآلات هذه الكلمات في الواقع:

1. برز: كلمة تدل على تجمُّع مكرر، منته ببروز متصل. نحو: برز علي في ساحة المعركة.
2. كز: كلمة تدل على ضغط خفيف، منته ببروز متصلاً. نحو: كز زيد على أسنانه.
3. لز: كلمة تدل على حركة بطيئة، متصلة لازمة، منتهية ببروز متصل. نحو: لز زيد على عمرو.
4. هز: كلمة تدل على تأرجح خفيف، منته ببروز متصل. نحو: هزت الأم سرير ابنها.
5. حجز: كلمة تدل على تأرجح شديد بجهد، منته ببروز متصل. نحو: حجز الشّرطي اللّص.
6. ضز: كلمة تدل على دفع شديد جدّاً، منته ببروز متصل. نحو: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: 22]، بمعنى أنها قسمة بعيدة جدّاً عن الحق، إلى درجة البطلان، وبارزة منه غير قابلة لعملية الإصلاح، وهي دلالة زائدة على القسمة الجائرة أو الظالمة.
7. ركز: كلمة تدل على تكرار منضغط، منته ببروز متصل. نحو: ركز الجندي العلم فوق التّل.
8. عجز: كلمة تدل على عمق بجهد بارز متصل. نحو: عجز اليهود عن إسكات أطفال الحجارة.
9. درز: كلمة تدل على دفع شديد مكرر، منته ببروز متصل. نحو: درز الخياط القماش.
10. حز: كلمة تدل على تأرجح منضبط، منته ببروز متصل. نحو: حز اللحام رقبة الشاة.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: زيز، زر، زبد، زبر، زبق، زجر، زجل، زبن، زنى، زبل، زوج، زاغ، زيت، زاح... إلخ.

11 - (س) صوت يدل على حركة متصلة حرة.

انظر لمآلات هذه الكلمات في الواقع:

1. فعس: كلمة تدل عل فتح منضم بعمق، منته بحركة حرة متصلة. نحو: فعس الفلاح المشمش.
2. دعس: كلمة تدل على دفع شديد بعمق، منته بحركة حرة متصلة. نحو: دعس زيد على رأس الأفعى.
3. دهس: كلمة تدل على دفع شديد مؤرجح بخفة، منته بحركة حرة متصلة. نحو: دهست السّيارة الطّفل. إذا صدمته أكثر من مرة ودفعته بعيداً بشكل عشوائي، وفي حال مرت فوقه بدواليبها تحول الفعل إلى دعست، وإذا خرج من جسمه أحد أعضائه أو أجزائه بسبب الدعس تحول الفعل إلى فعست.
4. حس: كلمة تدل على تأرجح شديد، منتهية بحركة حرة متصلة. نحو: حسَّت المرأة البلاط بالفرشاة.
5. حرس: كلمة تدل على تأرجح شديد مكرر، منته بحركة حرة متصلة. نحو: حرس الجندي قائده.
6. دس: كلمة تدل على دفع شديد، منته بحركة حرة متصلة. نحو: دس القائد عيناً في صفوف الأعداء.
7. خمس: كلمة تدل على رخاوة مجتمعة باتصال، منتهية بحركة حرة متصلة.
8. جس: كلمة تدل على جهد، منته بحركة حرة متصلة. نحو: جس الرّجل أخبار العدو.
9. خس: كلمة تدل على رخاوة، منتهية بحركة حرة متصلة. ومنه النّبات المعروف باسم الخس، سُمِّي كذلك لتحقق دلالة كلمة (خس) به.
10. جنس: كلمة تدل على جهد مستور، منته بحركة حرة متصلة. نحو: العملية الجنسية. وتطلق على الكائنات الحية دون الجماد.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: سبح، سبق، سجن، سار، سمر، سقر، سفر، سعر، سفح، سطر، سفن... إلخ.

12 - (ش) صوت يدل على انتشار، وتفشٍّ.

انظر إلى مآلات دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. برش: كلمة تدل على جمع مكرر، منته بانتشار. نحو: برش العامل الصّابون.

2. كبش: كلمة تدل على ضغط متجمِّع، منته بانتشار، وسُمِّي الكبش كبشاً؛ لأنه يقوم بضغط في حركته على القطيع كله لقاحاً أو هيمنة.

3. حبش: كلمة تدل على تأرجح شديد متجمِّع، منته بانتشار. نحو: حَبَشَ زيد الحلوى، إذا قام بوضع المكسرات عليها بشكل عشوائي.

4. نش: كلمة تدل على ستر، منته بانتشار وتفشٍّ. نحو: نش الماء من السَّقف.

5. فش: كلمة تدل على فتح منضم، منته بانتشار. نحو: فشَّ الرَّجل خلقه.

6. نعش: كلمة تدل على ستر بعمق، منته بانتشار. نحو: أنعش الطّبيب المريض.

7. نكش: كلمة تدل على ستر بضغط، منته بانتشار. نحو: نكش الفلاح أرضه.

8. وحش: كلمة تدل على ضم ممتد مؤرجح، منته بانتشار. نحو: استوحش الإنسان، إذا أصابه حالة عدم التّوازن والاستقرار وبدأ يتحرك بصُورة عشوائية منفرة.

9. كرش: كلمة تدل عل ضغط خفيف مكرر، منته بانتشار. نحو: كرشَ الرّجلُ الأولادَ عن باب بيته، وذلك إذا قام بعملية زجرهم لتفريقهم. ويقال: كرش الرّجل، لبطنه، إذا تدلى.

10. جحش: كلمة تدل على جهد وشدة مؤرجحة، منتهية بانتشار، ولذلك سُمِّي وَلد الحمار جحشاً، لتحقق صفة الجهد والتّأرجح المنتهي بانتشار به، أي: دون فائدة من جهده المؤرجح والمنتشر أخيراً.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: شرب، شرق، شعر، شقر، شحذ، شحط، شحب، شج، شق، شبر، شر، شك... إلخ.

13 - (ص) صوت يدل على حركة متصلة محددة.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. قص: كلمة تدل على قطع شديد، منته بحركة متصلة محددة. نحو: قص الخياط القماش.
2. بص: كلمة تدل على تجمُّع مستقر، منته بحركة متصلة محددة. نحو: بصَّ الرّجل إلى الماء.
3. خص: كلمة تدل على رخاوة، منتهية بحركة متصلة محددة. نحو: خصَّ الملك العالِمَ بهدية.
4. لص: كلمة تدل على حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بحركة متصلة محددة. وسُمِّي اللّص لصَاً، لتحقق هذه الدّلالة به في حركته.
5. غص: كلمة تدل على غياب، منته بحركة متصلة محددة. نحو: غص الرّجل باللّقمة.
6. حص: كلمة تدل على تأرجح شديد، منته بحركة متصلة محددة. نحو: حصحص الحق، إذا ظهر بعد تأرجح شديد في حركته.
7. دص: كلمة تدل على دفع شديد، منته بحركة متصلة محددة. نحو: دَصَّت الدّجاجة بيضها، إذا خرج منها بقوة وبصُورة متصلة.
8. مص: كلمة تدل على تجمُّع متصل، منته بحركة متصلة محددة. نحو: مصَّ الولد ثدي أمه.
9. نص: كلمة تدل على ستر، منته بحركة محددة متصلة. نحو: نصَّ الرّجل على كلامه، إذا قام بتحديده.
10. فص: كلمة تدل على فتح منضم، منته بحركة متصلة محددة. نحو: فص الخاتم، وفصَّ الرّجل المحارة.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: صقر، صبر، صام، صمد، صعد، صفن، صخر، صحر، صدق، صدم... إلخ.

14 - (ض) صوت يدل على دفع شديد جدّاً، جداً.

انظر إلى مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. دحض: كلمة تدل على دفع شديد مؤرجح، منته بدفع أشد منه.

   نحو: دحض العالم شبهات الملحد.

2. رفض: كلمة تدل على تكرار منفتح بضم، منته بدفع شديد جدّاً. نحو: رفض المفكر أن يخضع للظّلم.

3. قبض: كلمة تدل على قطع شديد متجمِّع، منته بدفع شديد جدّاً نحو: قبض العمال أجورهم، وقبض الشّرطي على اللّص.

4. خفض: كلمة تدل على رخاوة منفتحة بضم، منتهية بدفع شديد جدّاً. نحو: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ وَقُل رّبّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: 24].

5. بغض: كلمة تدل على تجمُّع مُغيب، منته بدفع شديد جدّاً. نحو: أبغضَ الشّعبُ الاستبداد والاستعباد.

6. حض: كلمة تدل على تأرجح شديد، منته بدفع شديد جدّاً. نحو: حضَّ النبي على الجهاد.

7. ركض: كلمة تدل على تكرار بضغط خفيف، منته بدفع شديد جدّاً. نحو: ركض الحصان في الحقل.

8. ربض: كلمة تدل على تكرار متجمِّع، منته بدفع شديد جدّاً. نحو: ربض الثّور في الحلبة.

9. رمض: كلمة تدل على تكرار متجمِّع متواصل، منته بدفع شديد جدّاً. نحو: رمض الجو، إذا اشتد حره.

10. عض: كلمة تدل على عمق، منته بدفع شديد جدّاً. نحو: عض السّبع الغزال. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُواْ القرءان عِضِينَ﴾ [الحجر: 91]، أي: تعاملوا مع القرءان بصُورة عَضْوَضَة، بمعنى تقسيمه وتجزئته واقتطاع النّص من سياقه، وفهمه دون منظومته التي ينتمي إليها. نحو عض جملة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: 4].

أو: ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النساء﴾ [النساء 3]، من سياقهما.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: ضمر، ضد، ضاف، ضاق، ضاع، ضل، ضع، ضرع، ضاء، ضمد، ضرب، ضيزى.... إلخ.

15 - (ط) صوت يدل على دفع وسط.

انظر إلى مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. حبط: كلمة تدل على تأرجح شديد متجمِّع بتوقف، منته بدفع وسط. نحو: حبط عمل الرّجل المرائي.
2. خلط: كلمة تدل على رخاوة متحركة بصُورة بطيئة لازمة، منتهية بدفع وسط. نحو: خلط العامل مواد البناء.
3. ربط: كلمة تدل على تكرار متجمِّع بتوقف، منته بدفع وسط. نحو: رابط المجاهد في ثغور الأعداء.
4. بلط: كلمة تدل على تجمُّع مستقر بحركة بطيئة لازمة، منتهية بدفع وسط. نحو: بلَّط العامل أرض المدرسة.
5. جلط: كلمة تدل على جهد بحركة بطيئة لازمة، منتهية بدفع وسط. نحو: أصابت المريض جلطة في قلبه.
6. بسط: كلمة تدل على تجمُّع متحرك بتواصل غير محدد منته بدفع وسط. نحو: ﴿اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾ [العنكبوت: 62].
7. بصط: كلمة تدل على تجمُّع مستقر بحركة متصلة محددة، منتهية بدفع وسط. نحو: بصط زيد رداءه على الأرض، ومنه قولنا: البصاط.
8. قط: كلمة تدل على قطع أو وقف شديد منته بدفع وسط. نحو قولنا: لم يدخل أحد إلى المنزل قط.
9. بهط: كلمة تدل على تجمُّع مستقر مؤرجح بخفة، منته بدفع وسط. نحو: هذا اللّباس بهط عليك.
10. قرط: كلمة تدل على قطع شديد مكرر، منته بدفع وسط. نحو: قرط الولد أظافره.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: طلع، طلس، طلخ، طلح، طفى، طفح، طخ، طاح، طم، طب... إلخ.

16 - (ظ) صوت يدل على دفع شديد ملتصق.

انظر إلى مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. جحظ: كلمة تدل على جهد وشدة مؤرجحة، منتهية بدفع ملتصق. نحو: جحظت عيناه.
2. لفظ: كلمة تدل على حركة متصلة بطيئة لازمة، منفتحة بضم، منتهية بدفع ملتصق. نحو: لفظ المريض الطّعام.
3. قرظ: كلمة تدل على قطع شديد، مكرر بدفع ملتصق. نحو: قرظ الشّاعر العالم ابن سينا، وذلك إذا قام بذكر محاسنه وأظهر مناقبه.
4. حفظ: كلمة تدل على تأرجح شديد منفتح بضم، منته بدفع ملتصق نحو: حفظ التّلميذ الدّرس.
5. عكظ: كلمة تدل على عمق وقطع بضغط خفيف، منتهية بدفع ملتصق. ولذلك سُمِّي سوق عكاظ، لمجيء النّاس إليه من أعمق البلدان، ليشكلوا ضغطاً من التجمُّع، منته بدفع ملتصق للناس.
6. شظ: كلمة تدل على انتشار، منته بدفع ملتصق. نحو: أصابت الجندي شظيَّة في صدره.
7. عظ: كلمة تدل على عمق، منته بدفع ملتصق. نحو: القرءان عِظة للعقلاء.
8. لحظ: كلمة تدل على حركة بطيئة متصلة لازمة، مؤرجحة، منتهية بدفع ملتصق نحو: لاحظ الطّبيب علامات المرض، ونقول للبُرهة من الزّمن لحظةً.
9. يقظ: كلمة تدل على جهد خفيف ممتد زمانياً وقطع ووقف شديد، منته بدفع ملتصق. نحو: زيد يقظ في حركته.
10. غلظ: كلمة تدل على غياب بحركة متصلة بطيئة لازمة، منتهية بدفع ملتصق. نحو: غلظ الرّجل في أخلاقه. وغَلُظ القماش، إذا فقد ليونته.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: ظل، ظن، ظب، ظفر، ظر، ظعن، ظلف، ظلع، ظلم، ظمأ، ظهر... إلخ.

17 - (ع) صوت يدل على عمق أو بُعد في الشيء.

انظر إلى دلالة مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. قلع: كلمة تدل على قطع أو توقيف شديد بحركة متصلة بطيئة لازمة، منتهية بعمق. نحو: قلع النجار المسمار من الخشب. وهي غير خلع، أو شلع، أو قبع.
2. بلع: كلمة تدل على تجمُّع مستقر بحركة متصلة بطيئة لازمة، منتهية بعمق، نحو: بلع الولد حب الدّواء.
3. نبع: كلمة تدل على ستر متجمِّع بتوقف، منته بعمق. نحو: نبع الماء من الأرض.
4. قبع: كلمة تدل على قطع شديد بتجمُّع مستقر، منته بعمق. نحو: قبع العامل لوح الخشب. والفرق بينها وبين قلع هو طريقة حصولهما في الواقع من حيث وجود الزمن والحركة اللازمة المتصلة لفعل قلع، بينما يكون القبع بحركة واحدة سريعة.
5. خلع: كلمة تدل على رخاوة بحركة متصلة بطيئة لازمة، منتهية بعمق. نحو: خلع الجندي لباسه. أو خلع الطبيب ضرس المريض، وذلك إذا حركه مرات، ثم أزاله.
6. دمع: كلمة تدل على دفع شديد بتجمُّع متصل، منته بعمق. نحو: نزل دمع الوالد حزناً على ولده.
7. قمع: كلمة تدل على قطع شديد متجمِّع بتواصل، منته بعمق. نحو: قمع المستبد شعبه. وسميت الأداة التي تستخدم في كت السوائل في إناء صغير، قُمعاً، لأنها توقف حركة السائل وتجمُّعه متصلاً وتحركه في بُعد واحد في اتجاه الإناء الآخر.
8. نقع: كلمة تدل على ستر منقطع بشدة، منته بعمق. نحو: نقع البائع القماش في الماء.
9. سمع: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، مجتمعة بتواصل، منتهية بعمق. نحو: سمع الرّجل صوت الرّعد.
10. شلع: كلمة تدل على انتشار بحركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بعمق. نحو: شلع الفلاح النبات.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: عمق، عين، عصف، عرف، عقر، عذر، عرق، عقد، عقب، عكب، عكن، عكر، علو... إلخ.

18 - (غ) صوت يدل على غياب.

انظر إلى دلالة مآل هذه الكلمات في الواقع:

وقبل أن نعرض هذه الكلمات، انظر إلى مجموعة الكلمات التّالية التي تبدأ بحرف (غ) كيف تأتي بداية بعملية الغياب، وتأتي الأحرف التي بعدها لتحدد صُورة الغياب كيف تمت في الواقع: **غاص**، **غاب**، **غرق**، **غطس**، **غمض**، **غيم**، **غرب**، **غفل**، **غط**، **غبي**... إلخ.

1. دمغ: كلمة تدل على دفع شديد بتجمُّع مستقر، منته بغياب. نحو: دمغ الموظف الأوراق.

2. دبغ: كلمة تدل على دفع شديد بتجمُّع مستقر، منته بغياب. نحو: دبغ العامل جلد الشّاة.

3. صبغ: كلمة تدل على حركة محددة متصلة، منتهية بغياب. نحو: صبغ العامل القماش بلون أسود.

4. صمغ: كلمة تدل على حركة محددة متصلة مجتمعة بتواصل، منتهية بغياب. نحو: مادَّة الصّمغ اللّزجة التي نستخدمها في لصق الأشياء.

5. مضغ: كلمة تدل على تجمُّع متصل بدفع شديد جدّاً، منته بغياب. نحو: مضغ الطّعام.

6. راغ: كلمة تدل على تكرار ممتد باستقامة، منته بغياب. نحو: راغ الرّجل عن الحق، إذا حاد ودار عن الحق.

7. زاغ: كلمة تدل على بروز متصل ممتد باستقامة، منته بغياب. نحو: زاغ زيد عن الحق، إذا ابتعد عنه.

8. بزغ: كلمة تدل على تجمُّع مستقر بارز بتواصل، منته بغياب. نحو: بزغت الشّمس، إذا ظهرت كلها في طريقها إلى الغياب، فلا تستخدم كلمة (بزغ) للشّيء الذي يظهر فقط، وإنَّما للشّيء الذي يظهر ويغيب.

9. نبغ: كلمة تدل على ستر وتجمُّع مستقر بغياب. نحو: نبغ الرّجل في علمه، إذا قام بتحصيل العلم في نفسه وجمعه بتوقف، ومآل ذلك إلى الغياب، وترتب على هذه العملية في الواقع ظهور يتجاوزه ويُغَيّبُه، ليفسح مجالاً لغيره من النّبوغ، وهكذا تستمر عملية النّبوغ في الواقع.

10. مرغ: كلمة تدل على تجمُّع متصل مكرر، منته بغياب. نحو: مرَّغت الدّابة جسمها في التّراب.

19 - (ف) صوت يدل على فتح منضم خفيف.

انظر إلى دلالة مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. قطف: كلمة تدل على قطع شديد بدفع وسط، منته بفتح منضم خفيف. نحو: قطف الفلاح ثمار التّفاح.
2. جرف: كلمة تدل على جهد مكرر منته بفتح منضم خفيف. نحو: جرف النّهر التّربة.
3. جدف: كلمة تدل على جهد بدفع شديد، منته بفتح منضم خفيف. نحو: جدف الصّياد نحو الشّاطئ.
4. جنف: كلمة تدل على جهد مستور، منته بفتح منضم خفيف. نحو: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 182] أي: قيامه بعمل في السّتر ينتهي به إلى الابتعاد عن الأمر الصّائب، أو الحق.
5. حنف: كلمة تدل على تأرجح شديد بستر، منته بفتح منضم خفيف نحو: حنف الرّجل في مشيته. إذا صار يميل يمنة ويسرة ويتابع السّير على هذه الصّفة.
6. جحف: كلمة تدل على جهد مؤرجح منته بفتح منضم خفيف. نحو: جحف السّيل القرية، إذا ذهب بها، ونقول: أجحف الرّجل بحق أخيه.
7. جوف: كلمة تدل على جهد منضم بامتداد مكاني، منته بفتح منضم خفيف. نحو: جوف الأرض، وجوف الإنسان.
8. جلف: كلمة تدل على جهد وشدة بحركة متصلة بطيئة لازمة، منتهية بفتح خفيف. نحو: الأعرابي جلف في طباعه، بمعنى ذهاب العقل والوعي عنه والأخلاق.
9. ثقف: كلمة تدل على دفع وسط ملتصق، مقطوع بشدة، منته بفتح خفيف منضم نحو:﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوَاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾ [النساء:91] بمعنى

اقتلوا هؤلاء الأعداء المتغلغلين في داخل المجتمع الآمن مثل الجواسيس وغيرهم، فقوموا بتثقيف المجتمع منهم في المكان الذي وجدوا فيه.

ونقول: ثقفت النّبات، إذا قمت بتهذيب وقطع ما يظهر منه بصُورة عشوائية، ومن ذلك الثّقافة: وهي الأفكار والمفاهيم التي تُقَوِّم سُلُوك الإنسان وتهذبه.

10. قحف: كلمة تدل على قطع شديد مؤرجح، منته بفتح منضم خفيف. نحو: قحف الرّأس، وهي العظم السفلي للجمجمة.

انظر لدلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: فتح، فتر، فرع، فكر، فسر، فخت، فرك، فقر... إلخ.

20 - (ق) صوت يدل على وقف أو قطع شديد.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. سبق: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، مجتمعة، منتهية بوقف شديد. نحو: سبق زيد عمراً، ومنه السّباق.

2. طرق: كلمة تدل على دفع وسط مكرر، منته بوقف شديد. نحو: طرق حامد باب الرّزق.

3. دق: كلمة تدل على دفع شديد، منته بوقف شديد. نحو: دق زيد المسمار في الجدار.

4. صق: كلمة تدل على حركة متصلة محددة منتهية بقطع شديد. نحو: صق المعلم التّلاميذ. إذا أسكتهم بشدة.

5. أبق: كلمة تدل على ظهور منقطع خفيف بتجمُّع مستقر، منته بقطع شديد. نحو: أبق العبد من سيده، إذا هرب وقطع علاقته بشدة مع سيده.

6. ذق: كلمة تدل على دفع وسط ملتصق، منته بوقف شديد. نحو: ذق الطّعام.

7. حق: كلمة تدل على تأرجح شديد، منضبط، منته بقطع شديد. نحو: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: 13]، إذا استقر على أمر واحد دون غيره بشدة وقوة. ومن ذلك سميت الحُقُوق.

8. شق: كلمة تدل على انتشار، منته بقطع شديد. نحو: شق في الجدار، شق القماش.

9. بصق: كلمة تدل على تجمُّع مستقر بحركة متصلة محددة، منتهية بقطع شديد. نحو: بصق المريض الدّم.

10. عبق: كلمة تدل على عمق وتجمُّع، منته بوقف شديد. نحو: عبق الجو بالدّخان.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: قطع، قطم، قطف، قطر، قطن، قرط... إلخ.

21 - (ك) صوت يدل على قطع، أو ضغط خفيف.

انظر إلى دلالة مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. زك: كلمة تدل على بروز متصل، منته بضغط أو وقف خفيف. نحو: زكى المال، إذا نما وزاد على أثر فعل الخير والصّدقات.
2. رك: كلمة تدل على تكرار، منته بضغط خفيف. نحو: رك زيد في أمره، إذا ألح في طلب الأمر بضغط خفيف.
3. حرك: كلمة تدل على تأرجح شديد مكرر، منته بقطع خفيف. نحو: حرك الرّجل الصّخرة.
4. فك: كلمة تدل على فتح منضم، منته بقطع أو ضغط خفيف. نحو: فك خالد الآلة، فك رقبة.
5. دك: كلمة تدل على دفع شديد، منته بقطع أو ضغط خفيف. نحو دك الرّجل أمتعته في السّيارة.
6. ضحك: كلمة تدل على دفع شديد جدّاً مؤرجح، منته بقطع خفيف. نحو: الضّحك.
7. دعك: كلمة تدل على دفع شديد بعمق، منته بضغط خفيف. نحو: دعك العامل العجين.
8. دبك: كلمة تدل على دفع شديد بتجمُّع مستقر، منته بضغط خفيف. نحو: دبك أهل القرية في حفلة المختار.
9. ديك: كلمة تدل على دفع شديد بجهد ممتد، منته بقطع خفيف. وسُمِّي الدّيك ديكاً لتحقق دلالة كلمة (ديك) فيه من خلال العملية الفيزيائية لتصويته.
10. سمك: كلمة تدل على حركة حرة متصلة مجتمعة متصلة، منتهية بضغط أو وقف خفيف. وسُمِّي السَّمك سمكاً، لتحقق دلالة كلمة (سمك) فيزيائياً به، وظهر ذلك بحركته في الماء.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: كر، كح، كف، كع، كت، كثف، كبت، كبح، كبد، كبر، كيد، كون... إلخ.

22 - (ل) صوت يدل على حركة بطيئة متصلة لازمة.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. دحل: كلمة تدل على دفع شديد مؤرجح، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة. نحو: دحل الرّجل الشّارع.

2. حبل: كلمة تدل على تأرجح شديد متجمِّع بتوقف، منته بحركة متصلة بطيئة لازمة. نحو: حبلت المرأة، وسُمِّي الحبل حبلاً، لتحقق دلالة كلمة (حبل) به.

3. دجل: كلمة تدل على دفع شديد بجهد، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة. نحو: الأعور الدّجال، وذلك لأنه يقوم بجهد وشدة لتغطية الحق.

   وسُمِّي نهر دجلة بذلك، لتحقق المعنى به.

4. جدل: كلمة تدل على جهد مندفع بشدة، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة. نحو: الجدال. وسُمِّي النّهر الصّغير جدولاً، لتحقق المعنى به.

5. تفل: كلمة تدل على دفع خفيف منفتح بضم، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة. نحو: عملية التّفل المعروفة، وهي قيام الإنسان بالنّفخ الخفيف مع إخراج رذاذ من اللّعاب، بصُورة خفيفة وبحركة لازمة متصلة، ومنه أيضاً تفل الأشياء، نحو بقايا الشّاي بعد استخدامه وما شابه ذلك.

6. بخل: كلمة تدل على تجمُّع ورخاوة، منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة. نحو: البخل، وهو إمساك اليد عن الإنفاق حتى في الأشياء الضّرورية.

7. جمل: كلمة تدل على جهد متجمِّع بتواصل، منته بحركة متصلة بطيئة لازمة. نحو: حركة الجمل، الحيوان المعروف.

8. بصل: كلمة تدل على تجمُّع بحركة متصلة محددة، منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة. نحو: نشأة البصل وصفة بنيته، النّبات المعروف.

9. أفل: كلمة تدل على ظهور منقطع خفيف، منفتح بضم، منته بحركة متصلة بطيئة

لازمة. نحو: أفول الشّمس، وكلمة (أفل) لا تُستخدم إلا على الشّيء المتحرك الذي يسير في طريقه إلى الغياب، ومن هذا الوجه فسرت دلالة كلمة (أفل) بغاب، وذلك من باب تفسير الشّيء بمآله.

10. نمل: كلمة تدل على ستر متجمِّع بتواصل، منته بحركة متصلة بطيئة لازمة. نحو: حركة النّمل وحاله، الحشرات المعروفة.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: لمز، لمع، لمح، لهب، لهج، لهف، لهث، لهع، لوث، لوط، لوذ، لوح... إلخ.

23 - (م) صوت يدل على جمع متصل.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. أم: كلمة تدل على ظهور منقطع خفيف، منته بجمع متصل. نحو: الأم، والإمام، والأمة. والأميّ.

2. دم: كلمة تدل على دفع شديد، منته بجمع متصل. نحو: الدّم.
﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: 14].

3. ضم: كلمة تدل على دفع شديد جدّاً، منته بجمع متصل. نحو: ضم القاضي الولد إلى أمه.

4. زم: كلمة تدل على بروز متصل، منته بجمع متصل. نحو: زم الخياط القماش. ومنه بئر زمزم.

5. جم: كلمة تدل على جهد، منته بجمع متصل. نحو: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ [الفجر: 20].

6. صم: كلمة تدل على حركة متصلة محددة، منتهية بجمع متصل. نحو: حجرٌ صمٌّ، إذا كان متصلاً ببعضه دون وُجُود شقوق أو تصدُّع فيه. ومنه الصوم والصيام إذا قام بنفسه وامتنع عن ممارسة شيء ما.

7. تم: كلمة تدل على دفع خفيف متوقف، منته بجمع متصل. نحو: تم الأمر.

8. غم: كلمة تدل على غياب وتغطية، منته بجمع متصل. نحو: غم الجو على المسافرين.

9. رم: كلمة تدل على تكرار، منته بجمع متصل. نحو: رمت الشّيء، إذا قمت بجمعه وإصلاحه. ومنه التّرميم.

10. حرم: كلمة تدل على تأرجح شديد مكرر، منته بجمع متصل. نحو: حرم بيت الله.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: مع، مج، مص، مت، مد، مطر، مضغ، مطل، مض، مصر، مصد، مصل، مشر، ملح... إلخ.

24 - (ن) صوت يدل على ستر أو اختباء.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. حصن: كلمة تدل على تأرجح شديد منضبط بحركة متصلة محددة، منته بستر واختباء. نحو: الحصن، المكان الذي يستخدمه الجيش لحماية أنفسهم وحماية البلد، وسُمِّي الحصان حصاناً لتحقق الحماية والمنعة لراكبه به.

2. خن: تدل على رخاوة، منتهية بستر. نحو: خن الصّوت، إذا اتَّجه إلى السّتر والاختباء أثناء صدوره.

3. شحن: كلمة تدل على انتشار مؤرجح بشدة، منتهٍ بستر. نحو: شحن البضاعة.

4. حزن: كلمة تدل على تأرجح شديد بارز متصل، منته بستر، نحو: الحزن الذي يصيب الإنسان لفقدان شيء عزيز عليه.

5. شطن: كلمة تدل على انتشار ودفع وسط، منته بستر وابتعاد. نحو: شطن الماء في البئر. وكلمة شيطان من شطن لا من شيط التي تدل على انتشار بجهد ممتد زمانياً ودفع وسط، وهي من شاط يشط شوطاً.

6. سجن: كلمة تدل على حركة حرة متصلة بجهد، منتهية بستر. نحو: السّجن المعروف.

7. بطن: كلمة تدل على جمع متوقف مندفع وسطاً، منته بستر. نحو: بطن الإنسان، باطن الأمور.

8. جفن: كلمة تدل على جهد منفتح بضم، منته بستر. نحو: جفن العين، جفن السّيف.

9. دهن: كلمة تدل على دفع شديد مؤرجح بخفة منته بستر. نحو: دهن الجدار بالطّلاء.

10. ظن: كلمة تدل على دفع ملتصق، منته بستر. نحو: ظن الرّجل بأخيه خيراً، والظن هو شعور يحصل في نفس الإنسان بدرجات يبدأ من الشك إلى التغليب حتى اليقين، وسياق الكلام يحدد نوعية درجة الظن في الإنسان.

انظر إلى باقي الأمثلة، فجميعها تنتهي بستر واختباء، في الواقع: دفن، حن، دكن، لعن، كن، قن، زن، أمن، جحن، جبن، جرن، سفن، سكن، سخن،... إلخ.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: نمس، نج، نق، نهد، نض، نعل، نز، ند، نب، ندم، نقع، نفخ، نام، نبع، نهل.... إلخ.

انظر إلى دلالة وسط هذه الكلمات في الواقع: قنط، ضنك، جنح، سند، بند، حنث، حنك، صنم، جنب، جنى، جنث، جنف... إلخ.

25 - (هـ) صوت يدل على تأرجح خفيف، منضبط.

انظر إلى دلالة مآل هذه الكلمات في الواقع:

1. سفه: كلمة تدل على حركة حرة متصلة منفتحة بضم، منتهية بأرجحة خفيفة. نحو: الإنسان السّفيه.

2. فقه: كلمة تدل على فتح منضم منقطع بشدة، منته بتأرجح خفيف. نحو: فقه التّلميذ الدّرس، إذا فهمه بسهولة ويسر.

3. عته: كلمة تدل على عمق مندفع بخفة، منته بتأرجح خفيف. نحو: العته الذي يُصاب الإنسان به، وهو ضعف القدرة على الإدراك والفهم.

4. شَدَهَ: كلمة تدل على انتشار ودفع شديد، منته بتأرجح خفيف. نحو: شُدِهَ زيد عندما سمع خبر نجاحه.

5. شبه: كلمة تدل على انتشار متجمِّع مستقر، منته بتأرجح خفيف، نحو: الولد شبه أبيه.

6. صه: كلمة تدل على حركة متصلة محددة، منتهية بتأرجح خفيف. نحو: قولنا: صه، لجعل النّاس يقلصون حركتهم وأصواتهم إلى الحد الأدنى.

7. نبه: كلمة تدل على ستر متجمِّع بتوقف، منته بتأرجح خفيف. نحو: النّباهة والانتباه.

8. فره: كلمة تدل فتح منضم مكرر، منته بتأرجح خفيف. نحو: زيد يعيش حياة فرهة.

9. نزه: كلمة تدل على ستر بارز متصل، منته بتأرجح خفيف. نحو: الإمام الحسين إنسان نزيه.

10. كنه: كلمة تدل على قطع خفيف بستر، منته بتأرجح، نحو: كنه الأمر، أي: ذاته.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: هب، هز، هم، هس، هش، هطل، هلع، هرع، هوى، هج، هد، هر... إلخ.

26 - (آ - ى) صوت يدل على إثارة وامتداد زمكاني.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. سقى: كلمة تدل على حركة حرة متصلة منقطعة بشدة، منتهية بإثارة وامتداد. نحو: سقى زيد الماشية.
2. برى: كلمة تدل على تجمُّع متكرر، منته بإثارة وامتداد. نحو: برى التّلميذ القلم.
3. سما: كلمة تدل على حركة متصلة حرة، مجتمعة بتواصل، منتهية بإثارة وامتداد، نحو: سما الإنسان بأخلاقه، وهي لا علاقة لها بدلالة العلو والارتفاع، وسمِّيت السماءُ سماءً، لتحقق دلالة الحركة الحرة المجتمعة مع بعضها بصورة متصلة منتهية بإثارة وامتدادٍ بها.
4. مدى: كلمة تدل على جمع متصل، مندفع بشدة، منته بإثارة وامتداد، نحو قولنا: مدى النّظر.
5. رأى: كلمة تدل على تكرار، وظهور منقطع بخفة، منته بإثارة وامتداد. نحو: رأى عمرو زيداً.
6. دعا: كلمة تدل على دفع شديد بعمق، منته بإثارة وامتداد. نحو: الدّعوة إلى الله.
7. جرى: كلمة تدل على جهد مكرر، منته بإثارة وامتداد، نحو: جرى الولد في الملعب.
8. سها: كلمة تدل على حركة حرة متصلة مؤرجحة، منتهية بإثارة وامتداد نحو: سها القوم عن واجبهم.
9. مها: كلمة تدل على تجمُّع متصل مؤرجح بخفة، منته بإثارة وامتداد، وسُمِّي الغزال مها، لتحقق دلالة الكلمة به.
10. نما: كلمة تدل على ستر متجمِّع بتواصل، منته بإثارة وامتداد. نحو: نما الزّرع.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: آب، آدم، آه، آص، آش، آع.... إلخ.

27 - (و) صوت يدل على ضم ممتد مكانياً.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. بهو: كلمة تدل على جمع مؤرجح بخفة، منته بضم ممتد، وهو المكان أمام البيت.
2. رخو: كلمة تدل على تكرار ورخاوة، منتهية بضم ممتد، وذلك إذا ارتخى الشّيء على نفسه.
3. جرو: كلمة تدل على جهد مكرر، منته بضم ممتد، وتطلق على صغار الكلاب وغيرها من الحيوانات.
4. حشو: كلمة تدل على تأرجح شديد منتشر، منته بضم ممتد، ومنه حشو الأشياء المجوفة، والحشو من الكلام، هو الزّائد الذي لا يضيف أي دلالة أو معنى في الواقع. نحو قولنا: الثّلج أبيض، فكلمة أبيض حشو في الكلام، لأن صفة البياض لازمة للثلج، ويدركها السامع وحده بداهة.
5. حقو: كلمة تدل على تأرجح منضبط ومنقطع بشدة، منته بضم ممتد. والحقو: هو مكان عقد الإزار من الإنسان.
6. دلو: تدل على دفع شديد بحركة متصلة بطيئة لازمة، منتهية بضم ممتد. وسُمِّي الوعاء الذي يتدلَّى في البئر دلواً.
7. لَهو: كلمة تدل على حركة بطيئة متصلة لازمة، مؤرجحة بخفة، منتهية بضم ممتد. نحو: لهو الحديث. وهو الحديث الذي لا قيمة له ولا يغيِّر واقعاً، ولا يتجاوز مكانه.
8. سرو: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، مكررة، منتهية بضم ممتد. ومنه شجر السّرو.
9. رهو: كلمة تدل على تكرار مؤرجح، منته بضم ممتد.
10. فأو: كلمة تدل على فتح خفيف وظهور منقطع بخفة، منته بضم ممتد.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: وقع، وسط، ورع، ورق، وعر، وضع، وكس، وكر، وبر، وتر... إلخ.

28 - (ي) صوت يدل على جهد خفيف ممتد زمانياً.

انظر إلى مآل دلالة هذه الكلمات في الواقع:

1. لوي: كلمة تدل على حركة متصلة لازمة، منضمة بامتداد، منتهية بجهد خفيف ممتد. نحو: لوي الحديد.
2. ثني: كلمة تدل على دفع ملتصق خفيف بستر، منته بجهد ممتد خفيف. نحو: ثني القماش على بعضه.
3. بلي: كلمة تدل على تجمُّع بحركة متصلة لازمة بطيئة، منتهية بجهد ممتد خفيف. نحو: بلي الثّوب.
4. طوي: كلمة تدل على دفع وسط منضم ممتد، منته بجهد خفيف ممتد. ومنه: طوي الملابس.
5. كوي: كلمة تدل على ضغط خفيف منضم بامتداد، منته بجهد ممتد خفيف. ومنه: كوي الثّياب.
6. جني: كلمة تدل على جهد وستر، منته بجهد ممتد بخفة. نحو: جني المحصول
7. ولي: كلمة تدل على ضم ممتد بحركة متصلة لازمة، منتهية بجهد ممتد. نحو: الله ولي الذين آمنوا، ومنه الولاء.
8. وصي: كلمة تدل على ضم ممتد بحركة متصلة محددة، منتهية بجهد ممتد خفيف. نحو: الوصاية على اليتامى.
9. وعي: كلمة تدل على ضم ممتد بعمق منته بجهد خفيف ممتد. نحو: وعي الإنسان، وهو الانتباه واليقظة والمعرفة.
10. ظبي: كلمة تدل على دفع ملتصق متجمِّع باستقرار، منته بجهد ممتد خفيف. وسُمِّي الظّبي كذلك، لتحقق هذه الدّلالة به، وهي الدفع الملتصق للقطيع ببعضه، وتحركه بصُورة جماعية بجهد ممتد خفيف.

انظر إلى دلالة بداية هذه الكلمات في الواقع: يأس، يم، يبس، يزن، يسر، يوم، يهم، يمن، يفن، يتم... إلخ.

مجموعة الأصوات المشتركة بأصل الدلالة

إن الظاهرة الفيزيائية في الواقع تحصل بصورة مختلفة الشدة، من ضعف، أو وسط، أو قوة، وظهر ذلك في اللِّسان العربي بوجود الأصوات المشتركة في الدلالة الأصلية مع اختلاف في صفة حصولها في الواقع، ومعرفة دلالة صوت من المجموعة يضبط الدلالة الأصلية للمجموعة كلها، ويتم البحث عن درجة قوة حصولها في الواقع دون الخروج عن المفهوم الأصلي.

انظر إلى هذه المجموعات:

1. **مفهوم الدفع الحر**: ظهر هذا المفهوم في أصوات الأحرف التالية:
   ت- دفع خفيف، **ط**- دفع وسط، **د**- دفع شديد، **ض**- دفع شديد جداً.
2. **مفهوم الدفع الملتصق**:
   ث- دفع ملتصق خفيف، **ذ**- دفع ملتصق وسط، **ظ**- دفع ملتصق شديد.
3. **مفهوم الحركة بصورة عامة**:
   س- حركة متصلة حرة، **ش**- حركة منتشرة ومتفشية، **ص**- حركة متصلة محددة **ل**- حركة متصلة ثقيلة لازمة.
4. **مفهوم التأرجح**:
   هـ- أرجحة منضبطة خفيفة، **ح**- أرجحة منضبطة شديدة.
5. **مفهوم الامتداد**:
   آ- إثارة وامتداد زمكاني، و- ضم ممتد مكاني، ي- جهد ممتد زماني.
6. **مفهوم الجمع**:
   ب- جمع مستقر، **م**- جمع متصل.
7. **مفهوم وقف أو قطع الحركة**:
   ك- يدل على ضغط أو وقف خفيف، **ق**- يدل على قطع أو وقف شديد.
8. **مفهوم الغياب أو الاختباء والستر**:
   غ- يدل على غياب الشيء، **ن** - يدل على ستر الشيء وخفائه.



نظام الترتيب الأبجدي الفينيقي

كتب هذا المبحث الأستاذ محمد هيثم إسلامبولي

(من صفحة 121 الى صفحة 183)

مدخل إلى فلسفة مفهوم جذر العربيـة الشاميـة

ينطلق الإنسان في الحياة بدافع فطري، لإشباع غرائزه وحاجاته العضوية، من ذلك حاجة الإنسان إلى التواصل فيما بينه وبين جنسه، للتعبير عما في نفسه، من انطباعات ومطالب جسدية ونفسية، هذا السلوك دفعه إلى تنمية قدراته الفطرية، وملكاته المكتسبة، حيث تفاعل مع الواقع، مبتدعاً أسلوب الإشارة والتعبير بالجسد للتفاهم والتخاطب، مستعيناً بالرسم والرمز، فكان ذلك منصّة انطلاق الأبجدية الأولية كظاهرة اجتماعية، إضافة إلى العوامل المساعدة من التطورات البيولوجية والاجتماعية والجغرافية، التي زامنت انتصاب الإنسان ومشيه على القدمين، وهي خطوة مهمة بدأ معها تحرر الأيدي والسواعد للقيام بأعباء جديدة دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [ص: 72]، وهي مرحلة فاصلة، بين جاهلية البشر وعلم الأنسنة، أدّت بعدها إلى إتاحة تطوير التعبير بالإشارة بحرّية، والتخاطب عن بعد، بأسلوب الطرق على الطبول والأشياء، والعمل في الصناعة، والرمي والحمل والقيام بعدة مهارات دقيقة، وذلك من قبل (6000) سنة قبل الميلاد، فالجاهلية الأولى تميزت بالإفساد (البيئي والاجتماعي) وسفك الدماء (بالحروب الأهلية والتصفية الجسدية)؛ لذا نهى الله تعالى عن التشبه بالأخلاق الجاهلية وعدم الظهور بمظاهرها في قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلاَ تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الْجَاهِلِيّةِ الاُولَىَ**﴾ [الأحزاب: 33].

وما النفخ من الروح إلّا طاقة نفسية، متولدة من تفاعل بعض خلايا القلب والدماغ، تبدأ في وقت محدد من حياة الجنين – ولذلك هما أشرف الأعضاء الإنسانية– وما بينها هي علاقة جدلية، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مّوَدّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ**﴾ [الروم: 21].

فالنفس ليس لها جنس، وهي كيان تتألف من أدنى وأعلى، فالأدنى في القلب، والأعلى في الدماغ، لذلك تطرب النفس الأعلى للأشياء الروحية، وتطرب النفس الأدنى للأشياء الغريزية، ومعظم أحلام الناس منها، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِـهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِـهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىَ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىَ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ**﴾ [الزمر: 42].

أما البهائم فهي ذات نفس أدنى (غريزية) فقط. وقد ساهم على النطق الأولي البدائي وجود جهاز النطق الصوتي، هبة الخالق للإنسان، وفيه قدرة إصدار نغمات مختلفة، في محاكاة أصوات حوادث الطبيعة والظواهر الحيوانية، قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتّمْ عَلَيْنَا قَالُوَاْ أَنطَقَنَا اللّهُ الّذِي أَنطَقَ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوّلَ مَرّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [فصلت: 21].

ولا يخرج الإنسان من جلده، فهو ابن بيئته، والجلد في الآية رمز الظواهر المحيطة في الإنسان، أي: أن الأحداث الكونية والظواهر الحيوانية، تنطق بأصوات بائنة يعيها الإنسان، بشفافية كونية، فهو يقلِّدها بوعي، ويوظِّفها في حياته، فيسقطها على واقعه بحسب استشعار معناها الفطري، كونه إنسان الفطرة، فالإنسان يحيا متفاعلاً مع الطبيعة بهيجانه، باعتبار الإنسان كتلة من الأحاسيس العضوية والنفسية، تمّ سجنه مع الزمن، في خمس حواس، بفعل النظرة المادية المهيمنة على العالم، ممَّا أدى إلى تقلُّص قدراته، قال تعالى: ﴿**كَانُوَاْ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَأَثَارُواْ الأرْضَ وَعَمَرُوهَآ**﴾ [الروم: 9]، ويذكر بعض الباحثين، أن حضارة ما قبل الفرعونية، هي لقوم عاد وكانوا عمالقة، وهم بناة الأهرام، والديناصورات حيواناتهم وقد تصاغرت أحجامهم على مدى سبعين ألف عام.

إذاً، الأبجدية البدائية الأولى أساس اللِّسان العربي، وأمّ الأبجديات البشرية جميعاً، وهكذا ولدت الأبجدية البدائية الأولى من رحم الكون، وهذا ما قرّره علم التاريخ والآثار من مكتشفات القرن الخامس عشر والثامن عشر قبل الميلاد، حيث ولدت الأبجدية الهجائية الأولى في أرض آسيا من بلاد اليمن إلى بلاد الشام، وهي منطقة ضمن مناخ متنوع، موسمي حارّ ومعتدل فيه فصول أربعة، في هذه البيئة كانت الولادة والبداية، فلو ظهرت

الأبجدية الأولية في غير هذه البلاد لجاءت قاصرة في تعبيرها، قليلة في مفرداتها، عاجزة عن استيعاب المحدثات، غير قابلة للتطور والتقدم، فكان الاختلاف البيئي، وكثرة التنوع في الأحياء، وتقلُّب المناخ، وتداول الحضارات، ثراءً وغنىً طبيعياً وتاريخياً في الذاكرة الاجتماعية، ما أدى إلى رفع سوية المقدرة الإنسانية على الإبداع والتجديد.

وأكثر ما يكون ذلك واضحاً، لو أن الأبجدية الأولية ظهرت في مناطق صحراوية، أو في أحد القطبين، أو في بلاد ليس فيها تباين مناخي، أو تاريخ حضاري، إذاً لانعكست ملامح البيئة على الذاكرة الاجتماعية، ما يؤثر على نتاج الأبجدية الهجائية بسبب خصائص البيئة، في فقرها وركودها، وصبغتها الواحدة الثلجية، أو الرملية القاحلة، إضافةً إلى انعدام التجربة التاريخية، المتراكمة عبر الزمن.

ولكن شاء الله تعالى أن تكون البيئة الآسيوية، رحم أصول الأبجدية الإنسانية، حيث ولدت عشرات الأبجديات، وكانت أهمها أبجدية السومرية، وأوغاريت، في رأس شمرا والأكادية والكنعانية والبابلية، والآشورية، وأبجدية جبيل، وأبجدية سيناء في صحراء بلاد الشام، والتي ضمها رمسيس الثالث إلى مصر، والأبجدية السريانية والآرامية التي سادت في كل أنحاء الهلال الخصيب، بسبب كثافتهم العددية، واستخدامهم أبجدية سهلة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ففي العهد الساساني الفارسي، اتُّخِذت الآرامية لتكون اللِّسان الرسمي المتداول في جميع المناطق الخاضعة لمملكتهم الواسعة، في بقعة تمتد ما بين الهند والحبشة، من هنا كان يطلق على الآرامية (الإمبراطورية الثقافية) من دون أن تكون لهم سلطة سياسية، وهي حالة فريدة في التاريخ.

وهكذا ظلت الآرامية خمسة عشر قرناً في كل أنحاء الهلال الخصيب إلى القرن السابع الميلادي، أي: إلى وقت انتشار العربية الحديثة، ولم تزل حتى الآن، لساناً وآداباً وطقوساً قديمة في العديد من الكنائس الشامية، ويتكلم بها الناس في سورية، وعلى نطاق ضيق في بلدة صيدنايا ومعلولا، وفي شمال شرق سورية، وقد كانت لسان السيد المسيح (عليه السلام)، إلى أن تولَّت فينيقيا (لبنان) هذه الأبجديات المسمارية الكنعانية، والهيروغليفية المصرية، وعملت على استخلاص أبجدية جامعة شاملة، بعد أن أعادت صياغتها، واستدركت الصور التعبيرية بأسماء، لتوضح وتحدد المعنى أكثر، وبعد ذلك تم طرحها

من جديد، وقد نبغ الفينيقيون بعملية التجديد للأبجدية العربية القديمة، منسجمين مع الفطرة والطبيعة، كما برعوا في صناعة السفن، وعلم الملاحة والفلك والحساب إضافةً إلى التجارة وغير ذلك، حتى أن ملوك القبط كانوا يستعينون بالفينيقيين لتسويق منتجاتهم وصناعة سفنهم، ويستأجرون ملّاحيهم لخبرتهم الواسعة، وقد أسس الفينيقيون عدداً من الموانئ حول شواطئ البحر الأعلى (الأبيض المتوسط) ابتداءً من ميناء صور وصيدا، وجزر كريت وصقلية، وقرطاجة، ومرسيلية، وبرشلونة، وتمّ نقل منتجات وسلع مادية ومعنوية إلى الساكنين حول حوض البحر الأبيض، أو ما كان يسمَّى بـ (البحر الأعلى) ثم إلى الجزر البريطانية، وبحر الظلمات، وحول إفريقيا رأس الرجاء الصالح، عن طريق العقبة، ومضيق باب المندب.

كما اتجه الفينيقيون إلى الخليج العربي حيث أرض المنشأ، قبل استقرارهم في بلاد الشام، وقد قام تعاونٌ وثيقٌ بين مصر القديمة وفينيقيا، فكانت آثار مصر حيث ذهب الفينيقيون، لذا يظل الفضل الأكبر للفينيقيين في تحديد هذه الحروف الهجائية، مراعين في ذلك عناصر البساطة في اللفظ والرسم من أجل التعليم الأمثل، ومن ثم انتشرت هذه الأبجدية من قبل المصريين والسوريين لليونان، وقد أجمع الباحثون على أن الإغريق تلقَّوا هذه الحروف عن الكنعانيين، وقد أطلقوا عليهم لقب (فينكوس) فينيقي وتعني أصحاب التجارة، من خشب الأرز والسنديان، والصبغة الأرجوانية.

وعنهما أخذت بقية شعوب حوض البحر الأبيض، ولا غرابة في ذلك؛ إذ يذكر التاريخ القديم أن طاليس كان على رأس الحكماء السبعة عند الإغريق، وهو من أبوين فينيقيين، وقد تلقى معظم تعاليمه في مصر والشرق الأدنى، وأول من أدخل العلوم الرياضية والفلكية إلى بلاد اليونان، كما علّمها الآراميون لسكّان آسيا الوسطى والشرقية.

وعليه فإنّ الأبجديات الأجنبية والأبجديات الأوروبية في أصلها لهجات عربية محوَّرة، لأن العربية لسان الجماعة الإنسانية الأولى، حينما كانت البشرية أمة واحدة على الأرض، حيث نشأت الحضارة الإنسانية الأولى، في آسيا موطن الإنسان الأول، وامتدت من شرق إفريقيا إلى أواسط آسيا، ومن البحر الأسود إلى اليمن، وذلك منذ حقبة العصر الحجري القديم، طوال فترة تؤلف نوعاً واحداً متميزاً من الكائنات في مواجهة الأنواع الأخرى،

وذلك قبل مجيء البينات والعلم بغياً بينهم، تسلُّطاً واستغلالاً، فانقسم الناس إلى أمم ودول متفرقة ومختلفة تعادي بعضها إلى حدّ إفناء الآخر، وقد أشار القرءان الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ النّاسُ إِلاّ أُمّةً وَاحِدَةً**﴾ [يونس: 19]، هذه الأمة الأولى هي أمّ البشرية جمعاء، وهي منشأ الأمم كافة، لذا كان لسانها منشأ الألسن قاطبة، وكما اختار الله تعالى آدم واصطفاه على البشر، وجعل الأنبياء نجوماً اجتماعية لهداية الناس.

قال تعالى: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل: 16] اختار الأرض المقدسة وما حولها، لتكون مركز الأرض (أم القرى)، ومهد الإنسانية الأولى، لتكون قبلة العالمين، يشع منها نور الحضارة، وجعل الأبجدية العربية الأولى أنموذجاً، لتكون حواء أبجديات العالم، وأصل الأسر الأبجدية العليا للناس جميعاً، وقد تم تصدير الهجائية العربية باختلافها خارج أرضها، ومع الزمن سارت مهاجرة تدريجياً ومتشعبة بأنحاء الأرض، وهناك تمّ تحويرها، بفعل الابتعاد عن المركز متأثرة بأبجديات همجية، فكانت غالباً ما تعود الأبجدية العربية إلى أرض المنشأ، مكتسبةً خصائص أخرى إضافة إلى المخزون الوراثي، ومندمجة من جديد من خلال السيرورة والصيرورة، إلى أن وصل الأمر في النهاية، إلى أن لا يفهم المتكلم بإحداها، الأبجديات الأخريات، لما أصاب الأبجدية من تحوير في اللفظ والمعنى والرسم.

ولكن ما قام به الفينيقيون خاصة من سبر واستخلاص للأبجديات والمصوَّرات التعبيرية من خلال ركام من الموروث العربي القديم، ومن ثم اختيار مسمَّيات وأسماء معبرة وسهلة التعامل لتكون أساس وجذر الأبجديات البشرية جميعاً، آخذين بعين الاعتبار صيغ المراسلات التجارية، وخصوصية النطق عند الشعوب الأخرى، هذا لا يقل أهمية عن أهم نتاج حضاري ظهر في تاريخ البشر ؛ مما أدَّى إلى حفظ الأبجدية الأولية من خلال أسر عليا عبر التاريخ، فالكلدانية والسنسكريتية، كلتاهما من أسر أبجدية عربية أولية وبدائية آرامية، وهي من الأسر العليا للشجرة الأبجدية، التي أمدّت البشرية بالثقافة والتجربة الإنسانية المتراكمة، منذ نشأة الإنسان القديم، والتي انحدرت منها أبجديات الهندوأوروبية واللاتينية، وهي أصول الأبجدية الغربية القديمة المشتركة مع الأبجديات المنطوقة كلها.

لذا، كثيراً ما نرى كلمات عربية ما زالت منطوقة باللفظ العربي القديم، ونجد كثيراً من الكلمات، وقد تم تعديل بعض ألفاظ حروفها لثقلها على لسانهم وصعوبة نطقها عندهم، فقد جرى قلب أواخر الأحرف للّفظ الأجنبي أو عكس اللفظ تماماً إلى غير ذلك من التحوير، بحسب وضعهم للقواعد دون مراعاة المنهجية العلمية إلا التميز عن الآخرين، ابتداء من الإغريق الذين دوّنوا الأبجدية من اليسار إلى اليمين، وأطلقوا أسماء بدل الأسماء الفينيقية [ألفا، بيتا، غاما، ديلتا] كما أفاد ذلك أهل الاختصاص بهذا الفن.

لذا ننبه إلى شيء من طابع الخصائص والمزايا للِّسان العربي، وأولى مزايا اللِّسان العربي الأولي، أن الأبجدية العربية ترجع في جذورها ونشأتها إلى أصوات حوادث طبيعية، وظواهر حيوانية، وإذا ما قورنت الكلمات العربية، مع كلمات أجنبية أخرى يتبين الاختلاف بين أبجديتنا وأبجدية الغير، فالكلمات الأجنبية ليس لها جذور؛ لأنها حصلت من تحوير كلمات أبجدية سابقة، كالأبجدية الفرنسية والإنكليزية والألمانية وغيرها، هي تحوير عن اللاتينية، والتي اعتمدتها الأبجدية الأوروبية عن اليونانية التي أصبحت في وقت لاحق أساس ومصدر للكتابة القديمة.

وهكذا تبقى الأبجديات الحديثة طافية في التاريخ ليس لها جذور في الطبيعة كما هي الأبجدية واللِّسان العربي.

إذاً، العربية القرءانية جاءت مصدقة في الوثيقة التاريخية الإلهية والخالدة، وفيها أصل الأبجديات البشرية جميعاً، في قوله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأمِينُ عَلَىَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مّبِينٍ وَإِنّهُ لَفِي زُبُرِ الأوّلِينَ**﴾ [الشعراء: 193- 196]. لقد نزل القرءان الكريم بلسان عربي مبين، وهذا اللِّسان موجود بكتب من قبلنا من زبر الأولين، وقد طلب تعالى في كتابه العزيز، إعمالَ العقل لإدراك جذر الأبجدية العربية القرءانية، فقال: ﴿**إِنّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لّعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: 2].

وهنا إشارة إلى أن أصل الأبجدية عقليٌّ، وليس اصطلاحياً، أو وحياً توقيفياً، وتدل الآية ضمناً على طلب إعمال العقل؛ لأنه لا يُتوقع الوصول إلى الحقيقة المذكورة إلا به، وفي آية قال تعالى: ﴿**إِنّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لّعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الزخرف: 3].

ويجب أن نعي التفريق بين لفظ (**أَنْزَلْنَاهُ**)، ولفظ (**جَعَلْنَاهُ**) في الآيتين السابقتين؛ لأن القرءان الكريم له وجود مسبق قبل أن يكون عربياً، وذلك في كتاب مكنون، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الواقعة: 77- 80]، ومن ثم أنزله الله تعالى وجعله عربياً، فالجعل تغيُّر في الصيرورة، أي: انتقل الكتاب الكريم من شكل غير مدرك، إلى صورة قابلة للإدراك، فالصورة الأولى لا يمسها إلا المطهرون، ثم جاءت إلينا الصورة عن طريق الوحي، على قلب سيدنا محمد ﷺ، مترجمة بالعربية، منطوقة في نفسه الزكية، ولم يرد في القرءان لفظ (لغة عربية)، بل لسان عربي، وفرق بينهما فالقرءان نزل بالعربية، أي: بنظام صوتي، وما اللِّسان إلا أداة نطق، قال تعالى: ﴿**عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء: 194- 195]، وذلك كي يستوعب كافة الناطقين بالعربية القديمة والحديثة، خاصة أن لفظ العربي في القرءان لم تأت دون حرف الياء (عرب + ي) وهي ياء النسب، وليس المراد النسب إلى أرض أو شعب أو لسان، وإنما النسب إلى الأصالة الحقيقية من الطبيعة، ومن الفطرة والخليقة، قال تعالى واصفاً حور أهل الجنة: ﴿**عُرُباً أَتْرَاباً**﴾ [الواقعة: 37] أي: حور حقيقية أصيلة من عالم الحقيقة، ليست من متشابهات الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: 25].

فلفظ (عربي) القرءاني يعني: أس الأسس وأصل الأصول وجذر الجذور، وكل ما هو فطري وحقيقي وطبيعي، فإذا كان القرءان المجيد لا يقرّ بحدود جغرافية؛ لأنه دينٌ كونيٌّ، فكيف يكون لسانه قومياً محدوداً ؟ فهذا محال، فكما أن الدين الإسلامي خطابه عالمي إنساني، فإن لسانه أيضاً كوني إنساني، فالإنسان الأول الذي عَبّر وأفصح عن ذاته، بتفاعله وانفعاله أثناء ظهوره على مسرح التاريخ، بدأ مع الأنسنة، والتي هي نقطة التحول عن الحيوانية.

فالإنسان يتميز بأنه يبني عالمه، بينما الحيوان يعيش طبيعته، فتقوم حياته على غرائز أغراضها محددة ومعينة، بينما الإنسان يتمثل الأشياء صوراً ذهنية تخضع لمشيئته، فهو

يُنشئها في نفسه أو يشتِّتها، فهو سيد نفسه، ويعي ذاته. لذا، هو خليفة الله في عمران الأرض، ومن ذلك أُطلق على الإنسان الأول عربيّ؛ لأنه عرَّابٌ، عرَّب عن نفسه وبيئته.

وما اللِّسان البشري، إلا امتدادٌ للتعبير عن الظواهر الطبيعية بالهيجان، فهي نقطة التحول من عهد كانت الأصوات معبرة عن الهيجان الطبيعي، إلى عهد أصبحت هذه الأصوات كلمات تفصح عما يجيش من معاني في النفس، تعريباً عن شخصية الفرد والقوم ومن حوله، فمن هنا كان الإنسان الأول عربياً بالوعي، وكانت الناس أمةً واحدةً عرَّبت عن نفسها باللِّسان العربي المبين؛ لأن الأمة العربية هي الأم الأولى للبشرية جمعاء، فالناس عرب في أصلهم، وبجذور لسانهم عرب، فهي أصيلة إنسانية عالمية، كلكم لآدم وآدم من تراب، فالعروبة ليست قومية، بل أصالة إنسانية عالمية، لأن القومية شعوبية دخيلة، وهبوط عن مستوى الإنسانية، وعصبية مقيتة وعنصرية بغيضة، فلا يتميز الإنسان بعرقه أو طائفته.

قال تعالى: ﴿**يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

وهكذا انحدرت الأبجدية جيلاً بعد جيل، وخضعت لتغييرات الصيرورة مع الزمن، فمرّ الكلام البشري بمراحل النشأة من التقليد إلى الربط بين الشيء، والسمة الصوتية للشيء ومن ثم انتقل من المشخّص إلى المجرّد، وبعدها بدأ التعلم والتفكير والبرهان المجرد.

فالأبجدية العربية إذاً، ليست اصطلاحية من وضع الناس، بل عمل البشر على إنتاجها تحت عناية الله عز وجل، بشكل فطريّ اجتماعيّ تراكميّ، خلال سنين طويلة، لذا، نرى المقاطع الصوتية الهجائية، محاكاة لظواهر طبيعية وحيوانية، قلّدها الإنسان بدافع فطري في بناء علاقات اجتماعية، آخذاً بعين الاعتبار مفهوم المقطع الصوتي من خلال شفافية حسّه الفطري، حيث تمّ ربط الأصوات ببعضها محاكاة للطبيعة في جمعها لصوتين معاً بحسب الظروف والأحداث، من أصوات بركانية ورعود وشلالات مائية وأصوات بهيمية أمثال: (بم، طم، خر، غر، صص، هو، مو، قب، ففقق، قاق، غاق، قيق، نق، بق، باء، ماع).

فكانت أبجدية بدائية ذات مقاطع أحادية وثنائية أولية، ولم تكن موصولة في الأساس إلا جزئياً، وقد تم وصلها كلياً بعد أن نزل القرءان الكريم، وجمع الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) المصحف المجيد، وعلى ذلك تمّ حفظه ونشره، مع علمنا بقصور قواعد النحو عن تغطية الخطاب القرءاني، فهو ذو بنية داخلية خاصة، وصِيغَ صياغة تحدٍّ بياني وإحكامي.

إذاً، تطورت الأبجدية متأثّرةً بالخلفية المعرفية والمُعطى الاجتماعي، والحاجة إلى التعبير عمّا يطابق الواقع والحال، فالعربية ليست من اصطلاح قومية، أو من قبل قومٍ من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا ألفاظاً معينة للدلالة على معانٍ معينة، مثل إطلاق تسمية أنّ هذه سماء وهذه أرض وهذا ماء، وهذا جبل... للدلالة على معانٍ معينة، وإنما عملية فيزيائية تراكمية، وانفعال وتفاعل اجتماعي، انحدرت جيلاً بعد جيل عبر الذاكرة الاجتماعية، فكما مرّ نظام الكون، بأطوار مضطربة وعنيفة بظواهره الطبيعية، واستمر يستقر تدريجياً من خلال السيرورة والصيرورة التاريخية، فالعلاقة جدلية بين الأبجدية واستقرار ونضج العقل الاجتماعي ونمو الفكر الإنساني، ثم نزول الوحي القرءاني رحمة للعالمين، فالأبجدية العربية قابلة للإدراك العقلي؛ لأن لكل مقطع صوتي دلالة مستمدة من الجذر الكوني له، وليست هي أسماء اصطلاحية لا صلة لها بالواقع، كما هو شائع بأنها وحيٌ من السماء أو اصطلاحٌ من قبل عقلاء البشر.

قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: 31].

فالاسم من وسم، وآدم اسم جنس البشر، فالتعليم هداية واكتساب لصفات الأشياء وخصائصها، فمنذ أن دوّن الإنسان معلوماته - في بداية الألف الثالث قبل الميلاد - توافرت لنا الأدلة عن نشوء الألسن، فالكتابة المسمارية القديمة، والصور المعبّرة (الهيروغليفية) الفرعونية هي أول النصوص المكتشفة تتضمن في بينونتها الدليل على ارتباط نشوء الألسن بالأصوات البيئية، وذلك لارتباط الصور الحسية، بالدلالة على المقاطع اللفظية للكلمة، فكل صورة تمثل حرفاً، وقَرْنُ الصوت بالصورة، هو أحد وسائل التعليم المتنامية، مع وعي الإنسان في مراحل الطفولة الأولى، على مستوى الفرد والمجتمع الإنساني البدائي والأولي وإلى اليوم، ثم توالى اللِّسان الأولي، من خلال فصل

الصورة عن الرمز، أي: إفراد أسماء المسمَّيات، لحاجة التعبير بأسلوب أسهل، فالترميز للأبجدية البدائية تطور من التعبير بالرسوم، إلى المقطع الصوتي الأحادي، وهي الأبجدية التي تعلمها الإنسان عن طريق علم الهداية والاكتساب، ولكي يتجنب الفينيقي أيَّ قصور في الطريقة التعليمية، للدلالة على ما لا صورة له، كالخوف والحزن والفرح والنسب الإضافية والتوصيفية والنسب الكلامية وغيرها.

عمد إلى إضافة أسماء لا تدل على ذات الصورة أحياناً، إنما على خاصية ترتبط بها، كحالة أو وظيفة عضوية تتعلَّق بمكانة أو كثرة، أو ما اشتُهر به الشيء عبر التاريخ، فالتراكم المعرفي أدى إلى نقلة نوعية عندهم، بسبب حصيلة النشاط التجاري البحريّ الذي اشتهرت به فينيقيا، فعملوا على وضع أبجدية سهلة الاستعمال في المراسلات التجارية والتواصل مع الشعوب الأخرى، وذلك من خلال جمع وسبر ودراسة الأبجديات الموروثة عبر التاريخ، ومن ثم استخلاص أبجدية جامعة شاملة بسيطة بعيدة عن التعقيد للتداول الدولي، هذه الأبجدية اشتهرت بالعربية الشامية نسبة إلى الكنعانية الفينيقية، منذ القرن السابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد، وقد أسقط الفينيقيون، بعض الحروف الصامتة غير المنطوق بها في العربية القديمة إلا نادراً، كحرف (كَى، بَى، فَى) بالتفخيم، كما تنطق في وادي النيل، وحصر الحروف في (28) حرفاً، كما أسقط الفينيقيون ستة أحرف خارج أرضهم، وهي (ثخذ ضظغ) والسبب أنها ثقيلة الجرس، عسيرة اللفظ، غير ملائمة لتداول الشعوب البحرية، التي علموها أبجديتهم، وهي مستصعبة الأداء في النطق، ثقيلة على أسماع الأمم، التي اكتسبت لينة الحياة البحرية، ولم تألف خشونة الصحراء، وما زالت هذه الأبجدية منذ نزول القرءان الكريم، تنتظر الذهنية العربية الأصيلة، لتتفتق عن إبداعات اللِّسان العربي القرءاني، ثقافياً وعلمياً وعالمياً.

نظام رسم الأبجدية العربية الشامية (الفينيقية) والحالية:

ا ب ج د هـ و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت

نظام أسماء وصور الأبجدية العروبية الفينيقية:

الاسم والمصوَّرات الفينيقية

الحرف	الاسم	الصورة
آ	أولاف	ثور
ب	بت	بيت
ج	جومل	جمل
د	دولات	باب
هـ	ها	تلويح باليد
و	واو	مسمار بزاوية
ز	زين	حربة او سلاح
ح	حط	حائط او سياج
ط	ططا	حية
ي	يود	يد
ك	كاف	كتف
ل	لابد	ليث
م	ميم	ماء
ن	نون	سمكة
س	سامك	دعامة
ع	عين	حاسة البصر
ف	فا	فم
ص	صادي	فخ او منجل
ق	قوف	أذن
ر	ريش	رأس
ش	شين	س
ت	تاء	علامة

دلالة الأحرف عند الفينيقيين

(آ) - مفهوم كتاب الألف - (أولاف، ثور)

ألف الأبجدية، هو الكتاب الأول في كل الأبجديات البشرية، والأكثر وروداً في القرءان الكريم، والنطق الحالي (آ) أما في الفينيقية فاسمه (أُلاف) وأصل مسمى هذا الحرف صورة (ثور) وهو رمز إلى البذرة الأبجدية لشجرة صوت الألف (آ) (**أُلاف**) والتي يكمن في داخلها مكونات النبات الرحماني، ومن خلال الذاكرة يتم استجلاء المعنى من قَرْنِ المعقول بالمحسوس، فتتفتق عن المعاني التي أوحت به، حتى كتاب الألف في اليونانية، واللاتينية، ينحدر من سلالة الأصل الفينيقي (**ثور**) (ox).

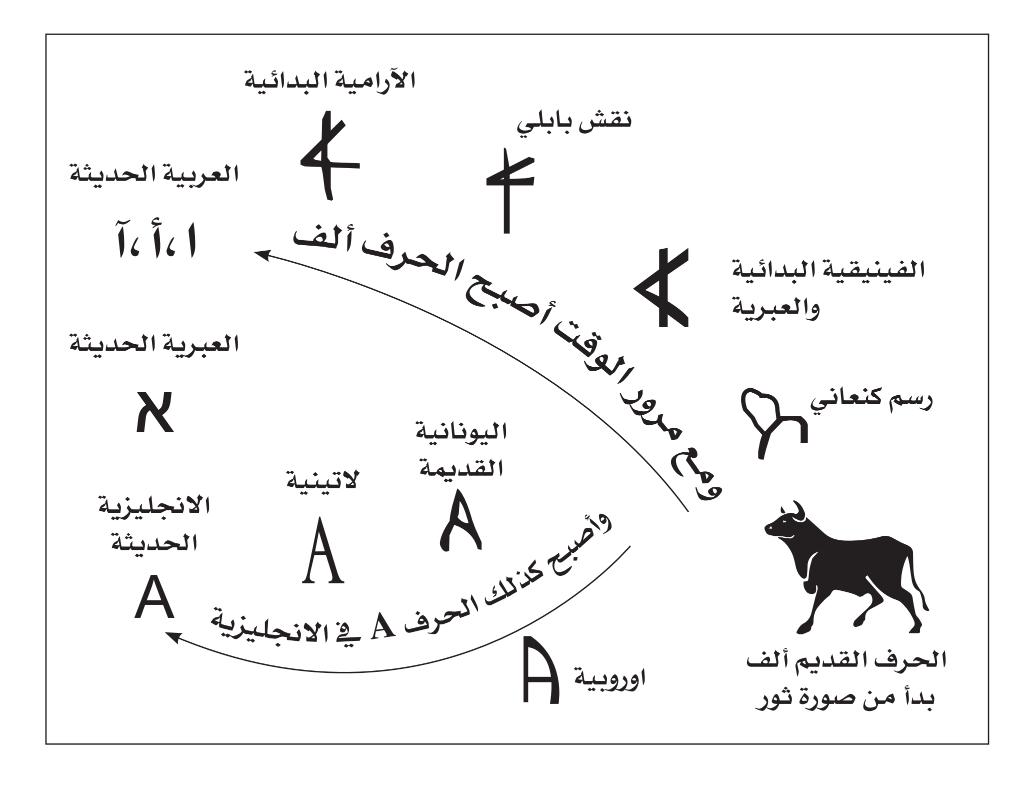
ولكل كتاب في الأبجدية العربية الفينيقية، معنى خاص به يختلف عن غيره، وهذا يجري على الأبجدية العربية الحالية، والمنبثقة عن العربية الفينيقية قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوَاْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: 30]، فالآية تدل على نمط انكشاف الوجدان، بتجاوبه بين قطبيه الحس والمحسوس، فالملأ الأعلى (السموات) والطبيعة (الأرض).

ولقد اتخذ الفينيقيون، بعبقرية إنسان الفطرة صوراً تعبيرية، لتكون مسمَّيات أصلية، تنبثق عنها أسماءٌ مختارة بعنايةٍ وحكمة، تشكل منظومة الأصوات الأبجدية، فتجتمع الناس عليها، وقد سلّموا بها، من خلال عملية انتخاب إبداعي، من بين ركام من الرسوم التعبيرية، والتي كانت سائدة بين الناس كأداة تخاطب، فكان عمل الفينيقيين، إيجاد قاموسٍ لمعاني الأصوات، تكتب ابتداءً من اليمين إلى اليسار، لجمع الناس على معيارٍ واحدٍ، لتسهيل وتبسيط عملية التواصل بين الناس، ومع الزمن أصبحت بمنزلة جينات

الأبجدية الحالية، من ذلك صورة الثور، والتي اختصرت فيما بعد فأصبحت صورة رأس ثور، ثم اتُّخذ بدلاً عنها الرمز التالي [ ] والذي أطلقوا عليه اسم (أولاف) والمراد منه الإرشاد إلى أحد أبرز صفاته، والمقصودة بالاسم (أُلاف) الذي يؤلف المد.

وبذلك استطاعوا تحديد المعنى المراد من مصوَّر ثور، مع الأخذ بعين الاعتبار، أطوار انتقال الإنسان، من المرحلة البدائية إلى التجريد، فكانت نظرتهم إلى الصورة، تعكس ركام من موروث التجربة الإنسانية، إذ توحي بحزمة من الإحساس والانطباع الشعوري، وهذا مفتاح الولوج لكتاب الألف، وبهذه النظرة العبقرية إلى الثور، استطاع الذهن العربي الأول وبفطرته، أن يفصل بين كيان البهيمة المادي الوثني، وبين أبرز ما تتميز به من صفات عملية، ولم يقف عند هذا الحد، بل وظّف الدلالة، بعد أن جرَّدها من جسدها، مستخدماً روحها، وجعلها أداة تُعرب عن نفسه، وتواصله مع غيره، فرأى في الثور كتلة من الهيجان والانفعال، يعبر بها عما بنفسه من انطباعات شعورية، تمتد باتجاه الطرف الآخر من بني جنسه.

هنا تكمن عبقرية الفينيقي - عرب بلاد الشام الذين هاجروا من البحر الأدنى (الخليج العربي) إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) - باستعارتهم هذا المعنى من هيجان الثور، للتعبير عن التواصل بين بني جنسهم، وحين قدوم الفينيقيين إلى اليونان، من الوجه البحري (لسورية ولبنان وفلسطين) قدموا لهم هذه الأبجدية التي لم يعرفها الإغريق من قبل، وقد عرفت بالحروف الفينيقية عندهم، فعمدوا إلى مخالفتهم للتميز، فكتبوا الأحرف من اليسار إلى اليمين، وجعلوا رمز الثور بشكل قائم من [إلى A] وما زال إلى اليوم في الأبجدية الغربية. انظر الجدول التالي، الذي يبين تطور ألف الثور الفينيقي، عربي غربي:



وهكذا أدرك الإنسان الأول والبدائي، بما فطر عليه من علم الهداية، التميز والتشابه بين العلاقتين الإنسانية والبهيمية، فربط بين هيجان الثور الممتد اندفاعاً نحو المنظور، وطريقة تواصل البشر مع البيئة، بهذه القدرة على القراءة، استطاع قراءة الكون: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: 31]، فالله تعالى علم آدم بنفس الطريقة، من خلال إثارة انتباهه إلى المسمَّيات، والتي تفيض منها أسماؤها، من خلال تباين سماتها، في كتاب الكون.

قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: 20] وقوله: ﴿**قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [يونس: 101] وقوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القرءان خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: 1- 4] وقوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: 1] من ذلك ظاهرة الشمس والقمر، وسائر النجوم والكواكب، وحوادث البراكين، والزلازل، والرعد، والبرق، والأصوات الحية، والحركات الطبيعية، والأضواء، والألوان، وكل هذه الأنواع والاختلافات، شكّلت عنده خلفيّة من المعاني، تنسجم وتنطبق مع مسماها، وتناقَلتها الأجيال عبر الذاكرة الاجتماعية.

لـذا نـرى العلاقـة بـين الاسـم والمسمَّى، قابلـة لـلإدراك البشري في اللِّسـان العربي المبـين، فصـوت الألـف (آ) اشـتُق منـه معنـى صلـة الألفـة، بـين النـاس والبيئـة، وهـو بالأصـل صرخـة شـعورية، تـدل عـلى طلـب النجـدة والمـدَد مـن الغـير، وهـو صـوت مـدّيّ، وهـو أحد أزواج الثلاثـي (آ- و- ي) ويعمـل على النطق مدّاً مـع بقية الأصوات المتصلـة بـه، قـال تعـالى: ﴿**وَأَلَّـفَ بَيْـنَ قُلُوبِهِـمْ**﴾ [الأنفـال: 63]، وقـال عزّ مـن قائل: ﴿**وَاعْتَصِمُـواْ بِحَبْـلِ اللّـهِ جَمِيعـاً وَلاَ تَفَرَّقُـواْ وَاذْكُـرُواْ نِعْمَـةَ اللّهِ عَلَيْكُـمْ إِذْ كُنْتُـمْ أَعْدَآءً فَأَلَّـفَ بَيْـنَ قُلُوبِكُـمْ فَأَصْبَحْتُـمْ بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَاناً**﴾ [آل عمـران: 103].

فالإنسـان يَألـف ويُؤلـف، قـال تعـالى: ﴿**لِإِيـلَافِ قُرَيْـشٍ إِيلَافِهِـمْ رِحْلَـةَ الشِّـتَاء وَالصَّيْـفِ**﴾ [قريـش: 1- 2] فهـو يتكيـف مـع المتغـيرات الطبيعيـة والاجتماعيـة ؛ مما أفـاد كتـاب الألـف، معنى الثـورة والتثويـر، وإثـارة المعـاني في الواقع ومعـاني الكلمات، قـال تعـالى: ﴿**وَأَنزَلْنَـا مِـنَ السَّـمَآءِ مَـآءً بِقَـدَرٍ فَأَسْـكَنّاهُ فِـي الأرْضِ وَإِنّـا عَلَـىَ ذَهَـابٍ بِهِ لَقَـادِرُونَ**﴾ [المؤمنـون: 18] وقولـه تعـالى: ﴿**وَجَعَلْنَـا مِـنَ الْمَـآءِ كُلّ شَـيْءٍ حَـيّ أَفَـلاَ يُؤْمِنُـونَ**﴾ [الأنبيـاء: 30] وقولـه: ﴿**قُـلْ مَـن يَرْزُقُكُـم مّـنَ السّـمَآءِ وَالأرْضِ**﴾ [يونس: 31] وقولـه: ﴿**وَفِـي السّـمَآءِ رِزْقُكُـمْ وَمَـا تُوعَدُونَ**﴾[الذاريـات: 22].

فنلاحظ موضع الألف (آ) في الكلمات، يدل أن السماء تتصل بالأرض، عن طريق الماء نزولاً وتبخراً، فألف الثور، تثير معاني صلة الإنسان بالسماء، وأن الرزق من السماء، ليس بيد أحدٍ من البشر، وأن خزائن رحمته تسبح في السماء، ولا سلطة لأحد عليها، وأن وراء هذه الأسباب رب العالمين، في قوله: ﴿ **قُلْ سِيرُواْ فِي الأرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾[العنكبوت: 20]، والمقصد ليس المشي، لأن الألف تدل على إثارة الأرض، في قلبها واستخراج ما في بطنها، من طاقات وعلوم، وقوله: ﴿ **كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا**﴾[الروم: 9] وهي تبين ما قبلها من آية.

وكثيراً ما ورد قوله: (**أَفَلا تَتَفَكَّرون- أَفَلا تَعقلون- أَفَلا يَنظُرون**) وكلها جاءت لإثارة الفكر والعقل، والنظر بالمنظور، بل القرءان في معظم خطاباته موجّهٌ للعقل، وبذلك تم الربط بين اسم (أُلاف) وصورة (الثور) الفينيقية، فكانت تلك أداة الصلة، مع الطرف

الآخر، للعَرْب عن الذات، والتعبير عمّا بالنفس فيما بينهم، من أجل التواصل، بدل الصراخ والإشارة بالأيدي، أو الرسم على التراب والجدر الصخرية، والتي كانت تمارس منذ غابر التاريخ.

إذاً، الحرف، أو الصوت، أو الكتاب، كلها معاني لشيء واحد، في حالات مختلفة، فالحرف يدل على الخط، والصوت على النطق، والكتاب على القراءة، وله معنى تجريديّ، هو الإمام لكل المعاني، أينما وقع في الكلمة، حتى في معنى المثنى، فألف الاثنين تفيد الألفة، والصلة والربط بين اثنين، صلة ثنائية أو زوجية، لذا لا بُدَّ من المحافظة على نظام مخارج الصوت، من خلال جهاز النطق عند الإنسان، وذلك عن طريق ضوابط علم التلاوة ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ**﴾[البقرة: 121] فالربط بين الصوت ومعناه، والذي هو هنا صدى حركة اللِّسان عند حدوث الصوت، وإضافة إلى هذا النظام، يجب مراعاة نظام الحرف في الكلمة، في أولها أو أوسطها أو آخرها، فكل صوتٍ يضيف شيئاً من خصائصه، مندمجاً مع غيره إلى نهاية الكلمة، حتى تصبح كياناً واحداً، ولأن لكل حرفٍ موجةٌ وترددٌ خاصٌ فيه، تشكل شخصيته المستقلة، والتي تميزه عن غيره من الأحرف، لذا حينما تنطلق موجة الحرف من إنسان روحاني، فإن لها أثراً طيباً في معالجة أمراض النفس البشرية، فالموجة الصوتية تتأثر بأحوال النفس الإنسانية سلباً وإيجاباً.

إذاً، معنى إثارة الصلة الممتدة، المستوحاة من كتاب الألف، يقوم عليها نظام الكون، حيث إن ذرة الهيدروجين - وهي أحد عناصر بنية الكون الأساسية - تتصل بسائر أطراف الكون، وكذلك السماء ترسل، والأرض تستقبل، والإسلام يدعو إلى الصِّلات والصلاة، لتتم الصلة بين الوجود وواجب الوجود ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ**﴾ [الأحزاب: 43] فالصلات في عالم الفيزياء، من خلال نظام الجذب والنبذ، وفي عالم البيولوجيا، من خلال علاقة عضوية، أو فكرية، أو روحية ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ**﴾ [النور: 43]، ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ [العلق: 2] أي: من مجموعة علاقات كيميائية.

وهكذا استمر تطور الأبجدية، إلى زمن نزول القرءان الكريم، حيث كمل وتمّ بناء البيان المبين، وبذلك استقرت أصل معاني الأبجدية، لتكون أمّ الأبجديات جميعاً، إلى

يوم الدين، ثم أضيفت خدمات توضيحية تسهيلية، بما اكتسب الإنسان من علوم، من ذلك نظام قوى الفعل، وأثره على معنى الصوت، من حركات (الفتح والكسر والضم والسكون) وتنوع الاستعمال (ا، أ، آ) وغير ذلك...

إذاً، القرءان الكريم صيغ بهذه الأبجدية العربية في قوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الزخرف:3] ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[الشعراء: 195]، فالجعل صيرورة في كتاب الله تعالى.

الخلاصة: إن مفهوم كتاب الألفة، ألف (آ) يدل على معنى إثارة صلة وامتداد، أو إثارة كونية، بالأبعاد كلها ضمن نظام وعلاقة خاصة، وذلك في الأبجدية العربية القرءانية.

مقارنة بين دراسة [1] «عالِم سُبيط النيلي» رحمه الله، والفينيقية باختصار:

إذا ما تجاوزنا أدبياته التطبيقية، التي ظهر فيها تأثُّره المذهبي، فقد أبدع في كتبه النظرية، فمما جاء فيها أن مادة الإنسان بما فيها آلة النطق هي من نفس مادة الكون، لذا؛ فإن جميع الحركات التي حصلت في الكون قد ظهرت كامنة في أصوات آلة النطق عند الإنسان، وإن الأصوات هذه هي صدى الحركات، التي خُلق بها العالم ووُجدت بها الأشياء، فهي مثل الجنين الذي يختصر في تسعة أشهر في بطن أمه، تاريخ تطور الإنسان، أما الأصوات الـ (28) فهي من مضاعفات حساب النظام الكوني (7×4) فهي مجموع الممكنات الصوتية في الكون، منذ النشوء وإلى يوم القيامة، فإنها تختصر تاريخ تكوين العالم من مادته الأولية، لذلك كل شيء وكل حركة في الوجود يمثلها تسلسل معين للأصوات، وكل حركة مستقلة شاملة يحملها صوت معين.

فحرف النطق (آ) يطلق عليه اسمه ألف، ويدل الاسم بعد تفكيكه (أ/ ل/ ف) على حركة ظهور مفاجئه، ملازمة ومتلاحمة مع ما يصاحبها من حركات تنصهر في حركة واحدة، لتفترق منفتحة على منظومة الأحرف الصوتية؛ كمثل الشمس أو بؤرة من النور تشع بحزم ضوئية متفرقة، فالألف موجة مد زمنية، ليس له صورة، وهو مادة خام أولية، في مركز الحركة، بل هو المكون الأول في إنشاء وتشكيل كافة الأصوات المختلفة ومادتها

1 اللغة الموَحَّدة – دار المحجة البيضاء– ط 1 – 2008 بيروت.

بفاعلية مثيرة.

وإن هذه الحركة اللحظية الحادثة في الهواء هي عبارة عن صورة شبحيه متلاشية، ترافقها صورة صوتية خاصة بها، فالصوت حركة فيزيائية تحدث للهواء في آلة النطق عند الإنسان، وتظهر بمظاهر مدّ صوتية زمنية أصلية مختلفة تسمى أحرف العلة (ا، و، ي) وفرعية تربط الأحرف ببعضها، وتسمَّى حركات الفعل، وهي [الفتح والضم والكسر والسكون] (فالفتحة) تدل على الزمكانية و(الضمة) تدل على المكانية و(الكسرة) تدل على الزمانية و(السكون) تدل على الفراغ والتوقف والانتقال من حركة إلى حركة أخرى؛ وأما الهمزة المطلقة، فهي عبارة عن نقطة بدء انفجار سيرورة الموجة الصوتية، وهي أولى خطوات حركة مد الألف، وجزء مكون لمظهر المارد الشبحي، ولكن لا تتكون إلا به، وتفيد التحرُّك المفاجئ الزمكاني، فصورة الهمزة شبح قزم ضمن المارد الشبحي، اسمه ألف المد (آ) وهو لا يتأثر بها، ولا يتوقف وجوده عليها، والفتحة في أصل تكوينها.

التعليق (ا، أ، آ):

لقد أصاب قدماء العرب بتسمية العجل من بهائم البقر ثور، لصفته المتميزة بالثوران الموجّه والمنصبّ على الطرف الآخر، وقد وُفِّق الفينيقيون في اختيارهم مصوَّر الثور التعبيري، للدلالة على حرف الألف، لاشتراكهما في علة المنزلة والمكانة، فالثور في الحضارات القديمة مقدَّس معبود، وقد ذكر في التنزيل في عشر آيات منها ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [النساء: 153] والألف له مكانة كبيرة في الأبجدية البشرية، وهو الأكثر وروداً في الكتاب المجيد من بين جميع الأحرف، وقد بُدء اسم الإله به.

إن ظاهرة الهيجان عند الثور الممتدة إلى المقابل المنظور، والتي يتميز بها عن غيره من الكائنات؛ تشترك بما عند الإنسان من شعور، بالعاطفة البدائية، باعتبار صوت (أ/ آ) تعني: صرخة شعورية ممتدة إلى الطرف الآخر لطلب النجدة من المخلوق أو الإله.

فمنهما استوحيت الدلالة على صوت المد الموجي للألف، لذا أطلق الفينيقي اسم أولاف على مصوَّر الثور، للتوجيه إلى هذا المعنى، ولا سيما دخول الألف في تأليف الأصوات كلها مداً، كما فصلنا في المبحث؛ فلا عجب في فشل علماء الألسن الغربيين وقصورهم،

ممن اطَّلعت على بعض كتاباتهم في قراءة الصُّور التعبيرية الفينيقية، من ذلك عدم ربطهم الصورة باسمها الاصطلاحي الذي وضعه الفينيقي، كالمثال السابق (مصوَّر ثور، اسمه أولاف) فلا بد من فهم هذه العلاقة الجدلية بين المصوَّر واسمه، لتحديد المعنى المراد من المصوَّر؛ ولا تقل أهمية القراءة الموضوعية للمصوَّر منفصلاً عن اسمه الفينيقي، وكلما كانت القراءة على أرضية وخلفية واسعة من الآفاق والأنفس، كانت النتيجة أفضل، وذلك في توظيف المعرفة والعلوم والخبرة في فك الشيفرة.

ويبدو أن المفكر «عالم سُبيط النيلي» تنبه للخطأ، فلم يتابع علماء الغرب في ذلك، ولكن لم يحل الإشكال؛ لأن التوثيق التاريخي ضرورة في كل حضارة، من أجل تأصيل الشيء، فإذا كان بَدء تاريخ الخلق قد طلب الله تعالى معرفته: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أليس الصوت والإنسان ولسانه جزء من الخلق، ولكن «سُبيط» اكتفى بالرد، ضارباً مثلاً لبطلان الاستدلال بالصور التعبيرية بقوله: (إن الأشياء جامدة أو متحركة، فالأشياء الجامدة لا تصلح لذلك كما رسمنا حجر، ثم رسمنا الحجر برسم مجاور فيه تغيُّر ما...).

المقصود أن الأشياء لا تحدد الدلالة الصوتية، بسبب تعدد الاحتمالات أو اشتراك أكثر من معنى في الشيء، وهذا لا ينطبق على المصوَّرات الفينيقية؛ لأنهم حدَّدوا المعنى بإطلاق اسم خاص يدل القارئ على المعنى المراد من كل صورة، شرط معرفة حقيقية الصورة وظيفتها تاريخياً واجتماعياً على أضعف تقدير.

وقد اكتفى «سُبيط» بفيزيائية الصوت، وتأصيله من خلال الواقع، فيكون مما سبق مبرر في عدم تناوله الإرث الفينيقي كجذر تاريخي للنظرية القصدية في اللغة؛ لذا لم يهتم في أدبياته بمصدر معاني الصوت وسيرورته في التاريخ القديم.

ثم إضافة إلى ما سبق في معنى الصوت، لا بُدَّ من القراءة الصوتية لاسم المصوَّر الحقيقي ثور، المتضمن لمعنى الفاعلية؛ لأن حرف (الثاء) في اللفظ يفيد الدفع الملتصق، أو الحركة لأجل الثبات بتعبير «سُبيط»، وهنا الإثارة في حركة ألف المد الملتصق بجميع الأحرف، من أجل ثباتها، في الأبعاد النفسية والكونية.

وقد أبدع «سبيط» في مؤلفاته، بإطلاق صفة الفاعلية على ألف المد [آ] لوجوده في كافة الوحدات الصوتية، وبتحليله للموجة المدية، المتضمنة الإثارة في دلالته الفكرية الزمكانية، فوصل إلى أن الألف ليس له صورة، ويظهر بمظاهر أصلية [أحرف العلة] وفرعية [علامات التشكيل]، وهو امتداد في الزمن والمادة المكونة للأصوات، والهمزة جزء منه، والفتحة في أصل تكوينها؛ لذا فهي تفيد الظهور المفاجئ الزمكاني. وبعد المقارنة نلاحظ شدة التطابق بين قراءة «سبيط النيلي» لصوت الألف ومصوَّر ثور التعبيري الفينيقي.

هل يستحق تاريخ التراث العروبي الفينيقي القديم الذي نقل لنا معاني الأصوات، إغفال «سبيط» له ؟ وعدم إجراء أيِّ دراسة عليه، رغم توافر المعلومات على الشبكة العنكبوتية، وفي المكتبات الدولية، ووجود مجموعة كبيرة من آثارهم في متاحف الشرق والغرب، وفي كثير من البلاد.

وكان الأحرى به كما يقتضي المنهج العلمي في طرح النظرية القصدية الشاملة لمعرفة نظم اللِّسان البشري، ومعنى أحرف الأبجدية، قراءة الرقم الطينية والآثار في مواقعها لإجراء عملية التطابق بين المصوَّرات التعبيرية وكيفية استعمال الفينيقي لها من خلال نصوصهم، ألا يكفي مبرراً أنهم أصحاب أسس تاريخ أم الأبجديات البشرية، وعلمهم أحد الجذور الثلاثة للأبجدية العربية، وأي بحث في الأبجدية لا يكتمل إلا إذا انطلق من جذر ذي ثلاث شعب، خاصة أن القرءان المجيد نزل مصدقاً لها.

الشعبة الأولى: الجذر الكوني وهو مخزن الأصوات الذي يحوي جميع الممكنات الصوتية في الكون، من خلال نظام البناء السباعي (7×4) = (28) صوتاً أساسياً، وفيها (14) صوتاً مشتركاً في لغات العالم، وربما هي السبع المثاني (المقاطع الصوتية في أوائل بعض سور القرءان المجيد مع حذف المكرر منها) فمن خلال التأمل والبحث في ظواهر الروح والمادة الكونية، نتعرف على جدل الحرف (الصوت) وفيزيائيته؛ وبأجهزة الاستشعار التقنية المعاصرة نحدد بدقة ماهيته ووظيفته لأول مرة في التاريخ... فتصير اللغة علمية وعالمية.

الشعبة الثانية: الجذر التاريخي وهو سيرورة وصيرورة الأبجدية البشرية، وأم اللغات جميعاً وقد كان عَرَّابها إنسان الفطرة الأول، والحضارة الفينيقية هداية واكتساباً، وهي

وثيقة لمن بعدهم من علماء الألسن والتاريخ والآثار وإلى يومنا هذا.. وهم بمنزلة الوسيط بين النطق الكوني والإنسان الحالي وإلى يوم الدين.

الشعبة الثالثة: الجذر القرءاني وهو مصدق لما صحَّ من الجذور والمعاني، من خلال حفظ عدد الأصوات وسلامة النطق الصوتي، ومعنى الصوت في سياق استعمال الآيات، وصدَّق المعاني المصدرية لتكون إماماً إلى يوم القيامة، لكل ما يتولد أو يشتق منها من معاني، فهو معيار ضبط المعنى الإمام لكل صوت أبجدي في العالم.

إذاً، الجذر التاريخي لا ينفصل عن الشُّعَب الأخرى، ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾، كيف بدأت الأبجدية والألسن، ولا يحصل ذلك إلا بقراءة الحضارة الفينيقية باعتبارهم عَرَّابي اللِّسان العربي القديم وأم اللغات جميعاً؛ وإن شاء الله في المستقبل نعلِّق على كل المعاني الصوتية عند «سُبيط»، ومن الطبيعي أن علماً في مراحل التأسيس بحاجة إلى كل الجهود من أجل نمائه، وبلورة معانيه الصوتية.

(ب) - مفهوم كتاب البـاء - (بت، بيت)

بـاء الأبجدية، هو الكتاب الثاني في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي (ب) أما في الفينيقية اسمه (بِتْ) ومسمَّى هذا الصوت (بَيْت) وهذه الصورة هي الدليل على جذر حرف الباء في الأبجدية العربية، وليست مقصودة لذاتها، بل عمّا تعبر عنه فهي صدى الإحساس والانطباع، ومصدر الإلهام حيث يشترك الحسّ والإدراك معاً، في صوغ المعرفة فتحوّلت أصوات الطبيعة، إلى رموزٍ إنسانية الجذور، فالبيت مفهوم وأداة جمع واستقرارٍ للفرد والمجتمع؛ والبيت من نظم الشعر، وكل من بيّت أمراً في خفاء ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ**﴾ [الأعراف: 97].

إذاً مفهوم مصوَّر البيت (جمع واستقرار) فالأوطان بيوت الشعوب، والبيت الحرام، بيت الناس جميعاً، والبيت العتيق المركز الروحي في الأرض ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[آل عمران: 96].

وقال تعالى: ﴿**رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً**﴾ [نوح: 28].

والمقصود بالدخول في البيت الدخول في الهدي النبوي مع أتباعه من قومه، وقد وضع الفينيقيون اسم (بت) للمصوَّر(بيت) فتطابق الاسم مع المسمَّى دليل على أن المفهوم واحدٌ بلا أية زيادة.

فالبيت ما يجتمع الناس فيه مستقرين بياتاً قياماً أو ركوعاً وسجوداً، وكل ما ينتهي إليه من قرار واستقرار في النفس، وكل من يأتي على فكرة مستقراً، أو جمع ألفاظ استقرّت في بيت شعر.

فصورة البيت عند عرب فينيقيا، لا يقصد بها الشكل المادي، وإنما يقصدون مفهوم البيت، الذي يختلف عن مفهوم المنزل، وهذا مهمّ في فهم أصل الأبجدية العربية، فهي ليست أسماءً مجردةً، أو وثنية، بل هي مصدر وظيفة، تدرك بالعقل وتحمل قصة نشأتها في بينونتها، فيدل صوت الباء في سيرورته على تجمُّع كامل مستقر لينطلق في صيرورته.

الخلاصة: مفهوم كتاب السَّكَن والمودة؛ الباء (ب) يدل على معنى تجمُّع مستقر، في الأبجدية العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

فعند «سبيط» في علوم اللغة (صوت الباء) انبثاق الحركة الكامنة بعد غياب.

التعليق:

بالمقارنة بين صيغة الدلالة الصوتية عند «سبيط» والمعنى التعبيري لمصوَّر بيت الفينيقي، نجد أنه لا خلاف بينهما، حيث التجمُّع المستقر، عملية كمون، تبدأ في سيرورتها من غياب مكاني داخل البيت، أو بت معنوي يتم داخل الإنسان، والذي يؤول ضرورة إلى انبثاق، من مبيت الزمكاني، وهو انبثاق الحركة الكامنة.

(ج) - مفهوم كتـاب الجيم - (جومل، جمل)

جيم الأبجدية، هو الكتاب الثالث في الترتيب الأبجدي والنطق الحالي (ج) أما عند حضارة فينيقيا فاسمه (جومل) وليس المراد معنى وجود، بل مفهوم المصدر، وهو جذر كتاب (الجيم) في الأبجدية العربية. فالمصوَّر الفينيقي (جمل) وأول ما يرد في الذاكرة، وظيفته الأساسية في خدمة الإنسان الأول في مواجهة البيئة الصحراوية، ومقاومة الصعوبات، من ندرة المياه، والكلأ، وكثرة العواصف الرملية ولَظَاها، وتغير معالم الصحراء الجغرافية المستمر، من خلال تشكل الكثبان الضخمة، والمتحركة.

فقد صُمّم الجمل لتحمّل كافة هذه الظروف القاسية، خدمة للإنسان، وهي أعمالٌ بحاجةٍ إلى جهدٍ وشدةٍ؛ لذا قيل: إن الجمل سفينة الصحراء، لقدرته على شقّ عبابها بكل الأحوال، وقد أُمرنا أن نتفكّر في خلقه من ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [الغاشية: 17] وهي وظائف جَمَالية بديعة بحقٍّ.

فجَمَال وحُسْن الهيئة، ليس المقصود، لأن الجَمَال وظيفة وليس مادّة، فالبصر إذا ما افتقد وظيفته بالقدرة على الرؤية فَقَدَ جَمَاله، وكذا اللباس لو تحوّل إلى قيودٍ وعقبة وإعاقة فقـد الحكمة وجَمَاله، ومن ذلك ذكر الإبل (الجَمَل) إذا ما فقد وظيفته فقد جَمَاله؛ بل اسمه أيضاً.

فالصّبر الجميل الذي لا تبرّم معه، والصّفح الجميل الذي لا عتب فيه، والسراح الجميل ما كان مصحوباً بإحسان، والهجر الجميل الذي لا أذى معه جاء في القرءان الكريم﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾ [النحل: 6]، وقوله: ﴿**وَجَآءُوا عَلَىَ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىَ مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف: 18]. ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاّ بِالْحَقّ وَإِنّ السّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ [الحجر: 85] من ذلك ندرك الإبداع الشاميّ في إطلاقه اسم (جومل) على مصوَّر (جمل) فهو لفظ تصغير؛ لأن كل صغير من الكائنات محبّب للنفس الإنسانية بالفطرة، وهذا شيءٌ مهمٌّ يجب التنبه له؛ لأنه يدل على قيمة جمالية، ولأن الفينيقي حينما يضع اسماً يخالف المصوَّر أو يطابقه، فإنه يقوم بهذا العمل ليس من باب العبث، أو بعفوية، وإنما إضافة معنى على المسمَّى، ولفت انتباه القرّاء لمعنى خافٍ أو ضمني.

إذاً؛ مصوَّر الجمل عند عرب الشام (فينيقيا)، يدل على أن الأصل في الجَمال؛ الوظيفة والمضمون، لا الصورة والمظهر، والله تعالى لا ينظر إلى صورنا، بل إلى قلوبنا وأعمالنا.

ومن جذر الجيم هذا؛ نعبّر عن كل ما هو عظيم شديد؛ من جبال وجنّة وجهنم.

والله تعالى جبّار جلّ جلاله﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: 27] أي: عظم جلاله ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً** ﴾ [الجن: 3]، أي: تسامت عظمته، جلّ جلاله..

الخلاصة: مفهوم الكتاب الجَمالي؛ جيم (جَ) يدل على طاقة من جهد أو شّدّة، في الأبجدية العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

فالمعنى عند «عالم سبيط» (الجيم) جماد الحركة النامية على حالها واستقلالها بذاتها.

التعليق:

المقارنة الصوتية بين صياغة «سُبيط» الدلالية على حرف (ج) والمصوَّر التعبيري جمل، واسمه في الاصطلاح الفينيقي جومل، يدل على حركة طاقة من جهد أو شدة، وطبيعي أن الطاقة التي تفقد وظيفتها تفقد استقلالها بذاتها، لذا؛ دل اسم المصوَّر الفينيقي على المبدأ في الجمال المكنون لا الصورة، فالطاقة قوة إنتاجية تنميها الموارد البشرية، فلا خلاف بين الصياغتين في الدلالة الصوتية؛ ولا يكفي التعريف إذ لا بُدَّ من قراءة شرح المصوَّر، لأنه أحياناً المعنى المقرر لا يستوعب التفصيل، والمعنى الصوتي الدقيق لكل حرف بحاجة إلى بصر حديد وعمر مديد، ولو انتظرنا حتى نصل إلى ما نطمح إليه لما استطعنا كتابة المبحث، والذي لا يُدرك كله لا يترك جله، فيكفي المساهمة في تأسيس علم المعاني الصوتية، والتفاعل مع قضايا الأمة المصيرية.

(د) - مفهوم كتاب الدال - (دُلات، باب)

دال الأبجدية، هو الكتاب الرابع في الترتيب الأبجدي والنطق الحالي (د) أما في الأبجدية الفينيقية فهو (دُلات) ومسمَّى الكتاب مصوَّر (باب)، وكما هو الحال في الكتب الصوتية السابقة، فالمراد دلالة مفهوم، وليست دلالة وجود.

فالمسمَّيات الأبجدية الفينيقية تعتبر (شيفرة) الأبجدية العربية الحالية، وفكّ هذه (الشيفرة)؛ يتم من خلال فكّ العلاقة بين الاسم (دلات) والمسمَّى (باب) لمعرفة المعنى المراد لصوت (دال) في اللِّسان العربي الحالي.

فما كان مصوَّر (باب) في الذهنية الفينيقية، وضمن السياق التاريخي، إلا أداة الفتح والإغلاق؛ فقد كانت ثقيلة الوزن من الصخر، وقاية من الوحوش ليلاً، وتحتاج إلى دفعٍ شديد، ليست كأبوابنا اليوم، فهؤلاء الذين لم تُلَوَّث فطرتهم، وكانت علاقتهم مع البيئة شفافة، وهم أكثر حساسية، وشعوراً بظواهر الطبيعة؛ بحكم اعتمادهم عليها في كل شؤون حياتهم؛ ممَّا زاد من سعة أفقهم ومداركهم، فلا غرابة من إبداعهم الأبجدي!

إن مصوَّر (باب) معروف يوجد في كل المداخل، فنقول: باب العلم وباب الفهم وباب الفتنة وباب السماء والأرض وباب الجنة وباب النار، وباب الرزق، وأبواب أخرى (بيولوجية) في الخلية الحية وغيرها ، والأبواب مختلفة عموماً في طريقة فتحها، وبعضها بحاجة لكدح وكد للدخول والخروج منها، وقد يحتاج بعضها لطاقة في دفعه، كالصاروخ الفضائي، للخروج من باب الغلاف الجوي للأرض، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾ [البقرة: 251] وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىَ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوَاْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ**﴾[الأنعام: 44].

وكالعادة عند الفينيقيين حينما يرونَ أن المصوَّر لا يفي الغرض في الدلالة، يضعون اسماً لا يتطابق مع المسمَّى؛ ليرشد إلى معنىً مضاف، ويكون هو المراد، وما اسم (دُلات) على مصوَّر باب، إلا لبيان المقصد من مسمَّى باب؛ ولو تأملنا لفظ (دُلات) بنظرةٍ تحليليةٍ لرأيناه يتكون من مقطعين، أُدغم الأول بالثاني: فكان المقطع الأول (د ل و) يدل على جمع

(دولات)، والمعنى: التداول مرة هنا ومرة هنا، ذهاباً وإياباً؛ ومعنى (دلّ) أرشد، ومنها الصفة المشبهة باسم الفاعل (دليل) قال تعالى: ﴿ **فَلَمّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلّهُمْ عَلَىَ مَوْتِهِ إِلاّ دَابّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الْجِنّ أَن لّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** ﴾[سبأ: 14] ﴿**ثُمّ جَعَلْنَا الشّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً**﴾ [الفرقان: 45].

وقوله: ﴿ **وَلاَ تَأْكُلُوَاْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مّنْ أَمْوَالِ النّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 188] أي: لا تدفعوا أموالكم إلى الحكام على سبيل الرشوة حتى ولو كان لوقف الظلم؛ لأن الفقير لا يمتلك الاستطاعة من طاقة وجهد ومال لدفع باب الظلم.

وأما المقطع الثاني لفظ (آت) فهو يدل على المجيء، فهو آتٍ ﴿ **إِنّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ** ﴾ [الأنعام: 134].

إذاً مصوَّر باب في الفينيقية الشامية، هو أداة دفع؛ وكأن لسان حال الباب يرشد ويدل إلى دفعه رواحاً ومجيئاً.

ومما سبق نأتي إلى الربط بين الاسم والمسمَّى فيكون المعنى، الدفع مرة هنا ذهاباً، ومرة هنا إياباً، وهذا ما عبَّر عنه باسم (دولات) للباب، والذي يرمز إلى كتاب الدال الحالي؛ وفي الألفاظ القرءانية، دأب، دواب، دابر، دحر، داخرين، درأ، دفق... إلخ.

الخلاصة: مفهوم كتاب التداول؛ الدال (د) يدل مفهومه على دفعٍ شديدٍ متوقف أو إلى النهايات في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

فعند «سبيط» (الدال) اندفاع مقصود إلى الحد الأبعد.

التعليق:

إن الصيغة الدلالية، اندفاع عند «سبيط» لصوت (د) موافق لما جاء من معنى عن المصوَّر التعبيري الفينيقي، لمفهوم الدفع، وما جاء في القرءان المجيد من استعمال صوت الدال، في الموافقة لما سبق، هو من باب ختم التصديق، فهو الحكم والفيصل في اللغة وكل شيء.

(هـ) - مفهوم كتاب الهاء - (ها، تلويح باليد)

هـاء الأبجدية، هو الكتاب الخامس في الترتيب الأبجدي والنطق الحالي (هـ) أما في الأبجدية الفينيقية، فهو (ها) ومسمَّى الكتاب مصوَّر (تلويح باليدين) وفي العبرية القديمة صورة (شبكة) والمراد من ذلك المفهوم، لا الصورة، وهي بمنزلة أيقونات على شاشة الحاسوب (الكومبيوتر) فكل أيقونة تدل على مضمون معلوماتٍ خاصةٍ بها، ولا بدّ من فهم هذه العلاقة بين الاسم الحالي لصوت (هـ) والمسمَّى الأصلي لها عند الفينيقيين(ها) والتي تدل على الغائب، وتهدي الضال ، والمصوَّر الفينيقي (حركة باليدين) أو(شبكة) بالعبرية.

قال تعالى:

﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلاۤءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 66] وقال تعالى:) **مّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىَ هَـؤُلآءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلآءِ**([النساء: 143] أي: بين ذلك متردِّدين، أي: غير مستقرين، ومتأرجحين في ريبٍ وغموض، قال تعالى:)**أُوْلَـَئِكَ الّذِينَ اشْتَرُواْ الضّلاَلَةَ بِالْهُدَىَ فَمَا رَبِحَتْ تّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ** ([البقرة: 16]، وجاء في الآية) **إِذْ هَمّتْ طّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ([آل عمران: 122] فالهمّ الذي لم يصاحبه عزم، والله تعالى الهادي من الضلال والريب والغموض، وعدم الاستقرار، وهو مصدر الهدى والمهيمن الرقيب الحافظ، وأصل (همن) المهيمن، ودخلت الهاء على (أمن) فدلت على معنى المهيمن من أمّن غيره؛ فالشبكة في العبرية للدلالة على أداة صيد الأشياء الضالّة، والمتحركة وغير المستقرة.. معاني معجمية: هبط، هباء، هجر، هدم، هرع، هلك، هوى.

إذاً؛ ما أراده الفينيقي في بلاد الشام عبر التاريخ الغابر من مسمَّى الأصل لكتاب الهاء (التلويح باليدين) للفت نظر الضائع، أو للدلالة على النفس ومكان الوجود، أو للإرشاد.

الخلاصة: مفهوم كتاب التنبيه والاهتزاز؛ هاء (هـ) يدل مفهومه على اهتزاز خفيف في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

في أدبيات «سبيط» معنى (صوت الهاء) تنهي الحركة، وتربط وتنظم أخرى.

التعليق:

من الطبيعي أن حركة الاهتزاز، تنهي حركة وتبدأ أخرى، لأن حركة الهاء تفيد الهداية والانتهاء من حالة الضياع، أو الاضطراب أو الغموض، فلا خلاف في المعنى بين الصياغتين، عند الفينيقي و«سبيط».

(و) - مفهوم كتاب الواو - (واو، مسمار بزاوية)

واو الأبجدية، هو الكتاب السادس في الترتيب الأبجدي والنطق الحالي (و) أما في الأبجدية الفينيقية فهو (واو) وما زال إلى اليوم بنفس الاسم، ومسمَّى الكتاب هذا صورة (مسمار بزاوية) وفي العبرية القديمة مصوَّر (وتد) وكسائر الصور السابقة المهم الدلالة؛ ولمعرفة المراد من المعنى، لا بُدَّ من ربط الاسم بالمسمَّى (الواو) بالـ(مسمار بزاوية) أو(وتد) وعملُ كليهما الشدّ والضمّ والرصّ، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً**﴾ [النبأ: 6 – 7] فالجبال تحفظ الأرض من الاضطراب، وذلك بشدّ الغلاف الجوي، وتثبيته كغطاء الخيمة على الأرض؛ فصوت الواو هو أحد أزواج الثلاثي (ا - و- ي) يعمل على مزاوجة الكتب الأبجدية، وينطق مدّاً ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ** ﴾ [البقرة: 256] أوثقه: شدّه بشيء، والوثقى: المتمسك بحبلٍ متينٍ؛ فكتاب الواو، يدل على الشدّ والضم، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ** ﴾ [العنكبوت: 15] وهنا الواو ضمّت الطرفين، وقد ترد الواو في أول الكلمة ووسطها وفي آخرها، مثال: ﴿**فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ** ﴾ [النساء: 43].

فنلاحظ وظيفة الواو الضم، حتى الكلمة التي تعني الإفراد والوحدة، يدل الواو فيها على الضم الممتد، أي: واحد تلو الواحد ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَىَ لَن نّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ**﴾ [البقرة: 61] من ذلك أن لفظ الواحد لا يتبدل، وإِنْ تكرّر، لأنه واحدٌ بوحدة نوعه، فنقول: الله واحدٌ أحد، فالأحدية لنفي تكرار الذات، لذا؛ لم يأت في سورة الإخلاص، لفظ واحد، بل لفظ أحد في أولها، ولفظ أحد في آخرها ﴿ **قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ اللّهُ الصّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ [سورة الإخلاص] وكذا لفظ (نور) فتجمع على أنوار، ونيران، والضوء هو عبارة عن موجاتٍ، وحزمٍ ضوئيةٍ ممتدة، ومضمومةٍ إلى بعضها.

معاني معجمية: وثق، وجد، ودت، ودق، وصف، وطء، وفد... إلخ.

إذاً مصوَّر مسمار بزاوية في حضارة فينيقيا الشام، هو أداة ضمّ، أو شدّ، أو رصّ ممتد، وأطلق عليه اسم (واو) واستمر هذا الاسم إلى العصر الراهن.

الخلاصة: مفهوم كتاب التثبيت؛ الواو (و) يدل على ضمّ، ورصّ، وشدّ ممتد في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

عند «سبيط» (الواو) تموضع الحركة في المكان.

التعليق:

إن الضم والرص والشد ما هي إلا حركات تموضع ذاتية على امتداد المكان، خاصة أن اسم المصوَّر التعبيري في الفينيقية (واو) جاء الألف بين واوين، وهذا يفيد المتموضع على امتداد المكان، وهي صيغة أدق من مقالة «سبيط» التموضع في المكان.

(ز) - مفهوم كتاب الزاي - (زين، حربة أو سلاح)

زاي الأبجدية، هو الكتاب السابع في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي (ز) وأما في الأبجدية الفينيقية، فقد أطلقوا عليه اسم (زَيْن) ومسمَّى الكتاب هذا مصوَّر (حربة أو سلاح) وليس هو مقصد بذاته، وإنما ما يوحي من معنى، هو جذر كتاب زاي، وأول ما يوحي به المصوَّر الفينيقي بالزينة، حيث كان الإنسان القديم يعتبر زينة الرجل سلاحُه، وهو يدل على القوة والرجولة، فلا يفارقه من على كتفه أو وسطه، أينما حلّ أو ارتحل، فهو أداة مهنة وحرب وزينة، ومازالت قبائل اليمن والأفغان وغيرها تحافظ على ذلك إلى اليوم.

وما ورد بالأبجدية العبرية اسم (ريش) فإنه رمز الزينة، قال تعالى: ﴿ يَابَنِيَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 26] فالآية صريحة أن اللباس نوعان؛ مواراة وزينة، ومعروف أن الزينة ما زاد على حد الضرورة ﴿ يَا بَنِيَ آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: 31] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود: 15] فالزينة شيء زائد عن لباس الستر، والآية الثانية توضح ذلك، حيث وردت الزينة زيادة، على حياة الدنيا، وبعد ذلك لا بُدَّ من ربط الاسم بالمسمَّى، فالاسم (زين) يدل على زيادة، والمسمَّى مصوَّر (حربة وسلاح) يعبِّر عن زيادة تابعة، ومصوَّر (الريش) يدل على زيادة بارزة، لأن ريش الطير، زينة بارزة عن أطرافه، وكذا وَبَر وشَعْر وصوف الكائنات، زينة بارزة، والملاحظ أن الإنسان يتزين بشعره، ذكراً أو أنثى، وهي بروز متصل.

إذاً مفهوم مصوَّر (حربة وسلاح) في حضارة فينيقيا، هو أداة زينة، وهي زيادة تابعة، واسم المصوَّر هذا (زين) أي: زينة أساسية، وهي زيادة بارزة بمادتها أو صفاتها، سواء أكانت أصلية أم تابعة.

معاني معجمية: زدني، زوج، زمرا، زكا، زحزح، زحف... إلخ.

الخلاصة: مفهوم كتاب الزينة؛ الزاي (ز) يدل مفهومه على زيادة بارزة، في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

في أدب «سبيط» (صوت الزاي) إزاحة الحركة أو تزحيفها باتجاه معين، فتنقطع آثارها في المركز.

التعليق:

إن صياغة (الإزاحة أو التزحيف) ما هي إلا بروز عن المركز، أو زيادة بارزة، فالمعاني متقاربة، ولعل الدراسات المستقبلية تأتي بمعاني صوتية أكثر وضوحاً، باستخدام أجهزة وتقنية إلكترونية عالية الدقة.

(ح) - مفهوم كتاب الحاء - (حط، حائط أو سياج)

حـاء الأبجدية هو الكتاب الثامن في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي (ح) أما النطق في الأبجدية الفينيقية فهو (حط) ومسمَّى الأصل للكتاب، هو مصوَّر (حائط أو سياج) وليس هو مقصد بذاته، وإنما كبقية الكتب الهجائية، ما يوحي به من معنى؛ هم أرادوه بعد أن قاموا بعمليةٍ طويلةٍ في استخلاص هذه الأبجدية، والتي صارت أصل الأبجديات، وانحدرت منها سلالة من عدة أسرٍ أولية كانت أمّ الأبجديات جميعاً، فالمصوَّر يدل على الإحاطة بالشيء، والإحاطة مادية أو معنوية، قال تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ [يونس: 39]، وأحاط به علماً، قال تعالى: ﴿ **أَوْ تَحُلّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ**﴾ [الرعد: 31]، وقوله: ﴿**حَتَّىَ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**﴾ [البقرة: 196]، وكل من أحاط بشيءٍ فهو محيط، وهذه المعاني تتضمن الحدود والمنع والسّدّ.

أما اسم المصوَّر (حط) فيدل على هبوط وإنزال، قال تعالى:﴿ **وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** ﴾ [البقرة: 58] أي: حط عنا أوزارنا، وقوله تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىَ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً** ﴾ [الكهف :68]، وقوله: ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [النمل :22] فالحطّ نزول، مثل حطّت الطائرة في مطار دمشق، فالحط حركة في فراغ، أو من علوّ فضائي أو حطّ معنوي، فنقول: انحطّ السعر، وانحطاط أخلاقي، أو حضاري، ونأتي إلى محاولة ربط الاسم بالمسمَّى، فالحطّ الاسم الفينيقي، يفيد النزول من حركة موجية أو شيئية، والمصوَّر الفينيقي، يدل على سعة محددة، محاطة بحدود طيفية أو ثقالية أو مغناطيسية، أو مادية، من أنواع السياج المعروفة.

فعلاقة صوت الحاء بالطاء في اسم المصوَّر (حط) تدل على أن السعة المتأرجحة محدودة مدفوعة بصوت الطاء، فتتأثر السعة كبراً وصغراً بمركز الحد المادي أو المعنوي، مثال ذلك سعة المجال المغناطيسي تكبر أو تصغر بحسب تأثرها بمركز حدوده المجالية.

معاني معجمية لبعض الكلمات: حفيظ، حديقة، حوذ، حميم، حرم، حقف.

الخلاصة: مفهوم كتاب الحرم والحدود؛ حاء (ح) يدل مفهومه على سعة متأرجحة محددة في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

فعند «سبيط » معنى (الحاء) تعاظم الحركة في ذاتها إلى حدها الأقصى.

التعليق:

إن صياغة (سعة متأرجحة محددة)، أدق من صياغة «سبيط» (تعاظم الحركة في ذاتها إلى حدها الأقصى) لأن التأرجح يشمل التعاظم، فالسعة الحرارية حول الموقد، أبعادها تتسع وتضيق، صعوداً وهبوطاً كحد أدنى وأعلى، بحسب شدة الطاقة الحرارية في المركز، ونأمل في المستقبل، تعميق الحفريات الثقافية، لكشف المزيد من كنوز المعاني الصوتية، في أبجدية أم اللغات ولغة البشرية جميعاً.

(ط) - مفهوم كتاب الطاء - (ططا، حية)

طـاء الأبجدية، هو الكتاب التاسع في الترتيب الأبجدي المعروف، والنطق الحالي (ط)، أما النطق في الأبجدية الفينيقية للكتاب طاء فهو(ططا)، وجاءت هذه التسمية من المصوَّر الأصل للأبجدية العربية هو (حيّة) وفي العبرية القديمة (حنش) وفي أبجديات أخرى قديمة مصوَّر(عجلة دائرية) تعبر عن حرف الطاء، والمقصد كالعادة في منهجنا، المفهوم لا الذات، المعنى لا المادة.

فالمصوَّر الفينيقي (حية) هو أصل الأبجدية العربية، وسائر الأبجديات في العالم، فماذا يوحي مصوَّر حية.. ؟ ﴿ **فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ [طه :20] فالحية معروفة من الزواحف، تمشي على بطنها، فهي تسعى في رزقها، فتندفع قابضة باسطة، إذ تبسط مقدمتها من قبض نحو الأمام، وتكرر هذه العملية، جزءاً بعد جزء من جسمها على التوالي، وذلك بحسب طولها، وأحياناً تستعين بحركة التقوّس يمنةً ويسرةً كبديل، أو مساعد لعضلات بطنها، أثناء مشيها على بطنها، قال تعالى: ﴿ **فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىَ بَطْنِهِ**﴾ [النور: 45].

من ذلك يتبين لنا أن المقصود من المصوَّر معنى الدفع، وهذا ما عبّر عنه الإنسان العربي الأول، ونقله إلينا الفينيقي من خلال المصوَّر؛ والاسم (ططا) للدلالة على الدفع بصورتَيه المتوقف، وعلى التوالي.

وهـذا المعنـى جـاء في المصـوَّر العـبري أيضـاً (حنـش) والاسـم (طيـت) واليـاء مـن أحـرف المـدّ؛ وكـذا (العجلـة الدائريـة) والمعنـى لا يختلـف عـن الفينيقيـة، بـل يتطابق، قـال تعـالى: ﴿**وَأَطِيعُـواْ اللّـهَ وَأَطِيعُـواْ الرّسُـولَ** ﴾ [التغابـن : 12].

والطاعة صدق في الاتِّباع على التوالي، وهذا اندفاع – قلباً وقالباً– قال تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَآبّةٍ فِي الأرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ** ﴾ [الأنعام :38] الطيران نوع من الاندفاع في السماء، وسُمِّي الأكل طعاماً؛ لأنه يندفع من الفم إلى الجوف، والذي يطعن بالسكين، أي: يدفع آلة حادة في الجسم، وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السّمَآءَ كَطَيّ السّجِلّ لِلْكُتُبِ** ﴾[الأنبياء :104].

فالطيّ دفع شيء على شيء، وقال تعالى: ﴿**وَطَهّرْ بَيْتِيَ لِلطّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرّكّعِ**

السّجُودِ ﴾ [الحج :26] الطهارة دفعٌ للخبث، والطواف اندفاعٌ حول شيء، وبهذا وصلنا إلى ربط الاسم بالمسمَّى، أي: كتاب الطاء بمصوَّر (حية) الفينيقي وهو جذر وأصل الأبجدية العربية.

بعض كلمات المعجم: طبق، طرد، طرق، طلع، طود... إلخ.

الخلاصة: مفهوم كتاب الطي؛ طاء (ط) يدل مفهومه على دفع وسط متوقف في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

فالمعنى عند «سبيط» (الطاء) طي الحركة بعيداً عن المركز.

التعليق:

إن حركة الطي لا تتم إلا بقوة دفع تبعدها عن المركز، والاسم الاصطلاحي الفينيقي لمصوَّر حية التعبيري (ططا) يدل على أكثر من حركة، بل تتابع حركات متدافعة أو مستمرة، وهنا تكامل المعنى، عند الفينيقي وسبيط.

(ي) - مفهوم كتاب الياء - (يَود، يد)

يـاء الأبجدية، هو الكتاب العاشر في الترتيب الأبجدي، وهو معروفٌ عند أكثر الأمم القديمة، ولا سيما الآراميين والسريانيين والعبرانيين والفينيقيين، والنطق الحالي (ياء) أما النطق في الفينيقية للكتاب ياء فهو (يَود)، وهذا اسم مصوَّر الأصل للأبجدية العربية (يد)، وهذا جذر الألسن جميعاً؛ فماذا يوحي المصوَّر ؟.. فاليد الجارحة من جسم الإنسان والحيوان، وهي من أطراف الأصابع إلى الكتف، قال تعالى: ﴿ **وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ [المائدة :6] ، فاليد أداة الاتصال مع الغير، ولكل شيءٍ يدٌ هي في وضع الإمساك؛ وكتاب الياء أحد حروف المدّ من الأزواج الثلاثية (ا- و- ي) وينطق مداً.

فما مفهوم اليد.. ؟ قال تعالى: ﴿ **إِذْ أَيّدتّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾ [المائدة :110] أي: بقوى روحية وقوله: ﴿ **أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ** ﴾ [الأعراف : 195] وقوله: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأيْدِ إِنّهُ أَوّابٌ**﴾ [ص (17)] أي: صاحب القوة وقوله: ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأقْتُلَكَ إِنّيَ أَخَافُ اللّهَ رَبّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة :28] ؛ فالحرف ياء، يدل على قوى ثلاثية، قيادة وربط، ونسب، فإذا جاءت في أول اللفظ، مثال: يسجد، فالياء هنا يد الفاعل تقود الفعل.

أما إذا جاءت الياء في وسط اللفظ مثال: فيض، غيظ، ريب، فهنا الياء في وسط اللفظ تربط بين انفتاح الفاء، مع دفع شديد للضاد؛ وربط غاء الغموض مع ظاء الظهور؛ وتربط راء التكرار، مع باء جمع المستقر؛ وتأتي الياء في آخر الكلمة، فتفيد النسب ﴿ **قُرءاناً عَربيّاً**﴾ بعد هذا البيان، نربط الاسم (يَود) بالمسمَّى (يد)، وهنا ورد كتاب الياء، في أول اللفظ، ياء قيادة فعل ود (يـ+ود) قال تعالى ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرّسُولَ**﴾ [النساء :42] وقوله:﴿ **يُبَصّرُونَهُمْ يَوَدّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ** ﴾ [المعارج: 11] يود، أي: يتمنى ويحب وهنا الياء يد الفاعل، وهي القوة القائدة للميل والحب والتمني.

وبذلك الربط بين كتاب الياء واسم مصوَّر الفينيقي (يَود+ يد) نحصل على مفهوم أن الياء الأبجدية تدل على قوة أو طاقة تسوق، وتربط، وتنسب على امتداد.

الخلاصة: مفهوم كتاب النداء والتأييد؛ ياء (ي) يدل مفهومه على قوة ربط ممتدة زمانياً في الأبجدية العربية القرءانية. -

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

فعند «سبيط» (الياء) مظهر زماني، يدل على ديمومة توالد الحركات من بعضها على مر الزمان.

التعليق:

التوالد دوماً نتيجة اقتران أو انقسام، والحالتين تدل على صورة من صور الربط على مر الزمكان، فالمعنى متقارب بين المعنى الفينيقي و«سبيط»، وعملية المقارنة لمعاني الأصوات تزيد المعنى بلورة ووضوحاً مع الزمن.

(ك) - مفهوم كتاب الكاف - (كاف، كتف)

كـاف الأبجدية، هو الكتاب الحادي عشر في الترتيب الأبجدي، وهو معروف عند أكثر الأمم القديمة، ولا سيما الآرامية والعبرية وغيرهما؛ والنطق الحالي (ك)، أما النطق في الفينيقية لكتاب كاف فهو اسم (كاف) كما هو عليه الحال إلى الآن، وهذا الاسم لمصوَّر الأصل للأبجدية العربية (كتف) وليس المقصود من المصوَّر، إلا المفهوم، من وظيفة أو صفة بارزة، فما المراد من مصوَّر كتف.. ؟

إن الكتف من الإنسان، موضع ربط الأيدي بجذعه، والكتف لفظٌ يستعمل للتعبير عن الضغط بأنواعه، أو تكتل، من منعٍ وشدة، وإطلاق اسم (كاف) على مصوَّر كتف له دلالته، لإعطاء مزيد من المعاني المرادة قال تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ [الزمر: 36]. وهنا الكاف من الكفاية، أي: كفاني ومنعني من كل شرٍّ وعدوٍّ، أو ضغط المشقة والحاجة، فهي موجة صوتية تجمع الحركات المتشابهة من لحظة سيرورتها لتشكل تكتل ضاغط ومانع محدد في صيرورتها.

أما في العبرية، فقد كان المصوَّر (كف اليد) وهو عضو من يد الإنسان، وتتضمن خمسة أصابع متشابهة متلائمة، ومتآلفة في حركتها، وترمز بمجموعها إلى قوة ضاغطة، قال تعالى: ﴿**إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ** ﴾ [المائدة :11] فيقال: كفّ يده عنه، أي: امتنع عن إيذائه، وقد سمِّيت بذلك لأن الأصل فيها، أن يكفّ الإنسان بها الأذى عن نفسه وغيره.

إذاً المصوَّر العبري (كف اليد) يدل على الشدة، وكذلك اسم المصوَّر (كف) يدل على معاني المنع، فالمعنى العام، المنع من أي ضغط أو شدة أو أذى، وقد تقاطع المعنى في كلا المصوَّرين، بعد الربط بين الاسم (كاف) والمصوَّر (كتف) الفينيقي، باعتباره الأصل الذي انحدر منه كتاب كاف الهجائي... بعض الكلمات، كثب، كعب، كفر.

الخلاصة: مفهوم كتاب الكفاية؛ كاف (ك) يدل مفهومه على منع أو ضغط محدد، في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

وعند سبيط (الكاف) تفكيك وتصنيف الحركات في تكتل من التلاؤم والتآلف مع متشابهات من أمثالها.

التعليق:

إن المناعة والضغط، هو ما عبَّر عنه «سبيط» تفصيلاً، (تكتل من التلاؤم والتآلف مع متشابهات من أمثالها) وإدراك ذلك يتطلب شيء من الصفاء الذهني والتأمل، ولشدة تداخل المعاني نحتاج إلى دقة نظر، وكل من المعنيين السابقين يتضمن الآخر.

(ل) - مفهوم كتاب اللام - (لامد، ليث)

لام الأبجدية الهجائية، هو الكتاب الثاني عشر في الترتيب الأبجدي، وهو معروفٌ في الألسن القديمة، والنطق الحالي هو (ل) أما النطق في الفينيقية فهو (لامد) وكالعادة قد يتفق الاسم مع المصوَّر في الفينيقية أو يختلف، كما هو الحال هنا، إذ إن مصوَّر اسم لامد هو (الليث) ذكر (اللبوة) وله أسماءٌ كثيرةٌ، وكل اسمٍ يدل على حالة، فهو (الليث والسبع والهزبر والخطار والضرغام والغضنفر) قال تعالى: ﴿ **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مّسْتَنفِرَةٌ فَرّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**﴾ [المدثر :50– 51] أي: فرّت من الأسد وغير ذلك، فالسبع ملك الغابة، ورمز الحرية فهو صاحب السيادة والاستقلال، في موقع مجاله، والحرّ في اختياره، فما علاقة اسم (لامد) بمصوَّر (ليث).

فالمتأمل في الاسم يرجع إلى بدء اللفظ (مد) قال تعالى: ﴿ **لاَ تَمُدّنّ عَيْنَيْكَ إِلَىَ مَا مَتّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مّنْهُمْ** ﴾ [الحجر : 88] أي: لا تمدّ نظرك معجباً وشاغلاً نفسك بالشهوات، وقوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىَ رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ** ﴾ [الفرقان :45] **دعوة** إلى رؤية كيفية مدّ الظل، وعلى وضوء ذلك نقول: إن السبع في حالة مدّ بصر السيادة والسلطة، لمعرفة شيءٍ ما، فجاءت عشرات الآيات، تربط النظر بتحصيل المعرفة، لتجنب العواقب التاريخية والإفساد في الأرض، فالنظر لازَمَ العلم؛ ولا علم بلا حرية، سيادة واستقلالاً، فالعلم والحرية وجهان لعملة واحدة، وكلها لوازم بعضها، ﴿**عبرة لأولي الألباب**﴾ [يوسف: 111]، جمع لب: وتعني العقل، وألب بالمكان أقام به ولزمه، كأمثال اللؤلؤ المكنون؛ وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب.

﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ** ﴾[يونس: 101] .

﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيّنّاهَا لِلنّاظِرِينَ** ﴾ [الحجر: 16] .

﴿ **انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ الآيَاتِ لَعَلّهُمْ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام: 65] .

﴿ **أَوَلَمْ يَنْظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ** ﴾ [الأعراف: 185].

فالناظر يتدرج بنظرته، بحسب مقصوده في لمس الأشياء ابتداءً من نظرةٍ سطحية، إلى

عميقة، ومن ثم النظرة المستنيرة، فمدّ البصر يتدرج أطواراً ابتداءً من (مد) فطري للنظر الكيفي لضرورة رؤية عالم الأشياء والأشخاص، ثم الطور الثاني (لمد) وهو مدّ البصر وتركيزه لمعرفة ما يثير الانتباه من المتغيرات، ثم الطور الثالث (لامد)، وهو مدّ النظر لمعرفة أسباب المتغيرات، والعلاقة بينهما؛ فهي نفس معنى (مد) في طوره الأول، مع ملازمة النظر عدة لوازم من اليقظة والانتباه، وسرعة تحليل ما يجري، وتأهب من أي مفاجأة.

ولنا في القرين اللفظي المشترك مثال قرءاني (مس، لمس، لامس) فمن تعدّد استعمال اللفظ المشترك، نستدلّ على معنى لامد وهو البطء والمبالغة في تفحّص الشيء، وقراءته وتفهمه - خاصة حينما يتهدد الليث أو اللبوة ممَّن حوله- ؛ فاللام موجة صوتية تتلاحم من لحظة سيرورتها مع كل الممكنات اللازمة لتشكل حركة واحدة، وبعض العرب تلفظها (لامذ) ومنها اشتُق (لمذ، وتلمذ، وتلاميذ) كما اشتُق لفظ تلمود من لامد، أي: كتاب تعاليم؛ وبعد ربط الاسم (لامد) بالمصوَّر (ليث) الفينيقي والذي انحدرت منه سائر الأبجديات نصل إلى نتيجة في كتاب لام حركة لولبية بطيئة ملازمة للشيء.

كما يوجد مصوَّرات عربية قديمة أخرى مثل (شوكة) ومصوَّر (عصا راعي البقر) في العبرية القديمة، قال تعالى: ﴿ **وَتَوَدّونَ أَنّ غَيْرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال :7] فالشوكة هي ما يدق ويصلب رأسه من النبات، ويعبَّر بالشوكة عن السلاح والقوة، فهي أداة لها صلة بتحصيل الصيد، وملازمة لعملية القنص.

وأما مفهوم مصوَّر، العصا فهو واضح في الآية ﴿ **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشّ بِهَا عَلَىَ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىَ** ﴾ [طه :18] أداة صلة لازمة.

أما تأويل الاسم المشترك لمصوَّر (شوكة - وعصا الراعي) أي: (لامد) وفي العبرية (لاماد) فهذا اللفظ مركب من مقطعين دُمجا ببعضهما (إلا+ لمد).

الأول لفظ (إلّا) قال تعالى: ﴿ **لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاّ وَلاَ ذِمّةً وَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** ﴾ [التوبة: 10]، وأما معنى اللفظ فهو كما ذكر الراغب الأصفهاني (الإل) كل حالة ظاهرة، وهنا معنى (إلا) نعمة عكس (ذمة) أي: نقمة من باب ما يذم على إطاعته، فالنعمة عامة

مسخّرة، والنقمة حالة طارئة.

وأما المقطع الثاني من الاسم (لمد) وكما ذكرنا سابقاً، النظرة المتفحصة، أو التركيز في مدّ البصر لمعرفة المتغيرات، وهذه من أَجَلّ النعم، وهي القدرة على التعلّم والتعليم من خلال ملازمة النظر في كتاب ملكوت السموات والأرض، حتى يحقق الإنسان الخلافة في الأرض سيادةً واستقلالاً.

إذاً؛ من خلال ربط الاسم (لامد) بالمصوَّر (الليث، شوكة، عصا الراعي)، نأتي على نتيجة دلالة (ل) وهي حركة تفحُّصٍ لولبية، من خلال الحواس، فهي لام العِلْم وتتضمن مفهوم الحرية، لزوم لازم.

الخلاصة: مفهوم كتاب العلم والتعلم؛ لام (ل) يدل مفهومه على حركة لازمة متلازمة في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

والصياغة الصوتية عند «سبيط» (صوت اللام) تلاحم ما يمكن أن يكون حركة واحدة.

التعليق:

هنا المعاني متقاربة، بين الفينيقي و«سبيط»؛ لأن الحركة لازمة متلازمة، تعني التلاحم لكل ما يلزم من حركات لتحقيق الغاية، مع شعوري بالتقصير والحاجة إلى دراسة أكثر، لاسم المصوَّر التعبيري الفينيقي (لامد)، عسى أن تنال لغتنا الجميلة اهتماماً على يد أجيال المستقبل، ونستفيد من أسرارها العظيمة.

(م) - مفهوم كتاب الميم - (ميم، ماء)

ميم الأبجدية الهجائية، هو الكتاب الثالث عشر في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي هو (م) أما النطق في الفينيقية فهو (ميم) وكالعادة قد يتفق الاسم مع المصوَّر، أو يختلف كما هو الحال في هذا الكتاب، فالمصوَّر هو (ماء) والماء كائن شفاف لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة، ولا يمسك باليد، فهو جمع متصل بالحياة بصور مختلفة، وهو أصل الحياة، ومبعثها ومصدر كل شيء، ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: 30] فالميم موجة صوتية تدل من لحظة سيرورتها على المصدرية، وفي صيرورتها على إتمام وإكمال الحركة في صورة جمع متصل، فالماء مصدر الحياة، ومخزن الأرزاق، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ**﴾ [الزمر: 21] وقوله ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾ [ق: 9].

هذه من المشاهد الكونية التي أثارت نظر الإنسان الأول، فمشهد صغار الأنعام وهي تركض خلف أمها صارخة (ما، ماء، ماع) وهي تريد رضاعة الحليب، جعلت الإنسان ينفعل ويتفاعل؛ وهكذا اكتسب المعلومة ووظَّفها في حياته، بعد أن جردها من واقعها، واستخدمها في حياته وعلَّم صغاره، اسم الأنثى التي هي مصدر رزقهم (أم، ماما) ومن خلال القياس أدرك أن رزق الحيوان والنبات ينزل من الأعلى، فأطلق عليه اسم (ماء) وأضاف مع الزمن حرف (السين) لكل ما يسند الأشياء حفظاً ورفعاً وجرياً، من ذلك ما تمسكه السماء من ماء بصورته الغازية؛ فصوت الميم (م) يدل على جمع متصل مصدري؛ وهو الرزق في السماء، وثدي الإناث، وصارت تعبِّر عن كل مصدر من مكان ومنزلة ومركز وموضع وغير ذلك.

لذا عبر عرب الشام (الفينيقي) عن صوت الميم بصورة الماء، وصارت وثيقة تاريخية للإنسانية جميعاً، ونزل القرءان الكريم مؤكداً ومصدِّقاً هذا المعنى، وكل ما يتولد من معنى الحرف إلى يوم الدين لا يخرج عن المعنى المصدَّق من القرءان الكريم.

إذاً؛ كتاب الميم يحمل أهم خصائص الماء، في تداخله في بنية الكون امتلاءً، فهو كيان من جمع متصل مصدري، يدل على المكان والمكانة، وبذلك تم ربط العلاقة بين الاسم (ميم)

ومصوَّر (ماء) مصدر ومبعث الحياة.

الخلاصة: مفهوم كتاب المصدر أو المنبع؛ ميم (م) يدل مفهومه، على جمع متصل مصدري في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

والصياغة عند «سبيط» (صوت الميم) تكامل الحركة بإتمام ما ينقصها!.

(ن) - مفهوم كتاب النون - (نون، سمكة)

نون الأبجدية الهجائية، هو الكتاب الرابع عشر في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي هو (ن) أما النطق في الفينيقية فهو (نون) وكالعادة قد يختلف أو يتفق الاسم مع المسمَّى، وهنا مصوَّر (سمكة) وفي العبرية القديمة (حوت) وكلاهما واحد، فما المقصود من المصوَّر...؟ ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ**﴾ [يونس :71] ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ**﴾ [آل عمران: 44]، نلاحظ أن حرف النون يدل على مفهوم أو صوت أو حركة في خفاء، ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ [القلم: 1]، فالنون وعاء القلم والقلم أداة التعريف والتمييز.

لقد أدرك الفينيقي – عرب بلاد الشام – أن السمك لا يعيش إلا ضمن حوض مائي، يختفي فيه، فلا يخرج منه إلا قهراً؛ فأطلق اسم نون رمزاً، على كل ما يُخفي مكنوناً بأي حوض أو وعاء؛ وما ربطه بمصوَّر سمك إلا للدلالة على معنى الحركة في الخفاء.

إذاً قراءة المصوَّر، قراءة تحليلية تفكيكية، تدل على دليل كتاب (نون) قال تعالى: ﴿ **وَذَا النّونِ إِذ ذّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنّ أَن لّن نّقْدِرَ عَلَيْهِ**﴾ [الأنبياء :87] تدل الآية القرءانية على إبداع إنسان عرب الشام، في اختياراته الموفقة، ودلالاته المحكمة، حين أطلق اسم (نون) على مسمَّى (سمكة) فجاء القرءان وحيُ السماء بعدها مصدقاً لهم: ﴿**وَذَا النّونِ**﴾ أي: النبي يونس (عليه السلام)، وسُمِّي بذلك؛ لأن الحوت أخفاه في جوفه.

إذاً مصوَّر (سمكة)، في حضارة فينيقيا الشامية، كان نصاً ودليلاً على اسم (نون) نزل بها القرءان المجيد، بلسانٍ عربيٍّ مبين، يرشدنا إلى هذا الأصل للأبجدية العربية.

الخلاصة: مفهوم كتاب الحضن والخباء؛ نون (ن) يدل مفهومه على خباء أو ستر في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

والصياغة عند «سبيط» (صوت النون) إنشاء وتوالد مستمر لحركات خافية.

(س) - مفهوم كتاب السين - (سامك، دعامة)

سين الأبجدية الهجائية، هو الكتاب الخامس عشر في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي هو (س) أما النطق عند عرب بلاد الشام، في حضارة فينيقيا فهو(سامك) اسم لمصوَّر (دعامة) وفي العبرية القديمة (مسند) ولا بد من تفكيك معنى المصوَّر، وربطه فيما بعد باسمه لمعرفة دليل الصوت الهجائي قال تعالى: ﴿ **رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا**﴾ النازعات (28) أي: جعلها كائنة متباعدة الأطراف، مشدودةً إلى بعضها، بدعم الثقالة الكونية.

فالمصوَّر (دعامة) وعماد الشيء، ما يسند عليه، فيقال له دعامة، أو مسند، فالخيمة تقوم على دعامة، أو عمود، أو أي مسند في وسطها، والدّين يقوم على دعامة الإيمان، والسماء تقوم على الثقالة الكونية، كما الذّرّة تقوم على دعامة الجاذبية لمداراتها؛ قال تعالى﴿**كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس :40] أي: يَجرون ضمن نظام، فالسامك اسم فاعل (سمك، سامك) وهي حركة دعم فاعلة، رفعاً وجرياً وحفظاً، أو الذي يشدّ الأطراف إلى بعضها سنداً ودعماً، قال تعالى: ﴿ **اللّهُ الّذِي رَفَعَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ﴾ [الرعد:2].

ومن خلال استقراء بعض الاستعمالات اللفظية لكتاب سين يتّضح المعنى أكثر، من ذلك جاءت معاني السين في ألفاظ، مثل (سكن) منع الحركة بكتاب الكاف إلى حد الخفاء بكتاب النون؛ ولفظ (سبت) من السُّبات، وهنا حركة السين استقرت، بفعل كتاب الباء (بيت)، والذي يدل على جمع مستقر مدفوع بكتاب التاء؛ ولفظ (سر) هنا حركة السين مستمرة، بفعل اتصالها بكتاب الراء ريش والذي يفيد التكرار؛ ولفظ (سماء) هنا السين، باتصالها بكتاب ميم جمع متصل، مع ألف الثور في إثارة النظر إلى المنظور، للدلالة على سقف الأرض ومصدر المطر؛ ولفظ (سواد) هنا حركة السين الحرة، تراصَّت منضمة على بعضها بشدة بفعل كتاب واو الوتد.

لذا أطلق اسم الثقب الكوني الأسود، الذي يبتلع الضوء بفعل قوة الجاذبية؛ فالذي وصلنا عن طريق عرب فينيقيا عبر التاريخ، من مسمَّى الأصل لكتاب سين (دعامة) للدلالة على معناها باسم (سامك) أي: حركة سند ودفع، ورفع حرة.

الخلاصة: مفهوم كتاب السباحة؛ سين (س) يدل مفهومه، على حركة متصلة حرة في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

والمعنى عند «سبيط» (صوت السين) حركة انسلال بخفاء، واستمرار في الزمان، من دون إثارة انتباه باتجاه واحد.

التعليق:

إن تعبير «سبيط» معنى للحرف الواحد بجملة، لشعوره بأن الأمر بحاجة إلى جهد أكبر للوصول إلى معنى أدق وأشمل، خاصة أن العلم مازال في مرحلة التأسيس.

(ع) - مفهوم كتاب العين - (عين، حاسة البصر)

عيـن الأبجدية الهجائية، هو الكتاب السادس عشر في الترتيب الأبجدي، النطق الحالي (ع) أما في الفينيقية فهو (عَيْن) وكالعادة قد يختلف أو يتفق الاسم مع المسمَّى، وهنا مصوَّر (البصر)، وهو عضو التعبير، عما في أعماق النفس البشرية، من مشاعر إنسانية وشاعرية، وهي الباصرة، أي: رؤى العين، والتي تعكس الصور المنظورة في العمق، ويقال: عين جارية، وعين اليقين؛ وتطلق العين على مركز الحدث قال تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾ [المؤمنون :27] أي: بأمرنا لك ومعونتنا وأنت في عمق ومركز حفظنا وكلاءتنا بحيث نراك ونسمعك..

إذاً؛ العين عمق، وتدل على مركز الحدث والتأثير، ويقال للزوبعة التي تأتي على شيء: وقع في عين الزوبعة، وكذلك: جلس تحت عين الشمس، تعبيراً عن أشد حرارة زمكانية، فالعين غير البصر كما مرَّ معنا، وإنما قصد عرب الشام الفينيقي، ربط الاسم بالمصوَّر، ليدل على علاقة دلالة العين بحاسة البصر، وهي دلالة التعبير عن عمق مادي ومعنوي وهي موجة صوتية تعبر من لحظة سيرورتها عن عمق في ذات الشيء.

الخلاصة: مفهوم كتاب العناية؛ عين (ع) يدل مفهومه، على العمق في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

والصياغة عند «سبيط» (صوت العين) اتضاح حركة المعالم أو عمق في المجهول.

(ف) - مفهوم كتاب الفاء - (فا، فم)

فـاء الأبجدية الهجائية، هو الكتاب السابع عشر في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي (ف) أما في الفينيقية فهو (فا) وأما المصوَّر، الدليل الأصل للأبجدية العربية فهو (فَم) فماذا يوحي مصوَّر فم ؟.. هو فتحة الطعام والتذوق، والتحدث والضحك والتقبيل؛ قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىَ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [يس :65]. أي: لا يستطيعون النطق رغم وجود الفتحة لضعف قدرة الجهاز على النطق بسبب انضمام كيان غير مرئي أدى إلى الرخاوة وضعف النطق، وبيت القصيد أن الفم فوهة – ولو كان في حالة انضمام الشفتين– يقوم بعملية ضم الأشياء للداخل، أو تفريغها للخارج، مثل الزفير، وهو يضم مواقع النطق، وحليمات التذوق، وغدد الريق، وجهاز المضغ، ومنه يعبُر الطعام متفرقاً بالجسم، وهو أحد وسائل تفريغ الأفكار نطقاً.

وأما إطلاق اسم (فا) على المصوَّر (فم) للدلالة على صوت الفاء أولاً، ولإضافة معنى آخر على المصوَّر، لأن لفظ (فا) يدل على انفراج ممتد في الزمكان، فالفم شيء قابل للفتح فيزيائياً؛ ولنتعرف كيف توصل آدم لمعرفة حرف (الفاء والقاف) فقد وهب الله تعالى الإنسان، دماغاً وجهازَ نُطْقٍ، استطاع بهما التعلُّم، من خلال الانطباعات الذهنية لمشاهد اللوحة الكونية، العديدة والمتكررة لأصوات وأشكال وألوان مختلفة ومتباينة؛ خاصة أن الإنسان عاش نهاية الثورة البركانية في الأرض، فأدرك الكثير ورأى ما لم نر، وهو إنسان الفطرة، من هذه المشاهد واستمرار الانبثاق في النبات والحيوان منذ الحقبة البدائية، وانفتاح الزهور والثمار، وتوالد الحيوان وكذلك انفجارات الأرض، وما تلفظه من صخور كلسيه لينة عجينية لم تتصلَّب بعد، وبراكين وحمم صخرية تجري كالأنهار، يتصاعد منها الدخان، ويصدر منها الفقاعات الغازية المتفجرة، محدثة بلسان الحال صوت (الفقفقة) وقف يتأمل هذه المشاهد، التي طبعت في ذهنه عبر الزمكان، رابطاً بين صور (الفطر والفجر والفوران والفتح) والأصوات الكونية، وانتقلت من خلاله إلى الذاكرة الاجتماعية.

هذا الإنسان بطبيعته الشفافة، أخذ يحاكي تلك الأصوات الطبيعية بجهاز النطق، ومع الزمن بدأ يدرك تدريجياً، المعنى المراد من إعراب الحدث عن ذاته، وقد فهم المعنى في قرارة نفسه، أن صوت الفاء يفيد الفتح والانفراج، وصوت القاف الوقف والقطع، فأدرك أنه

قادر على التجريد، فاستعار النطق الكوني في حياته الاجتماعية، لكل ما يريد التعبير عنه بالفتح والقطع، ومع الزمن اكتسب قواعد في نظام النطق، من خلال وصل أو عكس الأصوات مثل (فق)، فصار (قف)، وهو يريد عكس المعنى أيضاً؛ واستمر الأمر في إبداع أصوات مختلفة وتركيبها؛ ليصل إلى معاني متباينة، لأن كل صوت له تردد موجي مستقل عن غيره أثناء النطق به؛ فأصبح مع الزمن يمتلك خلفية معرفية تراكمية، فمن صوت (ف) اشتق معنى الفهم والفقه والفكر والفسق والفرج والفم، وفجرنا الأرض عيوناً؛ وما زال إلى اليوم الاشتقاق مستمراً، ومن صوت (ق) اشتق معنى القطع والوقف وغير ذلك.

إذاً؛ الأحداث الكونية عرَّبت عن ذاتها، ونطقت بأصوات مناسبة وعاها الإنسان الأول والبدائي ونقلها عبر الذاكرة الاجتماعية، وحمل مشعل سبرها وجمعها وتحديدها ونشرها، العرب الأوائل، وبذلك أصبح فضلهم على العالمين؛ فالعربي الفينيقي بفكره المنفتح وعبقريته الإبداعية، استطاع أن يعبِّر عن كتاب (فاء) الأبجدي، بمصوَّر فتحة الفم لينطلق من المحسوس إلى التجريد في استدلاله، ومن الوجود إلى المفهوم، فكانت تلك المصوَّرات هي الأصل التي انحدرت منه جميع الألسن عبر التاريخ.

الخلاصة: مفهوم كتاب الفكر والانفتاح؛ فاء (ف) يدل مفهومه على انفتاح، أو فتح منضم في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

واصطلح «سبيط» لمعنى (صوت الفاء) تفرق الحركة في كافة الاتجاهات.

(ص) - مفهوم كتاب الصاد - (صادى، فخ أو منجل)

صاد الأبجدية، هو الكتاب الثامن عشر في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي هو (ص)، وأما النطق لكتاب صاد في الفينيقية فهو (صادى)، وهذا اسم مصوَّر الأصل للأبجدية (فخ أو منجل) والغرض من المصوَّر الوظيفة الفيزيائية، لا المادة؛ ولا بُدَّ من مزيد من الحفريات المعرفية، للوصول إلى أدق مآل من كل مصوَّر مع مرور الزمن، ولا يمنع محاولتنا المتواضعة في فقه أصل الأبجدية العربية في بلاد الشام، من حضارة فينيقيا.

فنحن كما نرى المصوَّر، فهو يدل على مصيدة، وهي أداة صد ومنع، وتظهر في عملية حبس أو تثبيت الصيد، كما أن مصوَّر (منجل) أداة صد وتعرض للشيء، وتظهر في عملية حصاد العشب والنبات، وكلاهما حركة صلة محددة في مواجهة واقع ما، وبعد بيان المصوَّر نأتي على اسمه (صادى) محللين؛ قال تعالى: ﴿ **فَأَنتَ لَهُ تَصَدّى**﴾ [عبس :6]. وقوله: ﴿**وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكَآءً وَتَصْدِيَةً**﴾ [الأنفال : 35].

وهنا (تصدى وتصدية) مصدر (صدى) أي: كل ما استقبلك يتصدد؛ أو الدفع المتقابل، وهنا التصفيق بالأيدي، وهي صلة محددة؛ وفي العبرية القديمة جاء المصوَّر (صديق) هو دفع متقابل من الطرفين، صدق بالعمل مع مودة، وهي صلة محددة، ومن هذا المعنى جاء لفظ الصدقات، والصداق، وهذا تواصل مدفوع بين الأطراف بصلة محددة، متقابلة أو متنافرة.

إذاً؛ عرب بلاد الشام في فينيقيا، بعبقريتهم المبدعة استطاعوا أن يعبِّروا عن المقطع الصوتي من خلال مصوَّر أطلق عليه اسم (فخ أو منجل) وقد دلَّ على معاني مختلفة للصلات المحددة، جاذبة أو نابذة.

الخلاصة: مفهوم كتاب الصيد؛ صاد (ص) يدل مفهومه على حركة صلة محددة، ومتواجهة في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

واصطلاح المعنى عند «سبيط» (الصاد) حركة تطوير وتهيئة وتفعيل، لمواجهة حركة ما.

(ق) - مفهوم كتاب القاف - (قوف، أذن)

قــاف الأبجديـة، هـو الكتاب التاسـع عشر في الترتيـب الأبجدي، والنطـق الحالي هو (ق)، وأمـا النطـق لكتاب قاف الفينيقية فهو (قوف) وهو اسـم مصـوَّر الأصل للأبجدية العربيـة (أُذُن) والمـراد منـه الوظيفـة، لا المـادة، كـما هـو الحال في سـائر المصـوَّرات، قال تعـالى: ﴿ **وَلَقَـدْ ذَرَأْنَـا لِجَهَنَّـمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِـنِّ وَالإِنْـسِ لَهُمْ قُلُـوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَـا وَلَهُمْ أَعْيُـنٌ لاَّ يُبْصِـرُونَ بِهَـا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْـمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُـمُ الْغَافِلُـونَ** ﴾ [الأعـراف: 179]، فـالأذن أداة السـمع، ولكـن لا يسـمعون؛ لأنهـم وقفـوا خلـف ضياعهـم، وقطعوا الاسـتماع الواعـي، قال تعـالى:﴿ **وَفِـيَ آذَانِهِـمْ وَقْراً**﴾ [الأنعـام : 25]. أي: كان في آذانهـم صَمَـمٌ، فيقـف المعنـى متثاقـلاً، فـلا يصـل القلـب الواعـي﴿ **فَضَرَبْنَـا عَلَـىَ آذَانِهِمْ فِـي الْكَهْفِ سِـنِينَ عَـدَداً**﴾ [الكهف :11].

وقد سمّيت أذن، لأن الإنسان يأذن لنفسه بالاستماع، أو يقطع الوعي عنها، فلا يدري ما يسمع.. فالأذن الخارجية أداة جمع وتحديد مسار واتجاه الموجة الصوتية إلى الأذن الداخلية، وقد صُمِّمت لهذه الوظيفة.

أما إطلاق اسم (قوف) على المصوَّر فهو لتحديد المعنى من مصوَّر أذن؛ ولفظ (قوف) هو عمل القائف الذي يتتبع الآثار، فيقف عند كل أثر متفحصاً، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء :36] ؛ أما المصوَّر في العبرية القديمة فهو (سم الخياط) والمعنى تعلُّق الشيء بالمحال، أي: كما أنه محال دخول الجمل سم الخياط، فكذلك المكذبون بآيات الله، محال دخولهم الجنة، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾ [الأعراف : 40] أي: مقطوعة عنهم الجنة.

إذاً؛ بيت القصيد من المصوَّريْن هو الانقطاع عن الشيء، أو القطع والفصل بين جزأين، أو المنع بحاجز بينهما، قال تعالى: ﴿**وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف :72]. وقوله: ﴿ **فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ** ﴾ [طه: 71].

الخلاصة: مفهوم كتاب القطع قاف (ق) يدل مفهومه على وقوف تحديد، أو قطع شديد في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

والصيغة الاصطلاحية عند عالم «سبيط» لمعنى (صوت القاف) توجيه الحركة، من خلال تحديد مسارها واتجاهها إلى جهة معينة.

(ر) - مفهوم كتاب الراء - (ريش، رأس)

راء الأبجدية، هو الكتاب العشرون في الترتيب الأبجدي، والنطق الحالي هو (ر) أما اسم الصورة التعبيرية في الفينيقية فهو (ريش) للمصوَّر (الرأس)، ولقد منح الله تعالى العقل (التمييز) للإنسان، وبه قرأ الكون والأحداث واكتسب منه قوانين العقل الأولى، فمن التماثل والتشابه، عرف القياس، من ذلك التماثل المكرر بالخلق، بوجود الرأس في مقدمة الجذع، وبوجود الشعر مكرر على الرأس، ولم ير صعوبة في التعبير عن هذه المشاهد، من خلال نطق حرف الراء، حيث تكرار انخفاض وارتفاع اللِّسان إلى سقف الحلق؛ لأن بعض الأصوات كانت تخرج بعفوية من مخارجها بسبب هيجانه وانفعاله، خاصة أن من خاصية حرف الراء سهولة تكراره (رررر).

ومن ذلك أطلق اسم رأس الجبل ورأس الرمح ورأس الشجرة، ورأس القبيلة ورأس الأمر، ومن ثم جعلوا لكل شيئاً رأساً، من ذلك اسم (رب) حيث جاء حرف الراء في أول اللفظ، لأن له استعمالات عديدة، مثل رب البيت ورب العمل ورب الأسرة ورب الدولة، وقول النبي يوسف عليه السلام: اذكرني عند ربك، قاصداً عند الملك.

قال تعالى: ﴿ **يَابَنِيَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ** ﴾ [الأعراف :26] فالريش ما يكسو جسم الطير، واستُعير للثياب، فالعبرة من اسم الصورة الأبجدية، هي الكثرة المتكررة من الريش، وأما المصوَّر الفينيقي (رأس) قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتّىَ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلّهُ** ﴾ [البقرة :196] إشارة إلى شعر الرأس، والشعر مكرر على رأس الإنسان، وفي العبرية أطلق اسم (ريش) على مصوَّر(ريش)، ولا يختلف المعنى عن مصوَّر الرأس، إذاً دلالة الاسم والمصوَّر، تفيد التكرار والتجديد ﴿**وَقَالَ الّذِينَ اتّبَعُواْ لَوْ أَنّ لَنَا كَرّةً فَنَتَبَرّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرّءُواْ مِنّا** ﴾ [البقرة :167].

الخلاصة: مفهوم كتاب الكرّ؛ راء (ر) يدل مفهومه، على التكرار في الأبجدية العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

ومعنى (الراء) عند «سبيط» حركة إعادة أو تكرار أو نسخ.

(ش) - مفهوم كتاب الشين - (شين، سن)

شيـن الأبجدية، هو الكتاب الواحد والعشرون في الترتيب الأبجدي، وأما النطق الحالي فهو (ش) واسم الصورة التعبيرية في الفينيقية (شين) لمصوَّر (سن) والسن واحدة الأسنان من فم الإنسان، وسميت أسنان لانتشارها في الفم، من هنا أطلق الفينيقي اسم (شين) على مصوَّر (سن) قال تعالى: ﴿ **وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ [النساء : 26]. فالسنن تنتشر في الطبيعية وفي الكون، وتفشو السنن في المجتمعات، قال تعالى: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ** ﴾ [آل عمران :137] فالسّنة أطلقت على القوانين، والعادات، والأعراف، وكل ما يجري منتشراً في الكون والمجتمع والأشياء، ومن ذلك المسن، وسنّ السكين؛ والسّنة أي: الطريقة.

إذاً؛ الانتشار بُعد كوني عمودي وأفقي، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾ [التكوير: 10] وقوله: ﴿ **فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُواْ** ﴾ [الأحزاب : 53] ﴿ **وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً**﴾ [الفرقان: 47]. وهذه المعاني من خلال ربط اسم (شين) لمصوَّر التعبيري الفينيقي (سن) عند عرب الشام الفينيقي.

الخلاصة: مفهوم كتاب النشر شين (ش) يدل مفهومه على الانتشار في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

المعنى عند «سبيط» (الشين) تشعُّب.

(ت) - مفهوم كتاب التاء - (تاء، علامة)

تـاء الأبجدية، هو الكتاب الثاني والعشرون في الترتيب الأبجدي، وأما النطق الحالي فهو (ت) واسم الصورة المعبرة عن الصوت أو المقطع هي (تاء) في الفينيقية، وأما مصوَّر الدليل الأصل للأبجدية العربية فهو (علامة) والمقصد من الصورة التعبيرية، حيث كانت تثبت، بدفع خفيف على أطراف الجمل في أعلى الفخذ والمقصد خشيت ضياعها حين اختلاطها بغيرها، فالعلامة هي نقاط علام ثابتة، مادية ومعنوية، تطلق على أي شيء منصوب أو ظاهر يهدي ويسترشد به، وهنا تفيد في متابعة الإبل في مركز التبادل التجاري؛ وتميزها في المراعي.

وفي العصر الراهن نرى فعل التاء في لحظة سيرورتها تثبت الأشياء بدفع خفيف، وتظهر من خلال صيرورتها في الواقع بالعلامة الفارقة أو الماركة المسجلة في المجال التجاري والاقتصادي عموماً فتتبعها الحركات، قال تعالى: ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَباً**﴾ [الكهف: 85] ﴿ **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ** ﴾ [النور: 31] ﴿ **وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ [المائدة: 3].

وفي العربية الحديثة تكتب التاء مفتوحة ومغلقة (صلاة، صلات) و(امرأة، وامرأت) فالتاء المغلقة في لفظ الصلاة، علامة على شحن الطاقة الروحية، والمفتوحة علامة على التفريغ؛ وفي لفظ امرأة، التاء المربوطة، علامة على صلاح المرأة مع زوجها، والتاء المفتوحة علامة على فساد المرأة مع زوجها في كتاب الله تعالى بالرسم العثماني.

الخلاصة: مفهوم كتاب التابعة تاء (ت) يدل مفهومه على دفع خفيف ثابت في العربية القرءانية.

مقارنة قراءة «سبيط» الصوتية، مع صور التعبير الفينيقية:

ومعنى (التاء) عند «سبيط» اجتذاب واجتماع الحركات.

الأصوات الرديفة الزوجية

لقد ذكرنا في مدخل المبحث، لماذا أسقط الفينيقيون ستة كتبٍ صوتيةٍ في التعامل مع الشعوب الأخرى ؟ وهي: (**ثخذ – ضظغ**) من ذلك عسرة النطق باللفظ، وعدم ملاءمته لتداول الشعوب البحرية، خاصة أن التعامل في المجال التجاري، يقتضي السرعة والسهولة، لذا؛ فقد قلّ استعمالها وراء البحار، إضافةً إلى أنّ بعض الحروف ثقيلة النطق حتى عند أصحابها، فشعراء العرب يقلّصون من استخدامها خاصة الضاد إلا للضرورة، وهي أحرف رديفة أو زوجية **(ح خ) (ط ظ) (د ذ) (ع غ) (ص ض) (ت ث)** باستثناء **(س ش)**.

(ث)

- كتاب ثاء (ث) يدل على دفع خفيف ملتصق، وهو مرادف لكتاب زوج تاء، ولا علاقة له بالأنوثة، لأن الأصوات حيادية كونية، ومفاهيم إنسانية؛ من معاني المعجم: ثبت، لبث، بث، أثاروا الأرض، ثار الغبار، تثير الحرث، ثأر.

والمعنى عند «سبيط» لصوت (ث) إبطاء وتسكين لأجل الثبات.

(خ)

- كتاب خاء (خ) زوج حاء والصورة المعبرة (كف يد) أي: راحة اليد، للدلالة على الطراوة واللين، مادة أو حركة، وهو معنى سلبي، وأما اسم المصوَّر(خفّ) فيدل على الخفة والخفاء، فيزيد المعنى وضوحاً على المصوَّر؛ لذا صوت (خاء) يدل في عمومه على ضعف قوة في الشيء، أو طراوته أو رخاوته. ويظهر بصورتين:

الأولى: العدم والعطالة (الخمول) والمعاني المفرغة من الخير والروحية، فقد عُبّر بها عن الفساد والفشل؛ وكثير من الأمراض؛ مثل ألفاظ خبث، وخان، وخزي، وخرب، وخسر، وخبل، وختل، وخرف، وخجل....

والثانية: الكمون والاستطاعة (الخمود) والمعاني المعبئة بمفاهيم الخير والروحية؛ وقد عُبّر بها عن الخير، والخلق، والخاتم، والخلاص، والخشوع، والخضار؛ فالواقع والقرينة

تحدد نوع اللين سلبية استطاعة أم عطالة.

والمعنى عند «سبيط» لصوت (الخاء) إخماد الحركات في مكانها وكبت جماحها، فيحدث سكون أو توقُّف عند هذا الحد.

(ذ)

- أما كتاب ذال (ذ) زوج دال، يدل على دفع وسط ملتصق، للتقارب الشديد، من ذلك لفظ قذذ جمع قذ؛ أي: القطع المتقاربة جداً من بعضها، والمعنى كبقية الأصوات الأبجدية، ليس له أي علاقة بمعنى الذكورة، بل معاني مجردة كونية عالمية إنسانية.

المعنى عند «سبيط» لصوت (ذ) تقاوم وتقيد الحركات في اتجاه معين.

(ض)

- كتاب ضاد (ض) فهو يدل على دفع شديد غير محدد، مثال من المعجم: ضرب وضغط؛ وهو زوج (ص) وعند بعض قبائل العرب الضاد والظاء، لفظ واحد، كما ذكر ابن جنِّيٍّ.

والمعنى عند «سبيط» لصوت (ض) إحاطة وضبط للحركة وتوجيهها باتجاه تثبت عليه.

(ظ)

- كتاب ظاء (ظ) وهو زوج (ط) ويدل على دفع شديد ملتصق، كظهور الجبل، وجبهة الإنسان.

(غ)

- الكتاب الأخير من الأبجدية غين (غ) زوج (ع) وقيل: إنه زوج (ج) ويدل على عدم الوضوح والاكتمال، من غياب وغباشة، ومن المعاني: الغلام والغرور في العربية القرءانية.

والمعنى عند «سبيط» لـ(صوت الغين) غياب وإخفاء الحركة ومعالمها.

معاني أصل أصوات الأبجدية العربية الفينيقية

صور أصل الصوت الفينيقي وجميع الابجديات	اسم الصوت		دلالة الصوت فيزيائيا	رمز الصوت الفينيقي	رسم الأبجدية العربية والعربية الحالية
	بالفينيقية	بالعبرية			
ثور	اولاف	اولاف	إثارة صلة وامتداد	𐤀	ا، أ، آ A
بيت	بت	فيت	تجمع مستقر	𐤁	ب B
جمل	جُومل	غيمل	جهد وشدة	𐤂	ج G
باب	دُلات	دالت	دفع قوي متوقف	𐤃	د D
إشارة اليد	ها	هي	اهتزاز خفيف	𐤄	هـ H
مسمار بزاوية / وتد	واو	فاف	ضم ورص وشدة ممتد	𐤅	و W
حربة او سلاح	زين	ريش	زيادة بارزة	𐤆	ز Z
حائط أو سياج	حط	حيت	تأرجح سعة محددة	𐤇	ح H
حية / حنش	ططا	طيت	دفع وسط متوقف	𐤈	ط T
يد	يّود	يود	قوة ربط ممتدة	𐤉	ي Y

كتف / كف اليد	كاف	كف	منع أو ضغط محدد	𐤊	ك K
ليث/ عصا راعي البقر	لامد	لماد	صلة بطيئة لازمة	𐤋	ل L
ماء	ميم	مم	جمع متصل مصدري	𐤌	م M
سمكة/ حوت	نون	نون	خباء	𐤍	ن N
دعامة/ مسند	سامك	سامخ	حركة متصلة حرة	𐤎	س S
حاسة البصر	عين	عين	عمق	𐤏	ع I
فم	فا	في	فتح منضم او انفراج	𐤐	ف P
فخ-منجل/ صديق	صادي	صادي	صلة محددة	𐤑	ص S
أذن/ سم الخياط	قوف	قوف	وقف او قطع شديد	𐤒	ق Q
رأس	ريش	ريش	تكرار	𐤓	ر R
سن	شين	ريش	انتشار	𐤔	ش SH
علامة	تاو أو تاء	تاف	دفع خفيف	𐤕	ت T



الفصل الثاني

مفهوم كلمة العرب بين الفطرة والقومية

لقد تم إطلاق كلمة (عرب)[1] على أمة معينة، والتصقت بها اصطلاحاً قومياً، واستمر انتشار هذا المصطلح القومي على حساب تقلص دلالة كلمة (عرب) إلى أن تم زحزحة هذا المفهوم العربي الفطري وإزالته إلى صالح المصطلح القومي، ومن جراء ذلك أخذ المصطلح العربي، صفة الأمة التي احتكرته لنفسها، فإن نهضت هذه الأمة صار مصطلح (العرب) يدل على النهضة، وإن هبطت صار يدل على التخلف، والانحطاط، وهذا العمل الاحتكاري لمفهوم (العرب) من قبل الأمة، أساء إلى دلالة المفهوم العربي الفطري، وصار صفة ذم وقدح، نتيجة انحطاط الأمة وتخلفها؛ إذ إنها احتكرته لنفسها.

والقوم العرب هم الذين نشروا، وكرَّسوا حصر مفهوم دَلالة (العرب) بالقومية، وغيّبوا المفهوم الفطري لكلمة (عرب)، وقديماً قيل: أهل مكة أدرى بشعابها.

فأخذت الأمم الأخرى - خاصة الغرب منهم- هذا المفهوم القومي، وتم التعامل مع مفهوم كلمة (عرب) حسب الواقع الذي تجسده الأمة التي احتكرت هذا المصطلح، وسمّت نفسها به (الأمة العربية) التي تعيش على جغرافية معينة، رغم أنهم على الغالب لا يملكون من الصفة العربية إلا لسانها، ويستخدمونه بصورة أعجمية، وترتب على هذا العمل القبيح؛ العداء والحقد لمفهوم (العرب) وصار مفهوماً مقترناً بالذم، والقدح، والتخلف والانحطاط، لدرجة أنه صار في الغرب كلمة (عربي) شتيمة؛ لأنها تدل على الإرهاب والإجرام، والتخلف، والتعصب، والانغلاق، ورفض الآخر، إلى غير ذلك، فصارت في ثقافة الغرب، مثلها كمثل دلالة كلمة (يهودي) التي تدل على الانغلاق على النفس، وتقليد الآباء، ورفض الآخر، والغدر، والخيانة، والأنانية، والجشع، والبخل،

1 يرجع فضل إضافة هذا المبحث للأستاذ الباحث خالد حمد.

والكره، والحقد، ومص دماء الناس !.

فعلى ماذا تدل كلمة (العرب) ؟

لنقوم بتحليل أصوات كلمة (عرب):

ع: صوت يدل على عمق أو بُعد في الشيء.

ر: صوت يدل على تكرار.

ب: صوت يدل على تجمُّع مستقر.

وإذا اجتمعت هذه الأصوات بترتيب كلمة (عرب) تدل على عمق أو بُعد مكرر، منته بجمع مستقر، وهذه الدلالة الفيزيائية لأصوات أحرف كلمة (عرب) تدل اجتماعياً على أصالة الشيء، وقيامه بذاته على ما هو عليه، وقدمه، ووجوده الفطري دون تدخل يد الإنسان به صنعة، فهو على طبيعته التي نشأ عليها مع محافظته على علاقته مع أصله، بصورة منسجمة تماماً.

ومن الطبيعة والفطرة الأصيلة بعيداً عن الفساد والانحراف ظهرت صفة العروبة للأشياء.

مثل:

1. **الحكم العربي:** ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيّ وَلاَ وَاقٍ﴾ [الرعد : 37].
2. **القرءان العربي:** ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف :3] أي: صيرناه قريناً لكتاب الكون ومنسجماً بأصالته وصفائه مع سنن الفطرة والطبيعة؛ لعلكم تعقلون.
3. **الأرض العربية:** وهي الأرض الصالحة بيئياً للحياة.
4. **الأخلاق العربية:** وهي القيم الأصيلة والصالحة على مر الزمكان بين الناس، نحو إغاثة الملهوف، وإكرام الضيف، ونصرة المظلوم، والوفاء بالعهود والمواثيق... إلخ.

5. الحصان العربي، والسمن العربي، والقعدة العربية، والقهوة العربية، والخبز العربي، واللباس العربي، والنهار العربي، والخليج العربي.... الأصيل والصافي والطبيعي والصالح والصحي[1].

كل ذلك لا علاقة له بالقومية العربية، وإنما علاقته بالأصالة، والقِدم، والفطرة، وعدم تدخل الصنعة به زيادة، أو نقصاناً.

لذا؛ ينبغي تحرير مفهوم كلمة (العرب) من القيود القومية، وإرجاعه إلى دلالته؛ مفهوماً إنسانياً، يدل على المدح والصفاء والنقاء، ويكون أساساً لالتقاء الأمم عليه، وعدم تسييسه، أو حصره بقومية معينة؛ ليرجع إلى ممارسة دوره الفاعل الإنساني، ويصير مفهوم (العربي) يدل على المدح، والنهضة، لا علاقة له بصفة الإنسان القومي الذي احتكر مفهوم العربية لأفكاره؛ ونمط حياته، أبداً.

وينبغي أن يزول من نفوس الشباب، الشعور بالدونية من انتمائهم العربي، وعدم محاولة إخفاء ذلك الانتماء من خلال الاختباء وراء لسانٍ أعجميٍّ، أو امتلاك ورقة تدل على أعجمية الإنسان؛ ونفي عربيته؛ لأن مثله كمثل الإنسان السليم – عقلاً –، ويحاول أن يتشبه بالمرضى في طريقة سلوكهم، بل ويشعر بالخجل من سلامته العقلية والجسمية بين المرضى !.

فقولي: أنا إنسان عربي، تعني: أنا إنسان أصيل فطري، ذو أخلاق وقيم إنسانية، منسجم مع الكون، ونفي صفة العربي عن الإنسان، تدل على أنه إنسان أصابته العجمة تفكيراً وسلوكاً، ويعيش بصورة مخالفة للبيئة، ومفسد لها، من حيث المسكن والمأكل، ونمط حياته بصورة عامة، ويصير أعرابياً.

1 ينصح خبراء التغذية في العالم أن يُقلِّص الإنسان من تدخله في بنية طعامه ما استطاع، فالسَّلَطة الطازجة أفضل من السلق، والسلق أفضل من المشوي، والمشوي أفضل من القلي، أي: أن يُترك الطعام على عربيته ما أمكن ذلك.

اللِّسان العربي، واللِّسان الأعجمي

اللِّسان العربي، هو النظام الصوتي الذي أفصح الإنسان الأول (جنس) عن انطباعه البيئي من خلال انفعاله وتفاعله بصورة فطرية دون تكلف أو صنعة، فانسابت الأصوات من جهازه النطقي، استجابة لانفعالاته وتفاعله مع الأحداث بصورة فعل ورد فعل، وتصوير صوتي لظواهر الطبيعة، فالإنسان الأول هو عربي في نمط حياته ونطقه، وتعامل مع البيئة بصورة عربية، فنتج عن ذلك ظهور الأصوات ذات الدلالة المنسجمة مع البيئة - تماماً - ؛ لتصير هذه الأصوات العربية هي البذور التي نمت، وانبثق منها بداية الألفاظ الثنائية الفطرية المتعلقة من حيث الدلالة بأحداث الواقع، وبدأ تدشين وتأسيس ولادة اللِّسان (اللغة).

وصفة العربية للِّسان أتت من نشأته بصورة فطرية منسجمة مع الطبيعة، لا علاقة لها بالقومية أبداً، فتلازم نشأة اللِّسان العربي مع نشأة الوعي عند الإنسان الأول؛ الذي هو عربي في نمط حياته وتفكيره، ونما اللِّسان العربي، وتطور في التجمُّع الإنساني على الأرض العربية (الأرض الأولى الصالحة للحياة)، وبسبب هجرة الإنسان، وابتعاده عن الأرض العربية، وعن أصحاب اللِّسان العربي، وتأثير البيئة، والغذاء الجديد عليه، بدأ يصيب لسانه (لغته) تحوير وتحريف من تقديم، وتأخير في نطقه للأحرف، أو غياب صوت الحرف كله، ومع عامل الزمن، والتأثير الثقافي، والصنعة في وضع الألفاظ، بصورة اعتباطية بدأ نشوء ألسنة مختلفة فقدت صفة العربية (الأصالة والفطرة)، وعلاقة اللفظ (الدال) بالمدلول عليه، وظهرت صفة الأعجمية بالألسنة.

فعلامَ تدل كلمة (عجم) ؟

ع: صوت يدل على عمق.

ج: صوت يدل على جهد، وشدة.

م: صوت يدل على جمع متصل.

وجمع دلالة أصوات كلمة (عجم) بهذا الترتيب تدل على عمق وجهد، منته بجمع متصل. لاحظ دلالة صوت حرف (ج) كيف دل على تدخل الإنسان بجهده، في التأثير على صفة الشيء وحركته، فأخرجه عن مساره (عربيته) وأصابه التحريف والتشويه؛ الذي ترتب عليه اختلافه مع عربية الوجود، ما أدى إلى اضطرابه وتناقضه، وظهور الفساد في اللِّسان (اللغة) حيث صار اللِّسان الأعجمي اعتباطياً في نموه، وفقد صفة الانسجام والعلاقة المنطقية بين ألفاظه (الدال) مع المدلول عليه (الأشياء).

واستمر اللِّسان العربي في نموه، وتطوره بصورة عربية على الأرض العربية؛ منسجماً مع نمو وتطور وثبات النظام الكوني، ووصل إلى مرحلة الكمال؛ من حيث النظام البنيوي، **وقام على ذات القواعد الكونية، وهي: الثابت، والمتغير، والزوجية، والثنائية، والحركة، والهوية.**

فيستطيع الإنسان العربي أن يقوم بعملية توليد، واشتقاق، وإيجاد ألفاظ لامتناهية من بنية الأصوات (الأحرف) العربية، والألفاظ الثنائية، والثلاثية لكل أمر مستجد، مع محافظته على عربية اللفظ الجديد، وانسجامه مع المدلول عليه، منطقياً.

وعندما أراد الخالق أن ينزل كتابه الأخير (التنزيل الحكيم) الموصوف بالإنسانية والعالمية، والكونية، والعربية، كان لا بُدَّ له من لسان (لغة) يتصف بذات المواصفات؛ ليحمل محتوى التنزيل الحكيم، ولا يوجد لسان بين الناس يحمل هذه الصفة إلا اللِّسان العربي، فنزل نص التنزيل الحكيم به يخاطب كل الناس على مختلف ألسنتهم، وألوانهم دون محاباة، ولا تفريق بينهم، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النّاسُ إِنّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: 158].

ونزل التنزيل الحكيم، وثبَّت لنصه صفة العربية؛ فقال تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ * عَلَىَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مّبِينٍ﴾ [الشعراء193- 195]، ونفى

صفة الأعجمية عنه، بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيّ وَعَرَبِيّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِيَ آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَـئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: 44].

- وكلمة أعجمي في النص تعود إلى القرءان، وكلمة عربي لا تعود إلى النبي محمد، كما قال معظم المفسرين، ولا تعود إلى القرءان؛ لأن كلمة أعجمي هي التي تعود إليه، وكلمة القرءان أتت نكرة في النص لتدل على جزء من التنزيل الحكيم، ما أدى إلى الارتباك في ثقافة معظم المسلمين وتخبطهم، فقالوا قولهم المعروف، والصواب أن كلمة عربي تعود إلى التنزيل الحكيم ذاته الذي يحتوي بين دفتيه رسالة الله (الأحكام التكليفية)، وكلام الله (القرءان)، فإذا صار القرءان أعجمياً، وبقيت رسالة الله بلسان عربي مبين، لصار في التنزيل الحكيم لسانين أعجمي وعربي وتداخلت آياته، وهذا يُعطي سبب للكافرين لأن يقولوا: ﴿لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيّ وَعَرَبِيّ﴾.

- والوجه الآخر الذي يحتمله النص هو أن ترجع كلمة أعجمي لألفاظ النص القرءاني كمبنى، وكلمة عربي لمضمون النص كمعنى، وهذا يقتضي تداخل بين المبنى الأعجمي القاصر، والمعنى العربي للمضمون، وإذا حصل ذلك **ضاق المبنى عن سعة المعنى العربي،** ولقالوا: ﴿لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيّ وَعَرَبِيّ﴾.

- والوجه الثالث الذي يحتمله النص هو أن الكفار طلبوا من محمد أن يَنزل النص القرءاني كمعنى ضمن المستوى المعرفي لهم، أي: يصير محدوداً وقاصراً وَفْقَ زمانهم ومكانهم، وهذا إذا حصل يترتب عليه **سعة المبنى وضيق المعنى،** ويفقد المضمون عربيته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وكل ذلك هو على سبيل النقاش والحوار، والواقع أن ذلك لا يمكن أن يحصل قط لأن من دلالة حرف (لو) امتناع الحصول.

والإنسان الذي تم اصطفاؤه؛ ليحمل التنزيل الحكيم - أيضاً- ، هو عربي في تفكيره، وسلوكه، وفطرته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء : 198- 199]، **فنزل التنزيل الحكيم بلسان عربي مبين؛ على إنسان**

عربي؛ في أرض عربية هي أم القرى، والسؤال الذي يفرض ذاته هو، هل نزل مضمون التنزيل الحكيم عربياً، أيضاً ؟ والجواب، هو من التنزيل الحكيم ذاته، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ [الرعد : 37].

فمضمون التنزيل الحكيم، وبنيته قائمة على صفة العربية، التي تدل على انسجام وتوالف، وارتباط، وتناسب أحكام التنزيل الحكيم مع فطرة الإنسان؛ غرائز، وحاجاتٍ نفسية؛ وعضوية، وحركة الإنسان في الكون العربي؛ ليتم توافق وانسجام بين الجميع، بصورة عربية (أصالة، وفطرة، وتكامل، وانسجام)، واستنكر الخالق افتراء الذين يقولون: إن التنزيل الحكيم، كان النبي يتلقاه من إنسان (غير محدد)، وليس من الخالق- تبارك وتعالى- ، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103].

يشير الخالق، وينبه إلى مسألة عظيمة جداً؛ هي أن التنزيل الحكيم نزل بلسان عربي مبين، الذي تضمن الحكم العربي، وبتلك الصفة (العربية) صار كونياً، وفطرياً، وإنسانياً، تعالى عن الزمان والمكان، **ويتحرك وَفْقَ السيرورة والصيرورة على نظام الثابت، والمتغير، واتصف النص بالحيوية؛ عندما جعل المُخاطَب يشارك في دلالته، حسب أدواته المعرفية؛ من خلال إسقاط النص على محله من الخطاب، وبهذه العملية صار للقرءان أفهام، وصور نسبية، تتراكم مع الزمن في رحلة الإنسان العلمية والمعرفية؛ أثناء حركته البحثية من خلال سيره في الأرض دراسة وتفكيراً؛ ليسير القرءان مع العلم والواقع بصورة متلازمة، حيث يقوم العلم بتصويب دراسة وأفهام الناس النسبية، ويرتقي بهم، ويقربهم إلى التنزيل الحكيم أكثر مما مضى،** ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

وظهرت صفة العربية للتنزيل الحكيم (**لساناً وحكماً**) بمطابقة اللفظ لمحله من الخطاب، بصورة فيزيائية؛ ومنطقية، متحركة حسب حركة الكون لا تختلف معه، أو تقصر في دلالتها، ومن هذا الوجه؛ أتى الاستنكار الإلهي لمقولة الكفار ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل : 103]، أي: لسان المصدر الذي ألحدوا إليه صياغة التنزيل الحكيم هو

أعجمي (قاصر ومحدود)، والجواب يتضمن أيضاً الذين ألحدوا صياغة التنزيل الحكيم للنبي محمد نفسه، وهذه الشبهة موجودة إلى يوم الدين وجوابها واحد لا يتغير،﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل : 103].

أيها الناس ألا تفكرون وتفهمون ؟ كيف يستطيع إنسان، كائناً مَنْ كان، أن يصوغ نصّاً يتصف بالعربية المبينة (لساناً وحُكماً) والإنسان ذاته لسانه أعجمي، بمعنى أن صفة العجز والقصور والمحدودية هي لازمة له، فلا يمكن لهذا الأعجمي اللِّسان أن يصوغ نصاً، يتطابق فيه لفظه مع محله من الخطاب (فيزيائياً ومنطقياً) بصورة حيوية مستمرة وَفْقَ السيرورة، والصيرورة على نظام الثابت والمتغير؛ لأن صفة العجمة (التدخل صنعة بالشيء، والقصور العلمي) لازمة للإنسان جنساً، وليست محصورة بإنسان أو قوم معينين.

فالإنسان أياً كان مقامه (**ولو كان نبياً**) الذي يعيش على الأرض العربية، ويستخدم اللِّسان العربي في تفكيره، وخطابه وتواصله مع الآخرين (**الألفاظ والأحرف**)، إنما يستخدمه بصورة قاصرة، تنتفي عنه صفة الاستخدام العربي المبين للِّسان العربي، بمعنى أنه يستخدمه بصورة أعجمية، لا تتحقق فيه صفة تطابق لفظه، وحكمه مع محله من الخطاب بصورة فيزيائية ومنطقية (**عربي مبين**)، وإنما بصورة نسبية (**أعجمي**)، يعتمد في ذلك على فهم المُخاطَب عليه؛ ليسد قصوره في عملية صياغة الألفاظ، والكلمات، وبناء على ذلك نقول: **إن التنزيل الحكيم انفرد باستخدام اللِّسان العربي المبين، بصورة عربية مبينة، أما سواه فيستخدمون الألفاظ والأصوات العربية، بصورة أعجمية (قاصرة ومحدودة) وغير مُبينة.** وكل إنسان بالنسبة للتنزيل الحكيم (كائناً مَنْ كان) هو أعجمي في استخدام اللِّسان العربي المبين.

الفرق بين عربية القرءان وعربية لسان الرسول حامل الرسالة

ولعل أحدهم يقول: إن التنزيل الحكيم نزل بلسان عربي مبين، وقد قال الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رّسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم : 4]، وإذا قاطعنا النصين مع بعضهما نصل إلى أن الرسالة الإلهية عربية اللِّسان، ونزلت على الرسول؛ ما يؤكد أن لسانه عربي، وهو يتكلم بلسان قومه؛ ما يؤكد أن لسان قومه هو العربي.

والجواب على هذه الشبهة هو: أن النصين يتكلمان عن موضوعين مختلفين تماماً، الأول يتكلم عن التنزيل الحكيم (**بلسان عربي مبين**)، والآخر يذكر أن لسان الرسول ينبغي أن يكون مثل لسان قومه، وذلك حتى يفقهوا قوله ويتفاعلوا معه. فاللِّسان الذي نزلت به الرسالة وصفه الله صراحة بصفتين لازمتين، وهما: عربي ومبين، بينما لم يصف لسان الرسول بأنه عربي ومبين قط، ولو كان لسان الرسول كذلك، لصار كلامه مثل التنزيل الحكيم تماماً، وأخذ صفته، وانسحب ذلك إلى قومه وصار لسانهم عربياً مبيناً.

وبذلك الفرق بينهما تنتفي صفة البرهان والحجة والمصدرية عن استخدام الإنسان للألفاظ العربية، وأصواتها شعراً، ونثراً، وحديثاً، ويُحصر ذلك في التنزيل الحكيم فقط، فهو المصدر الحافظ للِّسان العربي المبين، ولا يحتوي في نصه على أي كلمة أو حرف أعجمي، كما يزعم بعض المفسرين المتأثرين بثقافة أهل الكتاب؛ أن هناك كلمات أعجمية في التنزيل الحكيم؛ مثل كلمة إسرائيل، وسندس، وإستبرق، وغير ذلك، فهذا الرأي أعجمي!، **فجميع كلمات التنزيل الحكيم وأحرفه، هي عربية لساناً، كما أخبر الخالق صاحب النص**﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً﴾ [النساء : 87]، بقوله: ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ حتى الأحرف التي تأتي في فواتح السور، مثل (أ، ل، م، ر) هي أصوات عربية تحتاج للدراسة لمعرفة دلالة استخدامها بفواتح السور، وما علاقتها بها، والنص برهان على ذلك، ويفيد الحصر بعد أن نفى صفة الأعجمية عنه.

ومن المعلوم أن الإثبات للشيء بعد النفي يفيد الحصر ضرورة، وأسلوب النفي يأتي بصور متعددة منها مجيء أدوات النفي وبعدها (إلا) فتصير أداة حصر، ويمكن أن يكون أسلوب الكلام يفيد النفي من خلال الاستنكار للشيء ومجيء بعده سياق يدل على التحديد والحصر، نحو النص ذاته ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103]، ولا يصح القول أن ذلك على الغالب، لأنه يوجد فرق بين كلام الله، وكلام الناس، فكلام الله حق وصدق، وكلام الناس قاصر ويقبل الخطأ أو الصواب، فما ينبغي أن نفهم كلام الله حسب تعاملنا مع كلام بعضنا البعض.

ومن هذا الوجه ظهر الفرق بين قواعد اللِّسان العربي المبين، وقواعد اللِّسان العربي للقوم، فهما يشتركان في استخدام الأصوات العربية (الأبجدية)، ويختلفان بطريقة الاستخدام لها، فاللِّسان العربي المبين هو صورة صوتية عن الأحداث أو المظاهر أو الوظائف، ولا يوجد فيه كلمتان مختلفتان باللفظ متفقتان بالمعنى (إذا اختلف المبنى اختلف المعنى)، ولا يوجد فيه مجاز؛ لأن كلام الله يمثل الحقيقة والصدق في الواقع، لذا؛ كان اللِّسان العربي مبيناً ضرورة، بينما لسان القوم هو لغة تستخدم الأصوات العربية (الأبجدية) بصورة اعتباطية ترتب عليها ظهور كلمات مختلفة باللفظ أُعطي لها ذات المعنى التي اشتهرت خطأً باسم الترادف، وظهر المجاز فيها ضرورة ليغطي قصور المتكلم عن استعمال الكلمة حقيقة وصدقاً، ومن باب أولى أن ينتفي عن لغتهم صفة المبين!، وصار لكل منهما قواعد خاصة به ما ينبغي؛ بل لا يصح أن ندرس أحدهما بقواعد الآخر قط؛ لأن النتيجة كارثية لكل منهما، وإنما نحاول أن نتمثل اللِّسان العربي المبين بدراستنا دون تعاملنا الاجتماعي.

لذا؛ ينبغي على هؤلاء أن يكفُّوا عن إساءتهم للتنزيل الحكيم العربي المبين، وأن لا يصفوه بالأعجمية! ولا يستخدموا قواعد اللغة العربية في دراسة اللِّسان العربي المبين، ولا العكس

أبداً، لأن لكل منهما قواعده، فحلول كلمات مختلفة لفظاً محل بعضها لأداء معنى واحد لا يعيب الشعر أو النثر، ولكن يعيب الخطاب القرءاني وينقض صفة اللِّسان العربي المبين، وكذلك المجاز لا يعيب الشعر؛ بل يعدُّه أهل الشعر بلاغة وبياناً وسحراً وجمالاً، بينما في الخطاب القرءاني هو قصور وعجز في الخطاب وكذب مخالف للحقيقة.

فصفة العربية للتنزيل الحكيم حُكماً، ولساناً، وحركة، تدل على أن صفته الأصالة والفطرة؛ حيث ينسجم مع المنظومة الكونية ويتناغم معها، ومن ثم نستطيع أن نصف كل حكم غير أصيل، أو مخالف للفطرة، ومفسد للبيئة الاجتماعية، والطبيعية، بأنه حكم غير عربي !.

فكل إنسان ليس عربياً؛ فهو أعجمي قطعاً، ولا علاقة لذلك بالقوميات، فيمكن أن يكون الإنسان عربياً ولو كان هندياً؛ بمعنى أن مفاهيمه، وسلوكه منضبطة بالفطرة والعلم؛ وهو منسجم مع سنن الكون؛ فيصير إنساناً صالحاً على صعيد المجتمع والبيئة، ولو كان يستخدم في نطقه غير أصوات اللِّسان العربي. **فالعربية هي صفة، ومنهج تعامل مع الواقع، الطبيعة والفطرة، ومن هذا الوجه نزل التنزيل الحكيم عربي الحكم واللِّسان، واتصف بالصفة الإنسانية.**

ومن هذا الوجه العربي للوجود؛ أخذ اللِّسان العربي صفته بأنه لسان أصيل فطري، وهو أُم الألسنة ومركزها، وأخذ صفة العلمية بنشأة أصوات أحرفه بصورة فيزيائية، وتم استخدام هذه العناصر مع بعضها، حسب دلالتها في الواقع، فكانت الكلمة العربية هي صورة صوتية لحال، أو حركة، أو وظيفة الشيء، الذي هو محل الخطاب؛ ليصير الواقع هو القاموس المُجَسِّد لدلالات كلمات اللِّسان العربي المبين.

ونزل التنزيل الحكيم بلسان عربي مبين، وحكم عربي، ونظام عربي، فربط بين الكلمة ومحلها من الواقع، وضبط مفاهيم الإنسان والمجتمع وسلوكهما، مع حركة الكون ونظامه؛ لينتج عن هذه التوليفة، الانسجام والتكامل، والتناغم بينها بصورة منظومة كلية واحدة، تحكم الجميع بصورة عربية.

صفات التنزيل الحكيم

1. **عربي الحكم والمضمون** ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ [الرعد: 37].

2. **عربي الكلمات والألفاظ** ﴿نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ * عَلَىَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مّبِينٍ﴾ [الشعراء: 193- 195].

3. **التنزيل الحكيم نور ومبين بذاته لا يحتاج إلى من يُبيّنه**، لأن كلمة (مبين) اسم فاعل من الفعل الرباعي (أبان)التي تدل على صدور فعل البيان منها للغير(متعدٍ)، وهذا رد على من يقول: إن الحديث النبوي هو بيان للتنزيل الحكيم!، فكيف المبين يحتاج للإبانة؟ وكذلك هو نور، فكيف يحتاج النور لمن ينيره؟.

﴿ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : 157].

وأتت صفة المبين بعد كلمة عربي لتدل على أن اللِّسان العربي لا يمكن أن يكون عربياً إلا إذا اتصف بالمبين ضرورة، وذلك لأن اللِّسان وظيفته البيان والإفصاح، بينما يمكن أن يكون شيء آخر غير اللِّسان عربياً فقط، وينتفي عنه صفة المبين، فيوجد عربي غير مبين، نحو: حكماً عربيا، وعُرباً أتراباً، ويوجد مبين غير عربي، نحو الضلال المبين، والسحر المبين، بينما اللِّسان لا بُدَّ له من الصفتين معاً **عربي ومبين لا ينفكان عن بعضهما**، وذلك ليتحقق بالتنزيل الحكيم صفة الصلاحية والاستمرار والبركة.

4. **الإنسان الذي نزل عليه** التنزيل الحكيم **عربي** (فطرةً، وتفكيراً، ونُطقاً للأصوات العربية).

5. **عربي الحركة بصورة مستمرة**، نحو الاستقامة خلال الزمن، والتطور المعرفي للإنسان﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لّعَلّهُمْ يَتّقُونَ﴾ [الزمر : 28].

منهج دراسة القرءان منهج عربي

صفة العربية للتنزيل الحكيم تقتضي دراسته بمنهج عربي له ذات المواصفات، وهذه المواصفات هي ذاتها قواعد وسنن الكون، فالكون غائي في وجوده، وكل عنصر له وظيفة مرتبطة بغيره وَفْقَ المنظومة الكلية، **فالكون لا يوجد فيه اعتباط أو عبث، ولا يوجد فيه مجاز،** وكل عنصر له وجوده المستقل بصورة نسبية وَفْقَ المنظومة، وتظهر وظيفة العنصر الكوني ضمن علاقته مع غيره دون أن يطغى أحدهما على الآخر، ويشكلان مع بعضهما وظيفة أخرى، وانعكس ذلك على اللِّسان العربي المبين فخضع لذات القوانين والقواعد، بخلاف لغة القوم، فقد انتفى عنها كل القواعد الكونية، فظهرت الاعتباطية في استخدامهم، والمجاز، وما أطلقوا عليه الترادف خطأً.

وهذا الانسجام بين عربية التنزيل الحكيم **لساناً وحكماً، وعربية الكون، وعربية المنهج هو الذي يحقق للناس حياة عربية قائمة على التعايش، والتماسك، والنهضة، ويقابل المنهج العربي؛ المنهج الأعجمي (الذي تَدَخَّل الإنسان فيه صنعةً) الاعتباطي، والفوضوي، والمرتبط بالقومية، والآبائية، والأكثرية، والأنانية، والنظرة الأحادية، والفوقية، والإرهاب، واغتيال رأي الآخر، وعدم التعايش معه، إضافة لقواعد اللغة الاعتباطية التي حكمت اللِّسان العربي المبين.**

العرب والأعراب

قال تعالى: ﴿قَالَتِ **الأَعْرَابُ** آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـكِن قُولُوَاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات : 14].

وقال: ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً** وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَىَ رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : 97].

أتت كلمة الأعراب في النصين معرفة، والتعريف يفيد العموم، ولا يمكن في واقع الحال أن يكون جميع البدو كفاراً أو منافقين! إذا افترضنا صواب تفسير أن الأعراب هم البدو!.

ما يؤكد أن كلمة الأعراب في النصين لا يقصد بها البدو عموماً، وأطلقت على البدوي؛ لأنه يغلب عليه الغلظة في الحياة التي تؤثر في طباعه وسلوكه وتفكيره، فتؤدي إلى انغلاقه وتبلد فهمه وابتعاده عن العلم والدراسة[1]، وهذا ضد مفهوم العربية.

ومن المعروف أن البدو من أهل الكرم والوفاء غالباً، وهم أقرب إلى صفة العربية في حياتهم من حيث الصفاء والنقاء والأصالة والفطرة، وذلك يؤكد أن كلمة (أعراب) لا يُقصد بها قوم أو جنس أو البدو أنفسهم، وإنما موجهة إلى من صار أعرابياً من قوم النبي خاصة، ومن الناس عامة، مع العلم أن ظاهرة البدو تتقلص إلى درجة يمكن أن تنقرض من الحياة.

لقد عرفنا دلالة كلمة (عرب) **أنها تدل على قيام الشيء بذاته على ما هو عليه وَفْقَ سننه،**

1 كان إذا قيل للأعرابي: يا عربي، فرح وهش. وإذا قيل للعربي: يا أعرابي، غضب. راجع لسان العرب، وتاج العروس، مادة عرب.

وهذا يدل على الأصالة، والطهارة، والنقاء والصفاء، والفطرة، وبقاء الشيء على أصله دون تدخل الإنسان به صنعة، مثل السمن العربي، والصمغ العربي، والحصان العربي، والقعدة العربية، والقهوة العربية، والإنسان العربي، والقرءان العربي، واللِّسان العربي... إلخ، ولا علاقة لذلك بالمكان أو القوم أبداً.

والتنزيل الحكيم نزل بلسان عربي مبين، واحتوى حكماً عربياً، ويتحرك في الواقع بصورة عربية، **فالعربية مدح، والأعرابية ذم.**

فماذا تعني كلمة (أعراب) ؟

كلمة (عَرَبَ) مضارعها (يَعربُ) والمصدر عرباً أو عروبة، والنسبة إليها عربي.

أما كلمة (أعراب) فهي من الماضي الرباعي المزيد (أعرب) ومضارعها(يُعرِبُ) مضموم الياء، والمصدر إعراباً، والنسبة أعرابي.

عَرَبَ - يَعربُ - عَرباً أو عروبة، والنسبة عربي.

أَعرَبَ - يُعرِبُ - إعراباً، والنسبة أعرابي.

وكلمة (أَعْرَبَ) مثل كلمة (أضرب)، وما نفهمه من تحليل دلالة كلمة (أضرب) ينطبق على كلمة (أعرب) تماماً.

ضرب - يَضرب - ضرباً، عَرَبَ - يَعربُ - عرباً أو عروبة، والنسبة عربِي، وجمعه عرب.

أضرَبَ - يُضرب - إضراباً، أَعربَ - يُعربُ - إعراباً، والنسبة أعرابي، وجمعها أعراب.

والإضراب معروف في الحياة الاجتماعية، وهو الامتناع عن فعل شيء للتأثير في الآخر، فنلاحظ أن فعل ضرب يدل على صدور فعل من الفاعل نحو شيء معين ليؤثر فيه، أما فعل أضرب فيدل على امتناع الإنسان عن الفعل، وتحويل فعل ضرب إلى مفهوم سلبي، انظر إلى فعل **سجد، يسجد، سجوداً**، ولاحظ الهمزة إذا دخلت عليه كيف تُحَوّله إلى مفهوم آخر: **أَسَجدَ، يُسجد، إسجاداً**، نفت حدوث فعل السجود عن الإنسان نفسه، ونقلته إلى الآخر بالإكراه (إسجاد، إضراب).

ومن هذا الوجه **يُطلق على هذه الهمزة، همزة الإزالة؛ لأنها تزيل الفعل من الإنسان نفسه وتحوله إلى الآخر، أو إلى مفهوم سلبي، أو تغير اتجاه الفعل مثل: قسط وأقسط، بان وأبان، سعد وأسعد... إلخ.**

ونرجع إلى كلمة (أعراب) التي هي جمع كلمة (أعرابي) وأصلها الماضي الرباعي المزيد (أعرب) وليس (عرب).

فماذا تعني كلمة (أعرب) ؟!

نقول: أضرب الرجل عن العمل، بمعنى امتنع عن ممارسة العمل بقصد التأثير في آخر؛ ليغير موقفه، أو رأيه.

ونقول: أعرب الرجل في حياته، بمعنى امتنع عن صفة العروبة في حياته، أي: اتخذ الموقف المضاد للعروبة؛ الذي هو الكفر والنفاق والإفساد في البيئة، والمجتمع، ومن هذا الوجه قال تعالى:

﴿**الأَعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً** وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَىَ رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : 97].

وذلك لوجود قابلية عند الأعراب للكفر والنفاق والإفساد، والإسلام الذي صدر منهم هو إسلام الضرورة الموجه لقوة المجتمع، وليس لله وأوامره لانتفاء الإيمان عنهم (الإنسان الفاعل الايجابي السلمي في حياته الاجتماعية) بسبب الغلظة في تفكيرهم ونفي العلم عنهم، وهؤلاء يشكلون خطراً في وجودهم بالمجتمع الإسلامي لإمكانية استغلالهم في ضرب المجتمع من داخله، وما أكثر الأعراب بيننا!.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات : 14].

فكلمة (أعراب)[1] هي صفة لطريقة منهج سلبي في الحياة يسلكه الناس، سواء أكانوا من البدو أم الحضر[2]، وكون التنزيل الحكيم نصاً إنسانياً كونياً عالمياً يؤكد على أن كلمة (أعراب) مستمرة في دلالتها لكل زمان ومكان، وبالتالي يمكن أن يصير الإنسان أعرابياً في حياته، ولو وصل إلى المريخ!، ينتهج الكفر والنفاق والإفساد في البيئة والمجتمع في حياته الاجتماعية.

ومن هذا الوجه يمكن أن يكون البدوي عربياً في حياته، وابن المدينة والتقنية أعرابياً في حياته.

إذاً؛ كلمة (عرب) صفة منهج للتعامل في الحياة مع الإنسان والكون والتنزيل الحكيم يقوم على الأصالة والنقاء والفطرة والانسجام مع المنظومة الكونية والاجتماعية.

وكلمة (أعراب) صفة منهج للتعامل في الحياة نقيض مفهوم كلمة(عرب)، وهي تدل على الغلظة في التفكير والفهم، وفساد في السلوك والبيئة.

لذا؛ ينبغي تصويب مصطلح (الإعراب) في النحو، وعدم استخدامه، لأنه يفيد عكس ما يقصد النحاة منه، واستبداله بكلمة(عروبة) وفعل الأمر هو(عَرِّب) بمعنى أظهر طبيعة الكلمة في الواقع من حيث هي اسم أو فعل أو غير ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : 99].

فيقصد بها – حسب تقاطعها مع النصين السابقين – أبناؤهم أو من ينتمي إلى مجتمعهم، أو بعض منهم، وعندما يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحاً تنتفي عنهم صفة الأعراب، **ويصيرون عَرباً.**

1 وكلمة أعراب تنضم إلى قاموس كلمات الذم والقدح مثل كلمة اليهود: التي تعني انغلاق الإنسان على نفسه والعدوانية للآخرين ورفض التعايش معهم. والنصرانية: التي تدل على نصرة الإنسان لنفسه على الآخرين دون علم أو برهان. ، والجاهلية: التي تدل على سلوك خال من العلم والقيم.

2 كان الأعرابي إذا قيل له: يا عربي، يفرح، وإذا قيل للعربي: يا أعرابي، يغضب. راجع لسان العرب، وتاج العروس، مادة عرب. وهذا يدل على أن دلالة كلمة (أعراب) واضحة في الثقافة العربية على أنها ذم وقدح، وتختلف في دلالتها عن كلمة (عرب).

اللِّسان العربي أصل، وأم للألسن كلها

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: 213] .

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ﴾ [يونس: 19] .

الأصل في الوجود الإنساني هو الأمة الواحدة، وهذا يقتضي التقلص في العدد، كلما أوغلنا في القدم، والحد من عملية انتشارهم في الأرض، فهم كانوا يعيشون في بقعة واحدة، ويتكلمون بلسان واحد، وهو اللِّسان العربي البدائي، وينبغي الانتباه إلى أن اسم اللِّسان العربي لم يكن قبل نزول القرءان قد أطلق على أي لسان من اللهجات المستخدمة حينئذ، فقد كان اللِّسان يُنسب للجهة التي تتكلم به، مثل الأكادية، والكنعانية، والآرامية، والعبرية[1]، والفينيقية.

وتطورت هذه اللهجات، ووصلت بمجموعها إلى احتضان اللِّسان الإنساني العلمي، واكتمل بناؤه صوتياً ونظاماً، فنزل التنزيل الحكيم به، ومن هذا الوجه نلاحظ وجود ألفاظ غير موجودة في لهجة قريش ظنها بعض الباحثين أنها أعجمية لوجودها في لهجة الآرامية أو الأكادية أو العبرية... إلخ، وفاتهم أن هذه اللهجات كلها هي بذور اللِّسان العربي في أصلها، ووصف الله خطابه باللِّسان العربي المبين نسبة إلى علميته وإنسانيته وأصالته، لا نسبة إلى قومية أحد قط، ومنذ ذلك الحين صار وصف العربي المبين للِّسان التنزيل الحكيم فقط، وتساهلاً لمن يستخدم اللِّسان العربي، واشتهر ذلك في الثقافة.

لذا؛ ينبغي أن نفرق بين اللِّسان العربي المبين الذي هو وصف للتنزيل الحكيم، واستخدام

1 هذا إن صح وجود اللِّسان العبري ! وهو على الغالب صفة للهجة الكنعانية القديمة لا علاقة لها باللغة العبرية الحالية المجعولة اعتباطاً لفظاً وخطاً.

الناس للِّسان العربي بصورة أعجمية قاصرة لتدخل الإنسان فيه صنعة، ولقصوره ومحدوديته في الاستخدام، التي ترتب عليها نفي العلاقة العلمية الفيزيائية بين لفظه، ومحل الخطاب، بخلاف التنزيل الحكيم، فقد توافق فيه اللفظ مع محل الخطاب بصورة علمية كونية، فالإنسان كائناً مَنْ كان يستخدم اللِّسان العربي بصورة غير عربية مبينة (أعجمية).

وبناء على ذلك ينبغي أن يُتخذ التنزيل الحكيم العربي أصلاً، ومرجعاً، وحكماً، وميزاناً لكل لهجات الناس في أي زمان ومكان.

وعندما بدأت عملية انتشار الأمة الواحدة وتفرقها بصورة جماعات، تبتعد عن المركز، وكلما ازداد ابتعادهم عن المركز ازداد اختلاف ألسنتهم عن اللِّسان الأم؛ من حيث طريقة اللفظ، أو تبديل أصوات الأحرف بغيرها، كما هو معلوم، مثل قلب الجيم ياءً، نحو (رجَّال) صارت (ريَّال) أو قلب القاف غيناً، نحو (قادر) صارت (غادر)، أو قلب العين نوناً، نحو (أعطني) صارت (أنطني)، أو قلب الكاف شيناً؛ إذا أتت في خطاب الأنثى نحو (أبوكِ) تصير (أبوشِ)... إلخ.

ونتيجة العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب، والهجرة الجماعية أدى إلى تلاقح اللهجات ومع استمرار الزمن، وعامل تأثير البيئة الجغرافي، والغذائي على الإنسان، بجانب التنشئة الثقافية، تكرست هذه اللهجات في القبائل والشعوب، وشاركت عملية الصنعة والاصطلاح، والعجز عن نطق بعض الأصوات، وحب التميز والاختلاف، أو قطع الصلة بما سبق، وغير ذلك في ظهور لهجات بعيدة، وغريبة عن اللِّسان الأم، حتى يظن الذي لا يعرف الحقيقة أن هذه اللهجات، ألسنة قائمة بنفسها؛ لا علاقة لها بالأصل العربي[1]، وهذه الأسباب التي أدت إلى اختلاف الألسن بين الشعوب.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22].

1 وهذا رد على من رفض أن يكون اللِّسان العربي أصلاً لكل اللهجات، بحجة أن ذلك لو كان صواباً للزم أن تكون تلك الشعوب عربية، أو العرب قد احتلوها في زمن معين!، وضرب مثلاً اليونان، ونفى عنهم الصفة العربية كشعب، ونفى الاحتلال لهم من قبل العرب، وبالتالي فكل قوم لهم لهجة خاصة بهم!.

والصواب، أنها لهجات عربية محرفة، ومجعولة من الأصل، ومثلها مثل الثمار والشجرة، فاللِّسان العربي الأصيل؛ هو الشجرة، واللهجات؛ هي الثمار المطعمة بمختلف الطعوم من حلو ومُرٍّ ولفّان، والتعامل مع الثمرة فقط، يبعدنا عن معرفة الشجرة، غير أن الثمرة لا تملك إمكانية النمو والتكاثر مثل الشجرة، وهكذا اللهجات، فهي ثابتة على ما هي عليه غير قابلة لعملية النمو والتكاثر بصورة طبيعية، وإنما تنمو بصورة اصطلاحية اعتباطية، بينما الشجرة، اللِّسان الأصيل يملك صفة النمو والتكاثر بصورة طبيعية؛ من خلال نظام الثابت والمتغير، وظهر بعملية الاشتقاق، والتوليد للكلمات من بعضها بصورة منسجمة كل الانسجام مع حركة الكون، ومنظومته الثنائية، والزوجية.

لذا؛ مسألة علمية اللِّسان، وفيزيائيته لا تنطبق إلا على اللِّسان الأم؛ لمحافظته على صفته الأصيلة، وهذا غير متحقق إلا بالنص الإلهي، بينما اللهجات الأخرى فقدت أصالتها؛ لبعدها عن المركز، وتحريفها؛ بتبديل نطق الكلمات، وتقديمها، وتأخيرها، إضافة للزيادة والنقصان. كل ذلك وغيره سلب من هذه اللهجات الصفة العلمية وصارت أعجمية. ومن ثم؛ فلا تصلح للدراسة العلمية، وينبغي أن تتوجه الدراسة إلى اللِّسان الأصيل القائم في أساسه على الثنائيات الفطرية، التي نمت وتوسعت، وَفْقَ نظام الثابت والمتغير.

وإذا أردنا أن ندرس أيَّ لهجة من الألسن، فينبغي القيام بتحليل الكلمات، وتصفيتها؛ من خلال إزالة الحروف الزائدة في اللفظ، وإرجاع صوت الحرف الذي تبدل إلى أصله، وحذف أصوات أحرف المد (آ، و، ي) من الكلمة؛ لأنها ليست أصلاً فيها وإرجاع ترتيب أحرف الكلمة إلى أساسها؛ إذا كانت مقلوبة.

انظر مثلاً إلى كلمة (أرض) تحولت إلى (أرظ) ثم إلى (أرث) فالضاد لفظت بصوت الظاء؛ لانتفاء القدرة على لفظ الضاد، ومن أخذ كلمة (أرظ) ولم يتمكن من لفظ صوت الظاء، لَفظه (ثاء)؛ لأن الإنسان الذي يفقد القدرة على لفظ صوت معين يقوم بصورة فطرية باستبداله بأقرب صوت له من أقرب مخرج له من النظام الصوتي، فأقرب صوت إلى الضاد؛ من حيث المخرج هو صوت الظاء، وأقرب صوت إلى الظاء، من حيث المخرج هو صوت الثاء.

وهكذا يتم التعويض والتبديل، وتظهر اللهجات مع تلك العملية، وأكثر ما تظهر هذه العملية، في بدء نطق الأطفال؛ من حيث التقديم والتأخير للأحرف، والتعويض، والإبدال للأصوات التي لم يتمكنوا من لفظها بعد، وهذه لا تدرس، وإنما تحلل وترجع إلى أصلها العربي حتى ندرسها.

وأصوات المد التي تُسمى أحرف العلة، أو الأحرف الصوتية الساكنة (آ، و، ي) تدل على:

آ – صوت يدل على إثارة، وامتداد زمكاني.

و – صوت يدل على ضم ممتد مكانياً.

ي – صوت يدل على جهد خفيف ممتد زمانياً.

وهذه الأصوات ليست من أصل الكلمات، وإنما تدخل إليها؛ لتعطيها بُعداً معيناً، حسب دلالة صوت الحرف الذي دخل. انظر على سبيل المثال إلى هذه الكلمات:

كتب: كاتب، مكتوب، كتيبة.

حصد: حاصد، محصود، حصيدة.

خلق: خالق، مخلوق، خليقة.

قتل: قاتل، مقتول، قتيلة.

ضرب: ضارب، مضروب، ضريبة.

فَيُعرف أصل دلالة الكلمة؛ من خلال تجريدها من أحرف المد، والمفهوم الذي نصل إليه يكون هو الإمام، أو المفهوم الذي ينبغي تحققه، واستمراره في كل الدلالات مع مراعاة الأحرف الزائدة، والانتباه إلى دلالتها؛ لأنها تضيف إلى المعنى الإمام صورة جديدة، فكلمة (كتب) تدل على ضغط خفيف ودفع منته بجمع مستقر، وعندما أضفنا إليها حرف (آ) صارت (كاتب) اسم فاعل يدل على من اتصف بفعل (كتب)، وكذلك (مكتوب) اسم مفعول يدل على الشيء الذي تم فيه الجمع، وكلمة (كتيبة) تدل على جماعة تحققت فيها صفة معينة، اجتمعوا عليها.

لذا؛ ينبغي الانتباه إلى المفهوم الإمام للكلمة؛ من خلال تجريد الكلمة من أحرف المد، الأحرف الزائدة، وتثبيت المفهوم الإمام، ومن ثم، إضافة حرف المد، والأحرف الأخرى لمعرفة توجه المفهوم الإمام في الواقع؛ كيف حصل، وما المقصد بحرف المد، والأحرف الأخرى في دخولها على المفهوم الإمام.

انظر إلى كلمة (مكتوب) أصلها كلمة (كتب) التي تدل على مجرد تجمُّع الشيء المتجانس المنتهي بتوقف، دخل عليها حرف (م) في بدايتها؛ ليعطيها دلالة الجمع المتصل، ودخل في وسطها حرف (و) ليعطيها دلالة المد المنتهي بضم مكاني، وباجتماع هذه الدلالات لأصوات الأحرف ظهرت دلالة كلمة (مكتوب) في الواقع، مع المحافظة على دلالة المفهوم الإمام، وكذلك كلمة (مكتب) اسم مكان، وكلمة (تكاتبا) تدل على المشاركة في الفعل.

إن تجريد الكلمة من أحرف المد، والأحرف الزائدة، وترتيبها إن كانت مقلوبة، يوصلنا إلى معرفة كيفية تداخل الكلمات العربية، وانتقالها من أصالتها إلى اللهجات الأخرى، مع مراعاة طريقة لفظ الأصوات في الشعوب الأخرى، وعملية التقديم، والتأخير للأحرف أثناء اللفظ بها؛ لأن من المعلوم أن الناس يتأثرون بالوسط الجغرافي، والثقافي، والغذائي في إمكانيتهم اللفظية للأصوات؛ وهذا سبب غياب بعض الأصوات في لهجات، ووجوده في لهجات أخرى، غير طريقة لفظ الصوت ذاته، مع تميز اللِّسان العربي الأصيل، ومحافظته على النطق بصوت الضاد والظاء مثلاً؛ حتى صار اللِّسان العربي يسمى لسان الضاد.

والذي حافظ على أصالة اللِّسان العربي، من أن ينقرض، أو يُحرَّف، هو بقاء مجموعة من الأقوام يعيشون في المركز، تمسكوا بأصالة لسانهم، وحافظوا عليه، من خلال مطابقة لفظهم لمحله من الخطاب، بصورة حالية، أو وظيفية، بصورة نسبية، منتشرة بينهم جميعاً، وهذا من أحد أسباب اختيارهم؛ لأن يكونوا محلاً لنزول التنزيل الحكيم عليهم، إضافة إلى أنهم سكان أم القرى، وعندما نزل ثبَّت هذا المقياس، والميزان العربي؛ باستخدام اللِّسان العربي في خطابه، وحُفظا كلاهما - معاً - ، ليصيرا المرجع، والإمام في اللِّسان العربي.

النص القرءاني جمع كل الأصوات العربية بنصين في التنزيل الحكيم

واستخدَم التنزيل الحكيم كل الأحرف العربية في نصه عموماً، وجمعها في نصين:

الأول: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران : 154].

والثاني: ﴿مّحَمّدٌ رّسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدّآءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مّنْ أَثَرِ السّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىَ عَلَىَ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ مِنْهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح : 29].

لذا؛ حافظ اللِّسان العربي القرءاني على العلاقة المنطقية بين اللفظ، ومحله من الواقع، فاللِّسان العربي لسان حيوي، بخلاف الألسن الأعجمية؛ فهي اعتباطية اصطلاحية مصنوعة مبتورة عن أصولها العربية الفطرية، فهي ألسن ميتة.

محور اللِّسان هو الواقع والتّفكير

وُلد اللِّسان العربي من خلال تفاعل الإنسان مع الواقع فطرة، فقام بتصوير الظّواهر، والأحداث بصُورة صوتية تحاكي الطّبيعة تماماً، واستمر في هذا التّفاعل الفطري، وتراكم إلى أن وصل إلى مجموعة أصوات، تمثل الصّور الصّوتية، التي يحتاجها الإنسان في عملية نشأة اللِّسان، فصارت هذه الأصوات هي أبجدية اللِّسان العربي، واستمر الإنسان الأول الفطري كأسر وجماعات، في عملية التّصويت الثنائي المقطع، والمحاكاة للتّواصل فيما بينهم.

وتراكم هذا الأمر، وتنامى في الأجيال، وصار نقطة تحول مهمَّة في حياته، إذ بدأ ظهور الكلمات الثّنائية، وتراكمت وتنامت نتيجة تفاعل الإنسان فطرةً، وأُسَراً، وجماعاتٍ من جنسه، إلى أن تعقدت العلاقات الجماعية وتوسعت، واحتاج الإنسان إلى تنظيم أمور حياته، وتأمين معيشته، وتأمين الأمن له، وتسخير الأشياء والتّطور، فوُلد المجتمع، ونتج عنه ظهور عملية التّفكير التي لازمها مُباشرة توسع اللِّسان ليكون حاملاً ووسيطاً، وميداناً لعملية التّفكير.

وبدأت المرحلة الثّالثة المتعلقة بالحياة الاجتماعية للإنسان، فظهرت الكلمات الثّلاثية الأصوات؛ لتكون بداية العلم والتّطور عند الإنسان؛ في مرحلة المجتمع، فكان اللِّسان العربي تفاعلاً فطرياً، فيزيائياً، فكرياً، اجتماعياً للإنسان مع الواقع، بصُورة فطرية واعية؛ ولذلك أخذ اللِّسان العربي صفات الواقع، من حيث النّظام الذي يحكمه، فكما أنَّ الواقع قائم على قوانين كُلِّيَّة ثابتة، وأخرى جزئية متغيرة؛ كذلك اللِّسان العربي قام على الثّابت والمتغير، والواقع قائم على نظام العلاقات الجدلية، فظهر ذلك القانون في كلمات اللِّسان العربي من علاقة **النّقيض،** وعلاقة **التّضاد،** وعلاقة **التّلاؤم** والانسجام.

العلاقات الجدلية

1 - علاقة جدلية تناقضية فكرية:

وهي علاقة بين أمرين لا يجتمعان، حيث يترتب على وجود أحدهما ذهاب الآخر.

وهذه العلاقة غير متحققة إلا بالحكم على الأمور، مثل قولنا: زيد موجود، أو غير موجود، وقولنا: الحق، أو الباطل، العدل، أو الظّلم، الحُرِّيَّة، أو الاستعباد.

وهذه العلاقة تخضع لقاعدة الثالث المرفوع.

2- علاقة جدلية تناقضية داخلية بنيوية: (قانون الموت)

وهي قائمة في بنية الأشياء، وتكون من خلال صراع ثنائي داخلي في الأشياء يُؤدِّي بها إلى التّطور، والتّغير، والهلاك لتسمح لغيرها بالظّهور، وانعكس ذلك على اللِّسان العربي، فظهر ما يسمى موت الكلمات، وحياتها، ويكون ذلك من خلال انتهاء وظيفة الكلمة ودورها كاستخدام في الواقع، وذلك مرتهن بتطور الواقع، فإذا انتهى استخدام شيء من الأدوات، أو الأشياء، أو السُّلُوك يُهمل هذا الشّيء، وبإهماله تُهمل الكلمة التي تدل عليه، إلى أن تتلاشى، وتموت ثقافياً، ولا يَبقى لها استخدام في المجتمع اللاحق، وتعود إلى دلالتها التّجريدية؛ ليحل محلها شيء آخر، وكلمة جديدة، تأخذ محل الأولى، وهكذا دواليك.

3 - علاقة جدلية ثنائية ضدية تعاقبية خارجية:

وتكون هذه العلاقة بين ظواهر الأشياء فقط، لا علاقة لها في بنية الشّيء ذاته، وهذان الثّنائيان، يتعاقبان في حركتهما، لا يلتقيان معاً بصُورة كُلِّيَّة، وإنَّما يلتقيان بنقطة تكون هي

نهاية الأول، وبداية الثّاني، وهكذا دواليك، مثل: اللّيل والنّهار، السّاخن والبارد، الفتح والإغلاق... إلخ.

نلاحظ أن قانون الثّالث المرفوع، لا ينطبق على هذه المسألة؛ لوُجُود حالة ثالثة للظّواهر، هي بَيْنَ بَيْنَ، فالكتاب لا مفتوح، ولا مغلق، والوقت لا ليل ولا نهار، والماء لا ساخن ولا بارد، وإنَّما هي في مرحلة ثالثة وُسطى، تُمثل نقطة الالتقاء بينهما؛ ليحل الآخر محل الأول، ولكن بصُورة تدريجية متواصلة دون انقطاع، فقانون الثّالث المرفوع إذاً، **لا يتناول الظّواهر للأشياء، وإنَّما يتناول الحكم على الأشياء، فعلاقته بقانون التّناقض الفكري، أو الحكم على الأشياء فقط، فالكتاب إما موجود، أو غير موجود،** وظهرت العلاقة الثّنائية الضّدية التّعاقبية، في اللِّسان العربي؛ كونه مرآة للواقع، فكل الكلمات التي تدل على الظّواهر أخذت صفة الضّدية التّعاقبية، مثل:

(كتب – بتك)، (در – رد)، (زل – لز)، (دس – سد)... إلخ.

فهذه الثّنائيات الضّدية، في اللِّسان هي تعاقبية، وكل واحد منهما قائم في الآخر؛ لأنهما يستمدان وُجُودهما من بعضهما، والحركة بينهما حركة تعاقبية، فكل عملية (لز) هي (زل) من جهة أخرى، وإلا لا تتحقق حركة (اللّز).

4 – علاقة جدلية ضدية تلاؤمية انسجامية تعايشية، بين الزّوجين من جنس واحد:

وهذه العلاقة تكون بين اثنين مختلفين من حيث النّوع، نحو: الذّكر والأنثى، الموجب والسّالب، وظهرت هذه النّاحية في اللِّسان، في الكلمات التي تدل على التّلاؤم والتّفاعل، الذي ينتج عنه التّعايش والفاعلية.

وهناك مسألة ينبغي التّنبه لها، هي وُجُود كلمات في اللِّسان العربي، يصح أن تقرأها من الوجهين دون أن يتغير اللّفظ، ولا المعنى، نحو: ليل، باب، قاق، دود، كوك، صوص، توت، بوب.

ومرد ذلك، راجع إلى أن هذه الكلمات، تدل على ظاهرة فيزيائية معينة، كون عملية ظهورها هي ذات عملية ذهابها، بصُورة لازمة، نحو: ظاهرة قدوم اللّيل، وذهابه.

ل: حركة بطيئة متصلة لازمة.

ي: جهد خفيف ممتد.

ل: حركة بطيئة متصلة لازمة.

لاحظ دلالة أصوات الأحرف التي تألفت منها كلمة (ليل) في الواقع، وكيف أن صفة مجيء اللّيل، هي ذاتها صفة ذهابه، وكذلك دلالة كلمة (باب) فصفة إغلاقه، هي ذاتها صفة فتحه مع الاختلاف في الاتِّجاه.

ويوجد مسألة أخرى في اللِّسان العربي - كظاهرة لسانية - وهي صفة وُجُود صُورتين متضادتين - في الواقع - للفظة واحدة، مع العلم أن كل كلمة، لها دلالة واحدة فقط، ولكن يمكن أن تكون هذه الدّلالة اللِّسانية متحققة، في الواقع بصُورتين، نحو كلمة: عبد، خفي، وراء، قسط... إلخ.

وفي فلسفة الإنسان، وتفاعله مع الواقع، وصل إلى قاعدةٍ أنه لا بُدَّ **لكل فعل من فاعل ضرورة، وكل بداية لها نهاية ومآل،** فظهر ذلك في اللِّسان العربي مُباشرة، فكل فعل في الجملة لا بُدَّ له من فاعل؛ وجوباً، إما ظاهراً، أو مستتراً، وكذلك كل مبتدأ لا بُدَّ له من خبر؛ وجوباً، **وفي الواقع لا يُوجد ظاهرتان لهما نفس الوظيفة، فكل ظاهرة لها وظيفة، فانعكس ذلك في اللِّسان العربي تحت مقولة:**

(إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة، وأي زيادة في المبنى على صعيد الكلمة، أو الجملة، أو تغيير من تقديم، أو تأخير يؤثر في المعنى).

وفي الواقع، هناك ظاهرة ترادف مجموعة من الأشياء المترابطة، مع بعضها ضمن منظومة واحدة، نحو منظومة الشّمس، والكواكب الأحد عشر، فانعكس ذلك في اللِّسان العربي، وظهر نظام المنظومات، تحت اسم التّرادف، الذي يدل على علاقة الكلمات المختلفة لفظاً، والمتداخلة دلالاتها مع بعضها، في أشياء، والمختلفة في أشياء أخرى، حسب حركة الأحرف، ونهاية الكلمة.

لذا، فلا يمكن فصل الجزء على حدة، ودراسته بصُورة منفردة، ومن هذا الوجه كانت

الكلمة في اللِّسان العربي، لا تظهر دلالتها الثقافية إلا إذا وضعناها في جملة؛ لأنَّ الكلمة وحدها لها دلالة فيزيائية فقط، أو عقلية، ولا يمكن فهم المقصود منها، إلا إذا أُسقطت على صُورة عند المخاطب، ومن هذا الوجه كان لكل مجتمع استخدامات للكلمات، بصُور مُرتبطة في زمانهم ثقافياً وعلمياً.

أسلوب الخطاب الذكوري في اللِّسان العربي ليس خطاباً نوعياً

بداية القول؛ الأمر لا يرجع في اختيار الضمير لنا نحن في خطابنا مع الله، وإنما يرجع له، فهو صاحب القرار والشأن بنوعية الخطاب، وهو قد استخدم ضمير (هو) وهذا لا يعني ذكراً أو أنثى، وكونه استخدمه فهذا يعني أنه المناسب والصواب وغيره خطأ ضرورة، فنلتزم بما استخدم ولا نغيره، ونتابع الدراسة لنعلم سبب ذلك الخطاب، والاستخدام ليس اعتباطياً كما يقول بعضهم، بل هو استخدام حقيقي.

ضمير (هو وهي) لا يدلان في أصلهما على نوع يحمل جهازاً ذكرياً ونوع يحمل جهازاً أنثوياً، فليس الجنس الإنساني هو أصل اللِّسان العربي، وإنما أصل اللِّسان العربي هو الوجود الكوني، والجنس الإنساني جزء منه وليس العكس.

ولذلك نرى جنس الملائكة لا نوع لهم ونستخدم ضمير (هو) للمفرد في الحديث عنهم، وكذلك نرى أن النجوم والكواكب ومفردها نجم وكوكب نستخدم للحديث عن مفردها ضمير (هو) رغم أنها خارج التصنيف النوعي ذكر أو أنثى، مع العلم أننا نستخدم ضمير (هي) لمفرد جمع الحشرات النحل والبعوض والنمل والذباب والفراش... بصرف النظر عن نوعهم ذكراً أو أنثى، فنقول: نحلة ونملة وبعوضة وفراشة وذبابة للذكر والأنثى منهما دون تفريق.

وانظروا لما حولكم وتفكروا بهم ولاحظوا نوع ضمير الكلام عنهم، هل نستخدم هو أم هي رغم عدم وجود التصنيف النوعي لهم بالذكورة أو الأنوثة، مثلاً، هي الشمس، وهو القمر، السماء هي، والأرض هي، واليد هي، والقدم هي، والقلب هو، والشجرة

هي، والقلم هو، والرأس هو، والعقل هو، والإله هو، وأسماء الله الحسنى كلها نستخدم لها ضمير هو... وهكذا.

وأهل النحو كونهم اعتمدوا لدراسة اللسان العربي على الجنس الإنساني صاروا يدرسون اللِّسان من منطلق النوع الذكوري أو الأنثوي، وجعلوا الجنس الإنساني أصلاً كلياً لدراسة اللِّسان العربي فعمَّموا النظرة الجزئية (الجنس الإنساني) على الكل (الكون)، وهذا خطأ كبير جداً، والصواب هو العكس، الكون هو الأصل الكلي الذي يشمل الجزء الإنساني، ونتيجة هذا الخطأ والقلب في الدراسة اضطروا إلى القول بالمجاز في استخدام ضمير (هو وهي) للوجود غير النوعي رغم سعته وكبره وتعدده، بمعنى أن كل ما يستخدم له ضمير (هو أو هي) وليس له نوع ذكوري أو أنثوي إنما هو استخدام مجازي وليس حقيقياً.

لذا؛ ينبغي أن نرجع الأمور إلى حقيقتها ونتعامل مع اللِّسان العربي من منظور كوني بداية وكأصل، ومنه ننظر للفروقات في الوجود الجزئي، بمعنى أن ضمير (هو أو هي) بداية لا يدلان على النوع الذكري أو الأنثوي، وإنما يدلان على سمات، ويظهر المعنى منهما حينما يضاف الضمير (هو أو هي) للأمر المعنيِّ بالخطاب، فإن كان محل الخطاب له جنس نوعي يظهر نوع الذكر والأنثى، وإن كان محل الخطاب ليس له جنس نوعي، فيختفي نوع الذكر والأنثى.

لذا؛ ينبغي الانتباه إلى أن الأصل في اللِّسان العربي هو الخطاب الكوني وليس النوعي، مع إثبات الخطاب النوعي بشكل جزئي تابع للخطاب الكلي، والأمر بحاجة لدراسة كونية لسانية قرءانية متى نستخدم ضمير (هو) ومتى نستخدم ضمير (هي) وما هو الضابط والمعيار والقاعدة في ذلك، وهذا نوع من الدراسة - حسب علمي- لم يعرض بعد في تاريخ الإنسانية لبُعدهم عن الدراسة اللِّسانية الكونية القرءانية وحصر الدراسة بالتراث والنقل والسماع والالتزام بذلك، كما وصل دون دراسة، فالجواب عند أهل النحو هو هكذا سمعنا ووصل إلينا، لذلك عندهم قاعدة تسمى السَّماع، ويقصدون بها النقل الصوتي للاستخدام على وجه معين.

ومن الأمثلة المهمة على أنَّ اللِّسان العربي يعتمد على الواقع، هو **أسلوب الخطاب الذي**

استخدمه العرب القدامى، عندما يتكلمون عن جمع من النّاس فيهم إناث، فيستخدمون الخطاب الذّكوري، ويقصدون به كل النّاس بما فيهم الإناث، نحو: يا أيها النّاس، جاء القوم..... إلخ. ولا بُدَّ أن نعرف مفهوم الذكر والأنثى في الواقع ما هو:

ذَكر: كلمة **تدل على دفع وسط ملتصق مع ضغط خفيف منته بتكرار ما سبق**. وتحققت هذه العملية في نوع من الكائنات الحية التي تعتمد في تكاثرها على اللقاح، فأُطلق عليهم اسم الذكر، فهي تسمية وظيفية.

أنثى: أصلها أنث، وهي **تدل على ظهور لطيف مستور منته بدفع خفيف ملتصق**. وتحقق ذلك المفهوم بمجموعة في نوع من الكائنات الحية التي تعتمد في تكاثرها على اللقاح، فأطلق عليهم اسم الأنثى، فهي تسمية وظيفية.

والذكر والأنثى يشكلان مع بعضهما الجنس الواحد، وعلاقتهما قائمة على التكامل الوظيفي؛ لا على التفاضل.

ولمعرفة سبب ذلك الخطاب؛ ينبغي الرّجوع إلى محل الخطاب، الذي هو الواقع لمعرفة علاقة الذّكر بالأنثى فطرياً، واجتماعياً، كيف هي؟

إذا بحثنا في طبيعة كل من الرّجل والمرأة، ووظيفتهما، وحركتهما في الواقع، نجد أنَّ الرّجل هو بمنزلة مركز الدّائرة، التي تمثل المرأة محيطها، وينتج عن هذه العلاقة بينهما أولاد يطوفون حول المركز ضمن محيط الدّائرة، وإذا أسقطنا ذلك على الواقع؛ نلاحظ أنَّ المركز والمحيط يشكلان الدّائرة برمتها، ويكون المركز هو المسؤول عن ربط جميع نقاط المحيط به بصُورة لازمة، وذلك متحقق في حركة الرّجل المركزية في أسرته؛ من حيث العناية بهم وتأمين الحياة الأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية لأفراد أسـرته، فالرّجـل - دائماً- في مقدمة الحياة الاجتماعية بالنّسبة للأسرة، وحركة الرّجل تمثل حركة الأسرة بكاملها، فعندما نخاطب الرّجل (مركز الدّائرة) يتضمن الخطاب ضرورة الأسرة، كونها تمثل محيط الدّائرة المُرتبطة بالمركز، فيكون أي خطاب للأب، أو للرّجل، أو للنّاس يدخل في سياقه المرأة والأولاد واقعاً.

وهذا الخطاب الذّكوري؛ ليس هو تفضيل للنّوع الذّكري على النّوع الأنثوي؛ بل هو خطاب يعكس وظيفة الرّجل، وعلاقته بالمرأة في الواقع؛ من كون الذّكر يشكل على الغالب الحماية، والعناية، والمسؤولية، والقيادة للأسرة خارجياً، ويؤمن سهولة قيام المرأة بوظيفتها داخل الأسرة؛ من تربية، وعناية، وإدارة وَفْقَ قيادة الرّجل، ليُوجدا مع بعضهما علاقة جدلية تكاملية، قيادة الأب، وإدارة الأم.

فأي خطاب لساني يأتي بصياغة ذكورية، نحو: الذين، آمنوا، النّاس، القوم، الإنسان.. إلخ؛ يكون المقصد منه الرّجل، والمرأة على حد سواء، وأي تجمُّع أنثوي مهما بلغ عدده؛ إذا وُجد خلاله إنسان ذكر واحد، تحول الخطاب إلى الصّياغة الذّكورية، أما إذا أراد المتكلم تحديد خطابه للإناث فقط، فيستخدم الصّياغة الأنثوية، ومن هذا الوجه جاء الأسلوب اللِّساني الذّكوري؛ ليدل على الخالق وصفاته، ليس كجنس، وإنَّما كدور الخالق وعمله في الواقع؛ من كونه الخالق المدبر المنعم، الذي يقود النّاس إلى الفلاح، ويدير أمورهم كمركز للوُجُود كله؛ لذلك تُستخدم صفة الأب على الخالق؛ لتدل على وظيفة الأب المركزية بالنّسبة لأسرته، وليس صفة الوالد، وتُستخدم صفة الرب لتدل على الإدارة والتدبير والعناية.

إذاً؛ أسلوب الخطاب الذّكوري[1] في اللِّسان العربي؛ ليس لتفضيل نوع على آخر، وإنَّما هو يعكس علاقة الذّكر والأنثى في الحياة الاجتماعية ووظيفة كل منهما ودوره، كونهما يُشكلان مع بعضهما الجنس الإنساني، مثل علاقة محيط الدّائرة بمركزها، وعلاقة المركز بالمحيط، فلا يمكن أن يكون المحيط هو المركز، ولا يمكن للمركز أن يكون المحيط، فلكل منهما دوره، ووظيفته التي يُكمل بها الآخر؛ ليشكلا مع بعضهما الدّائرة.

---

1 وصف الخطاب بالذكر والأنثى هو شيء اصطلاحي وليس حقيقياً، وذلك لسهولة التفاهم والتواصل بين الناس، وتميل الناس في فهم الكون والأحداث إلى إسقاط الخطاب على نفسها، والواقع أن الاختلاف في أسلوب الخطاب يرجع لاختلاف في وظائف الأمور، انظر إلى الشمس والنجوم والكواكب والقمر... إلخ، صنفها أهل النحو من حيث الألفاظ إلى مؤنث ومذكر اصطلاحاً، وليس حقيقة، فالشمس ليست أنثى، وكذلك القمر ليس ذكراً !.

اللِّسان العربي نظام، وثقافة

أول عمل ينبغي أن نقوم به، هو التّفريق بين دلالة كلمة (نظام)، ودلالة كلمة (ثقافة).

النّظام: هو مجموعة القواعد والقوانين التي تحكم الشّيء، في عملية سيره ووُجُوده.

الثّقافة: هي تفاعل الإنسان، والمجتمع مع المحيط البيئي، والاجتماعي. يترتب عليه وُجُود مفاهيم عن الإنسان، والكون، والحياة.

وتوسع ذلك المفهوم ليدخل فيه الآداب، والتّاريخ، واستخدام اللِّسان، وصار له خُصُوصية في المجتمعات. **فالثّقافة خاصَّة، والعلم عام.**

واللِّسان العربي المبين؛ كونه لساناً علمياً فطرياً؛ فهو عام من حيث النّظام، وهذا الجانب في اللِّسان هو المحور الثّابت، مثله مثل أي علم.

أما الجانب المتغير في اللِّسان فهو الجانب الثّقافي، وهو استخدام المجتمع القومي العربي لنظام اللِّسان حسب المعطيات الزّمكانية، ومن ثم؛ كل مجتمع له تفاعله مع اللِّسان، ويستخدمه وَفْقَ أدواته المعرفية واحتياجاته. مثلاً، التنزيل الحكيم مؤلف من كلمات اللِّسان العربي، وأحرفه التي نستخدمها نحن في حديثنا، وكتابتنا، ومع ذلك، فحديثنا ليس قرآناً، رغم أننا نستخدم ذات الأحرف والكلمات، فالاختلاف قائم في عملية بناء النّص، وتصميمه وَفْقَ منظومة دلالية تحكمه، نحو مواد البناء، فهي واحدة من حيث النّوع، ولكن كل مهندس يستطيع أن يصنع منها صُورة مختلفة عن صُور الآخرين.

نظام القرءان قومي اصطلاحي أم عربي

والسّؤال الذي يفرض ذاته علينا هو:

هل نزل التنزيل الحكيم وَفْقَ نظام اللِّسان العربي المبين، أم وَفْقَ ثقافة المجتمع الذي زامن نزوله ؟

والجواب عن هذا السّؤال موجود في التنزيل الحكيم ذاته؛ إذ قال تعالى: (بلسان عربي مبين)، فالتنزيل الحكيم، هو نص **عربي النظام، وعربي الحكم، ونزل بلسان عربي مبين،** وليس عربي الثّقافة القومية، ولو افترضنا أنه قومي الثّقافة؛ للزم من ذلك انتهاء صلاحية التنزيل الحكيم لكل زمان ومكان، وما ينبغي أن يكون له صفة الكمال والصلاحية؛ لخُصُوصيته للمجتمع القومي الذي نزل عليه، ومن ثم؛ **فكل من ينادي بتقييد فهم التنزيل الحكيم بثقافة المجتمع القومي الأول، الذي زامن نزوله، فدعوته دعوة هدامة يلزم منها إبطال صلاحية التنزيل الحكيم لكل زمان ومكان، ويطلب من المجتمعات بصُورة غير واعية أن يُوجدوا بديلاً لهم غير التنزيل الحكيم لانتفاء فاعليته، وعدم جدواه في الواقع المعاصر!.**

فالتنزيل الحكيم نزل عربي النظام، والحكم، واللِّسان؛ ليصير اللِّسان العربي المبين هو الحامل، والمجسد، والوسيط له، خطاباً لكل النّاس، على اختلاف ثقافاتهم، والخطأ القاتل الذي وقع المسلمون فيه، عندما أوصلوا التنزيل الحكيم للنّاس، ممزوجاً بثقافة القومية العربية، وتلقف النّاس الثّقافة القومية تحت ظلال التنزيل الحكيم، **فصار التنزيل الحكيم للتّلاوة، والثّقافة القومية للقراءة،** وبمعنى آخر: **التنزيل الحكيم للبركة والتّقديس، والثّقافة القومية العربية للتّدين والعبادة،** وهم معذورون في ذلك؛ لأنَّ الخطأ ليس خطأهم أصلاً، وإنّما هو خطأ من مزج التنزيل الحكيم بالثّقافة القومية، والإسلام بالفقه، والرّباني

بالإنساني، واللِّسان العربي المبين بالأعجمي، والثّابت بالمتغير، وجعل الأموات يحكمون الأحياء !.

فاللِّسان العربي المبين منظومة علمية، تحتوي في داخلها منظومات مترابطة مع بعضها، ومنسجمة في حركتها مع منظومة الكون كله، ودراسة كلمات اللِّسان العربي المبين ينبغي أن تتم وَفْقَ المنظومات، وحسب قوانين الكون تماماً كونها تصويراً صوتياً، أو حالياً، أو وظيفياً له، وانطلاقاً من كون التنزيل الحكيم نصّاً عربي اللِّسان، وعالمي التّوجه، وإنساني الخطاب، وكوني البنية المعلوماتية، ينبغي أن يتم تحرير اللِّسان العربي من الثّقافة القومية العربية، ومن هيمنة الأموات على الأحياء، وجعله لساناً إنسانياً عالمياً.

وهذا يقتضي منَّا وضعَ قاموس لسانيٍّ يعتمد على نظام اللِّسان فقط، والابتعاد عن الثّقافة القومية العربية؛ حتَّى يستطيع النّاس على اختلاف ألسنتهم، ومعتقداتهم التّعامل مع التنزيل الحكيم بحُرِّيَّة إنسانية دون قيود الثّقافة القومية العربية، ووصايتها عليه.

والمرجع الأساس لعملية وضع القاموس، إنَّما هو الواقع، والتنزيل الحكيم، **والتّفكير، والاستعانة بالثّقافة القومية دون إعطائها صفة البرهان، ومن خلالهم نصل - معاً - إلى إظهار نظام اللِّسان القائم عليه والمستخدم** الذي نزل التنزيل الحكيم بموجبه، فأعطى اللِّسان العربي حصناً حصيناً يعتمد عليه، ويحتمي به، فصار التنزيل الحكيم بمصدريته الرّبانية مرجعاً له الأولوية، والصّدارة في اللِّسان العربي نظاماً، واستخداماً للكلمات، فهو الحكم والفيصل حين الاختلاف، **والتنزيل الحكيم حجة على الثّقافة القومية العربية، والعكس غير صواب، وما المعاجم اللِّسانية إلا توثيق ثقافي تاريخي للمجتمع الذي دُوّنت فيه هذه المعاجم.**

لذا، ينبغي المضي قُدماً نحو تحرير التنزيل الحكيم من الوصاية القومية عليه، وإرجاع دوره ووظيفته كتاباً إنسانياً عالمياً، وجعل النّاس يتعاملون معه بصُورة مُباشرة كل حسب مستواه العلمي والثّقافي، وبذلك العمل نكون - حقاً - قد جعلنا التنزيل الحكيم صالحاً لكل زمان ومكان، لجميع النّاس على مختلف الثّقافات، أما الأوامر التي أتت في التنزيل

الحكيم محددة في الواقع فقد نص عليها تفصيلاً، وجاءت سنة الرّسول [1]، وأكدت تلك الصّورة، نحو الصّلاة، والحج، فهي مختصة بالشّعائر التّعبدية، واستخدم كلمات بدلالتها الثقافية السائدة حين نزول النص، مثل كلمة (الغائط والجنابة والمحيض)، واستخدم أسماء الأشياء المتعارف عليها مثل (الشمس والقمر والأرض والتراب...).

فمن التنزيل الحكيم، وإليه، ومعه، ننطلق بصحبة الواقع، وقيادة التّفكير لإنشاء حضارة إنسانية.

1 راجع كتابي (تحرير العقل من النّقل)، لمعرفة الفرق بين سنة الرّسول وحديث النّبي.

نَصُّ التنزيل الحكيم حُجَّة على المعاجم والنحو والشعر والحديث

إنَّ ميلاد اللِّسان في الوُجُود، هو عمليَّة سابقة على تدوين وإظهار قواعده، وقد كان نتيجة تفاعل واعٍ من قِبَلِ الإنسان، مع الواقع الذي يعيشه، فاللِّسان ولادة الضّرورة والحاجة لِتَخاطُبِ النّاس مع بعضهم، ولتخزين المعلومات في القلب، ونقلها للآخرين، فكان اللِّسان بمنزلة الحقل، والميدان، والوعاء للعلم والثّقافة للإنسان، وتمَّ تطوُّره حسب تطوُّر الإنسان المعرفي بعلاقة جَدَليَّة، فكُلَّما اتَّسعت المعرفة اتَّسع اللِّسان؛ ليحتوي المعرفة، فهُما أشبه بخطَّيْن مُتوازيَيْن يمتدَّان مع بعضهما بعضاً.

أمَّا عمليَّة تدوين قواعد اللِّسان؛ فقد تمَّ ذلك بشكل لاحق لميلاده، ومُتأخِّراً عنه كثيراً، ومَرَدّ ذلك إلى أنَّ عمليَّة التّقعيد للِّسان، لا بُدَّ أنْ يكون قد قطع شوطاً كبيراً في التَّطوُّر، والاتِّساع، والنُّضج، والتّكامل من حيثُ البنية الصّوتيَّة لأحرف اللِّسان، فتأتي عمليَّة التّقعيد ضرورة واقعيَّة، وثقافيَّة لحفظ اللِّسان، وتدريسه للمُجتمع الإنساني، ويتمُّ وَضْع قواعد اللِّسان بناءً على عمليَّة السّبر، والتّقسيم لمُفرداته المُستخدَمَة في بنية الجُملة، وعلاقتها مع محلِّ خطابها من الواقع.

ومن هذا الوجه ظهرت الأفعال، والأسماء، والأحرف، وما شابه ذلك من التّقسيمات، وقواعد اللِّسان كونها مُستحدَثَة تدويناً، فهي - قطعاً - لا تُحيط بكُلِّ دقائق اللِّسان واستخداماته، ولذلك لا بُدَّ من عمليَّة التّراكم المعرفي لأهل اللِّسان من دراسة، وتمحيص، واستقراء، واستنتاج للقواعد، وذلك من خلال علاقة جَدَليَّة بين اللِّسان والواقع، ومن هذا الوجه نلاحظ أن نظام التنزيل الحكيم اللِّساني أوسع وأدق من قواعد النحو. لذا؛

ينبغي الأَخْذ بعين الاعتبار مجموعةً من الأُمُور أثناء الدّراسة؛ ومن أهمِّها:

1 - لم يحطْ مُجتمعٌ ما بزمان ومكان مُعيَّن باللِّسان العربي، بشكل إحصائي وكامل، فلا يُوجد مُعجم أو مرجع أحاطَ باللِّسان، بل لابُدَّ من الاستفادة من كُلِّ المعاجم والمراجع على حَدٍّ سواء، مع العلم أنَّ المعاجم والمراجع اللِّسانية ليس لها قداسة، فهي من وَضْع وجَمْع الباحثين واجتهاداتهم، ولكُلٍّ منهجه في البحث، ولكُلٍّ نصيبه من الصّواب، والذي ينبغي اعتماده أصلاً، ومرجعاً، وفصلاً في الخطاب، بالنّسبة للباحثين في اللِّسان، إنَّما هُو التنزيل الحكيم، كونه نصّاً عَرَبيّاً مبيناً، قد سُلِّمَ بتوثيقه وصواب تواتره، وشُهُود العَرَب ببلاغته، مُنذُ وُجُوده بشكل إجماع، دُون معرفة مُخالف يُعتد برأيه، وانتقل هذا الإجماع مع تواتر النَّصِّ القرءاني دُون تحريف[1].

فصار التنزيل الحكيم بهذه الصّفات، حُجَّة على المعاجم والمراجع اللِّسانية، وهُو الأساس، والأصل، والمُنطلق لأيِّ دراسة في اللِّسان العَرَبي، والتنزيل الحكيم هُو المُقوِّم للمعاجم، وليس العكس، فاستخدام الكَلمة في التنزيل الحكيم على شكل مُعيَّن، أو بدلالة مُعيَّنة، هُو الصّواب، ولو خالف بذلك الاستخدام كُتُبَ القواعد والمعاجم، فهُو الأصل والأسبق، وما خالفه هُو فرع ولاحق له، وينبغي أنْ يُقوَّم ويُصوَّب وَفْقَ الأصل (التنزيل الحكيم).

لذا؛ ينبغي وَضْع الأُمُور في مكانها المُناسب، وعَدُّ التنزيل الحكيم مصدراً، وأساساً للِّسان العَرَبي المبين، ومرجعاً أوَّليّاً له، يتمتَّع بفَصْل الخطاب، لا يُشاركه في تلك المرتبة شيء من المعاجم أو المراجع، وغيرها من النُّصُوص الثّقافيَّة؛ نحو الحديث النّبوي، والحكَم، والشّعر، والنّثر، والدّراسات الأدبيَّة، فكُلُّ ذلك وغيره؛ إنَّما هو تابع وفرع لأصل أصيل، هُو نصُّ التنزيل الحكيم الخالد.

2 - إنَّ قواعد اللِّسان الموضوعة من قبل أهل النحو لم تُغطِّ كُلَّ حالات واحتمالات استخدامه العَرَبي، وإنَّما غطَّت مُجملها؛ ولذلك ينبغي إعادة الدّراسة القواعديَّة إلى طاولة البحث، وإتمام وتطوير ما بدأ به الأوَّلون أمثال سيبويه، وابن جنِّي، وابن فارس،

1 راجع كتابي (ظاهرة النَّصّ القرءاني تاريخ ومُعاصرة)، دار الأوائل، ط1، 2002.

والثّعالبي، وغيرهم، والعمل على عقلنة النحو، وتحديث الاصطلاحات والتقسيمات بما يناسب علمية اللِّسان العربي[1].

وعلى سبيل المثال، انظر إلى عَرب: كُسِرَ الزجاجُ. يقول أهل النحو: إن (الزجاجُ) نائب فاعل مرفوع، والأحسن أن يقولوا: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الضمة عوضاً عن الفتحة؛ لأنه وقع محل الفاعل، والضمة تدل عليه، وبذلك يزول الالتباس من عقل الطالب، ويعلم أن الفاعل مخفي لسبب ما، ويظهر له علاقة النحو بالمعنى؛ بصورة عقلية.

وانظر إلى **عَرب** ضمير (أنت) في قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ قال أهل النحو: ضمير توكيد، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت!. وذلك لأن قاعدتهم توجب استتار الضمير بعد فعل الأمر، وهذا الانغلاق منهم منعهم من فهم النص على حقيقته، والصواب أن يقولوا: ضمير(أنت) في محل رفع فاعل وظهر في الكلام لتحديد المخاطب، وهذا يدل على أن آدم لم يكن وحده أثناء الخطاب.

3- عدم استخدام مدلول كَلمة، أو حصرها بمدلول في الواقع من دلالتها الكَامنة في الكَلمة من قبل مُجتمع مُعيَّن لا ينفي أصلَ دلالة الكَلمة لساناً، نحو مدلول كَلمة (دابة)، فقد حصرها أهل اللِّسان - اصطلاحاً - على البهائم؛ فهذا الحصر لا ينفي صواب استخدام مدلول الكَلمة الأصلي لكُلِّ كائن حيٍّ على الأرض، فموت وحياة استخدام دلالة الكَلمة؛ إنَّما هُو حقٌّ للمُجتمعات، ومن هذا الوجه؛ فإنَّ كُلَّ نصٍّ لساني يتمُّ فَهْمه، ودراسته حسب المُعطيات الثّقافيَّة المُرتبطة بزمكان قائله؛ لأنَّ المُتكَلِّمَ لا يتجاوز ثقافةَ مُجتمعه.

4- التنزيل الحكيم لا يخضع في فَهْمه، لثقافة المُجتمع الذي زامن نُزُوله؛ وذلك لأنّه إلهيُّ المصدر، عالميُّ التَّوجُّه، إنسانيُّ المضمون، مُستمرٌّ في خطابه عبر الزّمكان، وكونه بهذه الصّفات فهُو - قطعاً - غير مُقيَّد بمدلولات الكَلمة التي استخدمها المُجتمع الذي

1 يوجد محاولة رائدة في إعادة تقعيد النحو، ولعلها الوحيدة فيما سبق؛ وهي لابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) ت: د. شوقي ضيف، الذي قام أيضاً في كتابه (تجديد النحو) بتجديد دعوة القرطبي وعرض نظام جديد للنحو، ولكن لم يقبل مجمع القاهرة ذلك بحجة شيوع النظام الأول وانتشاره !. واطلعت لاحقاً على دراسات العالم «سُبيط النيلي» - رحمه الله - فرأيتها تصلح أن تكون قاعدة ومنطلقاً لإعادة دراسة النحو والبلاغة ، ووضع أصول جديدة معقلنة على ضوء القرءان الذي ينفرد بصفة اللِّسان العربي المبين.

زامن نُزُوله، وذلك بالنّسبة للكَلمات ذات المدلول المُتحرِّك، وإنَّما نزل التنزيل الحكيم عَرَبيَّ اللِّسان، وليس قوميَّه أو عينيَّه؛ أيْ: أنه لم يتقيَّد باستخدام مدلولات الكَلمة بما استخدمها المُجتمع الأوَّل؛ لأنَّ ذلك لو حصل؛ لانتفى عنه صفة العالميَّة، والإنسانيَّة، والاستمراريَّة، والكمال، وصار نصّاً قومياً خاصّاً بالقوم، الذين نزل عليهم، فالتنزيل الحكيم هُو نصٌّ عَرَبيُّ اللِّسان، مُرتبط به وبقواعده، وليس قومي الثقافة، وغير مُقيَّدٍ بموت مدلولات الكَلمة وحياتها، في واقع مُعيَّن، بزمان مُعيَّن، من قِبَلِ أيِّ مُجتمع.

فالأصل في التنزيل الحكيم، هُو أصل دلالة الكَلمة لساناً، حينما وُلدت، وانبثقت إلى حيِّز الوُجُود؛ فإذا أراد اللهّ منها استخداماً مُحدَّداً بصُورة مُعيَّنة أتى بقرينة ليُحدِّد مدلولها؛ دُون غيرها من المدلولات المُحتمَلَة؛ وإن لم يأت بقرينة تبقى الكَلمةُ مُحافظةً على دلالتها الأصليَّة حين ولادتها إلى حيِّز الوُجُود، ويقوم كُلُّ مُجتمع بعمليَّة استخدامها، وتفعيلها حسب أدواته المعرفيَّة، لا يخرج في استخدامها عن دلالتها الأصليَّة، وهذا هُو العطاء، والحَرَكَة، والبركة للتنزيل الحكيم الخالد.

ومن هذا الوجه؛ عرفنا لماذا لم تقم المجتمعات الأولى بفهم التنزيل الحكيم كاملاً؟

وذلك لأمرين اثنين:

أولاً: توجه خطاب الرسالة للناس جميعاً خلال الزمان والمكان، فمن الطبيعي أن لا يستطيع إنسان أو مجتمع أن يفرض فهمه ودراسته على الآخرين، ومن الطبيعي جداً أن لا يعرف كثيراً من دلالات النصوص، لأنها ليست له بصورته الفردية.

ثانياً: لقد قام المتكلم بصياغة التنزيل الحكيم صياغة عربية؛ مرتبطة بعربية الكون، وحركته وَفْقَ الثابت والمتغير، (السيرورة والصيرورة) فهو في حركة حنيفية متنامية صاعدة، بينما العلم عند الإنسان نسبي وقاصر، ومرتبط بالمستوى المعرفي لزمانه، ومن هذا الوجه ظهرت القراءات المتعددة للتنزيل الحكيم تعبِّر عن مستوى المجتمع الذي قام بقراءته، وبالتالي ينبغي وجود قراءات متجددة للتنزيل الحكيم في كلِّ جيل حسب أدواتهم المعرفية، وعلى محور الثابت والمتغير.

(ثبات المبنى والمفهوم، وحَرَكَة صور المعاني المستخدمة في الواقع).



الفصل الثالث

التّرادف في اللِّسان العربي المبين ظاهرة علمية

التّرادف من رَدفِ الشّيء بالشّيء؛ إذا أتبعته به، أو ألحقته به، ومن هذا الوجه نقول في حياتنا اليوميَّة: إنَّ فلاناً رديفٌ لفلان، بمعنى تابع ومُلحق به، ونقول للتّلاميذ في باحة المدرسة عندما يصطفُّون خلف بعضهم بعضاً: ترادَف؛ بمعنى أنْ يقوم كُلُّ تلميذ بعمليَّة الالتحاق والاتِّباع لَمَنْ قبله؛ بواسطة وَضْع كفِّ اليد على كتف من قبله؛ حيثُ يصير مُلحقاً وتابعاً له.

والأرض وأخواتها من الكواكب، كُلُّها مُترادفة مع الشّمس، فهي مُشتركة بشيء، ومُختلفة بشيء آخر، فالتّرادف لا يمحو هُويَّة الشّيء المُترادف مع غيره، وإنَّما يشركه بصفة، مع الحفاظ على التّباين، والاختلاف في كُلٍّ منهما.

يقول الأستاذ «محمد عنبر» في كتابه اليقين فوق المعاصرة:

(إن ما ينفي[1] الترادف (التطابق بالمعنى رغم اختلاف المبنى) ويمنع من وقوعه دليل واحد قاطع؛ هو، أنه لو كانت حروف أبجدية اللغات مترادفة، ويُغني كلُّ حرف منها عن الآخر غنىً وافياً كافياً لكان كل حرف ككل حرف، ولزال البيان من أساسه، وما كانت الكلمات مؤلَّفة من حروف، فإن الكلمات لا تترادف قطعاً، أي: لا تُغني أي كلمة منها عن أي كلمة أخرى غنىً شافياً وافياً كافياً، لأن ذلك ينتهي بها إلى أن أي كلمة كأي كلمة تماماً). انتهى.

فالتّرادف في اللِّسان بهذا المعنى هُو المُستخدَم سابقاً، فقد قام العَرَب بجَعْل الكَلمات ذات الصّلة مع بعضها؛ من حيثُ أصل الدّلالة، واختلافها من حيثُ الشّكل والأُسلُوب

1 في الأصل موجود كلمة (ينبغي) والصواب وفق السياق ينبغي أن تكون كلمة (ينفي) فصوَّبتها، راجع (اليقين فوق المعاصرة) ص 79، ط الأولى 2003م.

في نمط واحد؛ وقالوا: هذه الكَلمات مُترادفة؛ بمعنى أنَّها تابعة لبعضها؛ لوُجُود صلة فيما بينها، مع الحفاظ على التّباين والاختلاف لكُلٍّ منها؛ نحو:

كُلُّ كَلمة تبدأ بحرف القاف والطّاء (قط) تدلُّ في أصلها وعُمُومها على التوقف والمنع والتّفريق والفَصْل والصّرم؛ انظر مثلاً: قَطَعَ، قَطَفَ، قَطَمَ، قَطَل... إلخ.

فكُلُّ هذه الكَلمات، لا تخرج عن دلالة المنع والتوقف والفَصْل والتّفريق والصّرم؛ فهي مُترادفة من هذا الوجه؛ أيْ: تابعة في أصل الدّلالة لبعضها، ولكنْ؛ لكُلٍّ واحدة منها صُورة وإسقاط على الواقع مُختلفة عن أُختها، وكان هذا التّباين والفرق نتيجة اختلاف الحرف الثّالث، الذي أُضيف للكَلمة (قط)، فدلالة كَلمة (قَطَعَ) غير دلالة كَلمة (قَطَفَ)، أو (قَطَمَ).

وكَذلك كُلُّ كَلمة تبدأ بحرف الغين، تدلُّ في أصلها وعُمُومها على السّتر والتّغطية والغياب والعُمق؛ انظر مثلاً: غاص، غيم، غاب، غامق، غرغر، غُرُور، غبي، غفل، غرق، غطس.... إلخ.

وكَذلك كُلُّ كَلمة تبدأ بحرف السّين (س) تدلُّ في أصلها وعُمُومها على الحَرَكَة الحرة؛ انظر مثلاً: سبح، سبق، سبى، سمى، سار... إلخ.

والوجه الآخر للتّرادف عند العَرَب، هُو إطلاقه على الكَلمات التي تشترك بالدّلالة تضمُّناً؛ أي: العلاقة الضّمنيَّة من حيثُ العُمُوم والخُصُوص؛ نحو: جاء، وأتى، وحضر، أراد، وشاء، قرأ، وتلا، تكَلَّم، وتحدَّث، ذهب، وخرج... إلخ.

فهذه الكَلمات ذات علاقة مع بعضها بعضاً، وهي علاقة الخاصِّ بالعامِّ، أو علاقة تضمُّنيَّة؛ فهي من هذا الوجه مُترادفة، ولكنْ؛ في الوقت ذاته، مُتباينة عن بعضها في عمليَّة إسقاطها على الواقع، فدلالة كَلمة (الأكل) غير (الطّعام)، ودلالة كَلمة (ذهب) غير (خرج)، وكَلمة (ولج) غير (عبر) وغير (خرق).

هذا مفهوم التّرادف؛ الذي كان يستخدمه العَرَب – أصلاً – قبل تدوين اللِّسان وقواعده، والقول بوُجُود التّرادف في اللِّسان؛ إنَّما هُو إثبات لظاهرة علْميَّة كونيَّة انعكست فيه.

أمَّا استخدام مفهوم التّرادف؛ بمعنى مُطابقة دلالة الكَلمات لبعضها رغم اختلاف ألفاظها؛ فهُو قول صادر، تساهلاً، في استخدام اللِّسان من قِبَلِ عامَّة النّاس، وليس أصلاً فيه، ومع ضعف النّاس بلسانهم الأصليِّ الصّائب، وفُشُوِّ اللّحن والخطأ، وجُمُود الدّراسة والإبداع، وتناسي الفُرُوقات بين الكَلمات، والتّساهل في استخدام الألفاظ المُختلفة لدلالة واحدة لحُصُول الفَهْم عند المُخاطب؛ والأهم من كل ذلك صفة العجمة اللازمة للإنسان، انتشر بين النّاس مفهوم أنَّ اللِّسان يحتوي على ألفاظ مُختلفة، ولكنَّها من حيثُ الدّلالة واحدة في الواقع، واستمرَّ هذا الاستخدام، وشاع بين النّاس، وعندما قام بعض العُلماء بدراسة هذه الظّاهرة تأثَّروا بشُيُوعها بين النّاس، وظنّوا – وَهْمَاً منهم – أنَّ هذه الظّاهرة صائبة لساناً، فأدخلوها في قواعد اللِّسان ونظامه، تحت عُنوان التّرادف، ولكنْ بمفهوم عامَّة النّاس.

واستمرَّت الأبحاث في اللِّسان من قِبَلِ العُلماء، ولكنْ معظمهم وافقوا على مفهوم التّرادف الشّعبي، فمنهم مَنْ أنكر هذه الظّاهرة الشّعبيَّة، وبإنكاره ذلك نفى مُصطلح التّرادف في اللِّسان، ومنهم مَنْ وافق، وأقرَّ مفهوم التّرادف بالمعنى الشّعبي، وأخذ النّقاش والاختلاف في الأبحاث لهذه الظّاهرة اسم التّرادف في اللِّسان، وانقسم العُلماء فريقَيْن بين مُؤيِّد لوُجُود كَلمات مُختلفة بالألفاظ، ومُتطابقة بالدّلالة، تحت اسم التّرادف، وذهب فريق آخر لإنكار هذا الاستخدام؛ لأنَّه مُخالف لما عليه الواقع واللِّسان، وأنَّ اختلاف المبنى يُؤدِّي – قطعاً – لاختلاف المعنى، ولكنَّهم تأثَّروا باستخدام الفريق الأوَّل لمُصطلح التّرادف، فأنكروا التّرادف في اللِّسان، ردّاً على الفريق الأوَّل.

لذا؛ أوَّل عمل ينبغي أنْ نقوم به، هُو إرجاع مفهوم التّرادف إلى أصله؛ حيثُ أنَّه مُصطلح صواب لسانياً.

والكون – آفاقاً وأنفساً – واللِّسان قائمان على ظاهرة التّرادف بالمعنى الصائب، ومن ثم؛ ينبغي عدم التَّأَثُّر بعامَّة النّاس، واستخدامهم لمُصطلح التّرادف بشكل خاطئ، والواجب هو تصويب مفهوم التّرادف عند النّاس، وليس إنكار ظاهرة التّرادف.

الأمر الثّاني الذي ينبغي أنْ يُؤخذ بعين الاهتمام، والجدِّيَّة، هُو أنَّ اللِّسان يُدرَس من

أُصُوله ومصادره، وليس بما اشتهر على ألسنة النّاس، أو ما شاع بينهم من استخدام لدلالة الكَلمات والأساليب في الخطاب، فالنّاس يميلون في الخطاب، والتّواصل مع بعضهم، إلى التّساهل في الألفاظ، واستخدام الأساليب السهلة في الخطاب، ولو كان ذلك على حساب صواب اللِّسان بلاغةً، وقواعد، وصواب اللِّسان العضوي فصاحة، ما دام المُخاطَب فاهماً لقَصْد للمُتَكَلِّم.

انظر على سبيل المثال إلى صفات السيف، التي اشتهرت في التراث العربي، البتار، المهند، الصارم... إلخ، فلو أن لدينا عدة سيوف، وقلنا لأحدهم: أعطنا المُهند ؟ وأعطانا واحداً وقعت يده عليه، لأخطأ الفعل، لأن قصدنا من الكلام، هو السيف الذي صُنع في الهند حصراً، (وذلك إن كانت صفة المهند يقصد بها منشأ السيف صنعة) لا أي سيف آخر، أما استخدام الناس لصفة المهند لأي سيف كان، فهو استخدام اعتباطي أعجمي، ما ينبغي أن يستخدم ذلك برهاناً، أو حجةً على دلالة كلمة ما، نحو رأي بعض الباحثين؛ رغم أنه يتبنى قاعدة (**إذا اختلف المبنى اختلف المعنى**) قال: لو طلبنا من أحدهم أن يعطينا البتار أو المهند من مجموعة سيوف أمامه، فإن الفهم يحصل للسامع، ويقوم بتناول أي سيف لا على التعيين، ويعطينا إيّاه، فالصارم، والبتار، والمهند؛ هي السيف – في النتيجة – عند السامع؛ ! ومن ثم؛ فالترادف هو من باب المجاز لا أكثر)[1].

وهذا الكلام خطأ فاحش، ما ينبغي أن يصدر من باحث قط !. انظر إلى كلمة بيت، ومنزل، ودار، ومسكن، ومثوى، ومأوى، فكل منها لها دلالة مختلفة عن الأخرى؛ وكذلك كلمة: كتاب الله، والقرءان، والفرقان، والذكر، والكلام، والكلمات، والقول، واللفظ، والنطق.. ، مع احتمال وجود تداخل جزئي فيما بينها في الدلالة، وقد تجتمع في موصوف واحد.

فأصل اللِّسان المُسلَّم به دُون جَدَل، هُو التنزيل الحكيم لخصائصه عن سائر المصادر الأُخرى، فينبغي الانطلاق منه في الدّراسة، ومعرفة صواب المسألة – لساناً – من خلال نَظْم خطابه، وأُسلُوبه لاستخدام المُفردات في الجُمل؛ حسب واقع الحال لكُلِّ نصٍّ.

1 راجع كتاب (اليقين فوق المعاصرة) لمحمد عنبر، الطبعة الأولى / 2003/ ص 16- 17- 83، وما بعدها.

فظاهرة التّرادف ظاهرة علميَّة موجودة في اللِّسان، بالمعنى الصّائب، كما استخدمه العَرَب القُدامى قبل التّدوين؛ وهُو إلحاق الكَلمات المُشتركَة بأصل واحد، نحو الحرف الأول أو الثاني، والمُختلفة بالشّكل والأُسلُوب؛ حين إسقاطها على الواقع ببعضها، ووَضْعها في خندق واحد تحت اسم التّرادف، الذي يدلُّ على المقولة الآتية:

(إذا اختلف المبنى؛ اختلف المعنى، وأيُّ زيادة في المبنى؛ إنَّما هي زيادة في المعنى).

أمَّا ما يشاهده عامَّة النّاس، من إطلاق مجموعة من الأسماء أو الصّفات على شيء واحد في الواقع، ويظنُّون أنَّ هذه الأسماء، والصّفات المُختلفة باللّفظ مُتَّفقة بالمعنى؛ فهذا وَهْمٌ وقُصُور منهم في إدراك الفُرُوقات والتّباين، والمُناسبة التي اقتضت إطلاق هذه الصّفات على شيء واحد؛ انظر مثلاً للسَّيَّارة في الواقع؛ كيف أخذت عدَّة أسماء وصفات، وذلك لاختلاف وظائفها، أو اشتراكها بعدَّة وظائف، فَمَنْ نَظَرَ إلى السَّيَّارة من ناحية وظيفة نَقْل النّاس أطلق عليها اسم (ناقلة)، ومَنْ نَظَرَ إليها من ناحية وظيفة أنَّها تجمع النّاس - بالنّسبة للسَّيَّارة الكبيرة - أطلق عليها اسم (حافلة)، ومَنْ نَظَرَ إليها من ناحية وظيفة الرُّكُوب، أطلق عليها اسم (مركبة)، ومَنْ نَظَرَ إليها من ناحية وظيفة تخصيصها لحَمْل البضاعة وشَحْنها؛ أطلق عليها اسم (شاحنة)، فالمسمَّى واحد، ولكن الصفات مختلفة.

هكذا وُلدت أسماء الأشياء وصفاتها؛ من خلال وظيفة الشّيء في الواقع، فإذا تعدَّدت وظائفه تعدَّدت أسماؤه، فكُلُّ اسم أو صفة يُوجد في دلالتها، ما لا يُوجد في صفة أُخرى، فالمُسمَّى واحد في الواقع، والصّفات مُختلفة، والاسم هُو صفة اختيرت دُون غيرها من الصّفات؛ للدّلالة على شيء؛ كاسم عَلَم له؛ ليتمَّ التّخاطب، والتّواصل، والتّفاهم عند قوم مُعيَّنين، مع إمكانيَّة اختيار غيرها من الصّفات؛ لتكون اسماً عند آخرين، وهذا ما هُو حاصل في الواقع بين المُجتمعات العَرَبيَّة، مع العلم أن الاسم لا يُغطي كل وظائف المُسمَّى، انظر إلى كلمة (حاسوب) كيف هي قاصرة لا تغطي وظائف الكمبيوتر، وينبغي البحث عن غيرها، أو نحت كلمة مؤلفة من كلمتين أو ثلاثة لتُغطي وظائف هذا الجهاز، أو استخدام الكلمة الأجنبية ذاتها، ولا حرج في ذلك قط!.

فتفاعل النّاس مع الأشياء مُختلف عن بعضهم، وكَذلك رُؤيتهم لوظائف الأشياء،

واستخدامهم لها، مُختلف حسب احتياجات كُلِّ قوم، ومن هذا الوجه ظهر تعدُّد الأسماء لشيء واحد في الواقع، بل وأدَّى ذلك إلى تعدُّد الألسنة، ووُجُود كَلمات في لسان، ونَفْيها في لسان آخر، وذلك راجع إلى البيئة الجَغرافيَّة والثّقافيَّة، والأدواتية، والتّفاعل معهم.

إنَّ التنزيل الحكيم، نزل عَرَبي اللِّسان كدلالات، مُرتبط بمدلولات في الواقع، فكان من الطّبيعي جدّاً أنْ يتَّصف بصفة الواقع، واللِّسان العربي، فكان كتاباً كونيّاً - آفاقاً وأنفساً - من حيثُ المضمون، وعَرَبي اللِّسان؛ من حيثُ الظّاهرة الصّوتيَّة، التي هي انعكاس وتفاعل الإنسان مع الواقع، فاحتوى ظاهرة التّرادف كما هي موجودة في الواقع، وكما انعكست في اللِّسان العَرَبي، ولهذا؛ اختير اللِّسان العَرَبيُّ دُون غيره؛ ليحتوي الظّاهرة الصّوتيَّة للتنزيل الحكيم، كونه لساناً مُرتبطاً بالواقع، ومُتلاحماً ومُتناغماً معه، يعكس وظائفه واختلافاته، وصفاته بشكل دقيق أشبه بالمرآة، والعلم يقوم على هذه القاعدة الكونية، واللِّسانية، انظر إلى القواعد والبيانات في الكمبيوتر، فلكل معلومة اسم، أو رمز خاص به، ولا يقبل بحال اسمٌ واحدٌ؛ تطلقه على مجلدين، أو معلومتين قط.

لذا؛ ينبغي الانتباه وأَخْذ الحذر، أثناء دراسة التنزيل الحكيم، فهُو نصٌّ حيٌّ؛ لارتباطه بالحياة، ونصٌّ واقعيٌّ؛ لارتباطه بالواقع، فكُلُّ لفظة فيه تدلُّ على معنى مُختلف عن لفظة أُخرى، ولكنَّها ليست مُنقطعة عن بعضها، بل هي مُترادفة في النّهاية، بشكل أو بآخر، لتُشكِّل مع بعضها، التنزيل الحكيم المُتلاحم، الذي يعكس الواقع المُترادف بأجزائه؛ لتحقيق التّلاحم والتّناغم الكوني.

استخدامات الواو في اللِّسان العربي

أشهر استخدامات الواو هو العطف وهو يقتضي التغاير ضرورةً بين المعطوفين.

ولكن من الخطأ أينما رأينا واواً نقول أنها للعطف فوراً دون دراسة، فالسياق يحكم نوعية الواو ويحدد معناها، وليس ما وضعه النحاة من قواعد لغوية نحوية.

فمن معاني الواو التفسير والتبيين والتعداد......... والاستئناف لكلام جديد.

لنقرأ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه : 88].

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : 46].

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : 133].

فالأصل في التعامل مع اللِّسان العربي هو الفهم أولاً، ثم الإعراب أو التسمية للشيء، لذا يقول علماء النحو: افهم، ثم اعرب.

والخطاب يحكم فهمنا وليس العكس، خاصة إن كان الخطاب إلهي حكيم.

﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ ﴿نعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾

فالواو في هذه النصوص هي واو البيان والتفسير وليس واو العطف.

العطف يقتضي التغاير، هذا كلام صواب ومنطقي وهو من فوائد العطف وليس هذا محل خلاف.

ولكن يوجد تفصيل للقاعدة وهو:

1- عطف يكون من باب عطف ذات على ذات نحو قولنا: جاء أحمد ومحمد، فأحمد غير محمد ضرورةً، ومستقل عنه بالوجود.

ولو قلنا: جاء محمد ومحمد، لعلمنا ضرورة أنهما اثنان متغايران عن بعضهما وليسا شخصاً واحداً؛ لأنه لا يصح منطقاً عطف الشيء على نفسه، وهذا على أساس أننا نتعامل مع متكلم عالم حكيم.

2- عطف يكون من باب عطف صفة على صفة لموصوف واحد.

نحو قولنا: جاء الكريم والشجاع.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : 3].

فالصفات متغايرة من حيث المعنى ضرورة، ولكن كلها هي لموصوف واحد وهو الله.

وينبغي العلم أنه يصح عطف العام على الخاص أو العكس.

فنص ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[الجمعة: 2].

مؤكد معنى كلمة الكتاب غير الحكمة وهما متغايرتان ضرورة.

ولكن هل تغايرهما تغاير ذات أم تغاير صفة لموصوف واحد.

والجواب نشاهده من خلال دراسة الخطاب الإلهي ومحل الخطاب.

فعندما لا يكون بين أيدينا إلا مادة واحدة هي الوحي الإلهي المعروف (القرءان) فهذا يدل بداية على أن العطف هو من نوع عطف الصفات وليس الذوات.

ولنبحث في القرءان عنهما ؟

ونجد ذلك في صفة منهجية القرءان كله من حيث المنطق الذي يحكمه، وصيغ بناء عليه فهو كتاب حكيم.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس : 1].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان : 2].

ونجد أن الحكمة أيضاً هي صفة للأحكام التي نزلت في الكتاب، بعد ذكر مجموعة من الأحكام، اقرأ من قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً .... ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾ [الإسراء: 39].

فالحكمة لها مفهومان:

- حكمة بمعنى المنهج المستخدم في صياغة الكتاب كله فهو كتاب حكيم.
- حكمة بمعنى العلاجات والتوجيهات للإنسان الذي تحافظ على مصلحته وتنظم أموره.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ [الأحزاب : 34].

آيات الله تتلى، والحكمة تتلى. الموضوع كبير وله علاقة بمفهوم كلمة (آية).

لاحظوا هذا الخطاب ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 58].

انظروا مثلاً لنص ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: 222].

هذا الخطاب هو من نوع الحكمة وليس هو آية من آيات الله.

هل هذا الخطاب الإلهي المتعلق بالمحيض هو آية من آيات الله؟

هل هو مثل هذا الخطاب الإلهي مثلاً:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف : 133].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس : 67].

فكلمة آية هي العلامة والحجة لإثبات شيء:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27]

فآيات الله قابلة للتكذيب والكفر بها.

أما أحكام الله فلا يمكن أن تكذب بها، فهي متعلقة بالكفر أو الإيمان، طاعة أو معصية فقط.

وكتاب الله فيه آيات متلوة متعلقة بآيات مرئية في الواقع، وفيه أحكام متعلقة بسلوك الفرد والجماعة والمجتمع.

والموضوع بحاجة لدراسة وتوسع فيه أكثر، وما لا يدرك كله لا يترك جلُّه.

ينبغي الانتباه إلى مسألة اشتراك الأسماء، أو الصفات بمسمًّى واحد، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ والآخر وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : 3]، فهذه كلمات متغايرة من حيث المعنى والدلالة، **وعملية العطف تقتضي التغاير ضرورة،** لا كما ذهب إليه بعض الباحثين[1] في إساءة فَهم تغاير دلالة الصفات إذا عُطفت على بعضها، فالعطف نوعان: **تغاير صفات، وتغاير ذوات،** ونص التنزيل الحكيم المذكور، هو من باب تغاير الصفات، واختلاف الدلالة لمسمًّى واحد، الذي هو الله.

1 قال: إن القول بتغاير المعنى للكلمات المعطوفة في النص الإلهي (هو الأول والآخر...) يقتضي تعدد الذوات الإلهية. راجع كتاب (بيضة الديك) للصيداوي، وذلك أثناء رده على الشحرور لنقض قاعدة: إن العطف يقتضي التغاير.

وسآتي – إن شاء الله – بأمثلة؛ لأبيِّن أنَّ اختلاف اللّفظ، يُؤدِّي إلى اختلاف المعنى – حتماً – ضرورةً واقعيَّة، ولسانية، وقرءانية، وينبغي على الباحث أنْ يتنبَّه إلى الفُرُوقات بين الكَلمات، من خلال مدلولها في الواقع، ومن خلال سياقها في النَّصِّ، فالفُرُوق بين الكَلمات، قد يَقصر القاموس اللِّساني عن إظهارها، وهذا لا يعني انتفاء الفرق بين الكَلمتَيْن.

فينبغي على الباحث أنْ يعتمد على التنزيل الحكيم أوَّلاً، وينظر كيف استُخدمت هذه اللّفظة فيه، وبأيِّ مُناسبة وسياق، وذلك من خلال تتبُّع الكَلمة، في التنزيل الحكيم كُلِّه بشكل كامل، أمَّا الكَلمات التي لم يستخدمها التنزيل الحكيم؛ فتُفهم، وتَظهر الفُرُوق بينها؛ من خلال دراسة نشأة كُلٍّ منها، ودلالة أصوات أحرفها فيزيائياً، ووجود ظاهرتها في الواقع، ومن استخدام العَرَب لها قديماً، وإلحاقها بأصلها مع أخواتها المُترادفة.

فيظهر ـ بالتَّالي – معناها وتباينها عن أخواتها، وعلم اللّسانيَّات يبحث في ذلك، وهُو في تطوُّر مُستمرٍّ، واخترتُ من الكَلمات مجموعة شائعة بدلالتها الواحدة؛ وهي كَلمات مُستخدمة في التنزيل الحكيم؛ وهي: **جاء وأتى وحضر، أراد وشاء، قرأ وتلا**، وذلك كَنموذج يحتذي به القارئ، في عمليَّة إيجاد الفُرُوق والتّباين بين الكَلمات المُختلفة لفظاً، **فإنَّ وصل إلى الفُرُوق فبها ونعمتْ، وإنْ لم يصل فإنَّ هذا لا يعني انتفاء الفُرُوق بين الكَلمات، بل ينبغي عليه أنْ يُتابع البحث، حتَّى يصل؛ لأنَّ اختلاف اللّفظ يُؤدِّي إلى اختلاف المعنى قطعاً.**

أ - الفرق بين: جاء، وأتى، وحضر.

إنَّ هذه الكَلمات المُترادفة، قد يظنُّ السّامع لها – للوهلة الأُولى – أنَّها ذات دلالة واحدة في الواقع، وذلك من جرَّاء استخدام النّاس لها دُون تمييز بينها، فما نستخدم فيه كَلمة (جاء) نستخدم فيه كَلمة (أتى)، وكَذلك كَلمة (حضر)، ويتمُّ فَهْم الخطاب بين النّاس؛ لأنَّ الأصل في الخطاب هُو إفهام النّاس، وكون الفَهْم قد حصل، فيتساهل النّاس في استخدامهم للكَلمات محلّ بعضها بعضاً؛ من مُنطلق أنَّ الألفاظ خَدَمٌ للمعاني، والمعاني سيِّدة الألفاظ، وهذه الحالة مقبولة في مجرى الحديث بين النّاس، ولا ينبغي أنْ تتجاوزه

إلى الدّراسة والأبحاث اللِّسانية، ناهيك عن النَّصِّ القرءاني؛ لأنَّ التنزيل الحكيم **نزل مُستخدماً نظام اللِّسان العَرَبي بشكل مصيب، وصاغ النَّصَّ بشكل بليغ، لا يُوجد فيه تساهل في استخدام اللِّسان قط.**

فلو وقع ذلك لتمَّ القضاء على التنزيل الحكيم؛ لارتباطه باستخدام قوم في زمان ومكان مُعيَّنَيْن، ممَّا يقتضي انتفاء صلاحيَّته لكُلِّ **زمكان** من جرَّاء التّساهل، وصفة الأعجمية، الذي يصل – في النّهاية– إلى التَّسيُّب وضياع الفُرُوقات بين الكَلمات، ومن ثم؛ يصح – عندهم– أنْ نخلط بين الكَلمات، دُون أنْ تتغيَّر دلالة النَّصِّ، **والواقع أنَّ أيَّ تغيير في كَلمات التنزيل الحكيم، يترتَّب عليه تغيير في دلالة النَّصِّ؛ من حيثُ إسقاطه على الواقع، واللهّ عندما اختار كَلمة دُون غيرها من الكَلمات؛ فقد اختارها من مُنطلق العلم والحكمة، وأنَّ ذلك المعنى لا يُؤدِّيه إلاَّ هذه الكَلمة، دُون سائر أخواتها المُترادفة.**

وبناء على ذلك؛ لكَ أنْ تتصوَّر – أخي القارئ – الأمرَ كم هو على درجة من الأهمِّيَّة، عندما نتعامل مع التنزيل الحكيم، دُون تمييز، أو تفريق بين دلالة الكَلمات المُترادفة؛ أيْ: أننا نتعامل معه بأسلوب العَوام، وتَعامُلِهم فيما بينهم، فكم من الدّلالات والمعاني، التي غابت عن الدّراسة، والفَهْم بسبب التّعامل العامِّي مع التنزيل الحكيم، نحو: النبي والرسول، والسنة والحديث، والكلام والقول، واللفظ والنطق، والنفس والروح، والإنسان والبشر، والخلق والجعل، والعلم والمعرفة... إلخ، غير تحريف النص ذاته من حيث القول بجواز إنابة أحرف الجر عن بعضها دون أن يتغيَّر المعنى!، بل تجرؤوا على القول بتقدير كلمات ضمن الجملة القرءانية غير موجودة أصلاً!؛ ما أدَّى مع الزّمن إلى أن يصير النص القرءاني نصاً عادياً؛ بل وأحياناً شاذاً في أسلوب خطابه!، وصارت اللغة الاعتباطية هي الحَكم والفصل والمهيمنة عليه !، وَنَظرنا إليه كنظرتنا إلى حديث بعضنا بعضاً، ونكتفي بتقديس المبنى وتلاوته، دُون قراءته، فتفرَّغ من مُحتواه، وغاب عن السّاحة الاجتماعيَّة وطاولة البحث والدّراسة، وتم هجره، وصار يُفهم كفَهْم الإنسان العامي للكلمات، وما شاع منها على الألسنة، فكان ذلك من أحد الأسباب الرئيسة لانحطاط المُسلمين ثقافيّاً وعلميّاً.

انظر على سبيل المثال كيف أورد **القاموس**[1] دلالة كَلمة (جاء): جاء يجيء جيئاً: أتى.

1 لسان العَرَب، مقاييس اللُّغة، القاموس المُحيط.

وإذا فتحنا على مادَّة (أتى) نجد القاموس يذكر: أتيتُهُ أَتْياً وإِتْيَاناً: جئتُهُ.

فدلالة كَلمة (أتى وجاء) في القاموس واحدة، وكَذلك كَلمة (أراد وشاء)، وغيرها من الكَلمات المُترادفة الكثيرة، فكُلُّها – في النّهاية – دلالتها واحدة؛ فأيُّ عبث بعد ذلك !، وأين الإحكام في اللِّسان ؟. وهل يصحُّ في الاستخدام اليومي أنْ نُطلق على الأشياء المُختلفة أسماء عدَّة يصحُّ أنْ تصلح لبعضها بعضاً؛ نحو السَّيَّارة والطَّيَّارة والغوَّاصة... إلخ؟! فهل يصحُّ استخدام كَلمة (غوَّاصة) للسَّيَّارة، وبالعكس؟!.

إذاً؛ القاموس اللِّساني ليس له قداسة، وليس هُو الفَصْل في الخطاب، وليس هُو بُرهانٌ بحَدِّ ذاته، وإنَّما هُو وسيلة مُساعدة لدراسة دلالة الكَلمة، وينبغي البحث في القواميس -كافَّة – على حَدٍّ سواء، واعتماد التنزيل الحكيم؛ كونه حُجَّة لسانية بذاته، لا يحتاج لأيِّ جهة تُثبتُهُ، إضافة إلى دراسة الكَلمة، من خلال نشأتها وبُنيتها، ودلالة أصواتها.

وعود على بَدْءٍ إلى كَلمة **(جاء)** و**(أتى)**:

إنَّ استقراء الآيات الكريمة التي وَرَدَ فيها أحد اللّفظَيْن، أو كلاهما، نجد أنَّ بين اللّفظَيْن فوارق عميقة في الدّلالة، قد تخفى للوهلة الأُولى، وهذا الخفاء سبب في عدم التّمييز بين دلالتهما، وإعطائهما الدّلالة ذاتها في الواقع، والأمر ليس سهلاً في التّمييز بين دلالتهما، فهُو يحتاج إلى تأنٍّ، وعُمق في التّفكير والتَّدبُّر بحال كُلِّ كَلمة، وكيف استخدمت في الدّلالة على الواقع؛ لأنَّ المقاصد والمعاني هي الأساس والمُنطلق، في التّمييز بين دلالة الكَلمات، وليس الألفاظ؛ ولذلك قال عُلماء اللِّسان: المعاني والمقاصد سيِّدة الألفاظ، والألفاظ خَدَمٌ للمعاني. وأنا أقول: **الألفاظ أجسام صوتية تكمن فيها دلالتها الواقعية،** وتُدرَك المعاني من خلال تحليل دلالة أصوات الكلمة، وإسقاطها على محلها من الخطاب.

وهذا يعني أَنَّنا إذا أردنا أنْ نعرف الفرق بين دلالة كَلمتَيْن مُترادفتين؛ فينبغي دراسة محلِّ الخطاب للنَّصِّ الذي وَرَدَتْ فيه الكَلمة، ومن خلال إسقاط النَّصِّ على الواقع، تبدأ عمليَّة ظُهُور الفوارق بين دلالة الكَلمات، بشكل خفي، إلى أنْ تظهر كاملة، فيُصاب الباحث بالذُّهُول، من الفرق الكبير بين دلالة الكَلمتَيْن، اللَّتَيْن كان في بدء البحث يظنُّ أنَّ دلالتهما واحدة.

قال تعالى: ﴿حَتَّىَ إِذَآ أَتَوْا عَلَىَ وَادِي النَّمْلِ﴾ [النّمل : 18].

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِيَ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ [الفُرقان : 40].

﴿هَلْ أَتَىَ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مّنَ الدّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مّذْكُوراً﴾ [الإنسان : 1].

نُلاحظ في الآيات الثّلاثة أنَّ فعل (أتى) جاء بعده حرف على، ولو افترضنا – من باب النّقاش– أنَّنا وضعنا فعل (جاء) بدلاً عن فعل (أتى) في النُّصُوص المذكورة؛ لَوَجَبَ حَذْفُ حرف (على)، ويصير النَّصّ (حتَّى إذا جاؤوا وادي النّمل)، فيصير المعنى مُختلفاً – تماماً– عن جُملة (أتوا على)، وكَذلك جُملة (أتى على) لو جعلناها (جاء على) لتغيَّر المعنى تماماً.

لنرَ ذلك من خلال النَّصِّ القرءاني ذاته ﴿هَلْ أَتَىَ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مّنَ الدّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مّذْكُوراً﴾ فلو قُلنا: (هل جاء على الإنسان حين من الدّهر) لأفادت أنَّ الإنسان محلٌّ لرُكُوب الدهر عليه، ومطيَّة له، وصار الكلام – حسب السّياق – مُتعلِّقاً بالدّهر، وليس بالإنسان، ولَوَجَبَ تقديم كَلمة الدّهر على كَلمة الإنسان؛ كونه المعنيّ في النَّصِّ، نحو قولنا: هل جاء على الفَرَس زيدٌ. فمحلُّ السُّؤال والاهتمام هُو الفَرَس، لا زيدٌ، بخلاف قُولنا: هل جاء زيدٌ على الفَرَس؛ لصار زيدٌ محلاً للسُّؤال والاهتمام، وليس الفَرَس.

ففعل (جاء) لو استخدم في النُّصُوص المذكورة، بدل فعل (أتى) لَوَجَبَ حَذْفُ حرف (على)، وصار المعنى هُو مُجرَّد الوُصُول والحُضُور والانتقال من إلى، بخلاف فعل (أتى) في النُّصُوص؛ فهُو يتكَلَّم عن فعل زائد على فعل المجيء، فما هُو؟

لو أمعنّا النَّظَرَ في كَلمة (جاء) لوجدنا أنَّها تنتهي بالهمزة، التي هي بداية كَلمة (أتى)، ممَّا يدلُّ على أنَّ نهاية فعل (جاء) هي بداية فعل (أتى)، وإذا قُمنا بتحليل دلالة أحرف كَلمة (جاء)، وكَلمة (أتى) نُلاحظ في – واقع حال كُلٍّ منهما – أنَّ فعل (جاء) هُو بداية فعل (أتى)؛ انظر مثلاً إلى قولنا: جاء زيدٌ على الطّعام، ماذا يدلُّ في واقع الحال؟. وقولنا: أتى زيد على الطّعام، ماذا يدلُّ في واقع الحال؟

ففعل (جاء) في الجُملة الأُولى، يدلُّ على مُجرَّد وُصُول زيد وحُضُوره، في وقت الطّعام تماماً.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوا أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يُوسُف : 16]. كيف يدلُّ على مُجرَّد الوُصُول والحُضُور، والانتقال من إلى.

بينما فعل (أتى) في الجُملة الثّانية، يدلُّ على حُصُول زيد على الطّعام، والقضاء عليه.

انظر قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذّاريات : 42].

المُلاحظ من فعل (أتى) أنَّه لا يكون في الواقع، إلاَّ بعد عمليَّة الوُصُول إلى الشّيء المعني بالإتيان، فجُملة (أتى زيد على الطّعام) لا يُمكن أنْ تتحقَّق دلالتها، إلاَّ إذا جاء زيد إلى الطّعام، ممَّا يدلُّ على أنَّ فعل (أتى) له دلالة زائدة على فعل (جاء) في واقع الحال؛ وهي حُصُول الشّيء في الواقع، ومَنْ يحصل على شيء – قطعاً – يكون قد جاء إليه، بخلاف مَنْ جاء إلى الشّيء، فلا يُشترط له الحُصُول عليه، فكُلُّ حُصُول يتضمَّن الوُصُول، والعكس غير صواب؛ أيْ: كُلُّ فعل إتيان يتضمَّن فعل المجيء، وليس كُلُّ فعل مجيء يتضمَّن فعل الإتيان.

وبناءً على ذلك؛ تكون جُملة﴿حَتَّى إِذَآ أَتَوْا عَلَىَ وَادِي النَّمْلِ﴾ بمعنى أنَّهم جاؤوا، ودخلوا في واد النّمل، وليسوا – هُم – على مشارفه، وكَذلك الآيات الأُخرى تدلُّ على حُصُول الشّيء.

انظر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة : 43] ففعل (آتوا) بمعنى طَلَب الحُصُول للزّكاة في الواقع، وهذا لا يتأتَّى، إلاَّ إذا كانت مادة الزكاة داخلة في دائرة ملكيتنا، ومن ثم نقوم بإعطائها للمستحقين، وانظر قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىَ﴾ [التوبة :54].

فلو استخدم فعل (يجيئون) في النَّصِّ؛ لصار المعنى أنَّ حالة الكَسَل – هي– في عمليَّة السَّيْر فقط، بينما عندما استخدم فعل (يأتون) أفاد أنَّ حالة الكَسَل، مُتلبِّسة في أداء الصّلاة نفسها، ومن باب أَولى الكَسَل في السّير إليها.

وانظر قوله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : 80]. فالنَّصُّ لا يتكَلَّم عن عمليَّة المجيء فقط؛ الذي يدلُّ على مُجرَّد الوُصُول والحُضُور، بل عن عمليَّةُ حصُول الفاحشة في الواقع، وحُصُول الفاحشة، لا يتأتَّى إلاَّ بعد المجيء إليها.

وانظر قوله تعالى: ﴿ وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر : 7].

بمعنى أنَّ الشيء هو حاصل داخل دائرة تصرف الرّسول، وأعطاكم إياه فخذوه، وما منعكم عنه فامتنعوا، ومن هذا الوجه؛ تمَّ تفسير (آتاكم) بمعنى أعطاكم، وواضح أنَّ فعل الحُصُول على الشّيء – قطعاً – بعد فعل المجيء به، أو إليه، ولا سيما أن الجملة، هي جزء من نص، يبدأ بقوله تعالى: ﴿مّآ أَفَآءَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلّهِ وَلِلرّسُول... ﴾[1].

قال تعالى: ﴿يَأَبَتِ إِنّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتّبِعْنِيَ أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ [مريم : 43] بمعنى؛ إنِّي قد وصلني من العلم ما لم يكن في دائرة علمك حاصل.

وقال: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيءٍ مّبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ [الشُّعراء30: 31]. بمعنى؛ أَوَلَو أَوْصَلْتُ وأَحْضَرْتُ لكَ أمام ناظرَيْكَ شيئاً مُبيناً، فكان الرَّدُّ هُو أَظْهِرْ الذي معكَ إلى ساحة الحُصُول إنْ كُنتَ مُدَّعياً وُصُوله إليكَ.

قال تعالى: ﴿لّوْلاَ جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشّهَدَآءِ فَأُوْلَـَئِكَ عِندَ اللّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النّور: 13]. فعمليَّة المجيء بالشُّهداء هي وُصُولهم وحُضُورهم، أمَّا قوله: ﴿لَمْ يَأْتُواْ بِالشّهَدَآءِ ﴾ [النّور: 13] أيْ: لم تحصل الشّهادة في واقع الحال، والملاحظ أنَّ إتيان الشّهادة – قطعاً – لا يتمُّ إلاَّ بعد وُصُولهم وحُضُورهم، فإذا تمَّ ذلك الوُصُول، والحُضُور؛ ترتَّب عليه حصُول الشّهادة في الواقع، ولذلك استخدم النَّصُّ القرءاني فعل (جاء)؛ ليدلَّ على الوُصُول والحُضُور، وأتبعه بفعل (أتى)؛ ليدلَّ على أنَّ الغاية من مجيء

1 راجع كتابي (تحرير العقل من النقل) لتعرف الفرق بين طاعة النبي، وطاعة الرسول.

الشُّهداء، إنَّما هُو حُصُول شهادتهم، والإدلاء بها، وعندما نفى عمليَّة إتيان الشُّهداء يكون قد نفى – ضمناً – عمليَّة مجيئهم.

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُواْ يَمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ [مريم : 27].

المُلاحظ أنَّ فعل (أتى) في النَّصِّ، لا يدلُّ على مُجرَّد الوُصُول والحُضُور، وإنَّما هُناك أمر آخر مُتلازم مع فعل المجيء؛ ألا وهُو حُصُول أمر على درجة من الأهمِّيَّة، لذلك جاء فعل (أتى) ليُغطِّي الحَدَث – كاملاً – من حيثُ وُصُول مريم وحُضُورها، وحُصُول حَدَث مُلازم لفعل مجيئها؛ وهُو حَمْل الطِّفل بين يدَيْها، أمَّا استنكار قومها بقولهم: ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ فذلك لأنَّ الحَدَثَ كان – بالنِّسبة إليهم – هُو مُجرَّد وُصُول وحُضُور من خارج دائرة معرفتهم.

قال تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة : 92] ، وقال: ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىَ لَمْ يُصَلّواْ فَلْيُصَلّواْ مَعَكَ﴾ [النّساء : 102].

ففعل (أتى) في النَّصَّيْن المذكورَيْن، لا يعني مُجرَّد فعل مجيئهم، كما هُو ظاهر، للوهلة الأُولى، وإنَّما المقصود الاستعداد الحاصل في نُفُوسهم، وإرادتهم للقيام بالعمل المُرافق لفعل المجيء، لذلك استخدم اللهّ عزَّ وجلَّ فعل (أتى).

قال تعالى: ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىَ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يُوسُف : 93].

فلو استُخدم فعل (جاء) بدل فعل (أتى) في النَّصِّ لصار معنى النَّصِّ؛ أنَّ عمليَّة ارتداد البصر تحصل أثناء ذهابه إلى ابنه، بينما فعل (أتى) أفاد حُصُول ارتداد البصر مُباشرة، وتضمَّن طَلَب فعل مجيء أبيه إليه.

وكَذلك فعل ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ﴾، فليس المطلوب هُو المجيء بهم فقط، وإنَّما يتضمَّن أنَّ فعل المجيء؛ هُو لحُصُول الإكرام لهم، والعناية بهم.

قال تعالى: ﴿أَئِنّكُمْ لَتَأْتُونَ الرّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت : 29].

فواضح من النَّصِّ أنَّ فعل (الإتيان) يدلُّ – قطعاً– على الحدوث، والحُصُول، والتّعاطي، ولا يتأتَّى ذلك في الواقع؛ إلاَّ بعد فعل المجيء بها، أو إليها.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ السّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [مُحَمَّد : 18].

فعمليَّة حُدُوث السّاعة وحُصُولها، إنَّما هُو بغتة، بينما تجيء أشراطها تِباعاً، واحدة تلو الأخرى، ولَمَّا يحصلوا جميعاً بعدُ.

قال تعالى: ﴿وَجَآءُوا عَلَىَ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يُوسُف : 18].

ففعل (جاء) يدلُّ على قيام أُخوة يُوسُف بإحضار دم جديد، ووضعه على القميص، بعد أنْ جاؤوا أباهم، ولم يُصدِّقهم، ولو استخدم فعل (وأتوا على قميصه بدم)؛ لأفاد أنَّ القميص كان معهم، مُنذُ وُصُولهم إلى أبيهم، وعرضوه بشكل مُباشر، ولم يقولوا: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لّنَا وَلَوْ كُنّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف : 17].

الخُلاصة:

إنَّ فعل (جاء) يدلُّ على الوُصُول، والحُضُور الآني.

وفعل (أتى) يدلُّ على الحُدُوث، والحُصُول للشيء سواء أكان مادياً أم معنوياً.

فكُلُّ فعل (إتيان) يتضمَّن فعل (المجيء)، والعكس غير صواب، ومن ثم؛ فلكُلٍّ منهما استخدامه في الواقع حسب الحال الذي يقتضيه، ومن هذا الوجه تظهر البلاغة في الأقوال.

أمَّا كَلمة (حضر)؛ فهي بعيدة جدّاً عن دلالة كَلمة (جاء وأتى)، وهي من الشُّهُود والوُجُود في المكان المعني، ولا يُشترَط لها عمليَّة الانتقال المكاني من إلى، أو المعنوي، فالإنسان الموجود في مكان مُعيَّن، يكون حاضراً لما يحدث فيه، ولو كان غير قاصد لذلك الفعل، فيكون شاهداً على ما يحصل، من خلال عمليَّة حُضُوره.

قال تعالى: ﴿حَتّىَ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبّ ارْجِعُونِ﴾ [المُؤمنون : 99].

﴿حَتّىَ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنّي تُبْتُ الآن﴾ [النّساء : 18].

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المُنافقون : 10].

النَّصُّ الأوَّل: يدلُّ على وُصُول الموت، وبدئه في الإنسان. **(جاء الموتُ).**

النَّصُّ الثّاني: يدلُّ على حُضُور الموت، وتواجده في المكان الموجود فيه الإنسان كشاهد، ولما يصل الموتُ إلى الإنسان بعدُ. **(حَضَرَ الموتُ).**

النَّصُّ الثّالث: يدلُّ على حُصُول الموت، وتمكُّنه من الإنسان، وتمَّ استخدام الفعل المضارع (يأتي) ليُخبر اللهُ الإنسانَ، ويُوجِّهه إلى الإنفاق والعمل الصّالح قبل أنْ يُصيبه الموتُ، ويتمكَّن منه. **(أتى الموت).**

وهذه التفريقات ليست للبت والقطع بها، فهي محاولة للتفريق بين الدلالات قد تصح، وقد لا تصح أو تكون قاصرة، وربما يقوم باحث آخر بالتفريق بينها على وجه آخر، والمهم أنه يوجد فرق بين دلالالتها قطعاً.

ب - الفرق بين أراد وشاء.

إنَّ كَلمة **(أراد)** تدلُّ على القَصْد والعَزْم والتّحديد، والرّغبة بشيء مُعيَّن دُون غيره؛ بخلاف كَلمة **(شاء)**، فهي تدلُّ على الاختيار الاحتمالي، دُون تحديد لشيء بعينه.

لنرَ ذلك من خلال الآيات القرءانيَّة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : 82].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود : 107].

﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ [الأحزاب: 17].

فالُملاحظ من النُّصُوص السّابقة أنَّ (الإرادة) مُتعلِّقة بالفعل – دائماً – ، ولا تأتي مُجرَّدة

دُون فعل، ما يُؤكِّد على دلالة (أراد) للقَصْد والعَزْم على الشّيء، كَذلك نُلاحظ أنَّ كَلمة (أراد) تدلُّ على تحديدها وتعلُّقها بشيء مُعيَّن؛ أيْ: لكُلِّ فعل (إرادة) مُتعلِّقة به، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ ففعل السُّوء، له إرادة مُتعلِّقة به، وفعل الرّحمة له إرادة مُتعلِّقة به.

أمَّا كَلمة (شاء)؛ فقد وَرَدَتْ لتدلَّ على الاختيار الاحتمالي المُتساوي بين طرفَيْن، بين الفعل والتَّرْك على حَدٍّ سواء.

قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر : 4].

فلو قَصَدَ وعَزَمَ اللهّ – سبحانه – على أنْ يتَّخذ ولداً؛ لقام بعمليَّة الاصطفاء، ممَّا يخلق دُون تحديد لمخلوق بعينه سابقاً، وإنَّما الأمر مُرتهن بعمليَّة الاختيار الاحتمالي.

وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلاّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ إِنّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الإنسان : 30] ، فمشيئة الإنسان في الواقع، لها احتمالات، فإذا اختير أمرٌ، وحُدد بعينه؛ تحوَّلت المشيئة إلى إرادة.

ولو فهمنا أنَّ المشيئة تعني الإرادة في النَّصِّ؛ لصار الإنسانُ مُجبراً مُسيَّراً بإرادة اللهّ، إذ إن إرادة اللهّ حتميَّة في التّنفيذ، ومُحدَّدة في الواقع، ومُرتبطة بفعله، ﴿ فعّال لما يُريد ﴾ ومن ثم؛ يصير الإنسان مُنفِّذاً لإرادة اللهّ، وهذا يقتضي – في واقع الحال – نفي الحُرِّيَّة، وإبطال المسؤوليَّة، والثّواب، والعقاب.

لذلك استخدمت كَلمة (شاء)؛ لتدلَّ على أنَّ الإنسان يقوم بمشيئته، في عمليَّة الاختيار الاحتمالي، فإذا قَصَدَ وعَزَمَ على أمر مُعيَّن؛ تحوَّلت مشيئته إلى إرادة، وكُلُّ ذلك يجري ضمن مشيئة اللهّ، فالإنسان يُؤمن أو يكفر ضمن مشيئة اللهّ، وليس بإرادة اللهّ، فلا يصحُّ أنْ يقول الإنسان عن أيِّ عمل يُريد أنْ يعمله: إذا أراد اللهّ؛ لأنَّ هذا يعني نَفْي المسؤوليَّة عن الإنسان، ويصير المسؤول الحقيقي هُو اللهّ ﷻ، كون الأمر قد فُعل بإرادته، والصّواب أنْ يقال: إنْ شاء اللهّ؛ كما علَّمنا ربُّنا بقوله: ﴿وَلاَ تَقْولَنّ لِشَيْءٍ إِنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلاّ

أَن يَشَآءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف : 23 – 24] ؛ لأنَّ حُصُول الشّيء في الغد؛ أمر احتمالي مُرتبط بالظُّرُوف، والإمكانيَّات، وقد يحول بين الإنسان وفعله ظُرُوف مُعيَّنة، وعلى كلا الحاليْن (الفعل أو التَّرْك)، فالأمر بمشيئة اللهّ، وليس بإرادته؛ لأنَّ الفعل أو التَّرْك، إنَّما هُو من الإنسان، وليس من فعل اللهّ، ومن ثم؛ فالإنسان مسؤول عن أعماله[1].

فالمشيئة أعمُّ من الإرادة، وسابقة عنها من هذا الوجه.

ج - الفرق بين قرأ وتلا.

قرأ: أصل صحيح يدلُّ على جَمْع واجتماع، ومجموع أحرفها تدل على وقف، أو قطع شديد مكرر، منته بظهور خفيف منقطع. وظهر ذلك المعنى ببذل الإنسان جهده للوصول إلى الحقيقة، أو الصواب؛ من خلال عملية الدراسة والتفكير، واجتماع هذه المعرفة في ذهنه.

تلا: من تلو، وهُو أصل واحد، وهُو الإتْباع. ومجموع أحرفها تدل على دفع خفيف بحركة لازمة بطيئة، منتهية بامتداد، واستقامة.

فهُناك فرق كبير بين فعل(**القراءة**) وفعل(**التّلاوة**) في الواقع:

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : 151].

﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [الحج : 30].

والمقصد من فعل (**تلا**) في النُّصُوص، هُو ذكْر كلام اللهّ بشكل صوتي آية تتبع آية، ومن هذا الوجه نقول: سوف يتلو عليكم زيدٌ من سُورة كذا؛ فالتّلاوة هي مُجرَّد إتْباع الكلام بعضه بعضاً، دُون زيادة أو نُقصان، سواءً أكان من صحيفة أمام التّالي، أم من ذاكرة حفْظه، فكِلا الحالتَيْن تُسمَّى تلاوة، ومن ثم؛ لا يُشترَط لَمنْ يقوم بالتّلاوة حُصُول الفَهْم والتَّدبُّر.

أمَّا فعل (**قرأ**)؛ فلا بُدَّ له من عمليَّة الجَمْع، والاجتماع أنْ تتحقَّق في قلب القارئ،

1 راجع كتابي (علم الله وحرية الإنسان) وكتابي (الألوهية والحاكمية).

فعندما نقول: إنَّ زيداً قرأ عليكم نصّاً إخباريّاً، غير قولنا: إنَّ زيداً سوف يتلو عليكم نصّاً إخباريّاً.

فقراءة النَّصِّ، إنَّما هي جَمْع ما يتعلَّق بهذا النَّصِّ من معاني ودلالات، والقيام بشَرْحه، وتحليله، والاستنباط منه، وإسقاطه على محلِّه من الخطاب، بمعنى آخر؛ **القراءة فَهْم وتدبُّر وتفكير**، وقد يُصاحبها تلاوة، وقد لا يُصاحبها تلاوة، ألا ترى أنَّ المُراقب الجوِّيَّ يقوم بقراءة صُور الأقمار الصّناعيَّة ليتنبَّأ عن الأحوال الجوِّيَّة، وكَذلك الطّبيب يقوم بقراءة الصُّور الشُّعاعيَّة، أو صُور الرّنين المغنطيسي، أو تخطيط القلب.... إلخ، ثُمَّ يُعطي نتيجة قراءته.

فعندما طلب اللهّ من نبيِّه فعل القراءة بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق : 1] ، **كان يعلم أنَّ النّبي لا يعرف الخطَّ وتلاوة المخطوط؛ ممَّا يُؤكِّد أنَّه طلب منه شيئاً آخر ضمن إمكانيَّة النّبي، وليس هُو إلاَّ فعل القراءة الذي يدلُّ على الفَهْم والتَّدبُّر للخَلْق باسم الرَّبِّ.**

وكَذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ القرءان فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : 204] **ليس المقصود بفعل القراءة في النَّصِّ فعل التّلاوة له،** ومن ثم؛ فالأمر بالاستماع والإنصات **ليس لِمَنْ يقوم بالتّلاوة، وإنَّما هُو لِمَنْ يقوم بالقراءة،** ومَنْ يقرأ القرءان؟ **إنَّهم – حسب مواضيع القرءان – عُلماء التّاريخ، والفضاء، والإنسان، والبحار، والأرض، والنّبات.... إلخ، كُلُّ هؤلاء يقرؤون القرءان، فيجب على الإنسان أنْ يستمع، ويُنصت لهم؛ لأنَّه بعمله ذاك يرفع التخلف عن نفسه، ويُغيِّر ما بنفسه من انحطاط، ويعلم صفات ربِّه من خلال خَلْقه، ولا شكَّ أنَّ ذلك الفعل سوف يستجلب رحمة اللهّ له.**

التَّضادُّ في اللِّسان العربي المبين ظاهرة علمية

إنَّ ظاهرة التَّضادِّ في اللِّسان هي ظاهرة علميَّة انعكست من جرَّاء قيام الواقع على قانون الثنائية والزّوجيَّة؛ قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذّاريات : 49].

وظهرت حالة التَّضادِّ في اللِّسان بصُور:

أحدها: أنْ يكمن الضِّدُّ في مقلوب الكَلمة ذاتها كَمبنى[1]**، وهذه الصُّورة الضِّدِّيَّة هي حصراً متعلقة بظواهر الأشياء وصفاتها نحو: (در، رد)، (لف، فل)، (كتب، بتك)، (سد، دس)، (زل، لز).**

وتحقَّقت هذه الظّاهرة، في كل الألفاظ المتعلقة بالظواهر والصفات فقط، واللِّسان العَرَبي قد احتوى في داخله مراحل تطوُّر اللِّسان، من خلال احتفاظه - إلى الآن - بالكَلمات البدائيَّة في الوُجُود، التي تعتمد على الثُّنائي من الأصوات والأحرف، وتطوَّرت إلى الثُّلاثي، فالرُّباعي، وعندما نزل القرءان، استخدم من اللِّسان ألفاظاً، وكَلماتٍ، من كافَّة المراحل التي مرَّ بها اللِّسان، فقام - إلى حَدٍّ أساسي - في حفْظ اللِّسان العَرَبي، وربط فُرُوعه بأُصُوله.

وهذه بعض الكَلمات كمثال للدّلالة على وُجُود الضِّدِّ، وأنَّه كَامن في مقلوب اللّفظة كَمبنى؛ ولا ينطبق على هذه الحالة انتفاء الثالث المرفوع، لوجود حالة بينهما محل التقاء هي بين؛ بين؛ نحو:

(كَتَبَ) ضدَّها مَبنى ومَعنى **(بَتَكَ)**، فالأُولى تدلُّ على الجَمْع، والأُخرى تدلُّ على التّفريق والقَطْع.

1 راجع كتاب جَدَليَّة الحرف العَرَبي، مُحَمَّد عنبر، ط. دار الفكر.

(دَرّ) ضدَّها مَبنى ومَعنى **(رَدَّ)**، فالأُولى تدلُّ على تولُّد الشّيء من الشّيء، والأُخرى تدلُّ على حَبْسه، وارتجاعه.

(لَزَّ) ضدَّها مَبنى ومَعنى **(زَلَّ)**، فالأُولى تدلُّ على اللَّصْق، والالتحام، والأُخرى تدلُّ على الابتعاد والافتراق.

(قَلَعَ) ضدُّها مَبنى ومَعنى **(عَلَقَ)**، فالأُولى تدلُّ على الإزالة الشّديدة للشّيء، والأُخرى تدلُّ على مَسْك ولَصْق الشّيء بشدَّة.

(فل) ضدها مبنى ومعنى **(لف)**.

(سَبَحَ) ضدَّها مَبنى ومَعنى **(حَبَسَ)**، فالأُولى تدلُّ على الحَرَكَة المستقرة على تأرجح منضبط، والأُخرى تدلُّ على تأرجح منضبط مستقر على حركة حرة.

الحالة الثّانية: التَّضادُّ النقيضي الثقافي، وهي ظاهرة اجتماعيَّة ثقافية، متعلقة بالحكم على الأمور، وتكون بين شيئَيْن مُختلفَيْن في الواقع اختلافَ تضادٍّ تناقضي؛ ينطبق عليها الثالث المرفوع (أي: انتفاء حالة بين بين)[1]؛ نحو:

(العَدْلُ) ونقيضه **(الظُّلم)**.

(الخَيْرُ) ونقيضه **(الشَّرُّ)**.

(الإيمان) ونقيضه **(الكُفْر)**.

(السّلام) ونقيضه **(الحرب)**.

(الرّفق) ونقيضه **(القسوة والشدة)**.

الحالة الثّالثة: وهي وُجُود لفظة تدل على دلالة واحدة، تظهر في الواقع بصُورتَين

1 وهذا خلاف ما ذهب إليه الأستاذ محمد عنبر في كتابه (جدلية الحرف العربي) عندما طبق قانون العلاقة الضدية للظواهر الطبيعية على العلاقة النقيضية الثنائية الفكرية، وخلط بين مفهوم الضد والنقيض، فالضد هو للظواهر الطبيعية فقط، ويمكن أن يلتقيا بنقطة واحدة مشتركة بينهما (بين بين) لز – زل، در – رد، وهي لحظة التحول، مثل تحول السخونة تدريجياً إلى البرودة، ويلتقيان بصفة الفتورة، بينما مفهوم النقيض خاص للفكر والحكم على الشيء، ولا يمكن للنقيضين أن يلتقيا، ويجري عليهما القول بالثالث المرفوع (العدل والظلم، الحق والباطل)، وبالتالي لا معنى لنقد قواعد العقل عند أرسطو من قبل الأستاذ محمد عنبر.

مُتضادَّتين؛ نحو:

(وراء) تظهر بصورة الأمام، والخلف.

(خفي) تظهر بصورة السّتر، والظُّهُور.

(عبد) تظهر بصورة الشِّدَّة، واللِّين.

(قسط) تظهر بصورة العدل، والجور.

(ظنَّ) تظهر بصورة اليقين، والشَّكِّ، أو بينهما.

(عس) تظهر بصورة الإقبال، والإدبار.

وهذه الحالة؛ هي محلُّ نقاش ودراسة بين عُلماء اللِّسان، فقد ذهب فريق منهم لإنكار هذه الظّاهرة، وفريق آخر أثبت هذه الظّاهرة.

وعند التّحقيق والدّراسة لكِلا الرّأيَيْن، يجد الباحث أنَّ الاختلاف بينهما يكاد يكون لفظيّاً واصطلاحيّاً، لأنَّ كُلاً من الفريقَيْن نَظَرَ إلى المسألة من جهة واحدة، وبناء على رُؤيته؛ قام بعمليَّة إنكار لهذه الظّاهرة، أو إثباتها.

فمَنْ نَظَرَ إلى دلالة الكَلمة؛ من حيثُ أصل دلالتها، وبناءً على أنَّ لكُلِّ ظاهرة، أو حال كَلمة تدلُّ عليها، **قالوا: إنَّه لا يُوجد للكَلمة الواحدة - في اللِّسان العَرَبي- دلالتان مُتضادَّتان في الواقع،** وقاموا بردِّ وتأويل كُلِّ الكَلمات التي جاء بها الفريق الآخر، الذي أثبت وُجُود التَّضادِّ.

أمَّا الفريق الآخر الذي أثبت **أنَّ للكَلمة الواحدة دلالتَيْن مُتضادَّتَيْن في الواقع؛** فقد نَظَرَ إلى الكَلمة من حيثُ المآل والاستخدام، فشاهد أنَّ ظُهُورها في الواقع يكون بصُورتَيْن مُتضادَّتَيْن، فأثبت ظاهرة التَّضادِّ لهذه المجموعة من الكَلمات.

ولنضرب على ذلك مثلاً؛ لتوضيح الرّأيَيْن: كَلمة (عبد).

نَظَرَ **الفريق الأوَّل** إلى كَلمة (عبد)، فشاهد أنَّ دلالتها الأصليَّة واحدة؛ سواء تعلَّقت بالله، أم تعلَّقت بالشّيطان، فهي لم تخرج عن دلالة جَمْع شيء في داخل شيء بطريقة شديدة،

وهذه الدّلالة تظهر – في الواقع – بصُور مُختلفة من صُورة عبد الرّحمن، إلى صُورة عبد الشّيطان، أو تعبيد الشّارع، ومن ثم؛ لا يُوجد تضادٌّ في اللِّسان من هذا الوجه.

أمَّا **الفريق الآخر**؛ فقد نَظَرَ إلى الكَلمة؛ من حيثُ المآل وظُهُورها في الواقع، فشاهد أنَّ دلالة كَلمة (عبد) لا يُمكن تحقيقها في الواقع، إلاَّ من خلال التَّضادِّ؛ فعبد اللهّ: أخذت معنى اللِّين والذُّلّ والخُضُوع والطّاعة، وعبد الشّيطان أخذت معنى الشِّدَّة والتَّمرُّد والكُفْر، ومن ثم؛ فظاهرة التَّضادّ موجودة في اللِّسان من هذا الوجه.

ولنُحاول أنْ نُقرِّب وُجهات النَّظَر، ونُحدِّد الموضوع بدقَّة أكثر[1].

إنَّ الأصل في اللِّسان، أنَّ لكُلِّ كَلمة دلالة واحدة، تظهر في الواقع بصُور وأشكال مُختلفة حسب استخدامها، وهذا الأصل هُو الدّائرة الكبيرة والأوسع في اللِّسان.

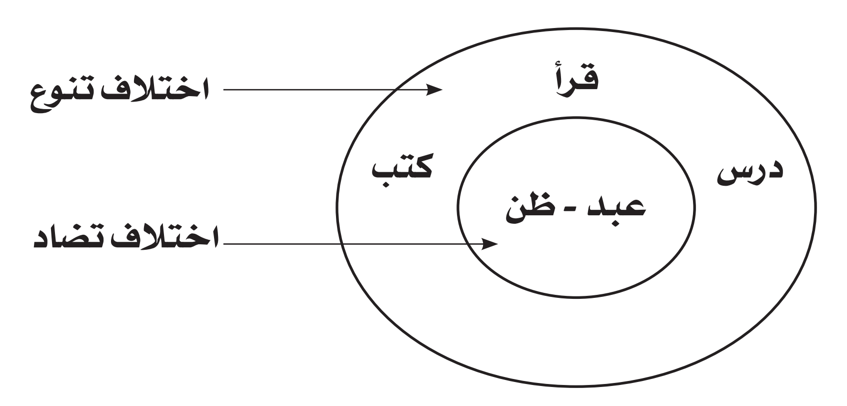
ولكنَّ المُدقِّق في ألفاظ اللِّسان، يجد أنَّ هُناك مجموعة من الكَلمات ضمن الدّائرة الكبيرة، لها خاصِّيَّة عن سائر الألفاظ حين تشكُّلها، وظُهُورها في الواقع، فكَلمة (كَتَبَ) على سبيل المثال عندما يسمعها العَرَبي يستحضر في ذهنه، دلالتها على الجَمْع للشّيء المُتجانس في مكان واحد، وتظهر هذه العمليَّة بصُور مُختلفة، ومُتنوِّعة بشكل لا مُتناه، بخلافه عندما يسمع كَلمة (عَبَدَ)، فإنَّه يستحضر – مُباشرة – صُوراً ضدِّيَّة لمدلول كَلمة (عَبَدَ) عبد الرّحمن، أو عبد الشّيطان.

إذاً؛ هُناك فرق كبير بين المجموعتَيْن من الكَلمات:

المجموعة الأُولى: التي هي الدّائرة الكبيرة والأوسع، تظهر صُور دلالتها بشكل مُختلف ومُتنوِّع حسب الواقع، ولنُطلق عليها **(اختلافُ تنوُّعٍ)**.

المجموعة الثّانية: وهي دائرة ضمن الدّائرة الكبيرة الأساسيَّة، وهذا يعني: تحقُّق مُواصفات الدّائرة الكبيرة في الدّائرة الصّغيرة، ولكنْ مع وُجُود خاصِّيَّة لها، غير مُتحقِّقة في الدّائرة الكبيرة؛ ألا وهي ظُهُور وتشكُّل صور هذه الكَلمات في الواقع، بصُور ضدِّيَّة، ولنُطلق عليها **(اختلاف تضادٍّ)**.

1 تم ضبط تعريف تضاد الكلمة من جراء حوار مع الأستاذ محمد هيثم إسلامبولي.



فالمُلاحظ أنَّ الفريقَيْن مُصيبان من حيثُ المضمون، **فأحدهما** نَظَرَ إلى الكَلمة مُجُرَّدة عن الواقع، فنفى عنها صفة التَّضادِّ، وأثبت الدّلالة الواحدة لها – فقط – لساناً، **أمَّا الآخر**؛ فقد نَظَرَ إلى صُورة تحقُّق دلالة الكَلمة في الواقع، فلاحظ أنَّ لها صُورتَيْن مُتضادَّتَيْن، فأثبت ظاهرة التَّضادِّ.

لذا؛ ينبغي ضَبْط المُصطلح، وتحديده، فنقول:

إنَّ ظاهرة التَّضادِّ موجودة بشكل صُوري، وليس دلاليَّاً؛ بمعنى أنَّ دلالة الكَلمة لها معنى واحد لساناً، وصُور مُتضادَّة في الواقع، وهذا بالنّسبة لمجموعة الكَلمات الموجودة في الدّائرة الصّغرى والدّاخليَّة بالنّسبة للدّائرة الكبيرة.

وسنضرب أمثلة لتوضيح وتقريب ذلك، وإظهار كيف أنَّ هُناك في اللِّسان مجموعة من الكَلمات لكُلٍّ منها دلالة واحدة لسانياً وصُور ضدِّيَّة تظهر حين الاستخدام؛ نحو: **(وراء، خفي، عبد، قسط، ظنَّ، عس)**.

أ- دلالة كَلمة (وراء):

لقد أورد القاموس أنَّ كَلمة (وراء) تكون للخلف والأمام[1].

والقواميس عندما ذكرت دلالة كَلمة (وراء) أضافت للدّلالة ظُهُور صُورها في الواقع، وأحياناً؛ اكتفت بذكْر صُور الظُّهُور دُون ذكْر الدّلالة، وذلك من باب تفسير الشّيء بمآله.

1 مقاييس اللُّغة، القاموس المُحيط.

ولنرَ دلالة كَلمة (وراء)، وصُور ظُهُورها في الواقع.

إنَّ كَلمة (وراء) من ورى، التي تدلُّ على التّورية بمعنى الاستتار والاختباء؛ أيْ: ما غاب عن العين والنَّظَر، نقول: توارى السّيف في غمده، إذا دخل فيه، وغاب عن النَّظَر، فنُلاحظ أنَّ دلالة كَلمة (وراء) الاختباء، والغياب قد تحقَّقت في الواقع، بصُورة الدُّخُول في الشّيء.

قال تعالى: ﴿أَمّا السّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مّلِكٌ يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ [الكهف : 79].

أيْ: يوجد ملك ظالم مُستتر غائب عن علْم أصحاب السّفينة، يأخذ كُلَّ سفينة صالحة تمرُّ به، وعُرفت جهة الاستتار بأنَّها في الأمام؛ من إسقاط النَّصِّ على محلِّه من الخطاب؛ إذْ لو كان من جهة الخلف، لكانوا قد مرّوا عليه أصلاً، وتمَّت مُصادرة السّفينة، ولم يصلوا إلى مُوسى وصاحبه.

قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود : 71].

نُلاحظ في دلالة كَلمة (وراء) أنَّها واحدة لم تتغيَّر، ولكنْ؛ يتغيَّر تَمَوْضُعُهَا في الواقع بصُور ضدِّيَّة، فتارةً تظهر بصُورة الأمام، وتارةً بصُورة الخلف، وتارةً بصُورة الدُّخُول في الشّيء، وتارةً بصُورة البُعْد الزّمني (البُعْديَّة)، وهكذا دواليك.

فسياق النَّصِّ وإسقاطه على الواقع؛ يُحدِّد صُورة مُعيَّنة لظُهُور دلالة كَلمة (وراء)، فدلالة الكَلمة واحدة لسانياً، وصُورها مُتضادَّة حين الاستخدام.

ب - دلالة كَلمة (خفي):

لقد أورد **القاموس** أنَّ كَلمة (خفي) تدلُّ على السّتر والإظهار.

ومن هذا الوجه؛ تمَّ تفسير آية ﴿إِنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىَ﴾ [طه : 15] ؛ بمعنى أُظهرها؛ لأنَّ سياق النَّصِّ لا يحتمل دلالة السّتر؛ لأنَّها

تتنافى مع فعل الإتيان، فما هُو آت يكون في طريقه للظُّهُور، وليس للسّتر.

وبناءً على هذه الاستخدامات؛ تأكدنا أنَّ كَلمة (خفي) من كَلمات التَّضادِّ تدلُّ على صورتين مُتضادَّتَيْن في الواقع (السّتر والإظهار).

إنَّ كَلمة (خفي) أصلها (خف)، وهي تدلُّ على خلاف الثّقل والرّزانة.

نقول: الرّجل خفيف الوزن، وخفيف العقل.

فخفَّة وزن الرّجل، لا تعني انتفاء الثّقل في وزنه، فلا شكَّ أنَّ الرّجل له وزن، والوزن هُو ثقل، كما أنَّ كَلمة (خف) لا تعني ذهاب الوزن كُلِّه، وهلاكه، وإلاَّ كيف نصفه بالخفيف، وكَذلك العقل ؟!.

فَمَنْ غاب عقله تماماً يصير مجنوناً، ومَنْ مَلَكَ العقلَ يصير عاقلاً، بخلاف خفيف العقل؛ فهُو يملك عقلاً قاصراً في إدراك الأُمُور.

إذاً؛ كَلمة (خف) هي وصف لحالة بين الإثبات، والنَّفْي.

قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذّلّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيّ﴾ [الشُّورى : 45].

فعمليَّة النَّظَر الخفي، ليست هي عمليَّة مستورة عن أعين النّاس، وإنَّما هي عمليَّة بين السّتر والظُّهُور، مستورةٌ عن مُعظم النّاس، ومُلاحَظَةٌ من آخرين، إذا أمعنوا النَّظَر.

وقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبّهُ نِدَآءً خَفِيّاً﴾ [مريم : 3].

إنَّ النّداء لا يكون من الإنسان إلاَّ بصوت، وعندما وصف اللهّ ﷻ النّداء بصفة الخفاء؛ دلَّ على أنَّ الصّوت لم يكن جهراً؛ بحيثُ يسمعه مَنْ حوله من النّاس، وليس هُو مكتوماً، لم يخرج من نفس زَكَرِيَّا، وإنَّما هُو بين السّتر والإظهار، إنَّه صوت خفي يسمعه زَكَرِيَّا بأُذنَيْه.

وقال: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَىٰ عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر : 16].

النّاس يوم القيامة بارزون، وهذا البُرُوز يقتضي الظُّهُور، وانتفاء السّتر والاختباء،

ولكنْ؛ يُحاول مجموعة من النّاس عمليَّة الاختفاء، وهي تقليص لعمليَّة البُرُوز، خوفاً وهَلَعَاً من أهوال الموقف؛ بحيثُ يصيرون أقلَّ من الآخرين بُرُوزاً، وهذا يقتضي تشتيت الانتباه، والتّركيز عليهم، فيُخبر اللهّ أنَّ أيَّ مُحاولة للخفاء في هذا اليوم، هي مُحاولة فاشلة ومكشوفة من قبَل اللهّ، فالجميع تحت السَّمْع والبَصَر، والعلم الإلهي.

وقال: ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنّ﴾ [النُّور : 31].

إنَّ قيام المرأة بالنّشاط الاجتماعي – قطعاً – سوف يترتَّب عليه حَرَكَة، وانتقال، وحُضُور بين الرّجال، فنهى اللهّ المرأة أنْ تُمارس أيَّ عمل، يترتَّب عليه إعلام الرّجال (تصوُّراً) لما تُخفي من الزّينة، واستخدم الشّارع كَلمةَ (يُخفين) ليدلَّ على أنَّ زينة المرأة مهما حاولت أنْ تسترها تبقى عمليَّة السّتر ناقصة، ويُوجد من الزّينة ما هُو محلٌّ للتَّصوُّر الذّهني والظُّهُور بشكل خفي؛ سواء أكان من جهة الحجم، أم من جهة الصُّورة. ولو كان القصد الإلهي السّتر الكامل الذي لا يُوجد فيه إمكانيَّة الظُّهُور لاستخدم كَلمة (يسترن)، أو (يُغطِّين)، ولو تمَّ ذلك في النَّصِّ لتعذَّر على المرأة مُمارسة أيّ نشاط اجتماعي، بل تعذَّر عليها الخُرُوج من البيت؛ إلاَّ تحت خيمة تُظلُّها وتُحيط بها من كُلِّ الجوانب[1].

ولإسقاط الفكرة على الواقع، ووَضْع اليد عليها نضرب مثالاً؛ وهُو قولنا: اختفى القمر في الغُيُوم، توارى القمر في الغُيُوم.

ففعل (اختفى) يدلُّ على بدء دُخُول القمر في الغُيُوم؛ حيثُ يصير لا هُو ظاهر تماماً، ولا هُو مستور تماماً، فهُو بَيْنَ بَيْنَ، وعندما يكون الأمر كَذلك، فهُو قابل لأنْ يستمرَّ في عمليَّة الخفاء إلى جهة السّتر، فيصير مستوراً، أو يستمرّ في عمليَّة الظُّهُور، فيصير ظاهراً. فإن كانت حَرَكَة الغُيُوم في بدايتها، فاختفاء القمر مآله إلى السّتر والتّغطية، أمَّا إن كانت حَرَكَة الغُيُوم في نهايتها، فمآل القمر إلى الظُّهُور، وهُو في كِلا الحالتَيْن مُتحقِّق به صفة الخفاء، أمَّا جُملة (توارى القمر)؛ فالمقصود بها ذهاب القمر وغيابه عن المُشاهدة؛ حيثُ يصير خارج مُستوى النَّظَر.

وبعد ذلك التّوضيح؛ نُفسِّر قوله تعالى: ﴿إِنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ

1 راجع كتابي (القرءان من الهجر إلى التفعيل).

بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه : 15] ؛ ففعل (أتى) – كما ذكرتُ سابقاً – يدلُّ على حُصُول الشّيء، فقيام السّاعة حاصل لا محالة، وفعل (أُخفيها) سائر في اتّجاه الظُّهُور؛ دلَّ على ذلك فعل الإتيان، فما هُو آت لا شكَّ في ظُهُوره، ولا يُمكن أنْ يتمَّ ستره وتغييبه؛ لأنَّ ذلك يتنافى مع عمليَّة إتيانه (حُصُوله)، فمن هذا الوجه؛ تمَّ تفسير جُملة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ بمعنى أُظهرها، وهي من باب تفسير الشّيء بمآله، ولكنْ؛ عند الدّراسة ينبغي إظهار المعنى الحقيقي للكَلمة، والحفاظ على دلالتها من الواقع.

فالخفاء لساناً وواقعاً، كَلمة تدلُّ على حالة بين السّتر والظُّهُور، فالأمر المخفي ليس مستوراً تماماً، ولا ظاهر تماماً، وسياق النَّصِّ، وإسقاطه على محلِّه من الخطاب، يُحدِّد هل الأمر المخفي مُتوقِّف على هذه الحالة، أو هُو في طريقه إلى الظُّهُور، أو في طريقه إلى السّتر والغياب؟

إذاً؛ كَلمة (خفي) تدلُّ على مفهوم مُحَدَّد لساناً، ولا يُوجد فيه أيُّ تضادٍّ؛ لأنَّ التَّضادَّ، إنَّما هُو في تَمَوْضُع وصُور تشكُّل الدّلالة في الواقع، **ومن ثم؛ ينبغي الانتباه أثناء الدّراسة لكُلِّ كَلمة يُخَيَّل للباحث من الوهلة الأُولى أنَّها تدلُّ على مُتضادَّيْن، فالكَلمة لها مفهوم واحد لساناً، وإسقاطها على الواقع؛ له حالات ظَرْفيَّة تُلازم دلالة الكَلمة، فمن الخطأ أنْ نشرح دلالة الكَلمة، بالظَّرْف الذي لازم وزامن وُقُوعها فقط، مثل من قال: إن دلالة كلمة (خاتم)؛ إذا اقترنت بالعقلاء؛ فهي تدل على المدح، والفضل، والأحسن، والأكمل، ونفى دلالة الآخر منها [1]، وفاته أن الإنسان غير قادر على استخدام الكلمة بصورتها العربية المبينة، وبالتالي يكون استخدامه مبالغ فيه، أو نسبي في الفهم، فمن يستطيع أن يحكم بصورة مطلقة أن فلاناً هو خاتم الشعراء أو العلماء؟، بدلالة كلمة (خاتم) التي تقتضي ضرورة مفهوم الآخر؛ إضافة لمفهوم التواصل والإكمال والتصديق والإنهاء، الذي ينتج عنه الحفظ والصلاحية والاستمرار للشيء المختوم، وإذا أضيفت للعقلاء يلزم منها مفهوم الأفضل والأحسن دون إلغاء لمفهوم الخاتمية لساناً !، لذا؛ ينتفي عن استخدام الإنسان – كائناً مَنْ كان – لكلمة ما صفة الحجة أو البرهان على دلالتها، والأحرى أنْ نأتي بمفهوم الكَلمة لساناً، ونتناول الظَّرْف الذي لازم، وزامن، وُقُوع دلالة الكَلمة، واستخدامها دون**

1 جماعة الأحمدية، وذلك لإثبات نبوة ميرزا غلام أحمد؛ المهدي المنتظر، والمسيح الموعود عندهم.

إلغاء للمفهوم اللِّساني، ونفرق بين استخدام الإنسان لها بصورة نسبية وقاصرة، واستخدام الله لها بصورة عربية مبينة منسجمة مع محلها من الخطاب[1].

انظرْ قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النّحل : 19].

﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور : 29].

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النّمل : 25].

﴿إِنّ اللّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات : 18].

فكَلمة **السِّرّ**: تدلُّ على الأقوال، أو الأعمال التي يفعلها الإنسان بينه وبين نفسه، أو مع غيره، دُون أنْ يُطلع الآخرين عليها.

كتم: تدلُّ على إمساك الشّيء، وعدم نُفُوذه.

الإخفاء: كَلمة تدلُّ على مُحاولة أنْ لا يُرى أو يُعلم الشّيء الحاصل، وذلك بتقليص ظُهُوره إلى الحَدِّ الأدنى؛ حيثُ يُنتفى عنه صفة الظُّهُور، وبالوقت ذاته؛ لا يغيب كُلِّيّاً.

الغيب: من غياب الشّيء كُلِّيّاً عن المُشاهدَة، أو العلم به، ويكون في الماضي والحاضر والمُستقبل.

واللهُ يعلم الأحوال كُلَّها، لا يغيب عن علْمه شيء، سواء أكان سرَّاً، أم خفاءً، أم كتماناً، أم غيباً.

ت - دلالة كَلمة (عبد):

إنَّ كَلمة (عبد) كأخواتها قد عُدَّت من كَلمات التَّضادِّ، فذكر صاحب مقاييس اللُّغة كَلمة (عبد)، فقال: العين والباء والدّال أصلان صحيحان كأنَّهما مُتضادَّان، الأوَّل يدلُّ على لين وذُلٍّ، والآخر يدلُّ على شدَّةٍ وغلظ.

إنَّ كَلمة (عبد) تبدأ بحرف العين والباء (عب)، اللّذان يدلاَّن في اجتماعهما، على كثرةٍ ومُعظَمٍ يُجمع في شيء آخر، وضدَّ كَلمة (عب) مَبنى ومَعنى، هُو كَلمة (بع) التي تدلُّ على

1 راجع كتابي (حوارات ثقافية) مفهوم الخاتمية.

خُرُوج بكثرةٍ ومُعظَمٍ وجَمْع.

فإذا أضفنا حرف (الدّال) لكلَيْهما، فإنَّ دلالتهما الأصليَّة لا تتغيَّر، وإنَّما يتمُّ إضافة شكلٍ، وتحديد لظُهُور المعنى لهما في الواقع.

بعد: (بع) كَلمة تدلُّ على خُرُوج بكثرة ومُعظم وجَمْع، وجاء حرف (الدّال) ليُعطيها دلالة الدفع الشديد؛ لتصير خُرُوجاً شديداً، يُقابل الخُرُوج القريب.

عبد: (عب) كَلمة تدلُّ على كثرة ومُعظم يُجمع في شيء آخر، وجاء حرف الدّال ليُعطيها دلالة الدفع الشديد؛ لتصير تدلُّ على كثرة ومُعظم يُجمع في شيء آخر، بشكل مُعيَّن ومُحدَّد؛ نتيجة الشِّدَّة التي مُورست على طريقة الجَمْع.

وما ذَكَرَهُ صاحب مقاييس اللُّغة من دلالة التَّضادِّ لكَلمة (عبد)، إنَّما أتى له من جرَّاء مُلاحظة دلالة كَلمة (عبد) في الواقع، فتارةً تأخذ شكل الذُّلِّ، واللِّين المُتحقِّق بالعبد المملوك والطّريق الموطوء، وتارةً تأخذ شكل الشِّدَّة، والغلظة المُتحقِّق بتمرُّد الإنسان، وكُفْره ومُحاربته للحقِّ والخير.

فهاتان الصُّورتان (الشِّدَّة واللِّين) ليستا هُما مفهوم كَلمة (عبد)، وإنَّما هُما صُورتان تحقَّق بهما دلالة كَلمة (عبد) في الواقع.

إذاً؛ كَلمة (عبد) عندما نستخدمها للإنسان تدلُّ على جَمْع وتشكيل مفاهيم مُعيَّنة بداخل الإنسان؛ حيثُ تصير طاقةً له، يُكيِّف سُلُوكه بحسبها، فإنْ كانت مفاهيمَ قائمةً على الحقِّ والعدل والخير؛ كان الإنسان ليِّناً مُطيعاً للحقِّ، خاضعاً له، وإنْ كانت مفاهيمَ قائمة على الباطل والشَّرِّ؛ كان الإنسان شديداً كافراً بالحقِّ، مُتمرِّداً عليه.

فقولنا: الشّارع مُعبَّد؛ أخذ دلالة تجميعه وتشكيله، بشكل مُذلّل يصلح للوطء والسّير دُون مشقَّة أو تعب.

وقولنا: الإنسان عبد الله؛ أخذ دلالة تجميع إرادته وتشكيلها بشكل الإيمان بالحقِّ، والخُضُوع له.

وبعد ذلك؛ نقوم بتفسير قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ [الزخرف : 8] أيْ: لو كان للرّحمن صفة الولادة، ومن ثم؛ له ولد، فأنا أوَّل مَنْ أُجمع إرادتي وأُشكِّلها على الرّفض، والاستنكار، والكُفْر، بهذا المدَّعي للأُلُوهيَّة؛ لأنَّه ما ينبغي للرّحمن أنْ يكون له ولد؛ لأنَّ الصّفة اللاَّزمة للرّحمن أنْ يكون أحداً صمداً؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [مريم : 92]. وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص : 1 – 2].

ويمكن أنْ تأتي كَلمة (العبادة) دُون تحديد لإحدى صُورها، ومن ثم؛ تبقى على عُمُوميتها تشمل الصُّورتَيْن الضِّدِّيَّتين معاً، في وقت واحد؛ نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ **[الذّاريات : 56]**.

إنَّ هذا النَّصَّ من النّوع الإخباري، ومن ثم؛ فالمصداقيَّة له في الواقع ضرورة علميَّة وإيمانيَّة، والواقع المُشاهَد، يدلُّ على أنَّ النّاس يُمارسون الحُرِّيَّة التَّامَّة، في عمليَّة الإيمان أو الكُفْر، عبادة الرّحمن، أو عبادة الشّيطان، وقد أخبر اللهّ ﷻ نفسه أنَّه خَلَقَ الموت، والحياة، لحُصُول عمليَّة الابتلاء للإنسان في الحياة الدُّنيا؛ إذْ قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك : 2].

فدلالة كَلمة﴿ لِيَعْبُدُونِ﴾في النَّصِّ السّابق، لم يُحدِّدها اللهّ بصُورة دُون أُخرى كما فعل في آيات أُخرى؛ نحو: ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : 73] ، ممَّا يدلُّ على أنَّ مقصد اللهّ من النَّصِّ هُو وَصْف واقع الإنسان في عمليَّة الاختيار لإحدى الصُّورتَيْن الضِّدِّيَّتين، فإمَّا أنْ يكون الإنسان عبداً للرّحمن، أو أنْ يكون عبداً **للشّيطان، فالنَّصُّ هُو خبر يُؤكِّد حُرِّيَّة الإنسان في العبادة، ولمَنْ يُوجِّهها، والحُرِّيَّة يترتَّب عليها المسؤوليَّة والحساب**[1].

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ﴾ [الصّافات : 24].

وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ*عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر : 92 – 93].

1 راجع كتابي (الألوهية والحاكمية).

دلالة كَلمة (قسط، ظنّ، عسّ)

أ - قسط:

إنَّ لمعرفة دلالة كَلمة (قسط) يجب معرفة دلالة أصوات الأحرف المُؤلَّفة منها الكَلمة:

فحرف (ق) يدلُّ على الوَقْف، والقَطْع للشّيء.

وحرف (س) يدلُّ على حركة متصلة حرة.

وحرف (ط) يدلُّ على دَفْع وسط.

وحسب ترتيب مجيء الأحرف مع بعضها، تدلُّ على صُورة دلالتها في الواقع؛ فمثلاً: كَلمة (سقط) بدأت بحرف (س)، وهُو يدلُّ على الحَرَكَة المتصلة بصورة غير محددة، وحرف (ق) جاء بعد حرف (س)؛ ليدلَّ على وَقْف هذه الحَرَكَة، وجاء بعده حرف (ط) ليدلَّ على الدَّفْع؛ فتكون دلالة كَلمة (سقط) هي: الوُقُوع للشّيء من مكان إلى أدنى منه، ونُلاحظ في عمليَّة الوُقُوع، كيف تحقَّق فيها دلالة أصوات الأحرف المُؤلَّفة منها؛ لأنَّ الوُقُوع لا بُدَّ له ابتداءً من الحَرَكَة والوُقُوف، والارتطام.

فكَلمة (قسط) بدأت بحرف (ق)، ممَّا يدلُّ على أنَّ دلالتها ابتداءً، هي الوَقْف والقَطْع للشّيء، وبعد ذلك؛ جاء حرف (س) ليُحرِّك هذا الوَقْفَ بشكل سهل وليِّن، وجاء حرف (ط) ليدفع هذه الحَرَكَة نحو جهة ما بشكل وسط.

فإذا تمعَّنَّا في دلالة هذه الأحرف، بشكلها الذي جاءت به (قسط) نصل إلى أنَّ كَلمة (قسط) **تدلُّ على توقيف الشّيء، وتحريكه بعد ذلك، ودفعه،** وثقافياً تدل على تحديد الأمر وتحريكه ودفعه نحو الأمر المعنيِّ، فإذا استخدمناها في واقع الحال نُلاحظ أنَّها ظهرت بصُورة القسْمة للشّيء وتحديده، أو التَّجزيء له، ثم دفع هذا الجزء دون أصله؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [الجنّ : 15].

أيْ: الذين يقومون بالتّعامل في عمليَّة إسلامهم لله، بشكل مُقسط، فيأخذون منه ما يُوافق هواهم، ومصالحهم، ويتركون ما يشعرون أنَّه لا يُحقّق مصالحهم (إسلام تقسيطي).

فكلمة(قَسط) فعل ثلاثي يتعلق بالإنسان نفسه، أما كلمة(أقسط) فهي فعل رباعي يتعلق بالآخر، مثل (كتب) و(أكتب)، واسم الفاعل لقَسط هو قاسط وجمعها قاسطون، أما اسم الفاعل لكلمة أقسط فهو مُقسط وجمعها مُقسطون.

فنقول: بيع التّقسيط؛ بمعنى تحديد ثمن السِّلعة وتجزئتها إلى أقسام، يتمُّ دَفْعها تباعاً (قسطاً قسطاً)، قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات : 9].

إنَّ الحُكْمَ بين النّاس، قائم في أساسه على العدل، أمَّا تنفيذ هذا الحُكْم على أرض الواقع؛ فقد يتعذَّر تنفيذه جُملة واحدة في وقت واحد، فَحَضَّ الشّارع على عمليَّة التّقسيط في تنفيذ الحُكْم لما في التّقسيط من رَفْع الحَرَج، واليُسر للنّاس، وجَعْلهم يُؤدُّون واجبهم.

قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ ﴾ [الأحزاب : 5].

وقال: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشّهَادَةِ وَأَدْنَىَ أَلاّ تَرْتَابُوَاْ ﴾ [البقرة : 282].

فبما أنَّ كَلمة (القسط) تدلُّ على التحديد والدفع كانت دلالة الآيات السّابقة، تدلُّ على أنَّ عمليَّة إرجاع نَسَب الولد لأبيه، هي الأقسط عند الله، بمعنى إرجاع الجُزْء إلى أصله، في واقع الحال هُو عين الحقيقة؛ من حيثُ مُساواة الادِّعاء لُمقتضى الحال.

وكَذلك الآية الأُخرى، فهي تدلُّ على أنَّ عمليَّة كتابة وتوثيق المُعاملات الماليَّة بين النّاس، هي ﴿ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ ﴾؛ بمعنى هي الأَصْوَبُ والأَوْلَى لتحديدها ودفعها لاحقاً؛ لإرجاع الحُقُوق لأهلها.

قال تعالى: ﴿ أَن تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُوَاْ إِلَيْهِمْ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المُمتحنة : 8].

أيْ: أنْ تقوموا بالتّعامل معهم بالمعروف، بشكل مُتتابع محدد من الصّلة، وعمل الخير.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة : 42].

إنَّ أساس الحُكْم بين النّاس إنَّما هُو العدل، ولكنَّ تنفيذ هذا الحُكْم العادل، في الواقع لا بُدَّ له من عمليَّة التّقسيط، فلذا؛ أمر الشّارع بمُباشرة الحُكْم بالقسط؛ وذلك لا يتحقَّق إلاَّ

إذا سبقه حُكْم بالعدل؛ لأنَّ القسط هُو تنفيذ عَمَلي للحُكْم، فمن هذا الوجه؛ جاء الأمر بالحُكْم بالقسط من باب المآل للحُكْم العادل في الواقع.

ومن هذا التفريق بين الثلاثي والرباعي، قال المفسرون: قَسط جار وظلم، وأقسط عدل وساوى. وهو تفسير بمآل الكلمة في واقعها، وليس مفهومها اللِّساني.

ب - ظنّ:

إنَّ كَلمة (ظنَّ) تدلُّ على حالة شُعُوريَّة في الإنسان، ومن المُمكن أنْ تكون **حالة شُعُوريَّة يقينيَّة**، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُواْ اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : 249].

ومن المُمكن أنْ تكون على **الغالب**، كما قال تعالى: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة : 230].

ومن المُمكن أنْ تكون على **الشَّكِّ**، كما قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام : 116].

فدلالة كَلمة ظنّ لساناً هي واحدة؛ وهي حُصُول حالة من الشُّعُور بالمَيْلِ إلى الرّضا والقناعة بشيء، أمَّا ظُهُور هذه الحالة في الواقع؛ فتكون على صُور مُتضادَّة، كما ذكرتُ آنفاً: ظنّ يقيني، وظنّ على الغالب، وظنّ شكٍّ. وسياق الكلام ونَظْمه، والقرائن، هي التي تُحدِّد أيَّ صُورة للظَّنِّ هي المقصودة بالكلام.

ت - عسّ:

كَلمة تدلُّ على طَلَب الشّيء، والدُّنُوّ منه بخفَّة[1]، وهذا المعنى هُو دلالة حرفَيْ الكَلمة (عسَّ)، فحرف (ع) يدلُّ على العُمق، وحرف (س) يدلُّ على اللُّيُونة والحَرَكَة المتصلة دون تحديد، وجَمْعُهُمَا مع بعضهما يُعطي دلالة أنَّ الشّيء الطّالب يتحرَّك بلُطف، ولُيُونة في طَلَب شيء آخر، ومن هذا الوجه نقول: العَسَس؛ للذي يطوف بهُدُوء بحثاً عن شيء.

1 مقاييس اللُّغة.

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير : 17] ؛ بمعنى إذا جاء اللّيل يطلب النّهار ويبحث عنه، حتَّى لا يدع منه شيئاً إلاَّ طلبه، وهذه الحالة الفيزيائيَّة لمجيء اللّيل مُتحقِّقة - أيضاً - في عمليَّة إدباره وانسحابه، فهُو يقوم بسَحْب ذُيُوله من الواقع، وجرِّها إلى أنْ لا يبقي منها شيئاً، ومن هذا الوجه؛ ظهرت صُورة التَّضادِّ لدلالة كَلمة (عسَّ)، فكما يُقبل اللّيل عليكَ، يُدبر عن غيركَ، فهُو في عمليَّة (عَسٍّ) مُستمرَّة مُتعاقبة مع النّهــار.

المجاز عجز واعتباط في التعبير

مصطلح المجاز لم يضبطه أهل اللغة فهم متخبطون فيه، فتجد قوم منهم يقصدون به صرف معنى الكلمة السطحي الشائع على ألسنة عامة الناس عن دلالة كلمة مستخدمة في النص القرءاني لمانع عقلي أو قرينة، وتجاوز هذا المعنى السطحي إلى معنى لساني حقيقي عميق يدلُّ عليه النص حقيقة، وليس هو نوعاً من الكذب أو تجاوز الحقيقة إلى الخيال أو الوهم، وإنما تجاوز المعنى السطحي إلى المعنى الحقيقي العميق، وضربوا على ذلك مثلاً (يد الله فوق أيديهم) وقالوا: ينبغي تجاوز المعنى السطحي السائد على ألسنة عامة الناس إلى معنى حقيقي عميق يقتضيه النص وَفْقَ قواعد وقرائن معينة، وهي تنزيه الله عن تماثله مع الخلق، وليس كمثله شيء، ما يؤكد أن المعنى الحقيقي لكلمة (يد الله) لساناً هو مفهومها الحقيقي العميق القوة الطايلة التي تطول كل شيء في الوجود، وليس المعنى العضوي المعروف في أذهان الناس.

وهذا المفهوم للمجاز صواب ولا غبار عليه لو كان هو المقصد من مصطلح المجاز في اللغة، ولكن الحقيقة ليس هذا المستخدم في اللغة فهو مستخدم بمعنى آخر، وعلى كل لا يصح استخدام مصطلح عليه إشكال ولغط وجدال وقَبول ورد، ويسبب إرباكاً واضطراباً في الدراسة، لأن معنى الناس السطحي لا قيمة له حتى يُستخدم على موجبه مصطلح المجاز، ويُقرر في قواعد اللِّسان العربي، وينبغي أن يكون المصطلح علمياً، وليس محل خلاف، وينبغي استبعاد تأثير عامة الناس وأفهامهم السطحية الهزلية عن دراسة القرءان، ونحن سوف تناول مفهوم المجاز بالمعنى الشائع وننقضه وننفيه عن القرءان، ونطالب من يقول بالمجاز (بمعنى: تجاوز المعنى السطحي الهزلي إلى معنى لساني حقيقي علمي) أن يكفَّ عن استخدام المصطلح ويحذفه من الدراسة القرءانية، ويُسمِّي الأمور بمسمَّياتها.

المجاز في اللغة الاعتباطية هو تجاوز الحقيقة لتَعَذُّرِها إلى معنى يفترضه المتكلم، وهذا التَّعذر هو نتيجة عجز المتكلم ومحدودية قدرته في تصوير الحدث بلفظ يدلُّ عليه حقيقة؛ والله منزه عن العجز، وهو على كل شيء قدير، وأسلوب خطاب الله في استخدام اللِّسان العربي يختلف تماماً عن أسلوب الناس، والفرق بينهما مثل الفرق بين الخالق والمخلوق، وكل فعل يأخذ صفة فاعله ضرورة من حيث التمام والكمال، وكلام الله وحديثه حقّ وصِدْق.

انظر قوله تعالى: ﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ **أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً**﴾ [النساء : 87] ، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ **بِالْحَقِّ** بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة : 119].

فالمجاز ابتداء هو خلاف الحقيقة ووقوع في الخطأ أو الوهم، ولا يمكن للخطأ أن يكون بلاغة قط، [1] والمجاز أسلوب في الخطاب يعتمد عليه الناس في تواصلهم مع بعضهم للتعبير عن مقاصدهم، ويعتمدون في فهم المقصد على المتلقي للخطاب، ويدعمون مقصدهم بالإشارة والكناية والإيماء والاصطلاح على شيء بينهم، ولا يمكن فهم الخطاب المجازي بمعزل عن المتكلم، لذلك نجدهم يقولون: لا بُدَّ للمجاز من قرينة تدلُّ عليه؛ لأن الأصل في الكلام الحقيقة. ويقولون: المعنى في قلب الشاعر أو المتكلم!، وذلك لنفي الدلالة الحقيقية عن الكلام، التي هي محل تسليم من الجميع، وتُفهم بمعزل عن المتكلم بخلاف المجاز، الذي لا بُدَّ له من فهم مقصد المتكلم فيه.

قال المعرّي:

لا تُقيّـد عـليَّ لفظـي فـإني   مثـل غـيري تَكَلُّمـي بالمجـاز

وقال أيضاً:

نقـول عـلى المجـاز وقـد علمنا   بـأنَّ الأمـر ليـس كـما نقـول

1 أهم من قال بنفي وقوع المجاز في القرءان قديماً هم: الأصفهاني، وأبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو علي الفارسي، وابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ومن المعاصرين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وسُبيط النيلي، وغيرهم.

واللِّسان العربي المبين لسان علمي ذو نشأة طبيعية فيزيائية، وقد نزل التنزيل الحكيم بلسان عربي مبين، بمعنى أنه استخدم أصوات اللِّسان العربي حسب دلالاتها الفيزيائية، وركّب الكلمات منها بتوافق وانسجام في ترتيب الأصوات لتدلَّ على الحقيقة بمعزل عن المتكلم، وذلك من خلال فهم دلالة الأصوات للوصول إلى المفهوم الفيزيائي للكلمة، ومن ثم الانتقال بصحبته إلى الدلالة الثقافية التي تظهر من خلال استخدام المفهوم وَفْقَ سياق الجملة أو النص، وإسقاطه على محله من الواقع، وبذلك تظهر تعدد صور الاستخدام الثقافي المعرفي للمفهوم الواحد على وجه الحقيقة، بينما اللغة استخدمت ذات الأصوات العربية (الأبجدية) ولكن بصورة اعتباطية.

ومن هذا الوجه تشابه اللِّسان العربي المبين باللغة العربية، وزاد الأمر سوءاً عندما أخضعوا اللِّسان العربي المبين لقواعد اللغة العربية، وصار اللِّسان الأعجمي الاعتباطي حَكماً ومعياراً للِّسان العربي المبين، فضلّوا وأضلوا الأمة من بعدهم، ولم تقم لهم قائمة، واستمروا في لَغْوِهِمْ يغوصون في الاعتباطية ويجترُّونها نثراً، وشعراً، ونظماً، وأدباً، ويظنون أنهم يُحسنون صنعاً.

فالمجاز، وقاعدة اختلاف الألفاظ وتعددها لمعنى واحد، التي اشتهرت خطأً باسم الترادف، كانتا بمنزلة فيروس أصاب اللِّسان العربي المبين ونخر فيه، ومنعه من الحركة العلمية، خاصة أن أهل الاعتباط انطلقوا من أن أصوات اللِّسان العربي لا معنى لها، وهي اعتباطية في نشأتها، ولك أن تتصور الكارثة التي أصابت اللِّسان العربي نتيجة هذا الرأي الاعتباطي بقواعده اللغوية (**التطابق في المعنى رغم اختلاف المبنى**) والمجاز، ما أدى إلى ظهور لغة عربية مقابل اللِّسان العربي المبين، ونتج عن لغو الأمة التخلف والانحطاط؛ لأنهم جعلوا الشعر الجاهلي، والنثر والتراث الذي قام على اللغة العربية الاعتباطية مصادر تحكم اللِّسان العربي المبين، أي: الاعتباطي يحكم العلمي (اللغة تحكم القرءان)، وفعل المخلوق يحكم فعل الخالق!، فالأمر على درجة من الخطورة والأهمية، وهي مسألة مصيرية، إما نهضةً، أو الغوص في وحل التخلُّف والانحطاط.

إن التنزيل الحكيم نزل بلسان عربي مبين، واللِّسان العربي هو صورة صوتية لحركة الكون، ومنضبط بذات القواعد والقوانين، مثل الثابت والمتغير، والثنائية والتطور،

والنمو والحركة، واختلاف العناصر والأحداث في الكون أدّى إلى اختلاف دلالة الألفاظ التي تصور الحدث في اللِّسان، وظهرت قاعدة (**اختلاف المبنى يؤدي إلى اختلاف المعنى ضرورة)** وبما أن أحداث الكون وظواهره حقيقية، وليست وهماً، انعكس ذلك على اللِّسان العربي، فكانت ألفاظه تمثل الحقيقة، فلا وجود للوهم (المجاز) فيه، وما المجاز إلا نوع من الوهم خلاف الحقيقة، **لذا؛ انتفى عن اللِّسان العربي(التنزيل الحكيم) وجود المجاز، والمجاز صفة للغة الناس، وذلك ناتج عن قصورهم وعجزهم لتصوير الحقيقة بألفاظهم.**

والقول بالمجاز يتعلق بالقول بتطابق المعنى رغم اختلاف المبنى، واعتباطية نشأة اللِّسان، ونفي الدلالة عن أصوات الأحرف ضرورة، **ومن ينفي التطابق فقط، ويُثبت المجاز،** ويقول **باعتباطية نشأة اللِّسان، وعدم وجود دلالة للأصوات** يقع بتناقض عجيب، فهذه الأمور الأربعة متعلقة ببعضها كسلسلة، لأن اختلاف المعنى تأتّى من اختلاف المبنى الذي هو أصوات الأحرف وترتيبها، وهذا يدل على وجود دلالة للأصوات أعطت كل مبنى معنى، ولولا ذلك لما تأثر المعنى من تغير المبنى، ومثل ذلك كمثل العناصر الكيميائية، فأي تغير في عناصرها يؤدي إلى تغير النتيجة ضرورة، فمن يُثبت شيئاً من الأمور الأربعة أثبت الكل ضرورةً لازمةً، والعكس صواباً.

يقول الأستاذ محمد عنبر:

(إن ما ينفي الترادف (اختلاف المبنى واتفاق المعنى) ويمنع من وقوعه؛ دليل واحد قاطع؛ هو، أنه لو كانت حروف أبجدية اللغات مترادفة، ويُغني كلُّ حرف منها عن الآخر غنىً وافياً كافياً لكان كل حرف ككل حرف، ولزال البيان من أساسه، وما كانت الكلمات مؤَلفة من حروف، فإن الكلمات لا تترادف قطعاً، أي: لا تُغني أي كلمة منها عن أي كلمة أخرى غنىً شافياً وافياً كافياً، لأن ذلك ينتهي بها إلى أن أي كلمة كأي كلمة تماماً)[1].

والأدلة التي يسوقونها من القرءان لإثبات المجاز هي خطأ في الفهم والاستدلال، وما ينبغي أن يكون في اللِّسان العربي المبين مجاز، لأن حصول ذلك هو وجود الوهم والظن والخيال في التنزيل الحكيم، وذلك ينقض صفة الإحكام والحقيقة، وينفي عنه النظام،

1 راجع (اليقين فوق المعاصرة) ص 79، ط. الأولى، 2003م.

ويفتح باب الاعتباطية، ويترك تشكيل المعنى لكل قارئ حسب تصوره وتخيله دون ضابط، ولا يكون فهم أحد حجة على آخر، وبالتالي يتفرغ التنزيل الحكيم من مفاهيمه، ويصير نصّاً لغوياً اعتباطياً، وتصح المقولة التي يستشهد بها أهل الاعتباط (القرءان حمّال أوجه) على عموم النص القرءاني كله وتنتفي عنه صفة الحكمة، والإبانة، والعربية.

انظر إلى أهم الأدلة التي ساقها أهل الاعتباط للاستدلال على وجود المجاز في التنزيل الحكيم:

نماذج للدراسة ونفي المجاز عنها:

1- ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيْرَ الَّتِيَ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف : 82].

فقالوا: أي: أهل القرية وليس الجدران، وهذا مجاز في الاستخدام.

والصواب أن كلمة (قرية) لا تطلق على المكان مجرداً، وإنما لا بُدَّ من وجود السكان فيها، فهي تدل على موقع جغرافي اجتماعي، وكذلك كلمة(عير) فهي غير كلمة (بعير)، ويُقصد بها القافلة، وأقبلنا فيها، غير أقبلنا عليها، انظر إلى قوله تعالى:

- ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء : 16].
- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ [القصص :58].
- ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأنبياء :74].

ودلالة (القرية) غير دلالة (أهل القرية) انظر إلى قوله تعالى:

- ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىَ أَهْلِ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ﴾ [العنكبوت :43].
- ﴿قَالُوَاْ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت : 31].

فإهلاك القرية يشمل الناس والمكان، بينما إهلاك أهل القرية خاص بسكانها دون المكان.

2 – ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخرة أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء :72].

قالوا: إن صفة العمى في الدنيا مجازية، ويقصد بها الضلال والضياع والانحراف عن منهج القرءان.

والصواب أن كلمة العمى تدل على نفي وجود النور وإحلال السواد الذي يغطي الأمور محله، ويكون ذلك في الواقع بصور متعددة: ابتداءً من عمى النظر العيني إلى عمى البصيرة، انظر قوله تعالى:

- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ﴾ [النمل :18].
- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ [الفرقان : 37].
- ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَـكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج : 46].

3 – ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح :10].

قالوا: إنَّ كلمة اليد هي جارحة وتطلق على الله مجازاً، ويقصد بها القدرة.

والصواب أن دلالة كلمة يد تدل على القوة الممتدة التي تطول الشيء، والسيطرة والإمكانيات والأدوات، ويكون ذلك في الإنسان، ومن مثله متحققاً في جارحة لامتلاكه لها، بينما الله ليس كمثله شيء، فنثبت المفهوم الحقيقي لدلالة كلمة اليد فقط دون تخيل لجارحة؛ لأنها أداة المخلوق، انظر قوله تعالى:

- ﴿ إَلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة : 732].
- ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرَى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان :84].
- ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص :57].
- ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات74].

والنص القرءاني استخدم التمثيل والتشبيه، نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ

التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ [الجمعة : 5] ، ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف : 176] ، ﴿ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف :179] وهذه الكاف معروفة بأنها كاف التشبيه، ولا تفيد التطابق بين الاثنين بخلاف ما لو أزلناها وقلنا: زيد حمار أو كلب، فهذا يدل على أن زيداً نفسه حمار، والواقع خلاف ذلك، فزيد ليس حماراً، ما يعني أن هذه المقولة باطلة من حيث الواقع، ولا يصح استخدامها، لذا؛ لم يأت هذا الاستخدام في التنزيل الحكيم قط، وإنما أتى أسلوب التشبيه المحدد بصفة ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾، ولو انتفى التحديد لانتفى التشبيه لاحتماله أكثر من صورة، فهل هو كالحمار بصبره أو ببلادته؟ فأسلوب التشبيه المحدد هو للصفات وليس للذوات، وبالتالي هو مفهوم حقيقي وليس مجازاً، ولا يصح الإتيان بغير خطاب التنزيل الحكيم شاهداً أو برهاناً، لأن كلام الناس كائناً مَنْ كانوا لا يخلو من العجمة في خطابهم لزوماً.

4 - ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل : 112]

قالوا: هذه استعارة؛ لأنَّ حقيقة الذوق إنَّما تكون في المطاعم والمشارب لا في الملابس.

ج- أولاً: ما هو البرهان على أن حقيقة كلمة (ذوق) متعلقة بالطعام والشراب؟ طبعاً لا يوجد برهان.

ثانياً: ما هو البرهان على أن حقيقة كلمة (لباس) هي الثياب؟ طبعاً لا يوجد برهان.

ثالثاً: لماذا لا يكون عكس كلامهم هو الحقيقة بمعنى استخدام كلمة(ذوق) على الطعام أو الشراب هو المجاز وشاع ذلك فيما بعد، وتقلصت الحقيقة؟ وجوابهم هو هكذا: وصلنا سماعياً.

رابعاً: ما البرهان على أن القرءان استخدم الكلمات حسب استخدامهم لها، أو بما تعارفوا عليه وشاع بينهم؟ وجوابهم هو: إن النص القرءاني نزل بزمن معين وبلغتهم، ويستدلون

بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم : 4] ، وبالتالي ينبغي التقيد بفهم السلف لضبط معاني الكلمات والآيات.

الملاحظ من أجوبتهم أن الموضوع كله هكذا سمعنا، وهكذا تعارفنا عليه، وهكذا ورثنا عن آبائنا.... ، إذاً؛ الموضوع ليس علماً ولا دراسة ولا برهاناً، إنه اتِّباعٌ للآباء والأكثرية وتقادم الزمن!

أما قولهم الرابع فقد أخطؤوا فيه خطأً فادحاً باستشهادهم بالنص في غير محله، فالنص يتكلم عن لسان حامل الرسالة الذي هو من البشر وواحد من قومه، فمن الحكمة أن يكون يتكلم باللِّسان ذاته حتى يفهموا عليه ويوضح لهم المطلوب منهم بلسانهم. وهذا لا علاقة له بلسان النص القرءاني وكيف نزل، ونجد جواب ذلك في قوله تعالى:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 195].

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف : 12].

لسان الرسول (حامل الرسالة): بلسان قومه عربي، ولكنه غير مبين.

لسان النص القرءاني: بلسان عربي مبين.

والسؤال: هل يمكن أن يكون المقصد واحد؟ والجواب: لا يمكن أبداً، لأنه لو حصل ذلك لصار لسان النبي (بمعنى النظام اللِّساني) هو النظام القرءاني ذاته، وصار كلام النبي له صفة نظام القرءان ذاته، أي: صار قرءاناً، وبما أن لسان النبي هو لسان قومه، فهذا يعني أن لسان قومه أيضاً صار اللِّسان القرءاني وهو مثل كلامهم تماماً! وإن حصل ذلك انتفى عن النص القرءاني صفة الحق والصدق والعلمية، وصار نصاً تاريخياً ينبغي فهمه حسب المستوى المعرفي والعلمي واللِّساني للمجتمع الذي نزل عليه. ولم يعد يعني المجتمعات اللاحقة بشيء لانتهاء فاعليته وصلاحيته مع انتهاء المجتمع الأول.

وبناء على خطئهم القاتل هذا، قيَّدوا النص القرءاني بقواعد الشعر الجاهلي من ترادف ومجاز وغير ذلك، واتَّبعهم فيما بعد أهل النحو، بل وصل بهم الجهل إلى أن جعلوا النص القرءاني استثناءً وشاذاً عن الأسلوب العربي في المسائل التي خالفت بها قواعدهم الاعتباطية، وصَيَّروا النص القرءاني أدنى من لغتهم ونصبوا أنفسهم حكماً عليه، ونفوا عنه أن يكون مصدراً أو مرجعاً للِّسان العربي، بل للغة التي هي من اللغو!

وعود على بدء؛ على ماذا تدل كلمة (ذوق) في اللِّسان العربي؟

ذ: صوت يدل على حركة دفع ملتصقة.

و: صوت يدل على حركة ضم ممتد مكانياً.

ق: صوت يدل على حركة توقف أو قطع شديد.

وباجتماع الأصوات الثلاثة بهذا الترتيب نصل إلى المفهوم الحقيقي لكلمة (ذوق) وهو دفع ملتصق منضم مكانياً بامتداد منته بتوقف أو قطع شديد. ولتقريب المفهوم نقول: كلمة (ذوق) تدل على اختبار أو تناول جزء من الشيء والإحساس به، والتوقف بعد ذلك عن تناوله. سواء أكان مادياً أم معنوياً. والاستخدام لهذه الكلمة محكوم بمفهومها أينما أتت في الجملة أو اختلف السياق، ومعنى المتكلم منها حينما يسقطها على واقع أو حدث، نلاحظ المفهوم الحقيقي للكلمة لسانياً ظاهر ويحكم الدلالة. انظر قوله تعالى. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران : 106].

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران : 181] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة : 95]. ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان : 56].

كل معاني كلمة الذوق في النصوص السابقة لا علاقة لها بالتذوق اللِّساني من الطعومات وهي تذوق حقيقي سواء بالجسم أم بالنفس.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً﴾ [النبأ : 24] ، وفي هذا النص أتت كلمة الذوق للبرد، وهو شعور في الجلد على مستوى واحد مع التذوق اللِّساني، وكلاهما تناول جزئي لاختبار الشيء والتوقف بعد ذلك، ونفي الذوق عنهم هو نفي الحصول عليه كلياً من باب أولى.

وكلمة لباس أصلها لبس:

ل: صوت يدل على حركة لازمة متثاقلة.

ب: صوت يدل على حركة تجمُّع مستقر.

س: صوت يدل على حركة حرة غير مقيدة.

ومفهوم كلمة (لبس) بهذا الترتيب الصوتي هو حركة لازمة ثقيلة متجمِّعة باستقرار منتهية بحركة حرة. ولتقريب المفهوم الحقيقي لكلمة(لبس) نقول: هو فعل يلزم الشيء بثقل ويتجمع عليه منته بحركة حرة. والاستخدام لهذه الكلمة محكوم بمفهومها أينما أتت في الجملة أو اختلف السياق، ومعنى المتكلم منها حينما يسقطها على واقع أو حدث، نلاحظ المفهوم الحقيقي للكلمة لسانياً ظاهر ويحكم الدلالة.

انظر قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة : 187] ، ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف : 26].

﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل : 112].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج : 23].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ [الفرقان : 47].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ [النبأ : 10].

العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة علاقة لباس لبعضهما، بمعنى العلاقة الملتزمة المتجمِّعة باستقرار الشعور بينهما المتوجة بالحرية في الحركة لكليهما.

فالليل لباس، واللباس من حرير، ولباس الجوع والخوف... إلخ.

أرأيت كيف يأتي مفهوم الكلمة حقيقة ويحكم صور استخدامها أينما أتت.

لننظر النص المعني بالدراسة ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل : 112].

مجتمع كفر بأنعم الله فعاقبه الله بمعاناة مؤقتة للاختبار لحالة التزام الجوع والخوف في المجتمع، وتمكُّن هذه الحالة باستقرارٍ، وتحركها في المجتمع بشكل حر متزايد ومتنامٍ جزاء كفرهم.

5 - ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير : 18].

كلمة تنفس أصلها نَفَس التي تدل على حركة مستورة انفتحت بحرية، ولها صور كثيرة في الواقع مثل النفس الذي يخرج من الكائنات الحية مثلاً، نلاحظ عملية ستر الهواء في دخوله وفتحه للرئتين وحركته الحرة فيهما، ومن ثم خروجه من الستر إلى الخارج بحرية، فهو نفس أثناء دخوله ونفس أثناء خروجه.

وكذلك الصبح وهو بداية إضاءة النهار بشكل واضح، انظر لمجيء الضوء من حالة الستر وانفتاحه وتحركه بحرية ليملأ الجو، فالعملية الفيزيائية واحدة، وهي التي نقول عنها مفهوم الكلمة اللِّساني الثابت، أما صور ظهور هذه العملية في الواقع فمتعددة، حسب مقصد المتكلم والحدث الذي يعنيه بكلامه.

الإنسان يتنفس، والصبح يتنفس.

6 - ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾ [نوح : 7].

الذي يحدد المعني بالكلام دائماً هو محل الخطاب، وينبغي الانتباه على عدم وجود كلمة (يدخلون أصابعهم) في النص، والذي أتى هو كلمة(جعلوا) والفرق كبير بين دلالة الكلمتين، والخطاب يصف حالة جماعية، لذا؛ أتت كلمة (جعلوا أصابعهم).

والإنسان يجعل أصبعه في أذنه حقيقة، والذي يحدد حجم أو طول الإصبع الذي يجعل في الأذن هو واقع فتحة الأذن وليس الفاعل، وفتحات الأذن تختلف سعتها عند معظم الناس، وبالتالي يختلف حجم الإصبع الذي يجعل في الأذن باختلاف حجم فتحة الأذن، والأصبع تكمن وظيفته في نهايته الحرة المتحركة، وبالتالي جعل الأصبع في الأذن حقيقة وليس مجازاً.

7- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة : 213].

البشرى من كلمة بشر التي تدل على جمع مستقر منتشر مكرر. وسُمِّي الكائن الحيُّ من بني آدم بالبشر؛ لأنه جمع مستقر على خلقه منتشر في الأرض مكرر وجوده تكاثراً.

وسُمِّي سطح جلد الإنسان بالبَشرة؛ لأنه جمع مستقر منتشر مكرر، ومن ذلك أتت كلمة المباشرة بمعنى التقاء البشرة بالبشرة، ونقول: بشَره (دون تشديد الشِّين) بمعنى القيام بنشر الجمع المستقر بتكرار وهي عملية معروفة مثل بشر الصابون أو الجبن إلى قطع ناعمة.

ونقول: بشَّره(بتشديد الشِّين) بمعنى القيام بإخباره شخصياً بخبر يتعلق به بشكل مكرر، وليس مجرد الإعلام بأي خبر.

والبشرى من هذا الوجه عامة يمكن أن تتعلَّق بالخير، مثل قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة : 21].

ويمكن أن تتعلَّق بالشر، مثل قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [النساء : 138].

وبالتالي لا يوجد مجاز في تعلُّق البشرى بالشر؛ لأن البشرى مفهوم عام تتعلَّق بالخير والشر على وجه الحقيقة.

8- ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء : 24] .

جنح: الجيم والنون والحاء أصل يدل على جهد أو قوة مستورة مؤرجحة بشدة.

وظهر معناها الثقافي في ميل الشيء بقوة إلى جهة مستورة بشكل مؤرجح غير مستقر، ومنه قولنا: جنحت السفينة إلى الشاطئ، إذا خرجت عن مسارها النظامي أو مكانها بقوة أدت بها إلى التأرجح وفقدان توازنها، ونقول للإنسان الذي يمارس عملاً غير سوي ولا صواب: إنه جَنح عن الحق، ومنه الجُنحة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : 158] ، بمعنى لا حرج عليه، ولا يحسب ذلك ميلاً عن الحق أو الصواب.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : 38] ، وسُمِّي عضو الطيران المتحرك للطيور جناحاً؛ لتحقق القوة والجهد به، الذي ينستر إلى أسفل ضماً إلى جسم الطائر، ويعود إلى وضعه السابق مؤرجحاً بشدة.

إذاً؛ كلمة جَناح لا علاقة لها بالريش أو بغيره، وهي غير اليد ضرورة بدليل ذكر الكلمتين في نص واحد، قال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ

سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ [طه : 22] ، بمعنى لصق اليد بالجنب بقوة بعظام الصدر.

وقال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: 32].

اسلك يدك في جيبك بمعنى أدخلها إلى آخر نقطة ممكنة في فتحة ثيابك، فتخرج بيضاء مُشعَّة للناظرين من غير مرض أو عيب، وبعد ذلك اضمم جناحك إليك وهو الجزء الأعلى من اليد الذي يُسمَّى العضد ولصقه بعظام الصدر الجانبية، وذلك لإرجاع اليد البيضاء إلى طبيعتها، وهذه الآية والتي قبلها – تحوُّل العصا إلى ثعبان– برهانان لك لإثبات نبوتك وصدقك لفرعون.

ونأتي الآن إلى النص المعني بالدراسة ونفي المجاز عنه، وهو: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء:24].

مفهوم كلمة (جناح) حسب مفهوم جذرها (جنح) هو اسم لقوة الإنسان وشدته المستورة المؤرجة بشدة، يطلب الله من الأبناء أن يخفضوا هذه القوة والشدة، ويستروها أمام والديهم، ويُظهروا لهم الذل الذي يعني: توجيه القوة والدفع ملتصقاً بثقل في خدمة الوالدين من الرحمة واللين والعناية.

فأين المجاز في كلمة الجناح؟ إنه أتى من حصر مفهوم كلمة (جناح) أنها اسم لعضو الطيران الذي يكسوه الريش وهو معنى هزلي مضحك سطحي لا قيمة علمية له البتة.

فالأصل في مفهوم الكلمة هو المفهوم اللِّساني الذي يأتي من الجذر، وبعد ذلك ملاحظة اختلاف المعنى محكوماً بالمفهوم اللِّساني من خلال السياق وإسقاطه على محل الخطاب.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر :1] .

كلمة (أولي أجنحة مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...) تدل على تعدد امتلاك القوى المحركة

للملائكة، وذلك مثل تعدد المحركات للطائرة، ولا علاقة للجناح الريشي بذلك قط، فهو معنى سطحي وخيال طفولي.

9 - ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: 29].

البكاء من بكى، وهي تدل على جمع حركة باستقرار تظهر بضغط خفيف بشكل إثارة وامتداد زمانية ومكانية.

وعندما لاحظ العرب هذا الانفعال في الحركات سواء المادية أو المعنوية في الإنسان قالوا: بكى بالألف المقصورة تعني نزول الدموع، من باب تسمية الشيء بمآله الغالب عليه، ويقصدون بقولهم السابق حالة الانفعال النفسية بسبب الألم أو الحزن التي تدفع الجسم للانفعال معه فينزل الدموع، وليس كل حالة نزول الدمع يسمَّى بكاء، فيمكن أن تنزل الدموع من حالة انفعال الضحك الشديد، فهذا لا يسمَّى بكاء.

ولا يشترط للبكاء أن تنزل الدموع، لأن الأصل في مفهوم البكاء هو الحالة الانفعالية في داخل الشيء وتأثره التي يعقبها ظهور التأثر بحركة أو فعل كالصوت أو نزول دموع أو كلاهما، وعندما يضاف البكاء للإنسان يكون التأثر ناتج عن شعور واعي، أما عندما يضاف لغير الإنسان فلا يوجد شعور، وإنما يوجد حالة انفعال فقط.

وعند دراسة الخطاب القرءاني لا بُدَّ من استحضار أن كلام الله حق، وهو صادق فيما يقول سواء تعلَّق الخطاب بخبر موضوعي أو قصة تاريخية، ويصوغ الكلام بإحكام دون عبث ولا حشو، وهذا يقتضي من الباحث في القرءان أن يتقيَّد بذلك أثناء دراسته ولا ينفي عن الخطاب القرءاني أيَّ صفة مما سبق، ويجتنب الفهم السطحي أو الشائع بين الناس لمعنى كلمة لكثرة الاستخدام لها على وجه واحد من الوجوه اللِّسانية، فهذا الاستخدام الشائع لا يقيد الخطاب القرءاني ولا يحكمه ولا ينفي صواب الأوجه الأخرى اللِّسانية لمعنى الكلمة، وتظهر الأوجه الأخرى من خلال السياق وتعلق الخطاب بمحله من الواقع.

لنقرأ كيف أتت كلمة البكاء في القرءان:

- ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ﴾ [يوسف:16]، نلاحظ من خلال الحدث التمثيلي

أن إخوة النبي يوسف تظاهروا بالبكاء، سواء نزلت الدموع منهم أو لم تنزل وذلك تعبيراً عن حزنهم لفقد أخيهم يوسف.

- ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم:60]، أتت كلمة البكاء مقابل الضحك، وتعني: حالة التأثر والانفعال والاهتمام بالحدث.

- ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾[مريم: 58]، بمعنى: سارعوا للخضوع لمضمون الآيات أمراً أو نهياً أو علماً وتعظيماً أو اكتشافاً ودراسة وتفاعلوا بذلك وتأثروا بحياتهم وسلوكهم.

ونأت الآن لدراسة النص المعني حسب قواعد الخطاب القرءاني:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان:29].

بداية؛ الكلام حق وصدق ولا يوجد عبث ولا حشو وهو محكم الصياغة، وهذا يقتضي نفي الترادف والمجاز والاعتباط عن الخطاب القرءاني.

السماء والأرض لا شعور لديهما، وهذا ينفي عنهما حالة التأثر الانفعالي الواعي، ويثبت لهما حالة الانفعال والتأثر السنني، يعني: لا يوجد حالة إظهار الحزن ونزول الدموع المعنى المرتبط بالإنسان والشائع في الاستخدام، ولا يصح القول: إن ذلك كلام مجازي، لأن ذلك ينفي عن الخطاب القرءاني صفة الحق والصدق في خبره وموضوعه، ما يؤكد أن المعنى لبكاء السماء والأرض هو حقيقة وصدق بصورة أخرى غير صورة بكاء الإنسان لاختلاف الماهية بينهما. كلمة السماء في القرءان تطلق على المجال والبُعد أو الشيء الممتد فوقك، وأتت في القرءان بعدَّة صور منها السحاب والغيوم المحملة بالماء.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: 10].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان:48].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر:22].

معروف في الواقع أن الماء ينزل من السحاب والغيوم، وهذا يدل على أن السحاب هو سماء لنا كونه بُعداً ممتداً فوقنا، وبكاء السماء يعني بكاء السحاب، ويكون ذلك البكاء من خلال انفعال السحاب سننياً وتأثره بذلك، فينتج عن ذلك الضغط نزول الماء، فهي حالة بكاء حقيقية لسانياً وواقعياً.

أما بكاء الأرض فنلاحظه بالنص هذا:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:39].

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:5].

عندما ينزل الماء على الأرض تهتز وتتأثر وتنفعل فتنبت الزرع، وهذه العملية الإحيائية للأرض هي حالة بكاء لها حقيقةً لساناً وواقعاً.

ويصير معنى النص: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان:29]، نفي نزول الماء عليهم، وطبيعي أن تنتفي حياة التربة وينتفي نبات الزرع، وذلك عقوبة لهم.

التشبيه في القرءان حقيقة وليس مجازاً

يظن بعض المتعلِّمين أن التشبيه هو من المجاز، والصواب ليس كذلك، فالمجاز هو تجاوز الحقيقة إلى معنى يقصده المتكلم خلاف المعنى اللِّساني الذي يدل عليه مبنى الكلام، قد يكون كذباً أو خطأً أو مبالغة، نحو قولهم: زيد حمار، ويقصدون أنه بليد أو غبي أو بطيء الفهم، مع العلم أن كلمة حمار لسانياً لا تعني تلك المعاني التي قصدها المتكلم، ويقولون: هذا من البلاغة وجمال الأسلوب، وهو مجاز في التعبير يعتمد على فهم المتلقي للخطاب.

وذهبوا يطبقون ذلك على الخطاب القرءاني، وفاتهم أن الخطاب القرءاني هو خطاب يقوم على الحق والصدق، ولا يستخدم الكذب والخطأ والمبالغة في خبره، أو في صياغة أحكامه، هل يمكن أن يأتي نص لساني متعلق بحكم شرعي بصيغة مجازية، ويترك فهمه للمتلقي، ولكل فهمه حسب مستواه العلمي والإدراكي، وكيف يتم حساب الناس؟

هل يمكن أن يأتي خبر متعلق بالله وأسمائه الحسنى وأفعاله بصيغة لسانية مجازية، ويترك فهمها ودراستها للناس؟

هل يمكن أن يأتي خبر متعلق بالكون وحركته وقوانينه بصيغة لسانية مجازية؟

هل يمكن أن يأتي خبر متعلق بالقصص التاريخي بصيغة لسانية مجازية؟

هل يمكن أن يعبث الله مع الناس أو يمزح معهم أو يتكلم بشكل مبالغ فيه متجاوزاً الحقيقة، أو خلاف الحقيقة أو الخبر كله لا علاقة له بالواقع ؟

هل يمكن صياغة العلوم التطبيقية والنظرية مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء بصياغة لسانية مجازية؟

أسلوب المجاز عبث ولهو وقصور في الخطاب، وهو خاص بحديث الناس فيما بينهم، القرءان منزه عنه تماماً، ومن يقول بوجود المجاز في القرءان يقع في هدم الخطاب القرءاني من حيث لا يشعر، وينفي صفة العلمية والحق والصدق عنه.

الخطاب القرءاني هو خطاب متعلق بالكون وما فيه، ويدرس حسب سنن الكون كآفاق وأنفس، فهل رأيتم في الكون شيئاً مجازياً حتى ينعكس على القرءان ويظهر في أسلوبه؟

انظروا لدقة استخدام التشبيه في القرءان، ولا تنسوا أن المتكلم عليم حكيم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[الجمعة:5].

لاحظوا وجود المشبه، وأداة التشبيه حرف الكاف، والمشبه به، وتحديد الصفة محل التشبيه، هذه أربع عناصر للتشبيه ما ينبغي أن ينتفي منها أي عنصر، ويكون الخبر والصياغة حق وصدق، وليس عبثاً ولا هزلاً، ولا خلاف الحقيقة، ولا مبالغة.

لنفترض الاحتمالات التي يضعها أهل المجاز، ويدعون أنها بلاغة مجازية مع افتراضنا أنهم عقلاء وعلماء وحكماء وصادقين فيما يقولون.

1. حذف أداة التشبيه حيث تصير الجملة (مثل الحمار يحمل أسفاراً) نلاحظ أن الذين حملوا التوراة ليسوا مثل الحمار في الشكل، ولم يضعوا التوراة على ظهورهم، وهذا يعني أن الجملة خلاف الحقيقة والواقع.

2. حذف كلمة المثل من الجملة وتعديل صياغتها لتناسب الحذف (الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا هُمْ حَمِيرٌ)، وهذه الصياغة كذب في الواقع وخلاف الحقيقة، لأن التوراة لم يحملها الحمير، وإنما حملها بنو إسرائيل.

3. حذف الصفة المشبه بها والاكتفاء بكلمة(كمثل الحمار)، نلاحظ أن الجملة قاصرة ولم يتم المعنى عند السامع، ولم يعلم ما هي الصفة المشبه بها بالحمار؛ لأن الكائن له نوعان من الصفات إيجابية ومدح مثل الصبر والتحمل، وسلبية للذم مثل الغباء والبلادة، فهم كمثل الحمار بأي صفة مدح أو ذم؟

4. نلاحظ أن صياغة القرءان للتشبيه بعناصرها الأربعة دقيقة ومحكمة مطابقة للواقع وتوصل المعنى من خلال المبنى وإسقاط المعنى على محل الخطاب دون أيِّ تدخل من المتلقي للخطاب، بخلاف أسلوب الناس المجازي، فلا تعرف ما يقصدون إلا من خلال التواضع والاصطلاح فيما بينهم؛ لأن مبنى كلامهم لا يدل على الحقيقة، ومن لا يعرف اصطلاحهم لا يفهم الخطاب، بينما خطاب الله ليس اصطلاحياً ولا عبثاً، وهو قابل للفهم والدراسة من قبل الناس جميعاً.

اقرؤوا أيضاً الخطاب القرءاني هذا لتأكيد الفكرة وتوضيحها:

- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:176].

لاحظوا وجود عناصر التشبيه الأربعة:

1. المشبه: الإنسان الذي يخلد إلى الأرض ويتبع هواه.
2. أداة التشبيه(كمثل).
3. المشبه به: الكلب.
4. الصفة المشبه بها: إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث.

- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف:179].

عناصر التشبيه الأربعة:

1. الجن والإنس الذين لا يستخدمون قلوبهم وأعينهم وآذانهم رغم وجودها.
2. أداة التشبيه حرف الكاف (كالأنعام).
3. المشبه به: الأنعام.

4. الصفة المشبه بها عدم الفقه والفهم.

أما الفرق بين وجود أداة التشبيه الكاف متصلة مع كلمة المثل(كمثل) وانفرادها دون كلمة المثل فهو:

وجود الكاف متصلة مع كلمة المثل (كمثل) يؤدي إلى أن المشبه يشترك مع المشبه به بشكل جزئي مذكور في سياق الكلام، نحو (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً) يوجد بينهما مثلية في شيء معين.

أما انفراد أداة التشبيه (الكاف) دون كلمة المثل، نحو ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:179].

نلاحظ استغراق التشبيه في المشبه به بشكل كبير، بل تجاوزوهم ضلالاً.

ومع ذلك يقول أهل اللغة والاعتباط: **التشبيه البليغ وصوره:**

هو ما حذفت منه أداة التشبيه والوجه معاً، وهو أعلى المراتب بلاغة.

لنطبق ذلك على النص القرءاني ونحذف العنصرين لنحصل على تشبيه بلاغي، كما زعموا: هذا نص التشبيه القرءاني المتدني بالتشبيه عن النوع الأعلى المزعوم عند أهل اللغة والاعتباط:

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)

بعد حذف أداة التشبيه الكاف، والوجه المشبه به (يحمل أسفاراً) يصير(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا مثل الْحِمَارِ)!

هل دلالة النصين واحدة يعبِّران عن الحقيقة ؟

هل نص أهل الاعتباط فعلاً أرقى وأعلى بلاغة من صيغة التشبيه القرءانية؟

الفرق بين الخطاب الإلهي والخطاب الإنساني

يأخذ الخطاب صفة المتكلم، فيوجد خطاب عالم، ويوجد خطاب إنسان عادي، ويوجد خطاب طفل، والجميع يستخدم الأصوات اللِّسانية ذاتها(الأبجدية)، ويركب منها كلمات ومن الكلمات يركب جمل، ومع ذلك نجد تفاوتاً كبيراً جداً في مستوى الصياغة اللِّسانية بينهم، ويرجع ذلك لتفاوت علمهم وتفكيرهم ورؤيتهم، وهذا التفاوت يقتضي اختلافاً في التعامل مع خطاباتهم ودراستها، فلا يصح دراسة نص صدر من طفل ونعطيه أبعاداً عميقة من المعاني والدلالات تفوق عقل الطفل وعلمه.

وهذا يعني أننا نتعامل مع خطابات الناس على المعنى والمقصد، وليس على المبنى والصياغة لقصورها ضرورة، ونتعامل أيضاً مع الخطاب وَفْقَ مستوى المتكلم العلمي حتى نستطيع أن نوسع الفهم والدراسة ونأخذ النص بجدية ودقة، ومع ذلك يبقى النص قاصراً للزوم صفة القصور والعجز والمحدودية للمتكلم في علمه وتعبيره لا يستطيع أن يصيب الحقيقة كاملة أو يعبِّر عنها بإحاطة زمكانية مستمرة.

أما الخطاب الإلهي الثابت قطعاً كمصدرية لله، فيختلف التعامل معه لاختلاف صفات المتكلم من حيث العلم بكل شيء والقدرة على كل شيء، وهذا يقتضي استخدام الأصوات اللِّسانية ذاتها التي يستخدمها الإنسان، ويركِّب الكلمات منها ومن الكلمات يركِّب الجمل، ولكن بصفة علمية وإحكام حيث يحمل المبنى الصوتي المعنى المقصود من قبل المتكلم لا ينفك عنه، ناهيك عن تصوير المعنى للحدث كما هو في الواقع بشكل حق وصدق لا يوجد فيه مجاز ولا اعتباط ويخضع لنظام منطقي في دراسته، وهذا يقتضي أن نتعامل مع الخطاب الإلهي بداية من المبنى، وندخل منه إلى المعنى، وندرسه من خلال ربط الخطاب بمحله من الواقع، وكل مبنى مقصود بذاته، وإذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة للإحكام الذي

قام عليه النص، وإلا انتقض الخطاب الإلهي، وصار خطاباً عبثياً اعتباطياً مثل خطاب الناس لبعضهم.

ومن جراء اختلاف المستوى العلمي بين المتكلمين في الاستخدام للأصوات وتركيب الكلام في الجمل والتعبير عن المقصد ظهر اختلاف في قواعد دراسة الخطابين، الخطاب الإنساني والخطاب الإلهي.

- الخطاب الإنساني يقوم على مجموعة من القواعد:

1. التعامل مع المعنى والتساهل بالمبنى.
2. يقوم على إحلال أي كلمة بدل أي كلمة لقصور المتكلم عن استحضار الكلمة المناسبة للتعبير عن المعنى والمقصد بشكل محكم وعلمي، وهذا شائع باسم الترادف خطأً.
3. يقوم على المجاز، وهو استخدام كلمات تعبيرية اصطلاحية لتدل على أمور أخرى لا علاقة لها بالمعنى اللِّساني للكلمة، ولا تدل على المعني بالكلام، وهذا يعني اعتباط في الاستخدام واصطلاح خاص بالمتكلم والمتلقي ونفي صفة الحق والصدق عن الخطاب.

وهذه القواعد المتعلقة بالخطاب الإنساني لا يُستثنى منها أحدٌ ولا حتى النبيين!

- الخطاب الإلهي يقوم على مجموعة من القواعد:

1. إحكام المبنى؛ لأنه يحمل المعنى، ولذلك لا يوجد تساهل في المبنى أبداً وهو محفوظ من التحريف.
2. يقوم على قاعدة كونية علمية منطقية (**إذا اختلف المبنى اختلف المعنى**) وهذا يقتضي إحكام النص منطقياً ولسانياً وواقعياً، واشتهر ذلك بنفي الترادف في القرءان خطأً نتيجة الخطأ السابق في خطاب الناس.
3. يقوم على الحق والصدق في الخطاب، لا يوجد فيه كذب أو مبالغة أو عبث أو اعتباط في التعبير.

ولوجود الفرق بين قواعد الخطابين لا تصح مقولة: إن الخطاب الإلهي نزل بلغة الناس وينبغي أن نفهمه حسب قواعد خطاب الناس، فهذا عمل غوغائي، وخطأ فاحش يصيب الخطاب الإلهي مقتلاً ويجعله خطاباً اعتباطياً مجازياً قاصراً سطحياً، ويفتح باب الجهل والتصوُّر لكل مَنْ هبَّ ودبَّ أن يفهم حسب مزاجه، ويبدل الكلمات محل بعضها، كما أنه لا يصح دراسة خطاب الناس بقواعد الخطاب الإلهي، فلكل منهما قواعده في الدراسة.

وهذا يوصلنا إلى أن خطاب الناس الذين نزل عليهم القرءان، ومنهم النبي نفسه، هو لسان عربي كونهم يستخدمون الأصوات العربية ويخضعون نسبياً لقواعد منطقية تحكم خطابهم مثل نظام النحو، بينما الخطاب الإلهي نزل بلسان عربي مبين! خطاب علمي محكم منطقي كوني فلسفي، ولم ينزل بلسان القوم إلا من حيث استخدام الأصوات العربية، ولكنه استخدمها وَفْقَ مستوى المتكلم، فظهر الفرق بين الخطابين ضرورة.

فمن يصر على جعل لسان القوم حكماً ومعياراً لفهم الخطاب الإلهي ينقض الخطاب الإلهي من أصله، وينفي عنه الصلاحية والعلمية وصفة الحق والصدق ويجعله خطاباً مثل خطاب البشر من حيث النتيجة، ويصير مثله كمثل من يقول: إنه خطاب بشري ومن تأليف النبي محمد وَفْقَ مستواه المعرفي ويُدرس تاريخياً حسب المستوى السائد حينئذ، وهذا ذاتُ مفهوم السلفيين الذي يقول: (وجوب تقييد فهم الكتاب والسنة بفهم السلف) ويقصدون بالسلف مجتمع الصحابة فقط!!

فالأمر على درجة من الخطورة، وهو أمر دقيق ومحكم وينبغي فهمه.

كيف ندرس نصاً لسانياً

دراسة نص أو كلام جهة معينة يقتضي منا أن نتعامل أو نعرف العناصر التي شكلت النص؛ لأن معرفتها هي مفتاح دراسة النص، وتحديد المعنى للكلمات، وعند تحليل الحدث نصل إلى أنه يوجد أربع عناصر يجب على الباحث أن يعرفها وهي: المتكلم، الدال، المدلول عليه، المتلقي للخطاب.

المتكلم: هو الذي صدر منه النص بناء على مستواه العلمي وقدراته.

الدال: هو مبنى النص صوتياً الذي يحمل مقاصد المتكلم (النص اللِّساني).

المدلول عليه: هو محل تعلُّق النص الذي يدور عليه المعنى (الواقع).

المُخاطب: هو المتلقي للخطاب ويتفاعل معه، ويحاول أن يفهمه حسب قدراته الفهمية.

لذا؛ ينبغي على الدارس للنص أن يستحضر هذه العناصر الأربعة أثناء دراسة النص، ومعرفة مستوى علم المتكلم، ولمن يوجه خطابه وصفات خطابه، ومعرفة الدال ومعرفة المدلول عليه، ومعرفة مستوى المتلقي للخطاب وقدراته الفهمية.

فعندما يؤلف المتكلم نصاً يريد به خطاب طفل يختار مبنىً لسانياً وواقعاً محسوساً واضحاً يناسب قدرات فهم الطفل ليتفاعل معه، وعندما يؤلف المتكلم نصاً يخاطب به طلاب علم ذوي مستوى عالٍ يختار مبنىً لسانياً يتعلق بواقع علمي ليتفاعل الطلاب معه. فلذلك ينبغي العلم بمستوى المتكلم وصفات خطابه حتى نستخدمها في فهمه ودراسته من خلال تعلُّق خطابه بالمدلول عليه من الواقع الذي قصده المتكلم، لننظر مثلاً:

– المتكلم طفل: ضرب زيد عمراً على رأسه، وهذا يعني أن علمه محدود جداً ويميل للتجسيد والمحسوس دائماً ولا يجرد كلامه، والمدلول عليه (محل تعلُّق كلامه) هو رأس عمر، وهذا يعني أن دلالة كلمة (ضرب) أتت بمعنى مادي محسوس، وتدل على إيقاع شيء

على شيء يترك فيه أثراً، وهذا يعني هوى على رأس عمرٍو شيء مادي ترك فيه أثر الضرب، ودلالة الضرب المادي المحسوس الذي يستخدمه الطفل يكبر معه ويصاحبه ويستخدمه في حياته عندما يستخدم كلمة (ضرب) أو يسمعها؛ ما يجعل المعنى المادي المحسوس للكلام هو الأول والأصل في فهمه بداية، وعندما يكبر وتتراكم خبراته الفهمية يتوسع استخدام دلالة معنى الكلام فيضيفه للمعنى المادي ولا يلغيه، مثلاً - كلام إنسان كبير: ضرب زيد تجارة عمرٍو، فعلم المتكلم ومستواه أرقى من علم طفل ومستواه وبدأ يجرد كلامه قليلاً بما يناسب علمه وقدراته الفهمية، فاستخدم كلمة (ضرب) بدلالة معنوية وليست مادية محسوسة، وقصد أن زيداً قام بعمل معين أثَّر على تجارة عمرٍو فأصابها بالخسارة أو الكساد، والملاحظ أنه عندما علمنا أن المتكلم شخص كبير وليس طفلاً والمدلول عليه هو التجارة، وهذا الأمر وجَّه فهمنا من المعنى المادي المحسوس الطفولي إلى معنى أرقى ومجرد عن المادية.

تلاحظون أن مستوى معنى الكلام يرجع لمستوى علم المتكلم، فكلما ازداد علماً ارتفع مستوى خطابه ودلالته وابتعد عن السطحية والجمود والتجسيد، لذلك من الضروري جداً أن نعرف من المتكلم قبل دراسة النص حتى نعرف كيف نتعامل معه وبأي أدوات ندرسه، وكذلك ينبغي أن نعرف محل تعلُّق الخطاب من الواقع لنفهم دلالة الكلمة: هل هي معنى مادي أم معنى معنوي. وإن أردنا دراسة نص ولا نعرف مستوى المتكلم ينبغي أن ندرس الدال والمدلول عليه بوقت واحد من منظور زمن المتكلم (تاريخياً)، وإن لم نعرف تاريخ النص، تصير معرفة النص ظنية وتخضع لأفهام كثيرة جداً حسب طبيعة علم المتلقي، ولا يكون فهم أحدهم حجة على فهم آخر، خاصة إن كانت الأصوات اللِّسانية اعتباطية وتركيب المبنى اعتباطياً، ومع كل ذلك يبقى المدلول عليه (الواقع) هو الحكم حينئذ.

والذي يقول بالمجاز نلاحظ أنه اعتمد على طريقة تعامل الطفل مع الكلام بمعنى أنه مجرد أن يسمع أو يقرأ كلاماً معيناً يتصوَّر التجسيد له في الواقع بداية، فيضطر أن يهرب من هذه الحالة الطفولية ويرتقي بفهمه إلى معنى معنوي أو مناسب للواقع؛ لأن المعنى المادي المحسوس لم يقبله عقله والواقع، فقال: إن الكلام مجازي ويقصد به كذا وكذا، الذي يجعل دلالة الألفاظ على معانيها بالطبع لا بالوضع، يخرج عن طبيعة العقل سواء علم بذلك أو لم يعلمه.

خطأ لساني يقع فيه معظم الباحثين

عندما يتناول بعض الباحثين وبعض أصحاب المعاجم دراسة معنى كلمة لسانياً يظنون أن استخدام الكلمة على معنى معين أو ما يلازم الكلمة في الواقع من حصول لفعل معين نتيجة تطبيق الفعل المعني هو معنى الكلمة، ويقومون بتثبيته في الدراسة، ولتوضيح الفكرة نأت بمثل كلمة (ضرب).

لاحظ بعض الباحثين أن كلمة (ضرب) عندما تستخدم بسياق معين مثل: اضربوا الخمور على الآنية، يظهر فعل التغطية لزوماً كنتيجة لفعل الضرب، فقال: إن دلالة كلمة ضرب هي غطَّى، وهذا المعنى قطعاً خطأٌ، وليس المقصد من كلمة (اضربوا) هو غطُّوا، وإنما المقصد أحكموا غطاء الآنية بشكل قوي؛ لأن دلالة ضرب تعني إيقاع شيء على شيء يترك به أثراً، انظروا مثلاً قولنا: ضرب زيد عمراً على وجهه براحة كفه، فلا شك عندما وقع الضرب براحة الكف على الوجه نتج عنه تغطية جزء من الوجه الذي هو محل الضرب، فهل يصح القول: إن دلالة كلمة ضرب بالجملة هذه هي غطَّى زيد وجه عمرٍو؟

لذلك ينبغي الانتباه والتفريق بين دلالة الفعل لسانياً وبين ما يرافقه من ظهور أفعال لازمة نتيجة له، وليست هي المعنية بالأمر من المتكلم، ولكن هي تحصل لزوماً كنتيجة.

اقرؤوا:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ

يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 31].

كلمة (وليضربن بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) ليست هي أمر بالتغطية، وإنما أمر بإحكام الخُمر على الجيوب حتى لا يظهر ما بداخلها، وبمعنى آخر إغلاق فتحات الثياب التي يمكن أن يظهر منها ما نهى المشرع عن إبدائه سابقاً بجملة (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهذا إن كان للثياب جيوب، وأهم جيب للمرأة هو جيب صدرها، فلا علاقة لفعل (الضرب) بغطاء الرأس أو الشعر غير أن الرأس ليس جيباً، ولو كان قصد المشرع التغطية لأتى بكلمة الغطاء أو النهي عن إبداء الرأس أو الشعر ونفهم منه وجوب التغطية له.

مفهوم الكلمة ومعناها المادي والمعنوي

كلمة "ضرب" نموذجاً

الكلمة في اللِّسان العربي لها مفهوم علمي ثابت نتيجة ترتيب أصواتها لا يتغير، يحكم كل استخدام الكلمة ثقافة، ومعنى الكلمة هو ما يقصده المتكلم منها حين استخدامه لها وَفْقَ سياق معين، فيظهر المعنى المادي وهو تعلُّق المعنى بشيء حقيقي له وجود خارج الذهن أو ممكن وجوده، ويظهر المعنى المعنوي وهو تعلُّق المعنى بشيء غير مادي ولا وجود حقيقي له، وإنما هو شعور أو موقف نفسي أو سلوك.

إذاً؛ لدراسة الكلمة العربية ينبغي أولاً إرجاعها لجذرها الثلاثي أو الثنائي، وتحليل أصواتها المبنية منها وَفْقَ ترتيبها ذاته وتحديد مفهوم الكلمة علمياً، وبعد ذلك الانتباه إلى الكلمة محل الدراسة، هل أتت بصيغة الفعل الثلاثي أم صيغة الفعل الرباعي، ودراسة الكلمة بمحلها وَفْقَ سياقها دون عزلها وحدها مع إسقاط الكلام على محله من الواقع، فيتحدد معنا فوراً أن الكلمة أتت بمعنى مادي أو معنوي.

لننظر مثلاً كلمة ضرب.

ضرب:

ض: صوت يدل على حركة دفع شديدة جداً جداً.

ر: صوت يدل على حركة تكرار حصول الشيء.

ب: صوت يدل على حركة جمع مستقر.

اجتماع هذه الأصوات الثلاثة بهذا الترتيب يوصلنا إلى المفهوم العلمي لكلمة (ضرب)

وهو دفع شديد جداً مكرر منته بتجمُّع مستقر نهاية، وبعد تحديد المفهوم العلمي ننتقل إلى المستوى الثقافي الفكري الفلسفي للكلمة من خلال السبر والتقسيم لاستخدامها في القرءان والواقع المعيشي للناس مع استحضار المفهوم العلمي للكلمة، فنصل إلى المفهوم الثقافي لكلمة (ضرب)، لنرَ ذلك:

- ضرب الفلاح ساق الشجرة بفأسه، فعل ضرب ثلاثي متعدٍ إلى مفعول به يقع الفعل عليه، والسياق ومحل الكلام من الواقع يحددان أن فعل ضرب أتى بصورة المعنى المادي، وظهرت الحركة المندفعة بشدة وقوة وتكرار المنتهية بتجمُّع مستقر في ساق الشجرة.

- ضرب الله مثلاً للناس، فعل ضرب ثلاثي متعدٍ إلى مفعول به، والسياق ومحل الكلام يحددان أن فعل ضرب أتى بصورة المعنى المعنوي، وظهرت الحركة المندفعة بقوة وشدة من خلال عرض المثل للناس وجعلهم يفكرون فيه ويتأثرون بمفهومه، وما يدلُّ عليه، وهذا يجعلهم يكرِّرون التفكير فيه ليصلوا إلى معنى مجتمع مستقر في قلبهم.

فنلاحظ أن المفهوم الثقافي لفعل ضرب بصورتيه المادية والمعنوية ظهر معنا بصيغة: إيقاع شيء على شيء بقوة يترك فيه أثراً مجتمعاً مستقراً.

لننظر صيغة الفعل الرباعي كيف تأت.

أضرب: فعل رباعي مزيد وجذره هو الفعل الثلاثي (ضرب) وهذا يدل على أن مفهوم كلمة ضرب العلمي والثقافي يحكمان صيغة الفعل الرباعي، ولكن هل معنى الفعل الرباعي هو ذاته الفعل الثلاثي، والجواب هو القاعدة التي تقول: (**أي زيادة أو تغيير في المبنى هو زيادة وتغيير في المعنى**) والزيادة في فعل ضرب الرباعي هي صوت الألف في بدء الفعل، لنلاحظ ماذا فعلت هذه الألف في معنى فعل ضرب عندما دخلت عليه.

- أضرب العمال عن العمل احتجاجاً على طول ساعات العمل، نلاحظ أن فعل أضرب رباعي وأتى بصورة المعنى المعنوي كونه تعلق بموقف، ولم يتعلَّق بشيء مادي محسوس، والسياق ومحل الكلام من الواقع حدد أن فعل أضرب هو فعل لازم للفاعل

لم يتعدَّه للغير، وهو اتخاذ موقف شديد جداً مكرر مجتمع باستقرار في نفسه يمنعه من العمل، وهذا يدل على أن الألف التي دخلت على الفعل الثلاثي غيرت اتجاه الفعل من متعدٍ للغير، مثل ضرب إلى لازم للفاعل نفسه مثل أضرب، وهذا التغيير ليس شرطاً دائماً من التعدي إلى اللازم، بل يمكن العكس من اللازم إلى المتعدي، مثل نام زيد، فهذا فعل لازم، أنام زيد طفله، هذا فعل متعدٍ، ولاحظوا أن مفهوم فعل ضرب العلمي والثقافي حاضران، ويحكمان دلالة فعل أضرب.

نأت الآن لنص:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ [النساء:34].

فعل اضربوهن من فعل الأمر أضرب، والماضي له هو ضرب الثلاثي.

ينبغي الانتباه من هيمنة استخدام الفعل بمعنى شائع بين الناس يفرض ذاته بداية على ذهن الباحث فيضل ويتأثر به، فيقول: هو المعنى المراد من الكلام، بل ويتجرأ ويدعي أن المعنى واضح لا يحتاج لنقاش أبداً، ويظن أن صراخه وضجيجه واستعانته بعامة الناس، وما شاع فيهم هو برهان على فهمه السطحي، بل إن أحدهم يقول: لو سألت ابني الصغير لعرف أن معنى فعل ضرب هو المعنى المادي، وهذا يقع فيه معظم الباحثين، ويخرجون بأفهام عامية طفولية يعدونها دراسة للنص القرءاني.

فعل ضرب كما عرفناه ثقافياً هو إيقاع شيء على شيء بقوة وشدة يترك فيه أثراً.

هل أتى فعل ضرب للنساء في النص بمعنى مادي أم معنى معنوي؟

لننظر إلى سياق النص ومحل الكلام من الواقع، فنلاحظ أن النص يتعلق بعلاقة الرجل مع زوجته، ولا يتكلم عن حرب وقتال وضرب بين المقاتلين، وإنما يتكلم عن علاقة إنسانية مبنية على الحب والسكن والألفة والمودة، ويُراد لها الاستمرار.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم :21]، فهل مثل تلك العلاقة يكون فيها دلالة فعل ضرب بمعنى مادي مثل المعنى في الحرب والقتال؟ أم ضرب بمعنى معنوي مثل ضرب الأمثال؟

من الذي يحدد صورة فعل ضرب مادية أم معنوية؟

الذي يحدد صورة فعل ضرب هو السياق ومحل الكلام من الواقع، والمنظومة التي تحكم فهم المتلقي للخطاب.

هل واقع حياة الرجل وزوجته هي ساحة حرب وميدان معركة حتى يكون دلالة فعل ضرب بصورة مادية؟

هل طبيعة العلاقة بين الرجل وزوجته قائمة على الكراهية والبغضاء والعدوان حتى يكون فعل ضرب بمعنى مادي؟

هل الزوجة عند الزوج هي بمنزلة كائن بهيمي حتى يكون دلالة فعل ضرب بصورة مادية؟

هل الرجل وزوجته في حلبة ملاكمة حتى يكون دلالة فعل ضرب بصورة مادية؟

هل المقصد من الضرب هو قطع العلاقة وإنهاؤها حتى يكون بصورة مادية، أم المقصد هو الإصلاح والاستمرار؟

هل محل العلاقة والتخاطب والتفاهم بين الرجل وزوجته هو جسمها فقط حتى يكون معنى ضرب بصورة مادية؟

هذه الأمور كلها وغيرها هي قرائن تحدد أن المعنى لفعل ضرب في النص هو معنوي وليس معنى مادياً قط، وما ينبغي أن يكون كذلك.

والمعنى المعنوي لفعل ضرب بالنص هو توجيه كلام قاسٍ، وليس فاحشاً ولا شتماً إنما هو نصائح وتوعية ومعاتبة وتوبيخ ومرافقته بموقف شديد يمكن أن يتحول لإضراب في العلاقة مع المرأة يؤثر بنفسية المرأة وتفكيرها، ويجعلها تراجع موقفها وتعود لوعيها وزوجها وأسرتها وتدخل في العرف الأسري والاجتماعي.

استخدام القرءان لدلالة كلمة حسب عرف الناس أم وَفْقَ اللِّسان العربي

استخدام عامة الناس لمعنى كلمة على وجه معين كعرف لا ينفي عمومية دلالة الكلمة لسانياً، ونزل القرءان بلسان عربي مبين، وليس بما شاع بين الناس واصطلحوا عليه فيما بينهم. مثلاً اصطلح الناس فيما بينهم أن كلمة اللحم لا تُطلق إلا على الجزء الأحمر مثل العضلات من جسم الأنعام خلاف الدهن والشحم والجلد. لننظر ما هو مفهوم كلمة اللحم في اللِّسان العربي أولاً:

لحم: كلمة تدل على كل لزوم شيء بحركة مؤرجحة يتصل ببعضه بصورة تجمُّع متصل لا ينفك.

لحم: (مقاييس اللغة) اللام والحاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على تداخُلٍ، كاللَّحمِ الذي هو متداخِلٌ بعضُه في بعض. من ذلك اللَّحْم. وسمِّيت الحربُ مَلْحَمةً لمعنيين: أحدهما تَلاحُمُ الناس: تداخُلُهم بعضهم في بعض. والآخر أنَّ القتلى كاللَّحْمِ المُلْقَى.

ونستخدم ذلك في حياتنا المعشية فنقول: لحم خزان الماء أو الأنبوب، إذا أضفنا له قطعة أخرى وثبتناها عليه. ونطلق على المهني الذي يذبح الأنعام ويقسمها أجزاء (لحّام) وهو يتعامل مع مواد اللحم كلها وليس جزءاً منها.

إذاً؛ كلمة لحم في اللِّسان العربي ليست خاصة على الجزء الأحمر من جسم الأنعام، وإنما تطلق على كل ما يَلحم في بدن الأنعام وينمو حول العظم من شحم ودهن والمادة الحمراء، وغلب اسم اللحم على المادة الحمراء اصطلاحاً وعرفاً؛ لأنها هي محل طلب الناس وغذائهم فأخذت الاسم وحدها واستقل الدهن والشحم بأسمائها، ولكن بعموم اللِّسان كل هذه المواد هي لحم.

لننظر هل استخدم القرءان كلمة اللحم بما اصطلح عليه الناس أم وَفْقَ مفهوم الكلمة في اللِّسان العربي ؟ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة:21] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: 14]. ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون:14].

الملاحظ في القرءان أنه استخدم كلمة اللحم بدلالتها اللِّسانية، وليس الاصطلاحية العرفية بين الناس بمعنى أنه شمل كل ما يَلحم حول العظم باسم اللحم، وعندما يريد أن يحدد مادة معينة جزئية من اللحم عموماً يذكرها باسم خاص لها مثل الدهن أو الشحم ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام:146].

أما عند الإطلاق فيقصد بها كل المواد اللاحمة في الجسم. واقرؤوا الآن: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: 173]. فمن تعامل مع النص بالاصطلاح العرفي والشائع عدَّ أن دلالة كلمة اللحم هي المادة الحمراء فقط، وبالتالي لا مانع من أكل شحم الخنزير ودهنه وجلده، وأي شيء فيه سوى اللحم (المادة الحمراء) فهي المحرمة!. بينما الصواب هو أن القرءان استخدم كلمة اللحم بالمعنى اللِّساني وليس الاصطلاحي العرفي الشائع بين الناس، وبالتالي تحريم أكل لحم الخنزير يشمل تحريم كل مادة تلحم وتنمو حول العظم في جسم الخنزير، وهذا يعني أن الشحم والدهن والجلد، وأي شيء يلحم في جسم الخنزير محرم استخدامه في الغذاء الإنساني.

هذه قاعدة مهمة جداً للباحث في القرءان ينبغي أن يعلمها ويحذر من أن يقع في فخ الاصطلاح والعرف بين الناس أثناء دراسة القرءان.

قاعدة لسانية أصولية للتدبر

تطابق اللفظ الصوتي بين كلمتين مع الرسم لهما خطاً لا يعني الاتفاق بالمعنى؛ لأن الحكم هو لمفهوم الجذر لكل منهما، وهذا يحدده السياق ومحل تعلُّق الخطاب.

مثلاً كلمة أسرى:

أتت في نص ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، وجذر الكلمة حسب السياق وتعلق الخطاب الذي أتت به هو (سرى) من الإسراء.

وأتت في نص ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67]، وجذر الكلمة حسب السياق وتعلق الخطاب هو (أسر) وأتت كلمة(أسرى) جمع أسير.

ومثل آخر كلمة أهلك:

أتت في نص ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه :132]، وجذر كلمة أهلك في النص أهل من الأهل، وليس من هلك.

وأتت في نص ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى﴾ [النجم:50]، وجذر كلمة أهلك في النص هلك من الهلاك وليس من الأهل.

لذلك انتبهوا من الخطأ والضلال أن تقعوا فيه وتصدقوا كل ناعق ومدَّعي للعلم.

دلالة (إنْ) المخففة غير دلالة (إنْ) النافية

أداة (إنْ) المخففة هي من (إنَّ) وليس (إنْ) النافية، ويعرف الفرق بينهما من تعلُّق الخطاب بمحله والسياق والقرائن التي تناولت الموضوع، وليس من الصيغة اللِّسانية مجردة، وقياسها على نص آخر مطابق لها بالصيغة وإعطائه الحكم ذاته رغم اختلاف تعلُّقهما في الواقع ومحل الخطاب، فالفهم للخطاب هو الموجه والمعيار لتصنيف نوع الكلمات، ولذلك يقول أهل النحو: افهم، ثم صنف نوع الكلمات عربياً، وكلمة (من) في النصين:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ﴾ [آل عمران: 199].

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159] هي تبعيضية وليست بيانية.

واقرؤوا أيضاً: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء:115] لاحظوا كلمة (إن) وأتى وراءها حرف (إلا) وحرف (إنْ) للنفي وأداة (إلاّ) حسب القاعدة المعروفة تفيد الحصر؛ لأنها سُبقت بنفي، ولكن الواقع أن النبي ليس مهمته محصورة بالإنذار فقط، اقرؤوا: ﴿إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188].

وهذا يعني أنه من الخطأ تقييد أنفسنا بقواعد لغوية موضوعة من قبل البشر اصطلاحاً، والذي يحكم حركة النص ويوجه معناه هو السياق ومحل الخطاب في الواقع من خلال تشكيل مفهوم كلي عن الشيء المعني بالدراسة، ومن الخطأ جلب نص آخر مطابق بصيغته اللِّسانية وفهم أحدهما على ضوء الآخر بمعزل عن اختلاف الموضوع بينهما وعدم إرجاع كل واحد منهما إلى منظومته، فأداة(إنْ) في النص ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: 115]، ليست أداة نفي، وإنما هي (إنْ) المخففة عن (إنَّ) المشددة، وبالتالي أداة (إلاَّ) ليس للحصر،

وليس أداة استثناء لعدم وجود مستثنى منه.

إذاً؛ أداة (إلاَّ) في النص هي لتأكيد الفعل الذي يأتي بعدها، وبناء على هذا ينبغي أن نفرق في المفهوم بين صيغ النصوص المتطابقة بالصيغة، ولكن مختلفة بالموضوع، والذي يحكم دلالة النص ومفهومه ويوجهه ويحدد نوع أدواته هو محل الخطاب من الواقع.

لنقرأ لتثبيت الفكرة:

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144].
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الفرقان: 56].
- ﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾[الفرقان:20].

فحرف (ما) ليس نافياً ولا اسم موصول بمعنى الذي، وإنما هو حرف توكيد، وأداة (إلا) ليس استثناءً ولا حصراً، وإنما هي أيضاً توكيد.

وهكذا نفهم النص الآتي:

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159]، ينبغي فهمه على ضوء نصوص أخرى وتشكيل مفهوم كلي عن حياة ووفاة النبي عيسى[1]، وتعلق النص هذا بمن، هل هو بالنبي عيسى أم بالنبي محمد كون القرءان نزل عليه، وبناء عليه نحدد هل أداة (إلاّ) للحصر أم للتأكيد، و(إنْ) للنفي أم المخففة، و(منْ) بيانية أم تبعيضية، وهل ذلك الإيمان بعد رفع النبي عيسى، أم بعد نزوله المزعوم الذي لا ذكر له في القرءان أصلاً.

1 راجع كتابي أسطورة نزول المسيح أو شبيهه.

المشترك اللفظي وهم وليس حقيقة

هل يوجد – فعلاً – في اللِّسان العربي المبين القرءاني مايسمى المشترك اللفظي المعروف بلغة القوم الاعتباطية ؟

المشترك اللفظي عند من يقول به هو: كل كلمة لها عدة معانٍ حقيقية غير مجازية.

الصواب: ينبغي أن نفرق بين مفهوم الكلمة لسانياً والمعنى الذي يقصده المتكلم في استخدامه للكلمة وَفْقَ سياق معين، والقاعدة هي: **إذا اختلف المبنى اختلف المفهوم،** وطبيعي أن تختلف المعاني المتعددة المتعلقة بالمفهوم ومحكومة به. فظهور المعاني المتعددة للفظ واحد لا يعني الاشتراك اللفظي الذي يقول به بعض أهل اللغة، وإنما يعني تحقق المفهوم اللِّساني بهذه المعاني كلها بشكل من الأشكال سواء مادياً أم معنوياً. مثلاً كلمة ضرب مجردة لا معنى لها، وإنما لها مفهوم لساني لا يتعلق بشيء معين، وهي تدل على إيقاع شيء على شيء يترك فيه أثراً، فإن سأل أحدهم عن معنى كلمة ضرب، نقول له: ضعها في جملة ليظهر المعنى لها، وكل استخدام لها مختلف عما سبق يؤدي لاختلاف المعنى لها، ولكن كل المعاني لا تخرج عن المفهوم اللِّساني، وهذا لا يسمى الاشتراك اللفظي.

اقرؤوا ولاحظوا اختلاف المعنى سواء أكان مادياً أم معنوياً،، ومن سياق إلى آخر مع حكم المفهوم اللِّساني للمعاني كلها:

ضرب زيد عمراً بيده على رأسه.

ضرب الله مثلاً.

ضرب زيدٌ في موقفه مثلاً أعلى بالشجاعة.

مرونة اللِّسان العربي المبين وحيويته

نزل القرءان بالعربية ولا يصح إلا بها، أما الألسن الباقية فهي ألسن بدائية وصلت لمرحلة من التطور وتوقفت، وتموت ألسن وتحيا ألسن كالآرامية والعبرية والآشورية والكردية والأمازيغية والفارسية والصينية واليابانية والهندية والأوردو واليونانية واللاتينية وغيرها الكثير من الألسن الميتة والتي تحتضر..

أمثلة إعرابية تُعرِبُ عن عُروبة العربية التي صاغها الأستاذ صالح السامرائي مُبيناً فيها مرونة العربية أمام ألسن العالم الخرساء.

1. كيف أنتَ ومحمدٌ؟
2. كيف أنتَ ومحمداً ؟

أما الأولى فتعني: فكيف أنت وكيف محمد، والجواب أنا بخير ومُحمد بخير، أما الثانية فتعني كيف العلاقة بينكما.

1. كم رجلاً عندك قال الحق؟
2. كم رجلٍ عندك قال الحق؟
3. كم رجلٌ عندك قال الحق؟

أما الأولى فهي سؤال عن العدد والجواب خمسة أو سبعة أو ثمانية... إلخ.

أما الثانية فهي كم الخبرية وتُفيد التكثير [كم من قريةٍ أهلكناها] ؟

أما الثالثة فهي سؤال عن رجل واحد، وإنما كم مرة قال هذا الرجل الحق؟

1. لا يذهبْ محمودٌ.

2. لا يذهبُ محمودٌ.

أما الأولى فهي نهي أما الثانية فهي نفي.

أعطى محمدٌ خالداً كتاباً: [المُخاطب خالي الذهن لا يعلم شيئاً عن المسألة – إخبار أولي].

محمدٌ أعطى خالداً كتاباً: [المخاطب يعلم أن شخصاً ما أعطى خالداً الكتاب، لكن من هو ؟ فالجواب: هو مُحمدٌ].

خالداً أعطى محمدٌ كتاباً: [المخاطب يعلم أن محمداً أعطى كتاباً لشخص، لكن من هو ؟ فالجواب: هو خالد].

كتاباً أعطى محمدٌ خالدَ: [المخاطب يعلم أن محمداً أعطى خالداً شيئاً ما، لكن ما هو ؟ فالجواب يكون الكتاب].

كتاباً خالداً أعطى محمدٌ: [المخاطب يعلم أن محمداً أعطى شيئاً ما لشخص ما، لكن لا يعرف من أعطى وما هو هذا الشيء! والجواب: [خالداً وكتاباً].

كتاباً خالداً محمدٌ أعطى: أعطى خالداً كتاباً محمدُ، أعطى خالداً محمدٌ كتاباً، أعطى كتاباً محمدٌ خالداً، أعطى كتاباً خالداً محمدٌ، وتُقابلها في الإنكليزية [اللِّسان الأخرس] Mohammad gave Khalid a book وأي تغيير في هذه الجملة تموت الصياغة، والمعنى يفنى، فهل تستطيع في الإنكليزية أن تلعب بأمكنة المفردات ؟! مثل: Khalid gave Mohammad a book فهذا يعني: أن خالداً من أعطى محمداً الكتاب، أو gave Mohammad Khalid a book، وهذه في الإنكليزية خطأ قواعدياً أو A book Mohammad Khalid gave، وهذه أيضاً قواعدياً خطأ.

ومعنى خطأ في الإنكليزية لسان أخرس، كما قال عنها الأستاذ «فاضل صالح السامرائي»: (إن الألسن المُركبة [الأعجمية] مثل جهاز قديم أمام اللِّسان العربي الذي يُمثل جهازاً متطوراً جداً... فحين يكون في اللِّسان مرونة واسعة فهو حتماً لسان متطور، والمرونة هذه تكون للدقة في المعنى، ولا وجود لهذه المرونة في أي لسان في العالم).

وأفضل من استخدم هذه المرونة، وبشكل منطقي وعلمي، هو القرءان الكريم.

أسلوب الرمز في التنزيل الحكيم

إن التنزيل الحكيم متعلق بالكون والإنسان، فاستخدم ذات القوانين من حيث المنظومة العامة واحتوائها منظومات خاصة متعلقة بها، فكما أن الوجود الموضوعي حق، وليس وهماً، أتت صياغة التنزيل الحكيم حقاً وصدقاً، ولا يوجد فيه وهم أو مجاز أو تساهل، وكما أن الوجود الموضوعي مؤلف من عناصر لها وجود حقيقي ومختلفة عن بعضها في البنية والوظيفة، كذلك كان نص التنزيل مؤلفاً من عناصر صوتية لها مفهوم حقيقي متغايرة عن بعضها نتج عن تركيبها مع بعضها كلمات مختلفة، وكل كلمة تحمل هويتها بذاتها كبصمة الإنسان، ومن هذا الوجه ظهرت قاعدة تقول: **إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة،** وظهرت قاعدة: ثبات المفهوم والمبنى للكلمة وحركة المعاني والصور.

والتنزيل الحكيم كائن متعلق بالحركة والتطور والحياة والفكر، فهو كائن حيوي، وليس جامداً جمود نصوص البشر، وبالتالي لا يخضع في صياغته اللِّسانية لضوابط البشر، وإنما اتصف بصفة الوجود الموضوعي من حيث التوسع للمعاني وَفْقَ محور الثابت والمتغير، فكل أسلوب لساني أتى في نص التنزيل الحكيم هو صواب بذاته، سواء أكان استعماله غالباً أم نادراً في التنزيل، فهو الأصل والصواب الذي ينبغي أن تقاس عليه نصوص البشر، لا العكس.

والدارس لنصوص التنزيل يجد أن الاهتمام موجه للمخاطب وتفاعله مع الخطاب، وأثناء صياغة النص يتم تركيز المتكلم على محاور معينة فيقوم بتقديمها أو تأخيرها في الجملة على غيرها رغم عدم تغير وضع الجملة من حيث العناصر والنحو.

انظر مثلاً قوله تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: 18].

﴿ حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [الأنعام :61].

فكلمة الموت في النصين هي الفاعل نحوياً، ومع ذلك أتت بعد المفعول به، وذلك خلاف الأسلوب الشائع أو الغالب من حيث مجيء الفاعل بعد الفعل تماماً دون فاصل بينهما، وكلا الأسلوبين صواب، والذي يتحكم بالصياغة هو المتكلم، وماذا يريد توصيله للمخاطب، فيقدم الأهم ليلفت نظر المخاطب له. نحو قولنا: جاء زيد على الفرس. وقولنا: جاء على الفرس زيد. فكلا الجملتين من حيث النحو متماثلتان، والفاعل في الجملتين هو ذاته، والذي تغير هو مقصد المتكلم من حيث تركيزه في الجملة الأولى على زيد فقدَّمه في الخطاب، أما في الجملة الثانية، فالتركيز كان على الفرس، فقدَّمها في الخطاب على الفاعل.

انظر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:28]، تقدم لفظ الجلالة رغم أن الكلمة نحوياً مفعول به على الفاعل العلماء، وذلك لأنه هو محور الجملة، وهذا الأسلوب العلمي الرصين خاص بالتنزيل الحكيم؛ لأنه صدر من عالم حكيم، أما أسلوب الناس فيتصف بالقصور والتساهل في الخطاب، واستخدام الكلمات محل بعضها بعضاً، لذا؛ لا يصح التعامل مع ألفاظ الناس بشكل علمي ورصين، أو تُتَّخذ حجةً وبرهاناً على أسلوب ما، أو مفهوم كلمة، ومن باب أولى أن لا يُستنبط من كلامهم - شعراً أو نثراً أو حديثاً - قاعدة.

لذا؛ كان التعامل مع كلام الناس قائم على المقاصد لا على المباني، ولا نريد أن نقف على مصطلحات القوم من حيث صوابها أو لا، أو مناسبتها وعدم مناسبتها، المهم في الموضوع هو المقصد وهذا محل الدراسة، ولا مشاحة في الاصطلاح مع إمكانية تغييره بالاتفاق، أو بتحديده أثناء الكلام.

وأسلوب الرمز في التنزيل الحكيم هو استخدام على وجه الحقيقة لا المجاز، وهو أسلوب يعتمد على فهم المنظومة العامة وعلاقتها بالمنظومات التابعة لها.

فما هو الرمز؟

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾[آل عمران :41].

فالرمز هو أسلوب من أساليب الكلام بدليل الاستثناء في النص السابق(أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً) ويمكن أن يكون بالإشارة باليد أو إيماء بالرأس أو حركة في بعض الوجه، أو لفظ كلمة واحدة يفهم المتلقي لها جملة منها أو فكرة كاملة. فأسلوب الرمز أوسع من أسلوب الإشارة.

الرمز: هو استخدام شيء أو كلمة على وجه الحقيقة تدل بمنظومتها على مستلزماتها وما يتعلق بها. نحو كلمة الماء، فهي رمز للحياة. فإذا قلنا لأحدهم: إن في الكوكب الفلاني ماءً، يستحضر مباشرة في ذهنه إمكانية الحياة والعمران والزراعة... إلخ، رغم أن ذلك ليس من معاني كلمة الماء لسانياً، ومثل إذا قلنا كلمة نار، يستحضر السامع لها في ذهنه مستلزماتها من الحرارة والضوء، ومثل رؤية الطيور في سماء الصحراء رمز لوجود الواحة والماء.

وهكذا بقية الأشياء؛ لأنها لا توجد دون مستلزمات أو علاقات مع غيرها بشكل لازم. فمجرد ذكر شيء يستحضر الإنسان علاقاتها اللازمة مع الأشياء ويرجعها إلى منظومتها.

انظر مثلاً:

الشيطان رمز للشر، وفرعون رمز للطغيان الاجتماعي، وهامان رمز للاستعباد الديني أو الثقافي، وقارون رمز للاستعباد الاقتصادي، والجن رمز للقوى الخفية، والعفريت رمز للحنكة والخبرة، وإبليس رمز لنشر الفساد والانسلال، والخنزير رمز لخبث الشيء طعاماً أو طباعاً، والخمر رمز لكل ما يُغَيِّب الوعي والإدراك، والقرد رمز للتقليد والدناءة... إلخ.

والفرق بين الرمز والمجاز كبير، فأسلوب الرمز يقوم على الحقيقة في الخطاب القرءاني، وعلى التواضع والاصطلاح في خطاب الناس على الغالب، أما المجاز في أصله يقوم على خلاف الحقيقة، لذا؛ لا يوجد في النص القرءاني مجاز؛ لأن النص القرءاني يقوم على الحق والصدق، بينما هو ضروري في خطاب الناس، خاصة في الشعر.

وأكثر ما يكون وضوحاً هذا الأسلوب الرمزي هو في الرؤى التي يراها الإنسان في منامه، لننظر رؤيا الملك في عصر النبي يوسف عليه السلام، وكيف أوَّلها له. ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:43].

وينبغي الانتباه لمكانة الإنسان ووضعه الاجتماعي والظروف التي تحيط به؛ لأن الرؤيا يختلف تأوليها حسب الرائي لها.

لنقوم بتحليل عناصر الرؤيا معتمدين على الوجود الموضوعي الحق، البقرة لا تأكل اللحم فهي نباتية، والحيوان الضعيف الهزيل لا يمكن أن يغلب الحيوان القوي السمين، إذاً ظاهر الرؤيا غير مراد قطعاً؛ بل لا تؤول الرؤيا بظاهرها، فما هو محور الرؤيا؟ إنها البقرة السمينة، والبقرة الهزيلة، لننظر إلى مستلزمات وجود البقرة السمينة وما يتعلق بها، نلاحظ أن النبات شيء لازم لوجودها، والنبات شيء لازم لوجود الماء، والسبع بقرات دلالة على سبع مواسم، والبقرة الهزيلة شيء لازم لفقدان النبات، وفقدان النبات شيء لازم لانقطاع المطر، وانقطاع المطر شيء لازم للجفاف، وسبع بقرات عجاف تدل على سبع مواسم جَفاف، والرؤية للبقرات السمان ابتداء تدل على سنوات الخير مجيئاً أولاً، ومن ثم يعقبها العجاف، وأتى الحل لهذه الأزمة الاقتصادية في الرؤيا ذاتها في قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾يشير إلى عملية الحفظ من السنبلات الخضر في المواسم السبعة وتيبيسها في سنبلاتها لتكون مونة للسنوات العجاف. وهذا الذي علَّمه النبي يوسف عليه السلام بفطنته وذكائه، وأوَّلَ الرؤيا من خلال تحديد محورها ووضعها في منظومتها التي تنتمي إليها ومعرفة مستلزماتها وما يتعلق بها.

و الأسلوب الرمزي هو من أرقى الأساليب الكلامية لاحتوائه على رؤى متعددة، خاصة إذا كان المتكلم عالماً حكيماً، وما ينبغي استخدام الأسلوب الرمزي في التشريع أبداً، لأن التشريع لا بُدَّ له من وضوح وصراحة وبيان حتى يتعامل معه الإنسان بوعي، ويتم الحساب على موجبه بعدل.

من هذا الوجه؛ تبرز أهمِّيَّة التدبر دُون الخرُوج عن النَّصِّ، وإنَّما الدُّخُول في النَّصِّ، والغوص فيه، والانتقال من ظاهره إلى باطنه، ومن تجسيده إلى رمزه.

لنتناول نصاً آخرَ من التنزيل الحكيم، لفهم أسلوب الرمز، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: 45: 46].

وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴾ [الفرقان:61].

فالشّمس في السّماء سراج، كونها ذاتيَّة الإشعاع والنُّور، **أمَّا القمر**، وهُو كوكب تابع لكوكب الأرض؛ فقد وَصَفَهُ الله بصفة الإنارة فقط، كونه يستمدُّ النُّور من الشّمس، ويقوم بالإنارة والإشراق نتيجة ذلك.

ولقد استخدم الله – عزَّ وجلَّ – صفة النُّور للعلم والحقِّ، ووصف كتابه الذي أنزله إلى عباده بذلك، ﴿جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: 15]، كما أنَّه **قد وصف نبيَّه الكريم مُحَمَّداً بصفة السّراج والمنير** معاً، وهو وصف رمزي معنوي، فالسراج أداة وهو الشيء الذي يضيء بذاته، والمنير اسم فاعل من الفعل الرباعي أنار، وهو الذي ينير للآخرين سواء طريقهم، أو عقولهم، وصار النبي محلاً لإشعاع النُّور؛ حيثُ أصبح ذاتي الإضاءة مثل الشّمس تماماً، أمَّا العُلماء الذين أخذوا نُورهم من النّبي (شمس الحقّ)؛ فهم أقمار مُنيرون بنُور النُّبوَّة، وكواكب يدُورُون في فَلَك الشّمس وَفْقَ نظام الثّابت والمُتغيِّر، ومن هذا الوجه؛ صحَّ الحديث الذي يقول: (العُلماء وَرَثَةُ الأنبياء بالعلم والنُّور)، ومقولة: العلم نور، والجهل ظلام.

تدبر نص (رجوماً للشياطين)

إذاً؛ لدراسة نصوص التنزيل الحكيم خاصة الرمزية منها، ينبغي استبعاد الفهم السطحي والشائع على ألسنة الناس، والغوص في عمق النص، والانتقال من ظاهره إلى باطنه، ومن جزئيته إلى منظومته، ومن تجسيده إلى رمزه.

لنقرأ قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5].

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: 6 – 7].

إنَّ التّفسير التّقليدي لهذَيْن النَّصَّيْن هُو: أنَّ الله – عزَّ وجلَّ – زيَّن السّماء الدُّنيا بنُجوم، وَجَعَلَ هذه النُّجوم رُجُوماً لشياطين الجنِّ، الذين يحاولون أنْ يصعدوا إلى السّماء؛ ليسمعوا ماذا يُدبّر من أُمُور الخَلْق، فينزلوا، ويُخبروا النّاس بما سمعوا، مع تعديل في الخبر من إضافات وكذب.

لنقم بعمليَّة إسقاط تفسير هذا النَّصِّ على محلِّه من الخطاب (الواقع)، لنُحدِّد مدى مصداقيَّته ومُوافقته لُمقتضى الحال.

لقد ذَكَرَ النَّصُّ الأوَّل أنَّ المصابيح هي زينة السّماء الدُّنيا، وفي الوقت ذاته؛ قد جعلها الله رُجُوماً للشّياطين، فما هي المصابيح في واقع الحال؟.

إنَّ المصابيح جَمْع مصباح، وهي من صبح، التي تدلُّ على الإشراق والضّوء والنُّور، ومن هذا الوجه؛ سُمِّي أوَّل طُلُوع النّهار الصُّبح. **ويُقال: وجه صبوح؛ بمعنى مُشرق مُضيء. ومن هذا الوجه؛ سُمِّي المصباح مصباحاً؛ لإشعاعه بالنُّور، وإضاءته.**

فإذا نظرنا إلى السّماء وجدنا صفة الإصباح مُتحقَّقة بالنُّجُوم، فهي مُشرقة بنفسها، ومُضيئة لغيرها؛ نحو الشّمس.

فهل هذه النُّجُوم العملاقة تخرج عن مسارها وفَلَكها لتُطارد أحداً؟ أو هل تنقسم من هذه النُّجُوم أجزاء تتوجَّه نحو أحد كَشُهُب لتدميره؟

والجواب – قطعاً – بالنّفي، فلم نُشاهد أو نعلم أنَّ نجماً خرج عن مساره لُمطاردة شيطان، أو قام النّجم برَجْم الشّيطان بشُهُب، مع العلم أنَّ الشّيطان من شطن، التي تدلُّ على ابتعاد الشّيء، وذهابه، وبُطلانه، فكُلُّ مَنِ ابتعد عن منهج الله والعمل الصّالح فهُو شيطان؛ سواء أكان من الجنِّ، أم من الإنس، **وصارت كَلمة شيطان رمزاً للشَّرِّ والفساد والإجرام،** فهل النُّجُوم أو الكواكب في السّماء ترجم الشّياطين الآن؟

أمَّا النَّصُّ الثّاني؛ فقد ذَكَرَ أنَّ الزّينة إنَّما هي بالكواكب، وهذه الكواكب من وظائفها

حفْظ السّماء الدُّنيا من كُلِّ شيطان مارد.

فالكواكب جَمْع كوكب، وهي من كب، التي تدلُّ على جَمْع الشّيء على نفسه وتماسكه، وسُمِّي الكوكب في السّماء كوكباً؛ لأنَّه اجتمع على نفسه وتماسك وبعضها تصلَّب؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ الكوكب هو نجم أو جُزء من نجم مُنطفئ؛ لأنَّ النّجم هو كتلة غازيَّة مُلتهبة فاعلة، والكوكب كتلة غازية أو مُتصلِّبة مُنطفئة نحو كواكب المجموعة الشّمسيَّة.

فالكوكب ليس مُنيراً بذاته، إنَّما يستمدُّ نُوره من النُّجُوم (الشّمس).

فكيف يكون هذا الكوكب الفَلَكي في السّماء حفْظاً من كُلِّ شيطان مارد؟ فلم نشاهد أو نعلم أنَّ كوكباً في السّماء قد خرج عن مساره لُمطاردة أحد، أو للإمساك به! كما أنَّ الكوكب لا يخرج منه أيُّ جزء بشكل شهاب لرَجْم أحد؛ لأنَّ ذلك غير مُتحقّق ببنية الكواكب، وهذا يدلَّ على **أنَّ كَلمة المصباح والكوكب ليس المقصد بهما ظاهرهما الذي ذهب إليه المُفسِّرون بتفسيرهم السَّطْحي**، انظر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]. فهل المقصد بالكواكب والشّمس والقمر في النَّصِّ هم الموجودون في السّماء؟ أم أنَّ ذلك هُو رمز لشيء آخر؟ وكيف رأى النبي يوسف صورة سجودهم؟ هل كان سجود الشمس والقمر سجود جبهة، أم بمعنى الخضوع والاتِّباع له؟

فعلى ماذا تدلُّ كَلمة (المصابيح) في النَّصِّ الأوَّل إذا لم تكن هي النُّجوم والكواكب المعروفة لدينا تجسيداً؟.

لقد ذكرتُ آنفاً أنَّ المصباح هو شيء يتمركز فيه النُّور في عمليَّة إشعاعه وإضاءته للآخرين، فما هو الشّيء الذي في الواقع يتمركز فيه النُّور، ويكون من وظائفه رَجْم الشّياطين بالشُّهُب، التي هي جُزء من النُّور؟. لنرَ ذلك من خلال النَّصِّ القرءاني ذاته:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ [النساء:174].

وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: 22].

المصباح هو أداة لإشعاع النور وحامل له، والنور هو ما أنزله الله، فنجد في الواقع أن هؤلاء المصابيح هم الأنبياء والعلماء الذين يحملون النور الإلهي، ويستخدمونه في رجم الشياطين الذين يحاولون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، بينما النص الآخر استخدم كلمة الكواكب والحفظ من الشياطين، ولم يستخدم كلمة الرجم، ولا المصباح، وهذا يدل على نوع آخر من الدعاة والعلماء الذين يحفظون النور الإلهي بأنفسهم مثل القمر.

وكلمة سماء تدل على الشيء الممتد في كافة الاتجاهات والأبعاد بشكل متصل، وتطلق على السماء الموضوعية الفلكية، والسماء الفكرية، وهؤلاء العلماء نوعان:

علماء مصابيح زينة للسماء الفكرية يحملون النور الإلهي **ويرجمون الشياطين** بالبراهين والأدلة وهي بمنزلة شهب تحرق أو تبطل شبهاتهم وكذبهم وافترائهم، وهؤلاء العلماء هم خط الهجوم الأمامي.

علماء كواكب زينة للسماء الفكرية **يحفظون النور الإلهي** من أن تطوله يد الشياطين، وهؤلاء العلماء هم الدعاة والمعلمون في داخل الأمة، وهم خط الدفاع الخلفي.

ومن دلالة نصِّ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً﴾ [الجن: 9]، نُلاحظ أنَّ عمليَّة الرَّجْم لم تكن موجودة قبل نزُول القرءان، وإنَّما بدأت بعد نُزُول القرءان، وهذا يدلُّ على أنَّ نزُول النَّصِّ القُرءاني مُؤشِّر مهمٌّ، ومَعْلَمٌ في تاريخ الإنسان والكون، وحَدَثٌ عظيم يجب الانتباه له، ودراسته.

فثمَّة أُمور وُجدت في الواقع اقتضت نزُول القرءان بشكله التّكاملي، الذي اقتضى عمليَّة إيجاد المصابيح التي تقوم برَجْم الشّياطين بالشُّهُب، فما هي هذه الأُمُور التي حَدَثَتْ في الواقع، والتي اقتضت تزامن نُزُول النَّصِّ القرءاني بصفته التّكامليَّة، وما ترتَّب على تلك الصّفة من تزيين السّماء الدُّنيا بمصابيح، وجَعْلها رُجُوماً للشّياطين، وكواكب حافظة من الشياطين؟.

أوَّل أمر كان موجوداً هو استقرار الكون على نظام مُعيَّن ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:54]، وكان هذا الأمر سابق عن التَّقدُّم المعرفي والأدوات للجنس الإنساني، واستمرَّ هذا الاستقرار للكون على نظام الثّابت والمُتغيِّر.

الأمر الثّاني: وُصُول اللِّسان العربي عند الإنسان لمرحلة ناضجة ومُتقدِّمة، ومن المعلوم أنَّ اللِّسان هو حقل وميدان للعلم والمعارف والتفكير، ومرآة لتطوُّر الإنسان، والوسيلة التي يُفكِّر من خلالها، فَنُضْجُ اللِّسان يدلُّ على نُضْج التّفكير، فإذا وصل اللِّسان إلى مرحلة الاستقرار دلَّ على أنَّ هذا الجنس الذي يتكَلَّم بهذا اللِّسان قد وصل في التّفكير إلى حالة الاستقرار، وانعكس ذلك في لسانه، فاللّسان من حيثُ البناء وصل إلى الكمال، وظهرت هذه الصّفة - بوُضُوح - في اللِّسان العَرَبيِّ دُون غيره من الألسنة المحرفة عنه، وهذه الصّفات الموجودة في اللسان العَرَبيِّ هي انعكاس لبناء التّفكير، ووُصُوله إلى بدء النُّضْج، وبدء سنِّ الرُّشْد، فتمَّ اكتمال اللّسان العَرَبيِّ من حيثُ البناء؛ نتيجة اكتمال نظام التّفكير من حيثُ البناء المُرتبط بالواقع (آفاقاً وأنفساً)؛ حيثُ صاروا - كُلُّهم مُجتمعون - مشتركين بالصّفة الأساسيَّة، وهي الاستقرار نتيجة الاكتمال من حيثُ البناء، وأخذت حَرَكَتهم في النُّموِّ والاتِّساع قائمة على الأساس الثّابت فيهم جميعاً.

(الثّبات للبناء والمفهوم، والحَرَكَة والنُّمُوُّ والتَّوسُّع للمُحتوى)

فاكتمال نظام الكون، واكتمال نظام التّفكير، واكتمال اللِّسان العَرَبيِّ، - مُجتمعين - كانوا السّبب المباشر لنزُول النَّصِّ القرءاني، وتدشين مرحلة جديدة في تاريخ الجنس الإنساني، فنزل القرءان عَرَبيَّ اللِّسان؛ ليحتوي في بُنيته العلاقةَ الجَدَليَّةَ بين الواقع والتّفكير واللِّسان، وتمَّ جَعْلُ هذا النَّصِّ كاملاً وجامعاً لكُلِّ مَنْ سَبَقَ، وحفظ الحركة والنُّمُوِّ والتَّوسُّع في مُحتواه لِمَنْ لحق؛ لأَنَّه نزل بصفات الواقع والتّفكير واللِّسان العَرَبيِّ من حيثُ الثّبات للبناء والمفهوم والتَّحرُّك للمُحتوى، فكانت هذه الأُمور الثّلاثة هي أبعاد القرءان، التي بمُوجبها تتمُّ دراسته وفَهْمه. وبناء على ذلك تم ختم مقام النبوة الإلهية، وصار العلماء والدعاة هم الرسل طوعاً يحملون النور الإلهي وينيرون طريق الناس وعقولهم.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [الجن:1- 2].

إذاً؛ عندما نزل النَّصُّ القُرءاني تمَّ تدشين ما يسمَّى بالسّقف الفكري للنّاس، وتسليمهم زمام أمور الخلافة، وتمَّ رَفْع الوصاية الإلهيَّة المُباشرة عن النّاس، وذلك كونهم قد وصلوا إلى بدء سنِّ الرُّشد، فأنزل الخالقُ نصَّاً كاملاً ليسير عليه النّاس من خلال نظام الثّابت والمُتغيِّر، مُهتدين بالواقع؛ كونه محلاً للخطاب، ومُستخدمين التّفكير؛ كونه إحساساً وتفاعلاً مع الواقع، لذلك نقول: الواقع أساس للتّفكير، وموضع له في الوقت ذاته، فمن الواقع، وإليه، وبصُحبة القُرءان وتوجيهه، نصل إلى إنشاء حضارة إنسانيَّة، ونصل إلى فَهْم عالم الغيب، والإيمان به.

عندما شاهد الجنُّ ما حصل في الواقع من اكتمال الكون سابقاً، ونظام التّفكير (بدء سنِّ الرُّشْد)، واللِّسان لاحقاً، ونزل النَّصُّ القرءاني قائماً على هذه الأبعاد الثّلاثة، وأخذ الصّفات ذاتها من حيثُ الثّبات للبناء، والحَرَكَة للمُحتوى، وبالتّالي؛ تمَّ رَفْع الوصاية الإلهيَّة المُباشرة، وتمَّ خَتْمُ النُّبُوَّة لانتهاء وظيفتها في الواقع، أُصيبوا بدهشة وحَيْرة، وتساءلوا فيما بينهم: ماذا أراد الله – عزَّ وجلَّ – من هذه العمليَّة؟ هل ما حصل هو مُؤشِّر لانتهاء عُمر الجنس البشري وهلاكه؟ أم أراد بهم ربهم أنْ يُتابعوا عَمارة الأرض وخلافتها بسيرة راشدة، مُعتمدين على أنفسهم، كونهم وصلوا إلى بداية سنِّ الرُّشد؟!.

قال تعالى في وصف حال الجنِّ ودهشتهم تلك: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾ [الجن: 10].

في هذه المرحلة المهمَّة في تاريخ الإنسانيَّة؛ تمَّ بناء السّقف الفكري ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[المائدة : 3].

واستخدم الله – عزَّ وجلَّ – للدّلالة على هذا المفهوم كَلمة (**السّماء الدُّنيا**)؛ لأنَّ السّماء كَلمة تُطلق على كُلِّ ما امتد في كل الاتجاهات بصورة متصلة، وتمَّ تزيين هذه السّماء (**السّقف الفكري**) بالمصابيح، الذين هم – في واقع الحال – الأنبياء والعُلماء؛ كونهم مكاناً لاحتواء وتجمُّع وتمركز النُّور (**العلم والمعارف**)، ويقومون بعمليَّة الإنارة لغيرهم،

وبالتَّالي؛ يُسمَّى مَنْ يحتوي هذا النُّور: مصباح، وذلك لأنَّه يضيء للآخرين طريقهم، فهؤلاء العُلماء (**المصابيح**) يقومون برَجْم الشّياطين من الإنس والجنِّ بالشُّهُب المُناسبة لُمقتضى الحال، وهذه العمليَّة ضرورة علميَّة وواجب ديني لاستمرار انسجام وتناغم القُرءان مع أبعاده الثّلاثة، ولقيام الإنسان بمنصب الخلافة في عمارة الأرض على أحسن وجه وأتمّه، وتم تزيين السماء أيضاً بالكواكب وهم العلماء والدعاة الحافظون للنور الإلهي.

فمن هذا المُنطلق يجد كُلُّ شيطان إنسي أو جني يُريد أنْ يُحارب الحقَّ مصباحاً (عالماً) في انتظاره يقوم برَجْمه بشهاب نُور يتناسب مع باطل الشّيطان، ومن هذا الوجه؛ تعدَّدت صفات الشُّهُب:

شهاب مُبين، شهاب ثاقب، شهاب راصد.

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ **شِهَابٌ مُّبِينٌ**﴾ [الحجر : 18].

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ **شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ [الصافات: 10].

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ **شِهَاباً رَّصَداً**﴾ [الجن: 9].

وهذا التدبر هو أقرب شيء لمنظومة الجن والشياطين وتفعيل النصوص مع بعضها وَفْقَ منظومة التنزيل الحكيم، ومنظومة الواقع الاجتماعي.

أسلوبُ الرَّمز في القرءان عامٌّ أم خاصٌّ؟، والرَّدُّ على الرَّمزيِّين

شاع في الآونة الأخيرة فكرة أن الخطاب القرءاني كله رمزي، وذهب بعض الإخوة في دراسة النصوص بهذا الشكل، متجاوزين المعنى الحقيقي وتعلق الخطاب بالواقع إلى مفاهيم رمزية، وفرَّغوا الخطاب من محتواه التكليفي، فهل الخطاب القرءاني كله خطاب رمزي فعلاً، وهو المستوى المطلوب الوصول إليه بالدراسة والتدبر؟

رمز: كلمة تدل على اجتماع شيء متصلاً ببروز بشيء آخر، وثقافياً هو استخدام كلام معين ليدل على مجموعة من المعاني اللازمة لها منطقياً وليس لسانياً، مثل لزوم الحياة للماء، فالماء رمز للحياة، وهذا ليس معنىً لسانياً لكلمة الماء، وإنما هو مفهوم منطقي نصل إليه من خلال تجاوز المعنى اللِّساني إلى متعلَّقاته بالواقع، والمتعلِّق بالماء لزوماً هو الحياة، فيكون المفهوم الرمزي للماء هو الحياة، وكما نلاحظ أن المفهوم الرمزي من حيث المآل لا يخرج عن الحقيقة والواقع أيضاً، بل لا بُدَّ له من واقع موجود حقيقي يتم تعلُّق الكلام الرمزي به.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [آل عمران:41]، فالنص يدلُّ صراحة على أن الرمز هو أسلوب من أساليب الكلام المختصر العميق المعنى، ويحتاج إلى تدبر وتجاوز المبنى اللِّساني ومعناه الحرفي إلى مفهوم مقصدي لازم يتعلق بالمبنى والمعنى اللِّساني بشكل منطقي مثل تعلُّق الحياة بالماء.

والأسلوب الرمزي في الخطاب كما هو ملاحظ متعدد الفهم، وغير محكم لاحتمالية تعلُّقه بأكثر من شيء في الواقع فهو نص متشابه وليس نصاً محكماً، وهذا يعني أن الخطاب

التشريعي مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: 23].

ونص الوصايا العشر، والخطاب الإيماني المتعلق بوحدانية الله، مثل: ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة :255] ، لا يمكن أن يأتيا بأسلوب الكلام الرمزي؛ لأن الخطاب التشريعي هو خطاب تكليفي يتعلق بتنظيم سلوك الناس والحرام والحلال والواجب، والخطاب المتعلق بوحدانية الله يتعلق بالحق والباطل، ويترتب عليه الحساب والمسؤولية، وهذا لا بُدَّ له من خطاب محكم واضح محدد، وهذا مقتضى الحكمة والرحمة.

ولو أتى بأسلوب الكلام الرمزي لبطل الثواب والعقاب، وضاع الحق واختلط بالباطل، وانتفى الحساب لاحتمالية النص لأكثر من مفهوم ممكن تعلُّقه بالواقع، ولو تعلق به الحساب والتكليف لانتفى عن المشرع الحكمة والرحمة وصار الفعل عبثاً وظلماً، وصار الخطاب متميعاً، ويمكن أن يدل على كل شيء في كل زمن، وانتفى عنه المفهوم الثابت، وصار متحركاً نسبياً يصلح لتحميله أي مفهوم، ولا يدل على أي مفهوم بعينه، وحقيقة هذا الأسلوب هو نقض للخطاب القرءاني التشريعي والخطاب الإيماني.

إذاً؛ أين الخطاب القرءاني الرمزي في القرءان؟

بعد أن استثنينا الخطاب التشريعي والخطاب الإيماني من أسلوب الرمز نصل إلى أن أسلوب الكلام الرمزي يمكن أن يأتي بالنصوص القصصية، وهي مادة كبيرة في القرءان، ولا تتعلَّق بأحكام تشريعية ولا بنصوص إيمانية متعلِّقة بوحدانية الله، ورغم أنها يمكن أن

تُفهم بشكل رمزي، وهو بُعد في مفهوم النص وتدبره، ولكن لا ننفي عنها المعنى اللِّساني، وهي تقبل التعدد في الأفهام؛ لأنها من النصوص المتشابهة، ولا يترتب عليها محاسبة لعدم تعلُّقها بحقوق الناس كدماء وأعراض وأموال... إلخ، ولا تتعلَّق بحقٍّ أو باطلٍ.

ونجد أيضاً أن أسلوب الرمز يتعلق بنصوص الرؤيا والمنام، بل لا يمكن أن نتدبر نصوص الرؤيا أو المنام إلا بأسلوب الرمز، وتجاوز المعنى اللِّساني الظاهري للرؤيا، اقرؤوا: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:43]، لو حاولنا أن نفهم هذا النص المتعلق بالرؤيا لسانياً على ظاهره لما استطعنا فهمه أبداً، وهذا يدل على أن هذه النصوص متشابهة ومتعددة المفهوم، ولا تُدرس أو تُفهم إلا بأسلوب الرمز حصراً.

ونجد أيضاً أن أسلوب الرمز في الكلام يتعلق بنصوص علمية كونية، وهي نصوص متشابهة متعددة الأفهام نسبية الحركة حسب المستوى العلمي والمعرفي والأدواتي للناس، ومجيئها بأسلوب الرمز لا ينفي حقيقة المفهوم اللِّساني عنها.

إذاً؛ الخطاب التشريعي والخطاب الإيماني من النوع المحكم في الخطاب، ولا يصح دراستهما بأسلوب الرمز قط، ولا ينطبق عليهما قاعدة (**ثبات المبنى والمفهوم وتحرك المعنى والمحتوى**)، أو مقولة (**القرءان حمَّال أوجه**) بخلاف الخطاب القرءاني المتعلق بالقصص والرؤيا المنامية والعلمية الكونية فهي من النوع المتشابه مع وجود نصوص محكمة بالمفهوم والمعنى تكون محوراً ثابتاً يُستخدم في دراسة النصوص المتشابهة النسبية، وممكن أن نطبق عليها أسلوب الرمز الكلامي أثناء دراستهم.

لذا؛ ينبغي على الإخوة الذين يعتمدون على أسلوب الرمز في دراسة الخطاب القرءاني كله أن ينتبهوا إلى هذه القواعد، ويميزوا بين الخطاب الذي يمكن أن يُدرس رمزاً، والخطاب الذي لا يصح دراسته رمزاً.

نظام الضمائر في القرءان وعائديتها

اللِّسان العربي المبين هو نظام صوتي منطقي متعلق بالكون ومحكوم بقوانينه، وهذا يعني أن نتعامل معه مثل ما نتعامل مع أي علم آخر، فلا يوجد فيه تساهل أو مسايرة أو مجاملة كما هو معهود في خطاب الناس لبعضهم بعضاً باعتمادهم فهمَ المتلقي للخطاب وحصول ذلك عنده، فيستخدمون أحرف العطف بدل بعضها بعضاً، أو يقولون: إن أحرف الجر تنوب عن بعضها، أو يستخدمون ضمير الجمع ويقصدون به المفرد... إلخ، غير استخدامهم للكلمات محل بعضها دون مراعاة لاختلاف مفاهيم الكلمات عن بعضها، وكذلك التساهل في الخطاب واستخدام الاستعارة أو الكناية أو المواراة أو المصطلح أو محاولة تزويق الكلام وتجميله باستخدام كلمات تدل على جمال وقوة في الكلام أو صحة... إلخ، فيقولون للمريض مثلاً: هو بعافية، وذلك مراعاة لشعور المريض أو تمنياً له بالشفاء، وهذا الأسلوب معروف في كلام الناس باسم المجاز، وهو أسلوب خلاف الحقيقة له مسوغاته الثقافية بين الناس، ولا يمكن أن يستغنوا عنه في كلامهم أو في صياغة الشعر حتى قالوا: أجمل الشعر أكذبه، وما كان يعتمد على التصورات والتخيلات وابتعاده عن الحقيقة والمجسدات، وكما هو ملاحظ، إن كلام الناس متعلق فهمه بمعرفة مقصد المتكلم، ولا يمكن أن نتعامل مع المبنى اللِّساني بمعزل عن الذي صدر منه الكلام أو ثقافة البيئة التي قيل بها الكلام، وتعلقه حينئذ، ومستوى المتكلم العلمي والثقافي.

وهذا يعني أن خطاب الناس فيما بينهم ليس خطاباً علمياً، ولا يمكن أن يخضع خطابهم لدراسة علمية ويستنبط منه قواعد لسانية، وذلك لقصورهم العلمي، ومحدودية إدراكهم للواقع، وتساهلهم في الخطاب، فهم كثيراً ما يبنون كلامهم على ما هو شائع ومنتشر بين الناس حتى أنهم كرَّسوا مقولة: **(هكذا تكلم العرب وسمعنا نحن)**، فاللِّسان معظمه

سماعي وليس عقلياً أو منطقياً، وغير ذلك مما يقتضي نفي الصفة العلمية عن استخدامهم للِّسان العربي في خطابهم كائناً مَنْ كان المتكلم، أو في أي عصر كان يعيش، فلا يوجد كلام أحد حجة أو برهان على أحد، وذلك لأن المتكلم نفسه متصف بالقصور والمحدودية، وهذا يعني أنه يستخدم الكلام بشكل نسبي، وما يعبِّر به عن مقصده وشعوره ويضفيه على ألفاظه.

فالخطاب الذي يصلح للدراسة اللِّسانية ويستنبط منه براهين وقواعد لسانية علمية هو الخطاب القرءاني فقط، أما خطاب الناس فيما بينهم فهو خطاب انفعالي محكوم بثقافتهم الزمانية والبيئية وقواعده اصطلاحية، وليست علمية ولو اقتربت من العلم والواقع، وهو يصلح للدراسة النفسية والثقافية، فينبغي عدم الخلط أثناء الدراسة بين الخطابين، الخطاب الإلهي العلمي، والخطاب الإنساني الانفعالي الثقافي، فلكل منهما أسلوب في التعامل معه، فمثلاً من الخطأ أن نطبق قاعدة (**لازم الكلام لازم**) وقاعدة (**مفهوم المخالفة**) على خطاب الناس وإلزامهم بما لم يقولوا أو يصرحوا به، وذلك لأن الناس لا تستحضر أثناء الكلام أبعاد كلامهم، وما يلزم منه في الواقع، أو مفهوم الضد من صياغتهم اللِّسانية، وإن طبق عليهم هذا حصل اختلاف كبير بين الناس ووقعوا بمشاكل عويصة وفقدوا قدرة التواصل والتفاهم مع بعضهم، ولذلك يقوم أهل القانون بصياغة مواد القانون بصيغة راقية وعالية ودقة شديدة يتوخون بها ضبط الكلام لحفظ حقوق الناس وعدم استغلال القانون من قبل أحد بشكل سيئ من خلال صيغته اللِّسانية وما تدل عليه.

وهذا يوصلنا إلى التفريق بين أسلوب استخدام الضمائر في كل من الخطاب القرءاني العلمي، والخطاب الإنساني الانفعالي الثقافي.

ولنأخذ مثلاً على ذلك استخدام ضمير الجمع في خطاب الناس الانفعالي الثقافي، وكيف يتساهلون به ويستخدمونه محل ضمير المفرد، فكثيراً ما نسمع في خطابنا المعيشي اليومي الناس تقول: جئنا لعندك ولم نجدك، وذهبنا إلى عند فلان، واشترينا كذا، ورأينا كذا... إلخ، فإن أردنا أن نتعامل مع خطابهم بشكل منطقي وافتراض صدق المتكلم وصواب استخدامه للكلام نفهم منه أن الذي قام بالفعل هم جماعة وليس فرداً، ولو سألنا المتكلم عن مقصده لقال: أقصد أنا فقط وحدي من قام بالفعل، ولو سألناه لماذا تستخدم ضمير

الجمع إذاً ؟ لقال لك: هذا تساهل في الخطاب فلا تدقق على لفظي وخذ مقصدي، ولو سألنا علماء النفس لماذا يستخدم الفرد ضمير الجمع في التكلم عن نفسه ؟ لقالوا: إن الفرد يحاول غالباً تشتيت السامع من التركيز على شخصه من خلال توسيع دائرة المتكلم أو الذي قام بالفعل.

ولكن الغريب أن يأتي بعض الباحثين ليلاحظ استخدام ضمير الجمع من قبل الفرد ليدل عليه فقط، فيبرر ذلك أنه للتعظيم والتفخيم، ويأتي بطريقة الملوك والرؤساء في الكلام بصيغة الجمع نحو قولهم: نحن حضرتنا قررنا ما يلي، ليبني من كلامهم هذا قاعدة لسانية بجواز استخدام ضمير الجمع محل المفرد للتفخيم والتعظيم، مع العلم أن كلام الملوك والرؤساء ليس برهاناً بحد ذاته، ولا قاعدة لسانية فهم من سائر الناس، وأصل استخدام ضمير الجمع من قبل الملوك والرؤساء هو ليدل على أن القرار صدر من الدولة أو المؤسسة، وهو ناطق باسمها فيستخدم ضمير نحن ويقصد به الدولة أو المؤسسة، ولا يقصد شخصه الفردي، وهذا لا ينقضه الاستبداد في الحكم والأثرة به واستمرار استخدام ضمير نحن للحاكم المستبد، فهو يقصد اندماج الدولة به فصار هو الدولة ذاتها ويستمر باستخدام ضمير نحن ليضفي على شخصه الشخصية الاعتبارية الجمعية، ويصير فوق النقد والنقض الشخصي، ويحيط نفسه بهالة قداسة الدولة، ويتحرك في الحياة وبين الناس كأنه الدولة ذاتها، وبالوقت ذاته ليبعد عن نفسه المحاسبة والمسؤولية في حال كان قراره خطأ وظلماً.

وبهذه العقلية الانفعالية والثقافية أتى بعض الباحثين لدراسة الخطاب الإلهي فقالوا: إن ضمير الجمع في الصياغة القرءانية المتعلقة بسياق الخلق أو بالله هو من باب التفخيم أو التعظيم، ولا يدل على الجمع قط، وبذلك العمل منهم نقضوا صفة المنطق عن الخطاب الإلهي، واتهموا المتكلم بالكذب، ونفوا عن كلامه صفة الصواب في الواقع.

والسبب هو تطبيق أسلوب الخطاب الإنساني الانفعالي على الخطاب الإلهي العلمي، وفاتهم أن قمة التعظيم والتفخيم والقوة أن يستخدم المتكلم ضمير الفرد ليدل على نفسه هو لا غيره.

قمة التعظيم والتوحيد ضمير (أنا)

لنقـرأ الخطـاب الإلهي ﴿إِنَّنِي أَنَـا اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا أَنَـا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّـلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طـه: 14].

ولم يأت الخطاب بصيغة الجمع (إننا نحن الله لا إله إلا نحن...) إن كان الجمع للتفخيم والتعظيم فهذا الخطاب هو المناسب لذلك! لنقرأ هذا الخطاب ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء :87]، فالمقام هو مقام تعظيم وتفخيم وتقديس وتنزيه، فكان الأولى أن يأتيَ بصيغة الجمع حسب قولهم ويصير الخطاب(... لا إله إلا أنتم سبحانكم...) بينما نلاحظ أنه أتى بالإفراد (لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ).

واضح من الخطاب أن التوحيد والإفراد هو العظمة والتفخيم والشدة والقوة والكبرياء (أَنَا الله) ولم يقل: (نحن الله)! ولو أتى ضمير (نحن) بدل ضمير (أنا)، لدل الكلام انطلاقاً من أن المتكلم صادق فيما يقول، وكلامه صواب ومنطقي مطابق لمحل الخطاب على ثلاثة احتمالات:

1. المتكلم يمثل مجموعة يتكلم باسمها.
2. المتكلم كاذب وهو يختبئ وراء الجمع ليخفي ضعفه ويشتت تركيز السامع، ويتنصل من المسؤولية.
3. المتكلم لا يعرف صياغة الكلام ودلالته.

فقمة التعظيم الإلهي هو إفراده بالتوحيد واستخدام ضمير المفرد سواء للمتكلم (أنا) (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) [طـه: 14]، أو الغائب (هو) ﴿هوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هوَ) [الحشر:23]، ولم يأت ضمير (نحن أو هم) قط في سياق التوحيد أو التعظيم أو التقديس لله، ونلاحظ أن استخدام الضمير في الخطاب الإلهي أتى منطقياً متماسكاً مع منطق الوجود، وصواباً في صياغته، وصادقاً في خبره، لنقرأ:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طـه: 14].

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: 9].

﴿ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:2].

﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [طه:8].

﴿هوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:23].

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [طه:98].

﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:30].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص : 65].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:6]

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:29].

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 160].

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر :49].

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه :12].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: 25].

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء :92].

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة :21].

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52].

الضمير هو الذي يأتي في سياق الكلام ليدل على متكلم أو مخاطب أو محل الخطاب سبق الكلام عنه، فينوب عنه ويتعلق به.

وهذه الضمائر محكومة بمنطق واقعي صادق وصواب، بمعنى أن المفرد بالواقع يقابله ضمير مفرد، والمثنى بالواقع يقابله ضمير مثنى، والجمع بالواقع يقابله ضمير جمع، وإن كان المتكلم يتكلم عن غيره فله ضمير خاص يدل عليه معروف باسم ضمير الغائب (هو)، وإن كان المتكلم يتكلم عن نفسه فله ضمير خاص يتعلق به يسمَّى ضمير المتكلم (أنا).

هذه الأمور(**المنطقية، والصدق، والصواب**) ينبغي أن تكون ثابتة أثناء الدراسة لأي نص قرءاني، ولا يشذ عن هذا الكلام أيُّ نص سواء علمنا بمحل خطابه أم لم نعلم، ولا يصح جعل عدم علمنا بمحل الخطاب مبرراً لاختراق القواعد هذه ونقضها وافتراء مفهوم لا يدل عليه الخطاب الإلهي في الواقع.

وبعد هذا العرض وصلنا إلى عائدية الضمائر، وهي جوهر البحث والتدبر للخطاب الإلهي.

نفي صفة القاعدية عن مقولة (الضمير يرجع لأقرب مذكور قبله)

هذه المقولة ليست قاعدة وإنما هي على الغالب، وهي قاعدة في الخطاب الإنساني الانفعالي، لأنه لا يصح قطع الكلام بمعترضات، ومن ثم العودة لمحل الكلام الأول بعد مضي زمن عليه، فهذا يسبب التباس في الفهم أو خطأ عند السامع، بينما في الخطاب الإلهي يختلف التعامل معه، **فهو يفهم وَفْقَ السياق والمنظومة العامة للقرءان محكوماً بالمنطق، وصواب الصيغة، وصدق الخبر**، ولنأخذ مثلاً عملياً على سوء استخدام عائدية الضمير والالتزام بمقولة: (**وجوب رجوع الضمير إلى أقرب مذكور قبله**).

﴿وإنه لعلم للساعة فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾:

القـول بنـزول النبـي عيسـى في آخـر الزمان فهمـاً من نـص ﴿وَلَمَّا ضُـرِبَ ابْـنُ مَرْيَمَ مَثَـلاً إِذَا قَوْمُـكَ مِنْـهُ يَصِـدُّونَ وَقَالُـوا أَآلِهَتُنَـا خَيْـرٌ أَمْ هُـوَ مَـا ضَرَبُـوهُ لَـكَ إِلَّا جَـدَلاً بَلْ هُـمْ قَـوْمٌ خَصِمُـونَ إِنْ هُـوَ إِلَّا عَبْـدٌ أَنْعَمْنَـا عَلَيْـهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَـلاً لِبَنِي إِسْـرائيلَ وَلَوْ نَشَـاءُ لَجَعَلْنَـا مِنْكُـمْ مَلائِكَـةً فِـي الْأَرْضِ يَخْلُفُـونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّـاعَةِ فَـلا تَمْتَرُنَّ بِهَـا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِـرَاطٌ مُسْـتَقِيمٌ﴾ [الزخـرف: 57- 61].

فمن المقصود بضمير الهاء في جملة: (وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنَّ بها) هل هو النبي عيسى أم القرءان؟

معظم التفاسير نقلت عن بعضها تأثراً بحديث نزول عيسى المدسوس من ثقافة أهل الكتاب فقالت: إن المقصود من النص هو النبي عيسى نفسه، وهناك مفسرون نقلوا الرأيين، وثمَّة من رجح أنه القرءان، وليس النبي عيسى.

أ- تفسير القرطبي:

(قوله تعالى: « وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنَّ بها « قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير: يريد القرءان، لأنه يدل على قرب مجيء الساعة، أو به تعلم الساعة وأهوالها وأحوالها). انتهى.

ب- تفسير التحرير والتنوير:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ الأظهر أن هذا عطف على جملة ﴿ وإنه لذكرٌ لك ولقومك ﴾ [الزخرف: 44] ويكون ما بينهما مستطردات واعتراضاً اقتضته المناسبة.

لمّا أشبع مقام إبطال إلهية غير الله بدلائل الوحدانية ثُني العِنان إلى إثبات أن القرءان حق، عوداً على بَدْءٍ. وهذا كلام موجه من جانب الله تعالى إلى المنكرين يوم البعث، ويجوز أن يكون من كلام النبي.

وضمير المذكر الغائب في قوله: ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ مراد به القرءان، وبذلك فسَّرَهُ

الحسن وقتادة وسعيد بن جبير، فيكون هذا ثناء ثامناً على القرءان، فالثناء على القرءان استمرّ متصلاً من أول السورة آخذاً بعضه بحُجُزِ بعضٍ متخلَّلاً بالمعترضات والمستطردات ومتخلصاً إلى هذا الثناء الأخير بأن القرءان أعلمَ الناسَ بوقوع الساعة.

ويفسره ما تقدم من قوله: ﴿ بالذي أُوحي إليك ﴾ [الزخرف: 43] ويبينه قوله بعده: ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾، على أن ورود مثل هذا الضمير في القرءان مراداً به القرءان كثير معلوم من غير معاد فضلاً على وجود معاده.

ومعنى تحقيق أن القرءان عِلْم للساعة أنه جاء بالدين الخاتم للشرائع، فلم يبق بعد مجيء القرءان إلا انتظار انتهاء العالم. وهذا معنَى ما روي من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « بُعِثتُ أنا والساعة كهاتين، وقرن بين السبابة والوسطى مشيراً إليهما » والمشابهة في عدم الفصل بينهما.

وإسناد ﴿ عِلمٌ للساعة ﴾ لأن القرءان سبب العلم بوقوع الساعة، إذ فيه الدلائل المتنوعة على إمكان البعث ووقوعه. ويجوز أن يكون إطلاق العلم بمعنى المُعْلِم، من استعمال المصدر بمعنى اسم الفاعل مبالغة في كونه محصلاً للعلم بالساعة، إذ لم يقاربه في ذلك كتاب من كتب الأنبياء). انتهى.

لنطبق الشروط الثلاثة للخطاب الإلهي (**المنطقية، الصواب، الصدق**) لمعرفة لمن يرجع هاء الضمير في ﴿وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنَّ بها وَاتَّبِعونِ هَذَا صِرَاطٌ مسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: 61]، وذلك من خلال دراسة النص وَفْقَ المنظومة العامة للقرءان وسياق الخطاب ومحله، نلاحظ أن النبي عيسى ليس علماً بحد ذاته بخلاف القرءان فهو علم، ونلاحظ أن النبي عيسى ليس هو الصراط المستقيم في جملة ﴿وَاتَّبِعونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ واسم الإشارة متعلق بالعلم، والاتّباع للرسول يكون اتّباعاً لما أتى به وليس لشخصه، وإن رجعنا قليلاً لما قبل هذه الجملة لقرأنا قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلونَ﴾ [الزخرف: 43- 44].

فالصراط المستقيم هو ما أوحي إلى الرسول ذكراً له ولقومه الذي هو علم للساعة ويجب اتباعه.

مفهوم ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾:

لمن يعود ضمير الهاء في كلمة ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؟

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17].

معظم التفاسير القديمة والحديثة قالوا في مفهوم (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) أحد هذه الأقوال: هو الله ذاته، أو جبريل، أو لسان النبي، أو شخص النبي نفسه، أو مَلَك موكل بحفظ القرءان، أو الإنجيل، أو عبد الله بن سلام، أو علي بن أبي طالب، أو المؤمنون المتبعون للقرءان.

وانفردت ثلاثة تفاسير بفهم أقرب لمفهوم النص، وهي:

أ – جاء في تفسير « **البحر المديد في تفسير القرءان المجيد** » للشيخ ابن عجيبة:

(... والحاصل: أن البينة أمر باطني، وهي: المعرفة، إما بالبرهان، أو بالعيان، والشاهد الذي يتلو هو العلم الظاهر، فيتفق ما أدركه العقل أو الذوق مع ما أفاده النقل، فتتفق الحقيقة مع الشريعة. كلٌ في محله، الباطن منور بالحقائق، والظاهر مُؤيد بالشرائع. وهذا غاية المطلوب والمرغوب). انتهى.

ب – جاء في تفسير «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان**» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في الطبعة الأخيرة 1420 هـ:

(... ذكر تعالى، حال رسوله محمد ومن قام مقامه من ورثته القائمين بدينه، وحججه الموقنين بذلك، وأنهم لا يوصف بهم غيرهم ولا يكون أحد مثلهم، فقال: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة، ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البينة.

(وَيَتْلُوهُ) أي: يتلو هذه البينة والبرهان؛ برهان آخر (شَاهِدٌ مِنْهُ) وهو شاهد الفطرة

المستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشَرَّعه، وعَلِمَ بعقله حُسنه، فازداد بذلك إيماناً إلى إيمانه). انتهى.

ج - وجاء في (**التفسير الكبير**) للخليفة الثاني للجماعة الأحمدية «بشير الدين محمود أحمد»:

(... واعلموا أن الشهادة الذاتية الداخلية هي أفضل هذه الشهادات درجة وأهمية، لأنها تصلح للحاضر والمستقبل، كما أنها تغني عن البحث عن أدلة أخرى في الواقع).

و قال: (... تأتي الشهادة بتأثيراته في المحل الثاني أهمية، لأنها ضرورية فيما بعد، ولولا هذه الشهادة لبقي صدقه أمراً مشتبهاً ومشكوكاً فيه بالنسبة للأجيال اللاحقة. ذلك أن كون الوحي في حد ذاته وحياً حقيقياً لا يكفي كحافز للناس على العمل به، بل إنه لا بُدَّ من التدليل على أنه لا يزال صالحاً للعمل به ونافعاً في الوقت الحاضر أيضاً، وليس أنه كان مُجدياً في الماضي فقط، ولكنه فَقَد تأثيره اليوم وحل محله وحي سماوي آخر نسخه وألغاه. فإذا ظهرت عليه ثمار جديدة تأكد لنا أنه لا يزال نافعاً لأهل هذا العصر الحاضر، كما كان نافعاً للذين كانوا من قبل.

أما شهادة الأنباء السابقة فتأتي في الدرجة الثالثة، وإن كانت تشكل دليلاً مهماً للغاية، إذ لا تنفك تمهد لعقول الناس في كل عصر كي يؤمنوا بالحق عند نزوله، غير أنها لا تنفع إلا الذين تنكشف الحقيقة في زمانهم.

لقد ساق الله هنا على صدق القرءان هذه الأدلة بأنواعها الثلاثة، فقال: إنه يحمل في نفسه الشهادة الداخلية على صدقه، كما أن أنباء الكتب السماوية السابقة أيضاً تتضافر على صدقه، ثم إنه يؤتي أُكله كل حين بإذن ربه في المستقبل بحيث لن يسع الناس إنكاره وتكذيبه في الواقع.

والدليل الأول جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أي: أن القرءان الكريم أو الرسول الكريم الذي جاء به يحمل في نفسه أدلة ذاتية داخلية تؤكد بشكل حاسم أنه من عند الله تعالى). انتهى.

والصواب هو أن الشاهد موجود في بنية القرءان ذاته من خلال مطابقته للآفاق والأنفس، وهو شاهد علم يتلوه.

وعودةً لاستخدام ضمير الجمع في الخطاب الإلهي، ولنأخذ أمثلة عملية عليه:

1. ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9].

كلمة (ذكر) عامة تشمل القرءان وغيره، والذي نزل بالقرءان على النبي محمد في الواقع هو جبريل وليس الله، وساهم في صياغته مجموعة، كما هو ملاحظ من حوارات القرءان وصياغة الخطاب، والذي أمر بإنزاله هو الله، فمن الطبيعي أن يأتي ضمير الجمع (إنا نحن) وهذا صواب في الصياغة وصدق في الخبر من حيث الواقع الذي حصل.

وجملة: (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) متعلقة بالله وجبريل والملائكة وتعلق الخطاب القرءاني بالكون من حيث انسجامه مع السنن والأنفع للناس وتماسكه المنطقي، وتعلقه بالمؤمنين الذين يحفظون الخطاب القرءاني في صدورهم وينقلونه تتابعاً إلى من بعدهم.

2. ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾ [الإنسان: 2].

ضمير(إِنَّا خَلَقْنَا) يدل على الجمع والخبر صادق، والصياغة صواب، ومنطقية الخبر قائمة من حيث أن الخلق متعلق بالسنن والملائكة المكلفين بتسيير ذلك والإشراف على عملية الخلق بإذن الله.

ومثله هذه النصوص:

- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ [الإنسان :28].
- ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾ [النبأ : 8].
- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4].
- ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ [مريم: 67].

3. ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 24].

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11].

فالواقع أن الله لا يباشر فعل التوفي للنفوس بنفسه، وإنما من خلال أمر ملك الموت بتوفي النفوس الذي بدوره معه مجموعة من الملائكة مكلفين بذلك ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 28].

4. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : 16].

فضمائر الجمع في النص واضحة وتفهم من خلال إسقاطها على محلها من الواقع ليصير الخبر صادقاً وصواباً ومنطقياً، (خلقنا، ونعلم، ونحن) كلها تدل بداية على الله، ومن ثم من ينفِّذ أمره من الملائكة في الواقع.

5. ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [الواقعة 64].

من المعروف أن الإنسان يزرع النبات في التربة، ولكن ليس هو الذي يجعله ينمو ويكبر ويثمر، وإنما عوامل كثيرة مع بعضها تتضافر لنمو النبات، وهي تمثل سنن الله في الزراعة.

6. ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: 9].

لاحظوا فعل (أرسل) أتى ليدل على أن الذي قام به هو واحد وهو الله، بينما أتى فعل (فسقناه) وفعل (فأحيينا) بصيغة الجمع ليدل على وجود أطراف أخرى هي التي تباشر تنفيذ أمر الله في الواقع.

وهذه النصوص هي نماذج وليست للحصر والقارئ الحصيف والباحث النحرير يدرك تعلُّق الضمائر وعائديتها في الخطاب الإلهي من خلال منطقية الخطاب واقعياً، وصدق

المتكلم، وصواب الخبر، مع نفي شرطية تعلُّق الضمير بأقرب مذكور قبله، وعدم الخلط في نوعية الضمائر فما هو مفرد يكون للمفرد، والمثنى للمثنى، والجمع للجمع، والغائب للغائب، والحاضر للحاضر، والمتكلم يستخدم ضمير (أنا)، والآخر عندما يريد أن يتكلم عن غيره يستخدم ضمير الغائب (هو) أو ضمير الخطاب (أنت)، ويمكن أن يأتي في نص واحد عدة صيغ من الضمائر بمعنى أن يبدأ النص بالمتكلم المفرد وينتقل إلى الجمع ويعود للمفرد، والقارئ أو السامع للخطاب يدرك الحدث كيف حصل من خلال فهم الضمائر وتعلقها بأصحابها، نحو مقولة: أتينا لعندك وطرقت الباب، ودخلنا إلى غرفة الجلوس وجلست بقرب المدفأة، ومن ثم قمنا إلى الطعام، وانصرفت بعد ذلك فاجتمعت مع صاحبي في الطريق وذهبنا إلى البيت ودخلت إليه وجلسنا جميعاً في الحديقة.

دعوة لعقلنة النَّحْوِ ومصطلحاتِهِ

يشتكي معظم الطلاب من جمود مصطلحات النحو وغموضها وصعوبتها بسبب اعتماد معظمها على الحفظ دون الفهم، كأنها طلاسمُ، ولذلك ندعو أهل الاختصاص والمؤسسات العلمية المعنيَّة بوضع مقررات الدراسة لإعادة دراسة النحو، ووضع مصطلحات له، تناسب محلَّ خطاب الكلمة من الواقع وتدلُّ عليه، بحيث يصير الطالب يفهم موضعَ الكلمة من الجملة وعلاقتها بالواقع ، ويقوم بإعرابها وَفْقَ وظيفتها وموضعها، ولا تهم التسمية لها في حال أصاب المعنى والوظيفة لها.

وهذه العقلنة للنحو لا تغيِّر حركة الكلمة كتشكيل، وإنما تغيِّر تسميتها النحوية بما يناسب واقعَها ووظيفتَها.

على سبيل المثال: (كُسِرَ الزُّجاجُ)

يقول أهل النحو: كلمة الزجاج نائب فاعل مرفوع.

يقرأ الطالب هذا الإعرابَ، فيتساءل: كيف يكون الزجاج المكسور الذي وقع عليه الفعل نائبَ فاعل؟

فيردُّ عليه أهل النحو : نقصد بقولنا: نائب فاعل أنه أتى محلَّ الفاعل في الجملة ، وأخذ حركة الرفع منه، أو هو بدلٌ عنه، أو لتدل عليه .

الملاحظ أن أهل النحو يتعاملون مع الجملة، وليس مع محلِّ تعلُّق الكلام في الواقع، وهذا يعني: أن تعاملهم نظري تجريدي لا محل له من الواقع، وبالتالي يصعب فهمُه على الطالب لانتفاء المنطق العملي عنه.

والصواب المنطقي أن نُبقي إعراب كلمة (الزجاج) مفعولاً به مرفوعاً؛ لأنه سُبق بفعل مبني للمجهول.

وهذا الإعراب لكلمة (الزجاج) موافق لوظيفة الكلمة في الواقع من حيث وقوع الفعل عليها، ويصير الإعراب مطابقاً للفهم، وليس مخالفاً له، أو طلاسمَ، أو يحتاج الإعراب إلى شرح ولف ودوران!

ومثال آخر : (دَرَسَ الطُّلَّابُ كِتابَ العُلُومِ)

وظيفة الطلاب في الواقع أنهم قاموا بالفعل فيصيرون فاعلاً ، وتعرب الكلمة فاعلاً مرفوعاً في هذه الجملة.

ولكن عندما يسبق الفعل أداة نفي مثل: (لَمْ يَدْرُسِ الطُّلَّابُ كِتابَ العُلُومِ)

لا يفهم أحدٌ من القراء أنَّ الطلاب فاعل في الواقع لنفي الفعل عنهم، وإعراب كلمة الطلاب المنفي عنهم القيام بالفعل فاعلاً كذب وخطأ من حيث الواقع.

أما الصَّواب : فينبغي أن نلاحظ وظيفتهم في الواقع ، هل قاموا بالفعل ، فهم فاعلون؟، فإن لم يقوموا بالفعل فهم ليسوا فاعلين، وبالتالي لا يصح إعراب كلمة الطلاب المسبوقة بفعل منفي أنهم فاعلون، وينبغي أن نعرب كلمة الطلاب بما يدل عليه واقعها، فنقول : كلمة (الطلاب) المسبوقة بفعل منفيٍّ هي اسم مرفوع منفي عنه الفعل، وهذا الإعراب يطابق وظيفة الطلاب ، أو صفتهم في الواقع تماماً، ويفهم القارئ المعنى من المبنى .

إذاً؛ التغيير لا يتناول حركة الكلمة من رفع أو نصب أو جرٍّ، وإنما يتناول الاصطلاح والتسمية النحوية؛ لتوافق محلَّ الكلام من الواقع وتصير مفهومةً ومنطقيةً للطالب .

أمثلة لتقريب الفكرة على عقلنة النحو :

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾[الأعراف:152].

سينالهم غضبٌ: كلمة (غضب) ليست فاعلاً في الواقع ، وإنما هي شيء توجه وتعلَّق بالقوم، والصَّواب أن نقول : اسم مرفوع موجَّه ، أو تعلَّق بالقوم .

- قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ

سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾[الحج: 37] .

لن ينالَ اللهَ لحومُها: كلمة (الله) أتت منصوبة وهي ليست مفعولاً به في الواقع، وإنما هي محلُّ التوجُّه، والتعلُّق لفعل النيل ، ويصير إعرابها حسب واقعها اسماً منصوباً توجَّه الفعل له، وكلمة (لحومُها) ليست فاعلاً ، بل تعلَّق بها الفعل أيضاً ،فتصير اسماً مرفوعاً لتعلُّق الفعل بها .

• قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴾[الأعراف: 37] .

ينالُهُم نصيبُهُم: كلمة (نصيب) ليست فاعلاً ، بل اسم مرفوع لتعلُّق الفعل به.

• ﴿أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف :49] .

لا ينالهم اللهُ برحمة: كلمة (الله) اسم مرفوع لنفي الفعل عنه.

وهذه الاصطلاحات والتسميات غير ملزمة لأحد ما لم يتبنَّها المجتمع بثقافته ويقررها في مقررات الدراسة، وينبغي التعامل مع المضمون وقَبول أي تعبير نحوي من الطالب ما دام المضمون صواباً ، وهذا ترسيخٌ لإعمال العقل والفهم للكلام قبل الإعراب، ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام يؤدي المعنى الصواب من دون إشكال .

إعراب (لا ينال عهدي الظالمين)

لم توضع القواعد النحوية اعتباطاً، أو عبثاً ،أو اصطلاحاً ، وإنما هي استقراء ودراسة منطقية ومتابعة لتحرك الكلمة حسب أوجهها بالكلام، وتموضعها في الجملة، وتعلُّقها بمحلِّ الخطاب، والذي يحكم تغيُّرات حركة الكلمة أو بنائها هو تغيُّر تموضعها، أو وظيفتها في الواقع، فحركة صيغة الفاعل غير صيغة المفعول به، ولم نقصد بكلامنا المصطلحات النحوية، فهذا لا مشاحة فيه، وليست هي محل اختلاف، ولا مانع من اصطلاح غيرها أو

تعديل المصطلح للأحسن، بل قصدت مضمون التقسيمات والتوصيفات مثل فعل وفاعل ونائب فاعل ومفعول به ومضاف وصفة ومبتدأ وحال وبدل ...إلخ.

ويهمنا مضمون القواعد والضوابط للِّسان العربي، ولا شك أن الخطاب القرءاني هو أول مصدر نحوي ولساني، وهو برهان بحد ذاته في استخدام المفردات، وتَغَيُّر بنائها من حال إلى آخر ، حسب تغيُّر المعنى والوظيفة، فمحلُّ الخطاب هو الذي يحكم التغيُّر الذي يُصيب الكلمة.

وعند استقراء كيف أتت صيغة جمع المذكر السالم في اللِّسان العربي نجد أن له ثلاثَ حالات (رفع ونصب وجر)، ولنأخذ صيغة (فلاح) كمثل للنماذج:

- حالة الرفع يأتي بالواو ، وذلك يكون في مثل:

موضع المبتدأ: (الفلاحون مجدون ونشيطون)، أو في حالة الفاعل: (جاء الفلاحون من الحصاد)،أو يأتي بصيغة اسم كان وأخواتها (كان الفلاحون نشيطين) .

- حالة النصب بالياء ، ويكون حسب تموضعه في الجملة ومحل الخطاب :

حالة المفعول به: (رأيت الفلاحين يحصدون القمح).

حالة التأكيد كاسم إنَّ: (إنَّ الفلاحين نشيطون) .

حالة الجر بالياء : (مررت بالفلاحين) .

وبناء على هذا الاستقراء والمتابعة لحركة الفاعل، وضع علماء النحو قاعدة تعبِّر عن هذا، وهي: الفاعل دائماً مرفوع سواء بالضمة الظاهرة على آخره مثل (جاء الفلاحُ)، أو المقدرة على آخره، أو بالواو إن كان جمعَ مذكر سالماً ، مثل(جاء الفلاحون)، ويعرف الفاعل من سياق الكلام، ومحل تعلُّق الخطاب بالواقع من حيث يكون هو الذي قام بالفعل وأسند إليه ذلك، ولا بُدَّ لكل فعل من فاعل ، ولذلك قالوا نصيحةً للطلاب: افهم، ثم أعرب، وعندما تجد فعلاً في الجملة ابحث عن الفاعل له، وحدده، إما ظاهراً في الكلام بصيغة اسم أو ضمير، أو مقدراً بضمير، ولا يكون الفاعل إلا صيغة اسم، ولا يشترط للفاعل أن يأتي بعد الفعل مباشرة، فيمكن أن يتأخر لقصد أراده المتكلِّم .

وبناء على هذه المفاهيم نحاول أن نتدبَّر كلمة (الظالمين) في النص التالي، هل هي فاعل؟ وما هو إعراب كلمة (عهدي) وهل هي فاعل، كما قال أهل التراث؟

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة :124] .

كلمة (الظالمين) في النص أتت منصوبة بالياء ، وهذه الصيغة ابتداء تُخْرِجُها من دائرة المسميات التي تناولت حالة الرفع لصيغة جمع المذكر السالم، بمعنى أنها – قطعاً – ليست مبتدأً ولا فاعلاً ولا اسمَ كان...، وبما أنها منصوبة فهي من قسم المنصوبات – قطعاً –، وبالتالي نبحث عن المسمَّى الذي تنزل تحته، ويكون ذلك من خلال فهم المعنى ومحلُّ تعلُّقها في الواقع .

صيغة فعل (نال) : لا تعني أخذ حصراً ، فالكلمة لا يدل عليها إلا ذاتها ، كونها بناءً قائماً مستقلاً بذاته بترتيب أصواتها ،وإذا اختلف المبنى اختلف المعنى، ونأتي بالمفردات الأخرى لشرحها وتقريب المعنى للمتلقِّي من خلال استخدام جملة أو عدة جمل، وليس كلمة بكلمة، وعندما يحصل المعنى في ذهن المتلقِّي نطلب منه أن ينسى كلَّ ما سمع من مفردات ويحفظ ، ويدرك مفهوم الكلمة ذاته ، الذي حصل في ذهنه، والذي يعبَّر عنه بكلمة (نال) فهي تدل على ذاتها بذاتها.

فعلى ماذا تدل كلمة (نال) خلال هذه السياقات التي تأتي بها؟

لنقرأ:

- ﴿أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[الأعراف: 49] .

لاحظوا أن فاعل كلمة (ينالهم) تعلَّق بالله، ولكنه منفيٌّ، وهذا يعني أن الفعل لم يحصل ، وبالتالي لا يوجد فاعل، فيصير إعراب كلمة (الله) في هذا السياق المنفي اسم مرفوع لفعل منفي، والضمير المتصل بكلمة (ينالهم) هو في محل نصب مفعول به، ومعنى الكلمة في هذا السياق هو: لا يصيبهم أو لا يشملهم ...إلخ، ولا يعني أن كلمة (نال) لساناً هي متطابقة

في المفهوم مع هذه الكلمات ، أو يمكن أن يحلُّوا محلها في الجملة، فكما ذكرت -آنفاً- نأتي بالمترادفات لتقريب المعنى للمتلقِّي، وليس لتحل محلَّ الكلمة كلمةٌ أخرى، فقطعاً لا يدل على كلمة (نال) إلا نال ذاتها، هل لاحظتم أن دلالة كلمة (نال) لم تأتِ بمعنى أخذ أو حصل؟

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف :152] .

أتت دلالة كلمة (سينالهم) في النص بمعنى سيصيبهم أو يشملهم أو يستحقون أو سيصلهم...

• ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج : 37] .

أتت دلالة كلمة (لن ينال) بمعنى لن يصل اللحوم، أو لن ترفع اللحوم بذاتها لله، وإنما يُرفع أو يصل حكم حسن العمل أو قبحه وفحشه، ومدى صلاح أنفسكم وفائدتكم للناس، وطاعتكم لله بهذه الأوامر، وهذا الذي يترتب عليه الثواب والعقاب.

• ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة :120] .

أتت دلالة كلمة (ينالون) في سياق النص هذا بمعنى ما أصاب الأعداء الكفار المؤمنين من أذى أو ضرر، إلا وسوف يعوضهم الله عنه خيراً ، ويكتبه لهم من الأعمال الصالحة لهم ويثيبهم عليها، ،وتحتمل أيضاً أن ما تناوله المؤمنون من العدو من خلال ردهم وصدهم فكرياً وعلمياً ونقاشاً وجدالاً ، أو إذا كانت الحرب قائمة ، فالأسر لهم أو القتل أو ما شابه ذلك فأيضاً سوف يكون لهم بمنزلة الأعمال الصالحة التي تكتب لهم .

إذاً؛ تأتي دلالة كلمة (نال) بمعنى أخذ أو أعطى أو أوتي أو حصل أو أصاب أو شمل، وما دل على ذلك من معانٍ، ويفهم ذلك حسب السياق ومحل تعلُّق الخطاب بالواقع، وفي النص المعنيِّ ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أتت دلالة كلمة (لا ينال) بمعنى لا يحصلون عليه أو لا يصلون أو لا يشملهم أو لا يُؤتون أو لا يُعطون.... إلخ، ويكون إعراب كلمة (الظالمين) مثل إعراب كلمة (الله) في النص التالي:

- ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ.. ﴾ [الحج : 37].

كلمة (الله) في النص أتت بسياق مفعول به منصوب، بمعنى أن الله محل نفي حصول أو وصول اللحوم والدماء له، وإنما هو محل حصول ووصول التقوى فقط، وقُدِّم ذكر الاسم المنصوب لأهميته في الكلام وعظمته.

﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة :124].

كلمة (الظالمينَ) أتت بسياق اسم منصوب بالياء، لأنها من صيغ الجمع المذكر السالم، وتعلَّق الفعل بهم، ويكون المعنى: لن يُؤتى أو يُعطى أو يشمل الظالمين عهد الله.

أما كلمة(عهدي) في النص فقد قال أهل النحو: إنها فاعل مرفوع بالضمة المقدرة والياء ضمير في محل جر بالإضافة، وأنا أخالفهم بذلك.

لنقرأ أمثلة لتقريب الفكرة:

- نال الطالب الجائزة.

كلمة (الطالب) فاعل مرفوع، وذلك واضح من المعنى لا خلاف عليه، والذي ينبغي أن نعرفه أيضاً أن الطالب قام بأفعال معينة استحق على موجبها نيل الجائزة فصار بذلك فاعلاً، وهذا لا ينفي في الحقيقة أنه يوجد فاعل لفعل (نال) غير مذكور في الكلام، وهو من قام بوضع الجائزة ومنحها للطالب، ولم يذكر، لأن المهم في الحدث هو فاعلية الطالب.

- لا ينال جائزتي الفاشلين.

كلمة (لا ينال) فعل منفيٌّ حصوله، وما دام منفياً، فمن الطبيعي أن لا يكون له فاعل في الواقع بعد ولا يظهر بالجملة.

كلمة (جائزتي) اسم منصوب، تعلَّق الفعل به، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

كلمة (الفاشلين) اسم ثان منصوب بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وأُخِّر في الكلام لعدم أهميتهم أو تقديمهم لأي عمل للحصول على الجائزة، وعندما انتفى عنهم الفعل والمبادرة لذلك، أتت الصيغة منصوبة .

وهكذا يكون إعراب جملة ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة :124].

لا ينال: فعل مضارع منفي.

عهدي: اسم منصوب تعلق الفعل المنفي به .

الظالمين : اسم منصوب ثان مؤخَّر منفي عنه تعلُّقه بالفعل.

والمعنى للجملة كاملاً هو: لا يُمَكَّن أو لا يُعطى أحد عهد الرب من الظالمين ما داموا لم يبادروا أو يتصفوا بصفات مجيدة.

لنقرأ مثالاً آخر:

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145].

كلمة (لحمَ خنزيرٍ): نلاحظ أن كلمة (لحم) أضيفت لكلمة (خنزير) لتعرف بها وتحدد اللحم، فقال أهل النحو عن هذه الصيغة: هي مضاف وهي من صور التعريف.

وكلمة (خنزير) أضيف إليها اللحم، فأطلقوا عليها مضافاً إليه.

ولاحظوا من خلال سبر المضاف إليه أنه يأتي دائماً مجروراً فجعلوا ذلك قاعدة.

ولاحظوا أن المضاف إليه (خنزير) عندما يأتي دون (أل) يصير المعنى عاماً بوصف الخنزرة غير محدد بعنصر معين، مثل قولنا: كتاب طالب، بمعنى أي طالب غير محدد.

نتابع القراءة:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 115].

نلاحظ أن كلمة (الخنزير) أتت مضافاً إليه معرف بـ(أل) على خلاف النص السابق أتت دون (أل)، وكلاهما مضاف إليه، فما الفرق بينهما ؟

المضاف إليه دون (أل) (خنزير) تعني: صفةً تتحقق بأي عنصر أو كائن.

المضاف إليه المعرف بـ(أل) (الخنزير) تعني: كائناً محدداً بصفة له.

مثلاً: نقول: أعطني كتابَ طبٍّ، غير محدد أي كتاب في الطب، ونقول: أعطني كتابَ الطب، حددنا كتاباً معيناً، وتسمَّى هذه (الأل) العهدية لمعرفة المتلقي للخطاب بالكتاب في ذهنه.

فيصير معنى كلمة (لحم الخنزير) المعرفة تعني: اسم كائن معين تصف كل ما يلحم في بدنه بصفة الخنزير(الفساد) بصورة لازمة له.

ونلاحظ أن النص الأول أتى بصيغة الحصر (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ...) واستخدم المضاف إليه دون (أل) التعريف(لحم خنزير) ليدل على عموم وصف الخنزرة (الفساد والخبث) في أي لحم، بينما في النص الثاني (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ) أتت كلمة (لحم الخنزير) معرفة بـ(أل) العهدية لتدل على معنى معروف مسبقاً في ذهن المتلقي للخطاب كوصف للَّحم في كائن معين، وهذا النص نزل تحت نص التحريم الأول كتفصيل له، وليس زيادة في التشريع؛ لأن لحم الخنزير المحدد بكائن ينزل تحت دلالة مفهوم لحم خنزير العام، وبالتالي لم ينقض دلالة الحصر في النص الأول.

نصف الكلام لا جواب له، ولو كان كلام الله

الكلمة في اللِّسان العربي لها مفهوم واحد لسانياً يُحدد من مفهوم جذرها، ويختلف معناها حسب قصد المتكلم واستخدامه لها بسياق معين وتعلقها بمحل الخطاب من الواقع، وهذه القاعدة مُحكمة وثابتة، ولم يعد يُقبل النقاش أو الاختلاف فيها أو الرأي الآخر، وأي دراسة تُهمل هذه القاعدة هي اعتباطية وغوغائية لا تناقش ولا تقرأ ولا تدرس ولا تعد رأياً!.

فلا يصح اقتطاع كلمة من جملة، أو اقتطاع جملة مثل (فويل للمصلين) أو (اقتلوهم) أو (فانكحوا ما طاب لكم) أو (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) من سياقها وإنشاء مفهوم منها أو حكم شرعي، فهذا عمل شيطاني غوغائي يوصل لمفاهيم شيطانية وليست رحمانية.

الحكم للسياق والمنظومة التي ينتمي إليها موضوع الجملة ومحل تعلُّق الخطاب من الواقع.

اقرؤوا:

مثلاً على استخدام الكلمة ذاتها، ولكن المعنى اختلف حسب تعلُّق الخطاب من الواقع، كلمة رب يمكن أن يكون المعنى هو الله.

- ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2].

ويمكن أن يكون المعنى لها هو كائن مخلوق وتحقق فيه مفهوم الرب لساناً.

- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:50] .

اقرؤوا:

مثلاً على مجيء لفظ الكلمة ورسمها متطابقين، ولكن المعنى يختلف بينهما حسب اختلاف الجذر، ومحل تعلُّق الخطاب من الواقع.

- ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى ﴾ [النجم:50].

كلمة أهلك في هذا النص أتت بمعنى فعل من الهلاك.

- ﴿وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت :33].

كلمة أهلك في هذا النص أتت بمعنى اسم من الأهل.

وهذا يدل على أن الدراسة لا تكون من أهداب المفردات والكلمات بشكل مقتطع من السياق، فهذا عمل غوغائي اعتباطي طفولي، أن نأخذ كلمة من سياقها أو نفهم جملة بمعزل عن المنظومة التي ينتمي إليها كمفهوم، ونجري بها ونقول: هذا معناه كذا، وكل الناس يعرفون ذلك!

هذا الفعل ليس دراسة ولا تدبراً ولا يسمى فهماً، ولا يعد رأياً آخرَ وحريةً في البحث والتفكير.

الفاعل في اللِّسان العربي فاعل حقيقة إرادة ووعياً

وهو الذي صدر منه الفعل إرادة وأمراً، أو قام به علماً وقصداً.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاُّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء:113] .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس :5].

فاعل ظاهراً غريزة أو خاصية:

وهو الذي يجري الفعل به لزوماً مع خفاء أمر الفاعل حقيقة.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ [الكهف :77].

ففاعل (يَنقَضَّ) ظاهراً هو الجدار، والمخفي هو دلالة كلمة (يُريد) التي تصف ما يحصل في بنيته الداخلية من تفكك وتحلل نتيجة عامل الزمن(**قانون الموت والهلاك**) الذي يدفع الجدار إلى الانقضاض، وهذا القانون هو أمر الله.

انظر إلى هذه النصوص:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة :180].

﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء :15].

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[المنافقون:10].

كلمة الموت هي الفاعل ظاهراً، وحقيقة الفاعل هو قانون الموت الذي وضعه الله.

الفرق في الدلالة بين اسم الفاعل والفعل

صيغة اسم الفاعل مثل (كاتب) غير صيغة الفعل مثل (كتب)، وبداية يوجد فرق بينهما نتيجة اختلاف المبنى الذي يؤدي إلى اختلاف المعنى ضرورة، وهذا الاختلاف واضح في تعلُّق صيغة الفعل بالزمن بينما نفي الزمن عن صيغة اسم الفاعل، فصيغة الفعل (كتب) تدل على حدوث فعل محدود متعلق بالزمن بينما صيغة (كاتب) تدل على تعلُّق بالفعل من حيث الحدوث المكرر له سابقاً، وثبوت القدرة على إعادة الفعل وتعلقها بمشيئة الفاعل له حين اللزوم، بمعنى أن الفعل (كتب) صار مهنة وعملاً للفاعل مع امتلاك القدرة على فعله حين الحاجة له، فكل كاتب قطعاً مرَّ بمرحلة فعل (كتب)، والعكس غير صواب، بمعنى **ليس كل من كتب صار الكاتب**.

نقول: طالب، ونقول: الطالب.

كلمة طالب اسم فاعل نكرة، وتصدق على كل من يتحقق به طلب شيء فهو طالب له، ونطلق على كل من قام بفعل معين، ولو مرة واحدة، اسم الفاعل بصيغة نكرة، كـ(سارق) مثلاً، ولكن بشرط معرفة ما سرق، مثلاً زيد سارقٌ حصاناً، عمرو سارقٌ مالاً، وهكذا، أو يوجد فعل سرقة حصل، ونريد اتهام أحدهم بالسرقة، فنقول: فلان سارق.

اقرؤوا:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [يوسف:70].

أما صيغة اسم الفاعل المعرف (الطالب) فقد أتى بأل التعريف، وهي تسمَّى أل العهد، وهي تدل على معرفة الفاعل مسبقاً والتزامه بالفعل وشهرته به.

نقول: زيد الطالب، وعمرو البائع، وهكذا، هذه الصيغة تفيد لزوم الفعل وامتهانه من الشخص ذاته وقادر على ممارسته عندما يشاء.

اقرؤوا الآن:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38].

هل وضح لكم الفرق بين صيغة اسم فاعل غير معرف مثل (سارقون) في النص الأول، وصيغة اسم فاعل معرف في النص الأخير (والسارق والسارقة)؟

وهذا الفرق بين صيغة اسم الفاعل وصيغة الفعل هو أمر منطقي علمي كوني، والقرءان نزل بلسان عربي مبين محكوم بهذه القوانين الكونية والمنطقية.

لذا؛ من الخطأ والقصور أن يأتي إنسان ويطالب بالبرهان على الفرق بين دلالة (كتب) و(الكاتب)، لأن البرهان قائم بالفرق بينهما المشاهد كمبنى وكمعنى، ومن يفعل ذلك مثله كمثل من يقول: ما البرهان على الفرق بين أنا وأنت؟ الفرق قائم بالمبنى والمعنى من خلال محل الخطاب، وصيغة الكلام تدل على أن ضمير أنا غير ضمير أنت، وهذا التفريق من مقومات المنطق الثابتة بداهة لا تحتاج إلى برهان نظري.

والعلم بالفرق بين الصيغتين(اسم الفاعل والفعل) يساعدنا كثيراً بفهم القرءان ودراسته، انظروا إلى قوله تعالى:

1. ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا** جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38].

أتى النص القرءاني بصيغة اسم الفاعل (السارق) ولم يأت بصيغة الفعل (سرق)، وهذا له دلالة مهمة؛ لأن الخطاب القرءاني مُحكم ونور وصدق وحق، وهذا يدل على أن الحكم

متعلق بمن تحقق به دلالة اسم الفاعل(السارق) وليس من قام بالسرقة مرة، فالسارق لا شك أنه مارس فعل السرقة مرات، ومرات، بينما ليس كل من سرق صار السارق، وهذا لا يعني عدم عقوبة من سرق، ولكن ينبغي أن تكون مختلفة عن عقوبة السارق، ويرجع تقدير ذلك للقاضي حسب ما يراه زاجراً رادعاً مؤلماً.

2. ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي** فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور :2].

ليس كل من مارس الفاحشة هو الزاني، بينما الزاني يكون قد مارس الفاحشة مرات ومرات، وهي متعلقة بالدعارة، فكل زنى فاحشة، والعكس غير صواب، وهذا لا يعني أن ممارسة الفاحشة مباحة، ولكن لا علاقة للمجتمع بالفاعل حتى يصير زانياً، وذلك بمجاهرته ممارسة الفاحشة وتحولها إلى العلانية والتعاطي والترويج لها كدعارة، وهذا حق المجتمع فيتدخل فيه ليوقفه عند حده حفاظاً على أخلاق المجتمع وقيمه من التحلل والإباحية والفساد.

ليس كل من كفر هو الكافر

3. ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ **الْكَافِرُونَ** هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص :4].

﴿لَّقَدْ **كَفَرَ** الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة :73].

الكفر لساناً هو تغطية بجهد ﴿اعْلَموا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغرُ:ورِ﴾ [الحديد 20]، فكل تغطية للحق هو كُفر به، بصرف النظر عن مدى علم الإنسان أو غفلته أو تعمُّده أو خطئه، ولكن ليس كل من كَفر يصير كافراً أو كفَّاراً، فالكافر هو الذي يتعمد الكفر، ويتبناه بعدوانية ومحاربة للحق وأهله، فكل كافر هو على

كفر، والعكس غير صواب، بمعنى **ليس كل من كفر هو كافر**، والكفر يمكن أن يكون في كل الملل، والفرق دون استثناء حتى في المسلمين أنفسهم، وما أكثر الأقوال أو السلوكيات أو التصورات الكفرية عند المسلمين، ومع ذلك ليسوا هم كافرين ولا كُفَّاراً، ونعاملهم بالحسنى والاحترام والتعايش معهم في الوطن الواحد.

وكذلك من ينتسب إلى الأنبياء السابقين، فإن صدر منهم أيُّ قول أو تصوُّر كُفريٍّ لا يعني أنهم كافرون، وإنما هم على كُفر لا شك في ذلك، مثل من يقول بالثالوث أو البنوة الولادية لله، فهذا القول أو التصور كفر خلاف الحق، ولكن قائله ليس الكافر، بمعنى ليس عدواً محارباً للمسلمين أو الحق، وهو اختيار شخصي ناتج عن حريته، وحسابه على الله ليس للناس أن يحاسبوه، وله كامل حقوقه في المجتمع الإسلامي، وعليه أداء واجباته مثله مثل أي مواطن طالما أنه ملتزم بالسلم والسلام، ويحترم الآخرين ويتعايش معهم، ولا يصح إطلاق كلمة الكافرين عليهم مجردةً، وإنما القول: كافرون بكذا ونحدد المسألة التي كفروا بها، مع العلم أن كل شخص مخالف لآخر في فكرة معينة هو كافر بها.

4. ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: 93].

كلمة قتل غير قاتل، ولم يأت في القرءان كلمة قتل بصيغة اسم فاعل (قاتل)؛ لأن فعل القتل يقام عليه العقوبة من ممارسة الفعل من المرة الأولى لعظم جرم القتل، وتقديس لحياة الإنسان، ولا ننتظر لأن يصير قاتلاً وله عدة ضحايا، مع العلم أن القتلة صاروا محميين بالقانون والجيوش وقوى السلطة في معظم البلاد العربية.

الفرق بين دلالة الفعل الثلاثي، والفعل الرباعي

اللِّسان العربي لسان محكوم بالمنطق والسنن الكونية، ومن هذا الوجه أخذ صفة العربية، ومن أهم قواعد اللِّسان العربي هي (**إذا اختلف المبنى اختلف المعنى**) وذلك على صعيد الجملة أو الكلمة ذاتها، وأي زيادة في تركيب الكلمة هو زيادة في المعنى حسب الزيادة، مثل: كتب، يكتب، اكتب، مكتب، كاتب، كتيبة، مكتوب...، وأي تقديم أو تأخير في تركيب أصوات الكلمة يؤثر على معناها، مثل: كتب، بتك، بكت.

وذلك مثل المعادلة الكيميائية، أي تغير في نسبة عناصرها يؤثر على النتيجة.

ومثل الرياضيات أيضاً فـ 5× 6 غير 5× 7، مع ملاحظة أن اللِّسان العربي محكم أكثر من الرياضيات ذاتها، ففي عملية الجمع والضرب لا يتغير الجواب ولو غيرنا ترتيب الأرقام، مثل: 5× 8 = 8×5، وكذلك الجمع، بينما في اللِّسان العربي لا يمكن ذلك أبداً فـ: ك + ت + ب (كتب) لا تساوي ب + ك + ت (بكت) تغيرت النتيجة!

انظر: 1+2 +3= 6 تساوي 3+1+2=6 لم تتغير النتيجة!

والقرءان نزل بلسان عربي مبين محكم بقوانينه التي هي السنن الكونية والمنطقية ذاتها.

الفعل الثلاثي: (ضرب) ومضارعه مفتوح الياء(يَضربُ) هو من الأفعال المتعدية التي تتجاوز الفاعل، وتحتاج إلى مفعول به ليظهر فعل ضرب ويتم المعنى عند المتلقي للخطاب، وهذا بخلاف فعل (ذهب) الذي هو من الأفعال اللازمة التي لا تحتاج إلى مفعول به لقيامها بالفاعل ذاته ولزومها له، والمعنى يصل إلى متلقي الخطاب.

الفعل الرباعي: (أضرب) ومضارعه مضموم الياء ومكسور ما قبل الحرف الأخير (يُضرِبُ) بخلاف المبني للمجهول يكون الحرف ما قبل الأخير مفتوحاً (يُضرَبُ) والدلالة تختلف بينهما.

وهذه الهمزة في الفعل الرباعي تقوم بعملية تغيير اتجاه الفعل، لذا، سمِّيت همزة الإزالة.

مثل: كتب أكتَب، لعب ألعَب، قسط أقسَط، قتل أقتل، فعل أفعل، سبح أسبح، قرأ أقرأ....

ضرب يضرب ضرباً فعل ثلاثي متعدٍ، أضْرَب يُضرِب إضراباً فعل رباعي تغير في تركيبته اتجاه فعل الضرب من الفاعل للغير إلى الفاعل نفسه، حيث أنه قام بفعل الإضراب هو.

ضرب زيد عمراً، لاحظ أن فعل الضرب تجاوز زيد إلى عمرٍو، بينما الفعل الرباعي: أضرب زيد عن العمل، نلاحظ أن فعل الإضراب تحقق في زيد نفسه ولم يتجاوزه.

وكذلك فعل طاق يَطيق طاقة، فعل ثلاثي متعدٍ للغير، **بمعنى أن الطاقة احتوت الفعل،** أما الفعل الرباعي: أطاق يُطيق إطاقة، **فالفعل استنفد الطاقة واستهلكها.**

﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة :184].

وفي النص المعني بالدراسة أتى استخدام فعل (يُطيقونه) من الفعل الرباعي (أطاق) وليس من الفعل الثلاثي (طاق)، لذا؛ لا يصح الخلط بينهما أو تفسير الرباعي بدلالة الثلاثي ليصير المعنى يَطيقونه، ويدخل فعل الصيام بالطاقة وتحتويه، ويصير النص من حيث السياق عبثاً ومتناقضاً في حال فهمناه مع الأمر بالصيام، ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعسْرَ﴾ [البقرة :185]؛ لأنه لا يستقيم الأمر بالوجوب وبالوقت ذاته جعل الأمر للتخيير، والتطوع في النص عائد لطعام المسكين وليس للصيام، وجملة (أن تصوموا خير لكم) عائدة إلى المكلف بالصيام ولا يُطيقه.

بينما أتى النص بفعل (يُطيق) من الفعل الرباعي (أطاق) فغيَّر اتجاه الفعل وجعل الصيام يحتوي ويستهلك الطاقة، وهذا الإنسان رخَّص الله له الإفطار مع الإطعام لمسكين عن كل يوم، وحضَّه على التطوع أكثر في زيادة إطعام المساكين، وشجعه على اختيار الصيام، ولو مع المشقة والصبر واستهلاك الطاقة، وما ينبغي أن يُستخدم إطعام المساكين وفائدة ذلك على المجتمع كمفهوم لإسقاط حكم وجوب الصيام، فهذا العمل له قنواته من الصدقات والتبرعات.



الفصل الرابع

نماذج تطبيقية لكلمات ثلاثية

1. الله
2. نسء
3. نجس
4. ضل
5. شرى
6. صخر
7. حجر
8. كعب
9. زرب
10. فلج
11. شلل
12. رول
13. دهن
14. حكم
15. أمر
16. خمر
17. ضيزى
18. عنف
19. رهب
20. جهل

نماذج تطبيقية لكلمات ثلاثية

إن أي إضافة للكلمة الثّنائية؛ إنَّما هي إضافة لها في الدّلالة، بقدر وحسب دلالة الحرف الذي أضيف؛ وذلك لأنَّ الكلمة الثّنائية وُلدت في مرحلة التّفاعل الفطري، الأسروي للإنسان الأول، وهي صُور صوتية أو حالية، بينما الكلمة الثّلاثية، قد وُجدت في مرحلة الفاعلية الاجتماعية، وهي صُور حالية أو وظيفية.

لذا؛ ينبغي الانتباه إلى هذه المسألة، مع ملاحظة أن دلالة الكلمة الثّنائية لا تنتفي، وإنَّما يأتي الحرف المضاف إليها؛ ليعطيها بُعداً آخر من الدّلالة تحديداً، أو توجيهاً، أو تحريكاً، أو توقيفاً؛ حسب دلالة صوت الحرف المضاف. (**إنَّما الأعمال بالنهايات**).

وينبغي التّنبه إلى أن أي تغيير في بنية الكلمة، تقديماً، أو تأخيراً، يؤثر ويغير في دلالتها، مثلها في ذلك كمثل العناصر الكيميائية، فإن أي تغيير في تركيبتها زيادة أو نقصاناً، يغير في النّتيجة ويؤثر فيها.

لذلك ما ينبغي أن نقف على دلالة الكلمات الثّلاثية، من الحرفين فقط، ونفسر النُّصُوص على موجبها، بل لا بُدَّ من أخذها كبنية متكاملة، وبناء على دراسة دلالة أصوات الأحرف؛ نستطيع أن نحدد بالضّبط، الفروق بين الكلمات التي تشترك في الحرفين الأولين.

إن إضافة الحرف الثّالث للكلمة الثّنائية، هو دليل على بدء عملية التّفكير، والتّقدم في المجتمع الإنساني، فهو أضيف ليغطي احتياجات الإنسان كتفكير، ومعلومات، وتطور، وهذا يعني أنَّ الكلمات الثّلاثية؛ ينبغي أن تفهم حسب وضعها تماماً، دون تجريدها من أي حرف، أي: عدم جعلها ثنائية؛ لأننا بذلك العمل نكون قد حرَّفنا بنية الكلمة.

وينبغي ملاحظة أمر مهم، وهو أن هناك صُوراً صوتية للأحرف، مركبة مع بعضها غير مستخدمة في الثّقافة العربية، تنتظر من يستخدمها حسب دلالتها الصّوتية، لذلك لا نجد لها استخداماً في القواميس، والتّراث المنقول إلينا، وهناك صُور صوتية للأحرف، لا تأتي مركبة مع بعضها؛ لانتفاء وُجُود هذه الظّاهرة في الواقع (تنافر الحروف). نحو: عح، طقب، خح، طض، قج.

1 - اللّه: كلمة تطلق على المعبود، وهي من إله. اصطلاحاً كما زعموا !.

إن كلمة (الله) كلمة عربية أصيلة، والتفخيم لحرفي (أ، لَ) أثناء اللفظ هو أسلوب عربي قديم وهي الكلمة الوحيدة في اللِّسان العربي التي تُفخم فيها الألف واللام باللفظ خلاف كلمة الجبل أو القلم.. ، وعندما استخدم القرءان هذا اللفظ المفخم لحرفي (أ، ل) حفظه من الاندثار، وأعطاه مصداقية في الواقع، كون التنزيل الحكيم، أوصله الرسول محمد بصيغة صوتية أولاً تلاوة، وتم حفظه في صدور المؤمنين به وقاموا بجمعه خطاً في مصحف. ولمعرفة دلالة كلمة (الله) ينبغي أن نرجع إلى كيف بدأ ظهور هذا اللفظ في المفهوم الثقافي العربي.

أشار التنزيل الحكيم إلى ذلك؛ عندما استخدم كلمة (إسرائيل)، وهي كلمة عربية أصيلة تدل على مرحلة من مراحل تطور اللِّسان العربي، وكان ذلك متحققاً باللهجة الآرامية والسريانية، اللتان هما أسلوب للِّسان العربي، بصورة بدائية لم يتطورا، وابتعدا عن مركز اللِّسان الأم، ومحوره؛ ولذلك نشاهد هذا التداخل في أصول المفردات، والاشتقاقات، مع[1] اللِّسان العربي الأم.

1 اللهجة الآرامية والسريانية هما عربيتان بدائيتان، وهما لسان بني إسرائيل حينئذ، ولا علاقة لليهود أو النصارى بهما؛ لأن اليهودية والنصرانية ليستا قومية، وإنما هما ملتان. راجع كتابي (اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي).

فماذا تعني كلمة (إسرائيل) ؟

مفهوم إسرائيل:

إن كلمة (إسرائيل) منحوتة من كلمتين:

أحدها: (**إسرا**) من الإسراء، وليس من الأَسر، كما حاول اليهود أن ينشروها في ثقافتهم بقولهم: (إن النبي يعقوب قاتل الله فصرعه وأسره، ولم يتركه حتى أخذ منه عهداً بالبركة، والاصطفاء له، ولذريته)، وكلمة (سرى) تدل على حركة حرة متصلة مكررة، وذلك أعطاها بُعد الاستمرار، وانتهت بإثارة وامتداد؛ الذي هو دلالة صوت (آ – ى).

ومجموعة الأصوات بهذا الترتيب لكلمة (إسرا) صارت تدل على الحركة والبحث عن الطريق الذي يوصل إلى الهدف، والوصول إليه، والتمسك به باستقامة، والسير فيه بامتداد.

ومن هذا التحليل لكلمة (إسرا) قالوا: إنها تدل على الكشف، والإزالة مثل: سرى المرض من جسم المريض. وقالوا: إنها تدل على السير، والتداخل مثل: سرى المرض في جسم المريض. ومنه قولهم الأمراض السارية، إلى غير ذلك من الأقوال.

والملاحظ في هذه الصور الدلالية لكلمة (سرى) أنها صور استخدامٍ وحدوثٍ لدلالة الكلمة في الواقع، وليس دلالتها الأصلية؛ لذلك نلاحظ أن دلالة كلمة (سرى) قد تحققت في الصورتين بطريقة خروج المرض من جسم المريض، وبطريقة دخوله إلى جسم المريض. فدلالة كلمة (سرى) واحدة من حيث الأصل، وتظهر بصور مختلفة في الواقع.

أما الجزء الآخر لكلمة (إسرائيل) فهو كلمة:

ئيل: وتدل على مفهوم وتصور الإنسان العربي الأول للخالق العظيم ﴿الأوّلُ والآخر﴾ وباجتماعها مع كلمة (إسرا) صار المفهوم هو الباحث عن طريق التوحيد، والوصول إليه والتمسك به إيماناً.

وهذا التحليل تُرجم إلى مفهوم كلي، من باب تفسير الشيء بمآله؛ فقالوا: إن كلمة

(إسرائيل) كلمة تدل على (عبد الله) في النهاية، وهذا التفسير مقبول للتعليم، ولعامة الناس، وليس للباحثين والعلماء.

لذا؛ اقتضى التنبيه من اختراق اليهود لثقافتنا، ومحاولتهم إمرار دلالة كلمة (إسرائيل) بأنها (أَسرُ الله) نتيجة الصراع مع النبي يعقوب كما زعموا. والصواب ما ذكرناه، من أن (إسرائيل) تدل على الباحث عن التوحيد، والوصول إلى الله وعبادته، وكلمة (إسرا) من الإسراء، وليس من الأسر. كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: 1].

وينبغي أخذ العلم والانتباه إلى مسألة خطيرة جداً، وهي أن وصف إسرائيل، ليس للنبي يعقوب، وعملية التفريق بين بني إسرائيل، وبين ذرية يعقوب، وبين الطائفة الإرهابية اليهودية الملعونة، عبر التاريخ الإنساني! يترتب عليها إعادة ترتيب أوراقنا التاريخية والثقافية.

وعود على بَدْءٍ.

كلمة (**ئيل**)[1] ظهرت في الثقافة العربية، بصورة مبكرة على لسان بني إسرائيل؛ لتدل على الخالق المدبر، وبالذات على صفة (الأول) المستمر في وجوده، وهيمنته على أفعاله بصورة مباشرة.

وهذه دلالة تحليل صوت حرف (ل) ومع تطور المجتمع الإنساني، والرقي في تفكيره، وصل إلى مفهوم صفة (الآخر) التي تدل على بقاء الأول واستمراره على ما هو عليه، فأضاف صوت حرف (ل) لكلمة (ئيل) مع حذف الياء فصارت (إلل) ولفظها بصورة مفخمة، ومع استمرار الارتقاء بالتفكير، والابتعاد عن التجسيم، والوصول إلى الفكر المجرد، والتعامل مع الأفكار، وليس مع الأشياء، أو الأشخاص، وصل المجتمع الإنساني إلى مفهوم الإيمان بالغيب، مع تأثير ذلك على الحاضر، والتعامل معه كذلك، فأضاف صوت حرف (هـ) لكلمة (إلل) فصارت (الله) لتضيف إلى مفهوم﴿ الأَوّل والآخر ﴾ مفهوم ﴿ الظّاهر والباطن﴾ الذي هو دلالة صوت (هـ) التأرجح بصورة خفيفة، ويسمَّى

1 لفظ استُعمل في الحضارة العربية الفينيقية وغيرها للدلالة على إله القوى الخفية.

حرفاً غيبياً كونه يصدر من الجوف الحلقي.

وظهر ذلك من خلال غياب ذات الله عن التصور، والتشيؤ، والتمثل، والتشبه، والتجسم، وظهور صفاته الفعلية بصورة مشاهدة، في الواقع لتؤكِّد، وتثبت وجوده الذاتي الموضوعي. ومع استمرار استخدام كلمة (إله) تم تبديل حركة الهمزة من الكسر إلى الفتح؛ لسهولة النطق، والعرب تميل فطرة في أسلوب كلامها إلى السهولة واللين، في استخدام النطق بالكلام.

وبناء على ما ذكرت، لا يوجد (أل) تعريف في كلمة (الله)؛ لأن ذلك من أَصل الكلمة وليست مضافة إليها، ولو كانت مضافة إليها؛ لصح إزالتها دون تغير المعنى سوى نقلها من حالة المعرفة إلى النكرة، وكذلك ليس لها جذر حتى يمكن الاشتقاق منها.

ومن ثم؛ **صارت كلمة (الله) اسم عَلَم مفرد جامد، لا جمع لها، وغير قابلة للاشتقاق، ولا تدل إلا على الخالق المدبر حصراً**، وبذلك يتطابق هذا المفهوم، مع الواقع تماماً من حيث أنه لا إله إلا الله، والمطلوب الإيمان بها، وليس مجرد التصديق؛ لأن الإيمان تصديق واتِّباع.

أما كلمة (إله) فقد وُجدت نتيجة وجود مفهوم التعددية، والشرك بالله العظيم، الذي هو مفهوم عارض، ومرضي في المجتمع الإنساني؛ لأن الأصل هو التوحيد، والإيمان، وليس الشرك أو الكفر.

وقام هؤلاء بأخذ كلمة (إله) من بداية مرحلة نشوء مفهوم كلمة (الله) التي هي (تليه) فظهر مفهوم قاصر للألوهية لا يشمل دلالة﴿هُوَ الأَوّلُ والآخر وَالظّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، وإنما يدل على بعض من مفهوم كلمة (الله) ومن هذا الوجه تعددت الآلهة، وتقاسمت الأدوار في إدارة وتدبير الوجود، وكل ذلك في التصور الذهني للإنسان، ليس له على أرض الواقع أي مصداقية، مع وجود واستمرار مفهوم (الله) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مّنْ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنّ اللّهُ﴾ [الزمر: 38]، فالخالق الأول في الثقافة الإنسانية - قاطبة - هو الله لا شريك له أبداً، وإنما كانت الآلهة تابعة له، ومسؤولة عن الإدارة والتدبير (أرباب) وهذا هو الشرك بالله العظيم الذي حاربه جميع الأنبياء والرسل﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىَ قَوْمِهِ

فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59].

فكان مطلب الأنبياء والرسل توحيد العبادة لله، **والله معروف عند الناس وليس نكرةً، لذا؛ لم يكن هذا المفهوم في أي مرحلة تاريخية محل اختلاف، أو نقاش، أو إنكار، ولم يأت القرءان ليثبت وجود الله،** وإنما أتى لتصويب التوحيد، والإيمان، فكلمة (إله) ظهرت في المجتمع بعد ظهور كلمة (الله) ومن ثم؛ فليست هي أصلاً لها، ودلالتها قاصرة لا تشمل دلالة كلمة (الله) والعكس صواب، بمعنى أن الله هو إله، وليس من أطلق عليه كلمة إله هو الله، أما إذا أضفنا (الـ) التعريف إلى كلمة (إله) فتصير (الإله) وبذلك التعريف رجعت إلى المفهوم المعروف سابقاً (الله)، أما بصيغتها النكرة؛ فهي تدل على تصوُّر ذهني قاصر، ومحدود في صفاته.

لذا، أتى القرءان دائماً؛ ليصوِّب هذا المفهوم، ويرجعه إلى مفهوم (الله)، أو يستخدم التحديد بعد كلمة إله، نحو (وما من إله إلا إله واحد)؛ ليصير مفهوم كلمة (الله) و(الإله) و(إله واحد) يدل على (الله) وحده لا شريك له.

وتصير جملة(**لا إله إلا الله**): نفي هذه الآلهة الذهنية القاصرة، والمحدودة في أفعالها، والتصديق بوجود الفاعل الحقيقي في الواقع للخالق المدبر فقط، والمعروف مسبقاً للجميع.

وينتج عن نفي الشريك، والتصديق بالوجود الأحدي لله ضرورةً، مفهوم الاتِّباع وتوحيد العبادة للواحد الأحد الله سبحانه وتعالى عما يصفون، ما قدروا الله حق قدره.

ليصير التصديق بوجود الخالق المدبر فطرة، والإيمان به حرية واختياراً، وصدق من قال في ذلك الصّدد:

عميت عين لا تراك، وفي كل شيء لك آية، تدل على أنك الواحد الأحد.

2 - نسء: كلمة تدل على التّأخير. (مقاييس اللُّغة).

ن: صوت يدل على السّتر، والاختباء.

س: صوت يدل على حركة متصلة غير محددة.

ء: صوت يدل على ظهور منقطع خفيف.

نلاحظ أن دلالة أصوات كلمة (نسء) في الواقع الاجتماعي، تدل فعلاً على صفة التّأخير؛ لأن عملية التّأخير تحققت فيها صفة السّتر ابتداءً، وذلك عندما غاب الشّيء عن وُجُوده في محله، وجاء حرف (س)؛ ليعطي دلالة حركة حرة متصلة لعملية التّأخير، وجاء حرف (ء) ليظهر هذه الحركة بصُورة خفيفة منقطعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيَءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة : 37] والنّسيء في النّص يقصد به التّلاعب بالأشهر الحرم، تقديماً وتأخيراً، وذلك للقيام بعملية القتال؛ لأنه محرم في الأشهر الحرم. ولاحظ العرب القدامى هذا المعنى متحقق غالباً بالمرأة[1]؛ حيث أنَّ الواقع الفطري والاجتماعي أوجب عليها عملية التّأخر عن الرّجل على المستوى الأمني، والاقتصادي؛ فأطلق العرب على جمع امرأة كلمة (نساء) وهو جمع ليس من جنس كلمة (امرأة)؛ لأنها دالة على مفرد لا جمع لها من جنسها، وورد في لسان العرب مادة نسأ، **يقال: امرأة نسيء، ونسوة نِساء،** فكلمة نساء صفة، وليست اسم جنس وتطلق على كل من يتحقق به معنى النسء بصرف النظر عن نوعه أو مرحلة عمره، وهي مقابل كلمة الرجال.

3 - نجس: كلمة تدل على خلاف الطّهارة. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال دلالة أصوات الكلمة.

ن: صوت يدل على السّتر.

ج: صوت يدل على جهد، وشدة.

س: صوت يدل على حركة متصلة، غير محددة.

1 راجع كتابي: (القرءان بين اللغة والواقع) للتوسع في دراسة كلمة نساء.

مجموع دلالة الأصوات لكلمة (نجس) هي:

حركة مستورة، تمارس بجهد وشدة تتصل بشيء بصُورة غير محددة، ونجد هذه الصّورة قد تحققت دلالتها الاجتماعية، في الإنسان الذي لا يحمل مفاهيم الحق، والعدل، وإنَّما يحمل في داخله مفاهيم الباطل والظّلم، ويمارس ذلك في الواقع بشدة، وبصُورة حرة متصلة؛ لأنه يدور ويتحرك حسب هواه، دون ضابط لسُلُوكه، فهو لا يُحل حلالاً، ولا يُحرم حراماً، ولا يفعل واجباً، فهو إنسان نجس !، قال تعالى:

﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التّوبة:28].

فالنّجاسة تطلق على السُّلُوك الفاحش، والقبيح، والشّر، والأذى، ولا يصح استخدامها في وصف الإنسان المؤمن، إن كان على غير وضوء، أو غسل، وإنَّما ينبغي أن يقول: أنا على غير طهارة الصّلاة.

قال النّبي محمد لرجل مؤمن وصف نفسه بالنّجاسة، وقصد أنه على غير طهارة الصّلاة: (**سبحان الله إن المؤمن لا ينجس**). فالمؤمن طاهر في اعتقاده، وسُلُوكه بصُورة دائمة.

إذا أزلنا حرف (ج) من كلمة (نجس) تصير (نس) فنلاحظ أن عملية الجهد والشّدة اختفت، ولكن بقيت دلالة حركة الإنسان المستورة دون ضوابط، أو حدود، **فالإنسان النّس أقل خطراً من الإنسان النّجس، والأنجاس هم قطاع الطّرق، والمخربون لمقومات المجتمع الذين ينهبون ثرواته، وخيراته، ويستعبدون النّاس، ويمارسون عليهم الظّلم، والاستبداد بكل صُوره، والنّس: هو التّابع للنّجس.**

أما الأشياء التي هي على غير طهارة، فنطلق عليها وصف قذارة، أو خبائث، ولا يصح إطلاق وصف النجاسة عليها؛ لأن ذلك خاص في الأمور المعنوية.

4 - ضل: كلمة تدل على ضياع الشّيء، وذهابه في غير حقه. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال دلالة أصوات أحرف الكلمة:

ض: صوت يدل على دفع شديد جدّاً.

ل: صوت يدل على حركة متصلة بطيئة لازمة.

ومجموع الصّوتين يدل على دفع شديد جدّاً، منته بحركة متصلة بطيئة لازمة، ونجد هذه الصّورة قد تحققت دلالتها الاجتماعية، في الإنسان الذي دفع نفسه بشدة نحو سُلُوك معين، دون دراسة أو علم، ومارس هذا السُّلُوك بصُورة متصلة ظناً منه أنه صواب.

فنلاحظ أن كلمة (ضل) لا تقرب دلالتها من كلمة (ضاع)، بخلاف كلمة (ذهاب الشّيء في غير حقه)، فهي تقرب دلالة كلمة (ضل)؛ لأن فعل (ضل) يدل على قيام الإنسان بمُمارسة سُلُوك، أو اتِّخاذ موقف مع سبق الإصرار والإرادة؛ ظناً منه أن ذلك هو الصّواب، فهذا السُّلُوك منه، غير صادر من صفة النّسيان أو الغفلة، وإنَّما من صفة التّوهم للشّيء على غير حقيقته.

قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخرى﴾ [البقرة: 282]، بمعنى أن تقع إحداهما بالوهم، فتقوم الأخرى بتذكيرها بالوقائع، وما جرى تماماً حتَّى تتذكر الحادث على حقيقته؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلَقَآءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السّجدة: 10].

لقد فسر المفسرون كلمة (ضللنّا) بمعنى اختلاط الأجساد ببعضها، وضياعها في التّراب. بينما النّص نسب فعل الضّلال إلى النّاس أنفسهم، وهم أحياء، والمقصد هو أنَّ النّاس قالوا: إذا اعتقدنا معتقدات بناء على توهمنا، ودون دراسة أو تأكد من أنها حق، هل نحن نُخلق ونُحاسب بعد الموت عن هذا الضّلال، وذلك تصريح منهم، بكفرهم باليوم الآخر والبعث في لسان حالهم.

قال تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبّي وَلاَ يَنسَى﴾[طه:52].

لاحظ مجيء فعل (يضل) وفعل (ينسى) فكل واحد منهما له دلالة مختلفة عن الآخر.

5 - شرى: لها أصول ثلاثة، أحدها: تعارض بين اثنين أخذاً وإعطاءً مُماثلة. والآخر: نبت. والثّالث: هيج وعلو. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ش: صوت يدل على انتشار.

ر: صوت يدل على تكرار.

ى: صوت يدل على إثارة، وامتداد.

ومجموع دلالة أصوات الكلمة هي: انتشار شيء وتكراره وإثارته وامتداد هذه العملية. وتحقق ذلك المعنى اجتماعياً في عملية تبادل السّلع والبيع؛ لأنه أخذ وعطاء متبادل، لذلك تطلق عملية الشّراء على الطّرفين لتحقق الدّلالة فيهما. قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف:20] أي: باعوه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: 21] أي: أخذه بثمن.

نلاحظ أنَّ العملية تمت برضا الطّرفين، وكون الأمر كذلك؛ **فالنّتيجة ملزمة لكل منهما.** وإذا أضفنا حرف (و) لكلمة (شرى) بعد حرف (ش) حيث تصير (شورى) نلاحظ أننا أضفنا دلالة الضّم الممتد بعد عملية الانتشار؛ لتصير دلالة الكلمة هي:

شورى: تدل على تفشّي الشّيء وانتشاره، وضمه، وتكرار ذلك للوُصُول إلى إثارته والامتداد لشيء واحد.

ونجد أن هذه الصّورة الدّلالية، متحققة - اجتماعياً - بعملية اجتماع النّاس للقيام بالشّورى، التي هي عرض الرّأي ونشره، وطلب رأي الآخرين في ذلك، والقيام بتداول هذه الآراء وضمها إلى بعضها، وتكرار العملية؛ لاستقصاء الوُصُول إلى أقرب رأي يمثل الصّواب، وبعد الوُصُول إلى رأي واحد، سواء بالإجماع أم بالأكثرية، يأتي دور الاستقامة، والامتداد على هذا الرّأي، وهو مُلزم للجميع، لأنهم ابتداءً بدؤوا العملية عن تراضٍ منهم، وكل واحد منهم مُلزم نفسه بالنّتيجة التي يُسفر عنها المجلس.

ولو انتفى عن الشّورى صفة الإلزام، لصارت عبثاً ومهزلة. **أما اجتماع النّاس لتداول**

الآراء فهو مجلس حوار ونقاش، وليس مجلس شورى، وكذلك مجلس الإفتاء، فهو مجلس لإصدار القرار فقط، والفتوى هي رفع المسؤولية عن المستفتي، ووضعها في عنق المفتي؛ وذلك لوجهين:

الأول: تحميل المفتي نتيجة فتواه، فهو مسؤول عنها.

الثّاني: انتفاء العلم عن المستفتي الذي يريد أن يحمل غيره مسؤولية عمله.

لذا، لا يصح القول: إن المريض يشاور طبيبه، وهو لا يأخذ بنتيجة المشورة، فهذه تسمَّى حواراً وأخذ رأي من باب الاطِّلاع فقط، لا أكثر؛ لأنَّ التّشاور هو الوُصُول إلى رأي واحد بعد التّداول والحوار.

أما عملية الإفتاء؛ فهي خاصَّة بأهل الاختصاص، ولكل علم أهله.

فمجلس الشّورى غير مجلس الفتوى، وغير مجلس الحوار والرّأي، وغير مجلس النّقاش والجدال... إلخ، فلكل منهم دلالة مختلفة في الواقع الاجتماعي.

6 - صخر: هي الصّخرة: الحجرة العظيمة. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ص: صوت يدل على حركة متصلة محددة.

خ: صوت يدل على رخاوة وطراوة.

ر: صوت يدل على تكرار الحركة.

وإذا رجعنا إلى دلالة الكلمة الثّنائية (صخ) التي تدل على حركة متصلة محددة، منتهية برخاوة، وطراوة، نلاحظ أن ذلك تحقق في عملية الصّوت العظيم الذي ينتهي بحالة الرّخاوة، ومن هذا الوجه، سُمِّي يوم القيامة بالصّاخة ﴿فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ﴾ [عبس: 33] أي: التي تصم الآذان من شدة صوتها، ويعقب ذلك رخاوة للصّوت رويداً؛ رويداً.

فإذا أضفنا حرف (ر) إلى كلمة (صخ) نكون قد انتقلنا إلى المرحلة التي تدل على حركة

متصلة محددة، ترتخي بصُورة مكررة، ونلاحظ أن هذا المعنى متحقق بنشأة الصّخرة تماماً؛ من حيث ابتدائها بصُورة لينة عندما كانت حمماً سائلة متصلة مع بعضها، وبعد ذلك أخذت صفة التّحديد لحجمها وصُورتها، وبدأت ترتخي على هذه الحركة والصّورة بتكرار، إلى أن بردت، وتصلّبت، وصارت قاسية، فكلمة صخرة لا تدل على القساوة، وإنّما تدل على نشأة الصّخرة في الواقع التي ترتّب عليها في النّهاية صفة القسوة لها.

7 - حجر: كلمة تدل على المنع، والإحاطة على الشّيء. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل دلالة أصوات الأحرف للكلمة:

ح: صوت يدل على تأرجح شديد منضبط، أو سعة.

ج: صوت يدل على جهد وشدة.

ر: صوت يدل على تكرار.

إذا رجعنا إلى الكلمة الثّنائية؛ لتقريب المعنى (حج) نلاحظ أنها تدل على تأرجح شديد بجهد شديد. وتحقق هذا المعنى بعملية حج بيت الله الحرام؛ وذلك لأنَّ النّاس مؤرجحين بين الذّهاب والإياب بجهد إلى بيت الله. بخلاف قصد متحف للزّيارة، فلا يصح القول: حج المتحف؛ لانتفاء تحقق صفة التّأرجح المنضبط في عملية الزّيارة، وانتفاء القيام بأي جهد فيه. بخلاف الحج إلى بيت الله؛ فهو عملية مؤرجحة منضبطة، ذهاباً وإياباً في الفرد نفسه، والنّاس جميعاً للقيام بطقوس ومناسك معينة، فيها جهد وشدة.

وإذا أضفنا حرف (ر) إلى كلمة (حج) تصير (حجر) وبذلك نكون قد أضفنا لدلالة كلمة (حج) صفة التّكرار للجهد، وعندئذ يظهر لنا دلالة اجتماعية، وهي التّأرجح المنضبط بجهد مكرر التي تظهر في الواقع بصُورة تدل على تقليص حركة الشّيء وتحديده، إلى الحد الأدنى فقط لا غير، وتكرار ذلك العمل ضمن حدود معينة، ومن هذا الوجه أتى معنى المنع والإحاطة من باب تسمية الشّيء بمآله، وسمِّيت الحجارة حجارةً؛ لأنها تستخدم في عملية الإحاطة والمنع في الأرض.

8 - كعب: كلمة تدل على نتوٍّ وارتفاع في شيء. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ك: صوت يدل على وقف، أو ضغط خفيف.

ع: صوت يدل على عمق.

ب: صوت يدل على تجمُّع مستقر.

ومجموع الأصوات يدل على ضغط بعمق، منته بتجمُّع، وقد تحقق ذلك في دلالة بروز العظمتين النّاتئتين على جانب القدم اللّتين نطلق عليهما الكعبين، وتحقق ذلك في الكعبة قبلة الصّلاة؛ من كونها داخلة في عمق الأرض، ومرتفعة إلى الأعلى مجتمعة على بعضها.

9 - زرب: كلمة تدل على بعض المأوى. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ز: صوت يدل على بروز متصل.

ر: صوت يدل على تكرار.

ب: صوت يدل على تجمُّع مستقر.

مجموع دلالة أصوات الأحرف لكلمة (زرب) هي: بروز متصل مكرر منته بتجمُّع، نجد ذلك في الاستخدام الاجتماعي عندما يسيل الماء من فتحة الوعاء، ونجد ذلك في إطلاقنا على المكان الضّيق الذي لا يسمح بالمرور منه لأكثر من فرد واحد (زريبة). ونطلقها على الشّيء الذي يُنَزِّلُ الماء من فوق السّطوح (مزراب). قال تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: 16] أي: أوعية فيها خاصية إمرار الماء منها بواسطة مكان ضيق تُستخدم للشّرب مثل الأباريق ذوات الأنابيب التي تبرز منها.

10 - **فلج:** أصلان صحيحان، يدل أحدهما على فوز وغلبة، والآخر على فرجة بين الشّيئين المتساويين. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل صوت أحرف الكلمة:

ف: صوت يدل على فتح منضم.

ل: صوت يدل على حركة متواصلة بطيئة لازمة.

ج: صوت يدل على جهد، وشدة.

ودلالة مجموع الأصوات هي: فتح منضم متواصل ببطء، منته بجهد وشدة. ونجد ذلك تحقق في الاستخدام الاجتماعي عندما يصاب الإنسان بالفالج، الذي هو تقليص قدرة حركة الإنسان إلى مستوى ضعيف جدّاً، وإذا أراد أن يتحرك يكون ببذل جهد وشدة في ذلك. ونقول: فلج الرّجل بين أسنانه؛ إذا قام بفتح شق ما بين أسنانه الأمامية العلوية. لاحظ إن كلمة (فلج) هي وصف لعملية الشّق بين الأسنان كيف تحدث في الواقع، وليس اسماً للشّق.

ونقول: فلج زيد عمراً بما رأى؛ أي: أصابه بحالة الذّهول والجمود وتقلص مقدرته الحركية إلى الحد الأدنى.

11 - **شلل:** من شل التي تدل على تباعد. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ش: صوت يدل على تفشٍّ، وانتشار.

ل: صوت يدل على حركة متواصلة بطيئة لازمة.

ودلالة مجموع الأصوات هي: انتشار وتفشٍّ، منته بحركة متواصلة بطيئة لازمة. ونجد ذلك متحققاً في الاستخدام الاجتماعي، بقولنا: أصاب الرّجلَ شللٌ في يديه: وذلك إذا تعطلت يداه عن الحركة وتدلتا بجانبه لا يستطيع رفعهما، أو تحريكهما، وظهرت دلالة (الشّلل) من خلال انتشار القوة في جسم الإنسان، ومع ذلك توقفت عن يديه؛ لتأخذ

صفة الحركة البطيئة المتصلة مجراها، وتجعل يديه متدليتين. وظهر ذلك في نزول الماء من مكان عالٍ بصُورة متواصلة؛ فأطلقنا عليه كلمة (شلال)، الذي يدل على انتشار الماء، وحركته المتواصلة الممتدة المنتهية بتواصل بطيء لازم لبعضه.

12 - رول: كلمة تدل على لطخ شيء بشيء. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ر: صوت يدل على تكرار.

و: صوت يدل على ضم ممتد.

ل: صوت يدل على حركة متواصلة بطيئة لازمة.

ودلالة مجموع الأصوات هي: تكرار منضم، وممتد بصُورة تواصل بطيء. ونجد ذلك متحققاً في قولنا: رَوَلُ الإبل؛ إذا نزل لعابها بصُورة منضمة إلى بعضها، ومتواصلة، وتطلق كلمة (رول) على الأداة التي يتحقق بها صفة التّكرار، والضّم، والتّواصل البطيء نحو أداة الدّهان الأسطوانية، وتطلق على الشّيء الملتف على نفسه بصُورة أسطوانية، مثل القماش والورق وغيره.

13 - دهن: أصل يدل على لين وسهولة. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

د: صوت يدل على دفع شديد.

هـ: صوت يدل على تأرجح خفيف.

ن: صوت يدل على ستر، واختباء.

ومجموع دلالة أصوات أحرف الكلمة هي: دفع شديد متأرجح بخفة، منته بستر. وتحقق ذلك في عملية دهن الجدار. لاحظ عملية الدّهان، كيف تتم في الواقع.

14 - حكم: أصل واحد يدل على المنع. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ح: صوت يدل على التّأرجح الشّديد المنضبط، أو السّعة.

ك: صوت يدل على وقف، أو ضغط خفيف.

م: صوت يدل على جمع متصل.

ومجموع دلالة أصوات أحرف الكلمة هي: تأرجح منقطع، منته بتجمُّع متصل، وظهر ذلك في عملية إصدار الحكم، كيف تتم في الواقع؛ من حيث عملية التّأرجح بين أمرين لعملية اختيار الحكم الأصوب المناسب لمقتضى الحال، وبعد ذلك يتم قطع عملية التّأرجح باختيار واحد منهما، وإضافته للمسألة المعينة بالحكم، فتحقق بذلك صُورة الجمع بينهما في الواقع، إذاً؛ كلمة (حكم) تدل على إصدار قرار، يتعلق في بيان موقف الحاكم من العمل، ولا يكون الحكم حُكماً إلا إذا صدر من جهة قوية، تُلزم الآخرين، وتحاسبهم على تنفيذ الحكم.

وإذا انتفى عن الجهة صفة القوة، صار حكمهم مجرد رأي غير ملزم لأحد، قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للّهِ يَقُصّ الْحَقّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57].

ويكون حكم الله في المحور الثّابت (**الحرام والواجب والحلال**) وأعطى الإنسان (**كخليفة في الأرض**) مجال التّحرك على المحور المتغير، فيقوم بإصدار الأحكام حسب المحور الثّابت. قال تعالى: ﴿إِنّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللّهُ﴾ [النساء: 105].

15 - أمر: له أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النّهي، والأَمَر النّماء والبركة، والمَعْلَمْ، والعجب. (مقاييس اللُّغة).

والصواب أن كلمة (أمر) لها مفهوم واحد ومعانٍ متغيرة ومتعددة حسب قصد المتكلم دون أن يخرج عن مفهومها اللِّساني.

لنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

أ: صوت يدل على ظهور منقطع خفيف.

م: صوت يدل على جمع متصل.

ر: صوت يدل على تكرار.

نلاحظ أول شيء أنَّ الكلمة تبدأ بعملية ظهور منقطع خفيف، التي هي دلالة صوت (أ) بخلاف بداية كلمة (حكم) ممَّا يدل على أن فعل (أمر) لا علاقة له بإصدار الأحكام والتّشريعات أبداً، وإنَّما وظيفته تأتي بعد فعل (حكم) فالحاكم هو الذي يصدر التّشريعات، والأمير ينفذها؛ لذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: 38] ولم يقل: (حكمهم) **فالقاضي يحكم، والرّئيس يأمر، وما ينبغي للسّلطة التّنفيذية أن تحكم أبداً.**

ونلاحظ من دلالة أصوات أحرف كلمة (أمر) أنها تدل على الشّيء الذي ظهر ابتداء بخفة منقطعة، وهذا دلالة صوت حرف (أ) وبعد ذلك يتم جمعه متصلاً بصُورة مكررة. فقولنا: أمر؛ بمعنى ظهور شيء بخفة منقطعة، مجموع بذاته، ومكرر على تلك الصّفة. والأصول الخمسة التي ذكرها ابن فارس لا تخرج عن ذلك المفهوم قط، وهي ليست أصولاً، إنما هي معانٍ وصور ظهر من خلالها مفهوم كلمة (أمر).

وينبغي الانتباه إلى أن القول **بوجود ألفاظ مختلفة والمعنى واحد، هو صنو القول: بوجود مفاهيم مختلفة للفظ واحد، والصواب أن اللفظ له مفهوم واحد في اللِّسان العربي المبين، ويظهر بمعاني مختلفة حسب استخدامها من قبل المتكلم في الواقع محكومة بالمفهوم اللِّساني في كل صورها.**

وينبغي الانتباه إلى حركات الأحرف، من فتح، وضم، وكسر، وسكون؛ لأن تغير حركات الأحرف لذات الكلمة، يؤثر على دلالتها بحسب الحركة التي دخلت عليها، ودلالة الحركات هي ذات دلالة الأحرف الأصلية، ولكن بصُورة خفيفة **(فهي بمنزلة قُوى للحركة)**. فدلالة كلمة: (أَمْرٌ) غير دلالة كلمة (أَمَرَ) فهذه الحركات للكلمة، تعطيها بُعداً في ظهورها في الواقع بصُور كثيرة؛ من صُورة الفعل إلى صُورة الاسم، أو الصّفة.

16 - خمر: أصل واحد يدل على التّغطية. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل دلالة صوت أحرف الكلمة:

خ: صوت يدل على رخاوة، وطراوة.

م: صوت يدل على جمع، وتجمُّع متصل.

ر: صوت يدل على تكرار.

واجتماع هذه الأصوات مع بعضها، يصف حالاً يتم في الواقع، يبتدئ من الرّخاوة والطّراوة، ويصل إلى عملية التّجمع المتصل، وتَكَرُر هذه العملية.

ونجد هذه العملية قد تحققت في صيرورة الشّراب، عندما يتكاثف على بعضه، وكل ذرة منه تجتمع مع أخرى، وتتكرر هذه العملية إلى أن تشمل الشّراب كله، فيصير اسمه خمراً.

إذاً؛ الخمر سُمِّي خمراً لتحقق عملية الخمر فيه حالاً وبنية، وليس لأنه يغطي العقل، وقد نهى الشارع الإنسان عن القيام بأي عمل يترتب عليه فقدان الوعي والذاكرة، وهذه العملية هي تخمر للعقل (ارتخاء متصل مكرر)، وتغيب القيود والضوابط له، وسُمِّي غطاء الرّأس، أو غطاء الجسم، أو غطاء الأرض، أو غطاء الوعاء... إلخ، خماراً، لتحقق صفة الرّخاوة فيه، التي تجتمع بصُورة مكررة على ذاته، التي ترتب ونتج عنها في الواقع صفة التّغطية حين الاستعمال، فالخمار؛ خمار قبل استخدامه في التّغطية، وفعل التّخمير معروف في الواقع.

لذا، ينبغي الانتباه إلى دلالة الكلمة لساناً، واستخدامها ثقافة، أو مآلاً، أو الظروف التي تحيط بحصولها.

والشّارع عندما نهى عن تناول الخمر، كان ذلك نهياً عن حالة ارتخاء العقل، والإدراك؛ لذلك تم سحب النّهي لكل مادَّة يترتب على تناولها ذهاب العقل، والوعي، والإدراك؛ لأن الخالق يريد من الإنسان أن يكون واعياً مدركاً لمهمة الخلافة التي منحه إياها في الأرض.

17 - ضيزى: من ضَيَزَ، بمعنى النّقص. (مقاييس اللُّغة) وبناء على هذا الشّرح اللُّغوي فسرت الآية: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىَ﴾ [النجم: 22] بمعنى الظّلم والجور.

وهذا التّفسير من المفسرين قاصر، لأن النّقص، أو الظّلم، أو الجور، يمكن للإنسان تلافيه في الواقع، ويقوم بقسمة عادلة كاملة، بينما نجد أنَّ التنزيل الحكيم يُدين عملية القسمة أساساً من أصلها، ولا يمكن في واقع الحال أن يتم إصلاحها، فلو جعلنا الذَّكَر لله ﷻ، والأنثى لنا !، هل تنتفي عن القسمة صفة النّقص، والجور، والظّلم ؟ أو جعلنا الذّكر والأنثى لله، هل ينتفي النّقص والظّلم عن القسمة؟

لنر الآن دلالة كلمة (ضيزى) من خلال تحليل أصوات الأحرف:

ض: **صوت يدل على دفع شديد جدّاً.**

ي: **جهد خفيف ممتد.**

ز: **بروز متصل.**

ى: **امتداد واستقامة.**

وأصل الكلمة ثنائياً، هي كلمة (ضز) التي تدل على دفع شديد جدّاً بارز متصل. ودُخُول هذه الأحرف عليها، أعطاها بُعداً (قوى) في الدّلالة فصارت:

ضيزى: **تدل على الدّفع الشّديد جدّاً، مع جهد ممتد بارز بعملية الامتداد، والاستقامة في اتجاه معين.** وهذه الدّلالات الصّوتية للأحرف أفادت أن كلمة (ضيزى) في الواقع الاجتماعي تدل على الابتعاد عن الحق بصُورة شديدة جدّاً في اتِّجاه الباطل، إلى أن برزت منه وتجاوزته إلى غير رجعة؛ لذلك إذا وُصف شيءٌ بها، كان حكمه البطلان القطعي الذي لا يمكن إصلاحه بأي شكل، والبطلان يتضمن الظّلم، والجور قطعاً، ومن هذا الوجه أطلق القانونيّون على العقود الباطلة والظالمة التي لا يمكن إصلاحها في واقع الحال؛ العقود الضِّيزى.

18 - **عنف:** كلمة تدل على خلاف الرّفق. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل دلالة أصوات أحرف الكلمة:

ع: صوت يدل على عمق.

ن: صوت يدل على ستر، واختباء.

ف: صوت يدل على فتح منضم.

ومجموع دلالة أصوات كلمة (عنف) تدل على حركة بعمق مستورة، منتهية بفتح منضم. وتحقق ذلك بحركة العَنَفَة لمحطات توليد الكهرباء؛ من حيث تَوجُّه الحركة نحو العمق؛ ليتم سترها لتعود بفتح منضم على ذاتها، واجتماعياً تدل على توجُّه الإنسان إلى عمق الآخر، ونبش المستور في نفسه وإظهاره نقضاً وذماً أو نقداً بأسلوب عنفيٍّ، وهذا السلوك العنفي في التعامل مع الناس أو تربية الأطفال يترتب عليه دُخُول هذا السُّلُوك بعمق في نفوس الآخرين، وسترهم له؛ ليعود ويظهر مرة أخرى منكفئاً على نفس الفاعل، وسُلُوكه مع الآخرين، كفعل ورد فعل معاكس.

ومن هذا الوجه يقال: العنف لا يولد إلا العنف، والنقد أو النقض المستمر لسلوك الناس ينعكس ضد المقصد منه، وسُحبت كلمة عنف لتدل على الشدة والضرب والتخريب والقتال والأذى تساهلاً في الخطاب بين الناس كعادتهم، وينبغي ملاحظة أن التنزيل الحكيم لم يستخدم كلمة عنف في خطابه قط.

19 - **رهب:** كلمة تدل على خوف، أو على دقة وخفة. (مقاييس اللُّغة).

لنر ذلك من خلال تحليل دلالة أصوات أحرف الكلمة:

ر: صوت يدل على تكرار.

هـ: صوت يدل على تأرجح خفيف.

ب: صوت يدل على تجمُّع مستقر.

ومجموع دلالة أصوات كلمة (رهب) تدل على حركة مكررة مؤرجحة، منتهية بجمع

مستقر. وتحقق ذلك بعملية الرهبة التي تحصل في نفس الإنسان؛ من خلال عملية التّكرار لأمر معين، والعودة إلى بدايته؛ ليُصاب الإنسان بحالة الخوف والتعظيم، من جراء عملية التّكرار والتّأرجح للأمر، الذي ينتهي بتجمُّع ذلك في نفس الإنسان، فالإرهاب عملية يقوم الإنسان بها تجاه الآخرين، وهي من الفعل الرباعي (أرهب) مستخدماً العنف والظلم والتهديد ليلزم الإنسان باختيار حالة القلق، والذّعر، والخوف، والاضطراب، ويشل حركته الواعية. ويفقده الشُّعُور بالأمن؛ لذلك كان الإرهاب جريمة اجتماعية، يجب أن يكافح.

وينبغي أن نفرق بين مُمارسة الإرهاب، وعملية الرّهبة التي تحصل عند الآخرين؛ نتيجة امتلاك القوة عند الجهة التي تمت الرّهبة منها. فالخالق المدبر يرهبه الخلق؛ خوفاً من عذابه، وتعظيماً لأمره، وهو ليس إرهابياً !. وكذلك المجتمع العادل الإنساني، مطلوب منه أن يُرْهِبَ المجتمع الظّالم الجاهل، وذلك بامتلاكه القوة في الحق(قوة رادعة)، والعظمة في العدل، فيترتب على ذلك الرّهبة عند المجتمع الظّالم، القائم على الباطل، والمجتمع العادل ليس إرهابياً !، بينما المجتمع الظالم هو الإرهابي، فالرهبة سلوك يصدر من الإنسان نفسه نتيجة مفاهيم معينة، والرّاهب إنسان أخذ من الحياة جانباً واحداً فقط، وتقلصت حركته الواعية بموجب ذلك المفهوم، إلى الحد الأدنى.

لذلك لا يُوجد رهبانية في الإسلام، ومفهوم الرّهبة ينبغي أن يحصل عند النّاس ليس من جراء مُمارسة الإرهاب، وإنَّما من جراء القيام بالحق والعدل في الحكم، فينتج عن ذلك الخوف من مخالفة الحق، والرّهبة من الحكم العادل، وذلك اختياراً وحرية، أما الإرهاب فهو مرتبط بالقهر والخوف والظلم، والمجتمع العدواني الظالم هو الطرف الإرهابي في المعادلة، ويجب على المجتمع العادل السلمي أن يُلزم المجتمع العدواني باختيار موقف الرهبة من الحق والعدل، ليكف عن نفسه إرهابه.

20 - **جهل:** أصلان، أحدهما خلاف العلم، والآخر الخفة وخلاف الطّمأنينة. (مقاييس اللُّغة).

ولنر ذلك من خلال تحليل أصوات أحرف الكلمة:

ج: صوت يدل على جهد، وشدة.

هـ: صوت يدل على تأرجح خفيف.

ل: صوت يدل على حركة متصلة لازمة بطيئة.

ومجموع دلالة أصوات أحرف كلمة (جهل) تدل على: جهد متأرجح بخفة، منته بحركة متصلة لازمة بطيئة. وظهر هذا المعنى في إطلاق العرب على الأداة التي يحركون بها الجمر كلمة (مِجهال) ويقال: استجهلت الرّيح الغصن؛ إذا حركته فاضطرب.

أما قولهم: إن الجهل خلاف العلم؛ فيقصد به سُلُوك الإنسان الذي يصدر خلاف العلم والصّواب، وليس بمعنى انتفاء العلم والمعرفة عن الإنسان، فقد يكون الإنسان عالماً وعارفاً، ومع ذلك يصدر منه سُلُوك جاهلي.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، إذن الإنسان الجاهل، ليس من انتفى عنه العلم والمعرفة، وإنّما هو من صدر منه سُلُوك فاحش، أو فاسد، أو خطأ، أو قبيح.... إلخ، فيكون بذلك السُّلُوك إنساناً جاهلياً.

فالجاهلية ليست مرحلة زمنية مضت، وإنّما هي صفة منهجية في التّفكير؛ ينبثق منها سُلُوك عنصري، أو طائفي، أو فاسد على صعيد الآفاق والأنفس، والملاحظ الآن أن حكم الجاهلية يهيمن على المجتمعات الإنسانية، بقيادة أمريكا ومن خلفها، بل تصدر تلك الجاهلية بقوة السّلاح والإعلام!.

نماذج عملية لمنظومات لسانية

1. منظومة (قط) قطع، قطف، قطم، قطش، قطر، قطن، قطب
2. منظومة (س) سبق، سعى، سار، سوط، سقر، سفر
3. منظومة (غ) غاص، غطس، غرق، غاب، غرب، غبي
4. منظومة (ص) صد، صم، صرم، صك، صعق، صرف
5. منظومة (ف) فتح، فتر، فقر، فسر، فعس، فغر، فطر، فر

نماذج عملية لمنظومات لسانية:

إن الكون منظومة، تخضع لمجموعة من القوانين العامَّة، ويحتوي على منظومات خاصَّة منسجمة، ومتكاملة مع بعضها، ضمن القوانين الكُلِّيَّة.

فمنظومة المجموعة الشّمسية، وكواكبها الأحد عشر، تابعة لمنظومة أكبر منها، وهي المجرة التي تحتوي مجموعة من المنظومات، والمجرة كمنظومة خاضعة لقوانين كُلِّيَّة، تابعة لمنظومة الكون العامَّة. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]، وبما أنَّ اللِّسان العربي هو انعكاس صوتي، أو حالي، أو وظيفة للواقع، كان منظومة يخضع لذات القوانين العامَّة، ويحوي في داخله مجموعة منظومات، منسجمة مع بعضها، ومتكاملة ومترادفة، ومتداخلة في علاقتها، كل منها يُؤدِّي دوره، ووظيفته؛ حسب مقتضى الحال في المنظومة الكونية.

وسنعرض الآن بضع منظومات لسانية على سبيل المثال؛ لتدريب الباحث في التّعامل مع اللِّسان، بصُورة منظومات مترابطة مع بعضها، ومتعلقة بمحل الخطاب من الواقع؛

لأنَّ الكون هو عالم واحد لا يتجزأ، ولا يمكن فهم الجزء منه منفرداً، بل لا بُدَّ من إرجاعه وفهمه ودراسته، ضمن المنظومة التي ينتمي إليها، للوُصُول إلى فهم كلي، وبعد ذلك يتم فهم الجزء حسب مكانه من المنظومة.

1- منظومة (قط)

إن كلمة (قط) تدل على قطع، أو وقف شديد، منته بدفع وسط، ويأتي الحرف الثّالث؛ ليوجه هذا الدّفع إلى جهة ما، ويعطيه صفة تتناسب مع الحدث في الواقع. انظر مثلاً:

1. **قطع**: تدل على قطع، أو وقف، منته بدفع وسط، متوقف في العمق. ومن ثم؛ لا يُشترط لفعل القطع عملية الفصل أو البتر. قال تعالى وصفاً لصواحب يوسف: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: 31] بمعنى قيامهن بعملية جرح أيديهن بالسّكين؛ ما أدَّى إلى ترك أثرٍ فيها. ونقول: القطيعة. وهي الهجران بين الأصحاب أو الأقارب.

2. **قطم**: كلمة تدل على قطع، أو وقف شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بحالة الجمع المتصل، نقول: قطم البعير العشب؛ إذا وضعه في فمه، وأطبق عليه لنزعه من أصله.

3. **قطر**: كلمة تدل على قطع، أو وقف شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بتكرار العملية؛ ومن ذلك الوجه نقول: قَطر الرّجلُ سيارته. وسُمِّي القطار قطاراً؛ لأنه يقطر عرباته المتواصلة معه.

4. **قطش**: كلمة تدل على قطع، أو وقف شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بحالة الانتشار، والتفشي.

5. **قطب**: كلمة تدل على وقف، أو قطع شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بجمع مستقر، وتحقق ذلك في قطب الثّياب، أو الجرح، ونقول: فلان قطب في قومه؛ وذلك لاجتماع النّاس عليه ورجوعهم إليه.

6. **قطف**: كلمة تدل على وقف، أو قطع شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بحالة فتح منضم. وتحقق ذلك في عملية قطف الثّمار.

7. **قطن**: كلمة تدل على وقف، أو قطع شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بحالة السّتر والاختباء. وتحقق ذلك في عملية إقامة الإنسان في مكان معين.

8. **قطل**: كلمة تدل على وقف، أو قطع شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بحالة التّواصل البطيء اللازم.

9. **قطو**: كلمة تدل على وقف، أو قطع شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بحالة الضّم الممتد. وتحقق ذلك في عملية المقاربة في المشي للقدمين.

10. **قطز**: كلمة تدل على وقف، أو قطع شديد، مندفع بصُورة وسط، منته بحالة البروز المتصل.

2 - منظومة (س)

إن دلالة صوت (س) يدل على حركة حرة متصلة. وكل كلمة تبدأ بحرف (س) تدل ابتداء على الحركة الحرة، وتأتي بقية الأحرف؛ لتوجُّه هذه الحركة، وتعطيها صفة حسب الواقع:

1. **سبق**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة اجتمعت، وانتهت بوقف شديد: وتحقق ذلك في عملية السّباق.

2. **سعى**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة متجهة بعمق، منتهية بامتداد واستقامة، وتحقق ذلك في قولنا: سعى الرّجل خلف لقمة العيش؛ إذا قام بحركة حرة متصلة، يقصد البحث عن العمل.

3. **سار**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة امتدت، واستقامت، وانتهت بتكرار هذه العملية. ومنه السّير في الطّريق.

4. **سوط**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة انضمت بامتداد، وانتهت بدفع وسط. وسُمِّي السّوط سوطاً؛ لتحقق تلك العملية به.

5. **سب**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، انتهت بجمع مستقر. وتحقق ذلك في عملية السّب. وهي التّلفظ بالكلام القبيح والفاحش الموجه إلى جهة ما.

6. **سقر**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، توقفت بشدة، وانتهت بتكرار العملية.

7. **سفر**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، أعقبها فتح بضم، وانتهت بتكرار العملية. ومنه قولنا: أسفرت المعركة عن أحداثها؛ بمعنى ظهور وكشف أحداثها بصُورة مستمرة.

8. **سرب**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، تكررت، وانتهت بجمع مستقر؛ ومن ذلك نقول: سرب الطّيور.

9. **سرح**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، تكررت، وانتهت بعملية التّأرجح الشّديد. ومنه عملية السّرح في الأرض.

10. **سفد**: كلمة تدل على حركة حرة متصلة، انفتحت بضم، وانتهت بدفع شديد. ومنه سفاد الطّير أو التيس.

3 - منظومة (غ)

كل كلمة تبدأ بحرف (غ) تدل ابتداءً، على الغياب، وتأتي بقية الأحرف لتحدد في الواقع صفة هذه العملية كيف تمت.

1. **غاص**: كلمة تدل على غياب ممتد، منته بحركة محددة متصلة. ومنه الغوص في الماء.

2. **غطس**: كلمة تدل على غياب مندفع بصُورة وسط، منته بحركة حرة متصلة، ومنه الغطس في الماء.

3. **غرق**: كلمة تدل على غياب متكرر، منته بحالة الوقف، أو القطع الشّديد، ومنه: غرق زيد في الماء.

4. **غرب**: كلمة تدل على غياب متكرر، منته بجمع مستقر. ومنه: غربت الشّمس.

5. **غاب**: كلمة تدل على غياب ممتد، منته بجمع مستقر. ومنه: غاب زيد عن الدّرس.

6. **غبي**: كلمة تدل على غياب مجتمع متوقف، منته بجهد خفيف ممتد. ومنه زيد غبي.

7. **غر**: كلمة تدل على غياب متكرر. ومنه: زيد غر؛ إذا كان فاقد العلم والخبرة.

8. **غفل**: كلمة تدل على غياب منفتح خفيف منضم، منته بحركة متواصلة لازمة بطيئة. ومنه الغفلة. التي هي انشغال عن الشّيء، وتفويته من منطلق التّسويف والتّأخير له.

9. **غضب**: كلمة تدل على غياب مندفع بشدة جدّاً، منته بجمع مستقر. ومنه الغضب.

10. **غط**: كلمة تدل على غياب، منته بدفع وسط. ومنه: غط الرّجل في نومه؛ إذا استغرق بعمق.

4 - منظومة (ص)

كل كلمة تبدأ بحرف (ص) تدل على الحركة المتصلة المحددة، وتأتي بقية الأحرف؛ لتعطي لهذه الحركة صفة حسب واقعها. انظر مثلاً:

1. **صد**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة، منتهية بدفع شديد متوقف. نحو صد اللاعب الكرة.

2. **صم**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة، منتهية بجمع متصل. ومنه: حجر صم؛ إذا كان مجتمعاً على بعضه، لا وُجُود للشّقوق والفتحات فيه. ومن ذلك الصّيام والصّوم.

3. **صق**: كلمة تدل عل حركة متصلة محددة، منتهية بقطع أو وقف شديد. ومنه: صَقَّ الرّجل على فيه؛ إذا انقطع عن الكلام بشدة.

4. **صرم**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة مكررة، تنتهي بجمع متصل. ومنه قوله تعالى: ﴿أَنِ اغْدُواْ عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم: 22].

5. **صك**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة منتهية بضغط أو وقف خفيف. ومنه

قولـه تعـالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُـهُ فِـي صَـرَّةٍ فَصَكَّـتْ وَجْهَهَـا وَقَالَـتْ عَجُـوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذّاريـات: 29].

6. **صرف**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة مكررة، منتهية بفتح منضم. ومنه قوله تعالى: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65].

7. **صعق**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة بعمق، منتهية بقطع شديد أو وقف. ومنه الصّاعقة. وانصعق زيد حين سماعه الخبر.

8. **صلب**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة، تتباطأ ملتزمة، منتهية بجمع مستقر. ومنه: صلب الرّومان دعاة الحق.

9. **صقر**: كلمة تدل على حركة متصلة تتوقف بشدة، منتهية بعملية التّكرار. ومنه: صَقَرَ الرّجل نحو هدفه؛ إذا كان في حركة متصلة، ثم وقف وسارع نحو هدفه. ومن ذلك سُمِّي الصّقر صقراً.

10. **صعب**: كلمة تدل على حركة متصلة محددة بعمق، منتهية بتجمُّع مستقر. ومنه: الأمور الصّعبة.

5 - منظومة (ف)

كل كلمة تبدأ بحرف (ف) تدل ابتداء على الفتح المنضم، وتأتي بقية الأحرف؛ لتحدد صفة الفتح في الواقع، وما مآلها. انظر مثلاً:

1. **فتح**: كلمة تدل على فتح منضم بدفع خفيف متوقف، منته بتأرجح. ومنه: فتح الباب.

2. **فتر**: كلمة تدل على فتح منضم بدفع خفيف متوقف، منته بتكرار العملية. ومنه: فتر الأمر، فتر الماء.

3. **فقر**: كلمة تدل على فتح منضم متوقف بشدة، منته بتكرار العملية. ومنه: الرّجل الفقير، وفقرات، والعمود الفقري.

4. **فسر**: كلمة تدل على فتح منضم بحركة حرة متصلة منتهية بتكرار. ومنه تفسير النّص.

5. **فعس**: كلمة تدل على فتح منضم بعمق، منته بحركة حرة متصلة نحو: فعس زيد التين.

6. **فغر**: كلمة تدل على فتح منضم غائب، منته بتكرار. ومنه فغر السّبع فمه.

7. **فطر**: كلمة تدل على فتح منضم بدفع وسط، منته بتكرار. ومنه: ﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأنعام:14].

8. **فرق**: كلمة تدل على فتح منضم مكرر، منته بقطع، أو وقف شديد. ومنه: فرق الشّعر، ومفرق الطّريق، والفراق.

9. **فرض**: كلمة تدل على فتح منضم مكرر، منته بدفع شديد جدّاً. ومنه ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة :237].

10. فشر: كلمة تدل على فتح منضم منتشر، ومتفشٍّ، منته بتكرار تلك العملية.

ومنه قولنا: فشر اليهود أن يكونوا أتباع الأنبياء والرسل.

الكلمات الرباعية وما فوق صنعة وليست ولادة

الأصل في بنية اللِّسان العربي، هو الصوت الواحد (الحرف) وهو بمنزلة مواد البناء، ولكن في الظاهرة الصوتية للأحداث أو الكائنات لم يتم ظهور الصوت الواحد منفرداً، وإنما تم ظهور الصوتين معاً كحد أدنى؛ والإنسان بدأ باللفظ بصورة ثنائية تفاعلاً مع الظواهر دون الوعي للصوت الواحد منفرداً، ومن ذلك وُلدت الكلمات الثنائية، التي صارت قاعدة، وأساساً فيما بعد للكلمات الثلاثية، وشكَّلا مع بعضهما أصلين للِّسان العربي، ومنهما تم بناء جسم اللِّسان، وظهرت الكلمات الرباعية، وما فوق نتيجة ظواهر، وأحداث احتاجت إلى أكثر من ثلاثة أصوات لتدل عليها؛ أو جمع كلمتين مع بعضهما، وذلك لتغطي هذه المرحلة عملية التطور، والمدنية في المجتمع الإنساني، وبذلك ظهرت لنا المراحل التي مرَّ فيها تطور اللِّسان العربي، وهي المرحلة الثنائية، والمرحلة الثلاثية، والمرحلة الرباعية وما فوق، وهذه المراحل مرتبطة بتطور الإنسان من التعقل إلى التفكير، ومن الجماعة إلى المجتمع.

وينبغي الانتباه إلى أن عدم معرفة تحليل كلمة رباعية أو خماسية، وصعوبة إرجاعها إلى أصلها الثنائي أو الثلاثي أو صعوبة تحليلها وتفكيكها، ليس بمبرر لرفض الكلام السابق، فمن الطبيعي أن الفكرة تثبت ببرهان واحد، ويتم دراسة الأجزاء تباعاً مع التطور المعرفي للوصول إلى أجوبة عليها.

لذا؛ من الخطأ القول: إن في اللِّسان العربي أصلاً رباعياً مجرداً أو خماسياً... إلخ[1]،

1 انظر إلى كتاب (مبادئ النحو والإملاء والخط) المقرر تدريسه في منهج الصف السادس في سورية لعام 2008/ 2009، تحت عنوان (المجرد والمزيد) ص26 – 30، ذكر: الفعل الرباعي المجرد: هو كل فعل مؤلف من أربعة أحرف أصلية لا يمكن الاستغناء عن أي حرف منها. وضرب أمثلة على ذلك وهي: عسكر، تبعثر، اطمأن. وقد مرَّ إرجاعهم إلى أصلهم الثنائي أو الثلاثي في دراستنا، لذا؛ ينبغي إعادة النظر في مناهجنا بعيون ناقدة مبدعة.

والصواب أنه لا يوجد إلاَّ أصل ثنائي أو ثلاثي فقط، وما ظنوه رباعياً مجرداً؛ هو في الحقيقة **ثلاثيٌّ مزيدٌ، أو ثنائيٌّ مكرَّر، أو ثنائيٌّ مختلفٌ، أو كلمتان مدموجتان مع بعضهما،** وسوف نرى ذلك:

1. **كلمات رباعية أو خماسية مُزادة:** نحو كلمة (أقسط) وأصلها (قسط)، وتم زيادة الهمزة في أولها؛ لتدل على دلالة ظهور خفيف منقطع، فنقلت دلالة فعل (قسط) من مجرد فعل قام به الإنسان إلى فعل الإقساط للغير، انظر إلى هذه الكلمات: أطاق- طاق، انطلق- طلق، اطمأن- طمن.

2. **كلمات رباعية مؤلفة من ثنائي مكرر؛** لتكرار الحدث ذاته في الواقع، مثل: زلزل، كركر، قرقر، بقبق، زقزق، كبكب، شرشر، حصحص، زحزح.

3. **كلمات رباعية مؤلفة من مقطعين ثنائيين مختلفين في المبنى،** تم إضافتهما لبعضهما؛ ليدلا على ظاهرة تحتاج إليهما معاً. مثل:

(دحرج) وأصلها، دح + رج، (بَرْمَل) وأصلها، بر + مل، (برغل) أصلها، بر + غل، (زخرف) أصلها، زخ + رف، (خنزر) أصلها، خن+ زر، أو خنز، (عسكر) أصلها عس+ كر، (تبعثر) من (بعثر) وأصلها بع+ ثر، أو بعث+ر، (تلعثم) أصلها (لعثم) من اجتماع، لع + ثم.

لع: تدل على حركة بطيئة لازمة متصلة، منتهية بعمق، ومن هذا الوجه قالوا: إنها تدل على اضطراب.

ثَم: تدل على دفع خفيف ملتصق، منته بجمع متصل، ومن هذا الوجه قالوا: إنها تدل على اجتماع في لين. وعملية اللعثمة تحقق فيها الصفتان، الاضطراب، والجمع في لين.

اكفهر: أصلها من (كفهر)، كف + هر.

كف: تدل على قطع، أو ضغط خفيف، منته بفتح خفيف منضم، نحو:

كف الرجل كمه.

هر: تدل على تأرجح خفيف، منته بتكرار، نحو هرَّ شعر الرأس.

وعملية اكفهرار الوجه، تحققت فيها صفة الكف، والهر، وهذا ملاحظ في حركة الوجه والتعابير التي تظهر عليه.

4. **كلمات رباعية دخل عليها صوتٌ أو أكثر؛ ليعطيها بُعداً،** مثل: (كرْدَم) وأصلها الثلاثي (كرْدَ) ودخلت الميم؛ لتعطي دلالة (كرْدَ) الجمع المتصل؛ لتصير دالة على قيام الإنسان بالإسراع في العَدْوِ. وكذلك كلمة (كمثر) أصلها (كثر) ودخلت (الميم) في وسطها لتعطيها دلالة الجمع المتصل؛ لتصير دلالتها الجمع المتصل بكثرة، أو اجتماع الشيء على بعضه بكثرة.

5. **كلمات منحوتة من كلمتين.** مثل:

إسرائيل، إسرا + ئيل. وكلمة (إسرا) من (سرى) التي تدل على الحركة المكررة بامتداد مستقيم سواء أكانت في الليل أم في النهار، وكلمة (ئيل) تدل على وصف الخالق المدبر في بدء وعي الإنسان، وهي أصل كلمة (الله) قبل تطورها؛ لتصير دلالة كلمة (إسرائيل) مجتمعة تدل على الباحث عن الله، التي تم شرحها فيما بعد، بمآلها فقالوا: عبد الله.

وكذلك كلمة: ميكائيل أصلها، ميكا + ئيل، أي: مكيال الله، جبرائيل أصلها، جبرا + ئيل، أي: جبروت الله.

فهذه الكلمات هي عربية اللِّسان، لا أعجمية كما يتوهم بعض المفسرين.

لذا، استخدمها الله في كتابه العربي (التنزيل الحكيم).

وأسلوب النحت للكلام، أسلوب عربي مستخدم، انظر إلى هذه الكلمات في قاموس (المقاييس في اللغة) لأحمد بن فارس:

1. لهجم: منحوتة من كلمة (لهج) و(هجم).

2. نهشل: منحوتة من كلمة (نشل) و(نهش).

3. نقرش: منحوتة من كلمة (نقر) و(قرش) و(نقش).

4. عفلق: منحوتة من كلمة (عفق) و(فلق).

5. عصلب: منحوتة من كلمة (عصب) و(صلب) و(عصل).

6. غملج: منحوتة من كلمة (غمج) و(غلج).

7. غشمرة: منحوتة من كلمة (غشم) و(شمر).

8. فرزدق: منحوتة من كلمة (فرز) و(دق).

9. فرنقع: منحوتة من كلمة (فرق) و(فقع).

10. قلفع: منحوتة من كلمة (قفع) و(قلع) و(قلف).

فاللِّسان العربي، لسان فطري قام على أسس محكمة، يتفاعل مع حركة الواقع، ومستجداته، وهو لسان حيوي يُصَوِّر الحدث بدقة شديدة، ويستوعب كل جديد من تطور، أو توسع، فهو يسير وينمو مع سير ونمو الكون.

لذا؛ ينبغي على أهل اللِّسان العربي أن يُوجدوا دلالات عربية لكل الأدوات المعرفية، والتقنية، وقِطَع الصناعة والآلات، وغير ذلك، إضافة لقيامهم بعملية النحت لكلمة تدل على مجموعة من الظواهر، أو الأفعال، أو المفاهيم بكلمة واحدة، وذلك لاختزال الدلالة بها، وسهولة التعلم، واللفظ؛ لأن الزمن – الآن- زمن تسارع معلوماتي هائل، ومن المعلوم أن عملية فهم العقل للدلالات، أسرع من لفظها بكثير.

كيف نعرف دلالة كلمة في اللِّسان العربي

إن الأصل في دلالة الكلمة في اللِّسان العربي هو واحد، وقد أطلق عليه المعنى الإمام أو المفهوم. وعندما نستخدم هذه الكلمة، في حياتنا المعيشية، والثقافية، تظهر دلالة هذه الكلمة بصور متعددة تلبس الحالة التي تم فيها الاستخدام، مع بقاء دلالة الكلمة قائمة، واستمرارها لساناً؛ الذي هو المفهوم أو الإمام.

وعلى سبيل المثال نأخذ كلمة (كتب) فهي تدل على مجرد عملية الجمع المستقر للشيء المتجانس، ولكن حين استخدامها الثقافي، تأخذ عملية الجمع صورة الواقع المعني بالجمع، فنقول:

1. كَتَبَ الطالب الوظيفة. بمعنى أنه قام بعملية جمعها بواسطة الخط على دفتر.
2. كَتَبَ زيد كتابه على زينب. بمعنى أنه قام بجمع نفسه ونفس زينب معاً بقصد الزواج.
3. كتب الله على نفسه الرحمة. بمعنى جمع هذه الصفة مع نفسه بصورة إلزام.
4. كتب الله على النساء المحيض. بمعنى جمع هذه الصفة، وإلصاقها بالنساء فطرة.

ونقول: مكتب. اسم مكان يتم فيه جمع الأشياء المتجانسة. ومنه المكتبة.

ونقول: اكتَتَبَ الناس. ونقول: اكتَتِبوا أيها الطلاب.

ونقول: كتاب الفقه، وكتاب الصلاة، وكتاب التوحيد، وكتاب الطب... إلخ

إذاً دلالة كلمة (كتب) هي واحدة، ولكن تظهر بصور متعددة حسب استخدامها في الواقع.

والناس من طبيعتها تميل إلى التساهل، وتفسير الشيء بمآله، ومن هذا الوجه؛ نجد شيوع صورة لاستخدام كلمة في الثقافة، وحصرها عملياً في ذلك عند الاستخدام.

مثل شيوع صورة دلالة كلمة (كتب) بأنها استخدام القلم، والخط على الورق، لكن هذا الشيوع ما ينبغي أن يستخدم في عملية البحث والدراسة، أو يجعل ذلك مصدراً أو مرجعاً، خاصة في دراسة النص القرءاني.

﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ [النساء : 103].

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: 54].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً ﴾ [آل عمران: 145].

مفهوم الدين والملة

ونأخذ مثلاً آخر، هو دلالة كلمة (مِلة) ومحاولة الوصول إلى المعنى الإمام للكلمة؛ من خلال القاسم المشترك الكامن في صور استخدامها الثقافي:

قال تعالى: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ*وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـيَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: 37- 38].

نلاحظ أن دلالة كلمة (ملة) ظهرت في النصين، بصورة الجمع من الناس الذين يعتقدون بمعتقدات معينة مستمرة، خلال الزمن طال أم قَصُرَ.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88] بمعنى الرجوع والانضمام إلى جماعتنا وحمل معتقداتنا. قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: 120] بمعنى الانضمام، والتقيد بجماعتهم فكراً، وعقيدة.

نصل إلى أن دلالة كلمة (ملة) يلزم لها عملية الجمع المتصل مع بعضه، ومستمر على ذلك، فلا يصح استخدام كلمة (ملة) على فكر لا يحمله، أو يتمثله في الواقع جماعة من الناس. فالجمع من الناس ضروري؛ لظهور دلالة كلمة (ملة)، وهؤلاء الجماعة مجتمعون على عقيدة معينة، يتمثلونها في واقعهم المعيشي.

فتكون صورة دلالة كلمة (ملة) هي الجمع من الناس الذين يحملون عقيدة واحدة، ومستمرون على ذلك في الواقع، دون توقف عن ممارسة معتقداتهم.

انظر إلى تحليل أصوات أحرف كلمة (ملة) مع الانتباه إلى أن أصل الكلمة هو (مل).

م: صوت يدل على جمع متصل.

ل: صوت يدل على حركة لازمة مستمرة متصلة بطيئة.

وجمع الأصوات بترتيب كلمة (مل) يوصلنا إلى المعنى الإمام للكلمة، الذي هو جمع متصل متحرك باستمرار، وبطيء دون توقف.

وبعد هذا الشرح والوصول إلى المعنى الإمام لكلمة (ملة) نأتي إلى الصور الأخرى التي استخدمت في التنزيل الحكيم.

مثلاً:

1- ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الّذِي عَلَيْهِ الْحَقّ﴾ [البقرة:282].

ففعل الكتابة غير فعل الإملاء. فما هي الصورة التي ظهرت لفعل الإملاء في الواقع !؟

نلاحظ أن فعل الإملاء، هو قيام الإنسان باختيار كلمات معينة (جمع متصل) يقوم بلفظها على الآخر بصورة مستمرة بطيئة. وهذه الصورة هي المستخدمة في الثقافة المدرسية من خلال عملية الإملاء على الطلاب.

2- ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الرعد: 32].

نلاحظ من خلال سياق النص، وإسقاطه على محله من الخطاب، أن صورة دلالة

كلمة (أمليت) أتت بصورة استخدام الجمع المتصل من الزمن واستمراره ببطء مع عملية الإملاء لهم من وعد ووعيد، ونذارة وبشارة. ولتقريب ذلك نقول بمعنى المهلة الزمنية، من باب تفسير الشيء بمآله.

لذا؛ ينبغي تثبيت دلالة الكلمة الإمام - أولاً- ، وبعد ذلك ندرس صور ظهورها واستخدامها في الثقافة من خلال إسقاطها على محلها من الخطاب، وملاحظة تحقق دلالة الكلمة الإمام في كل الصور المستخدمة.

وبعد هذا العرض نصل إلى الفرق بين كلمة (ملة) وكلمة (دين).

الدين: هو اسم لما يدين الإنسان به من فكر، وعقيدة، وما ينبثق منه من شريعة ونظام. سواءً حمله فرد أم جماعة، لا يستمد وجوده من الناس. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران: 19].

الملة: منهج يلتزم به مجموعة من الناس، ويستمرون عليه، بصرف النظر عن صوابه، أو خطئه. ومن هذا الوجه تظهر العلاقة بين الدين، والملة.

فالإسلام دين الله ارتضاه للناس، والذي حقق الصورة الصائبة لهذا الدين على أرض الواقع، هو النبي الإمام إبراهيم؛ لذلك أمر الخالق باتِّباع ملة إبراهيم، وترك كل المِلل الأخرى واجتنابها، التي تعُدُّ ذاتها أنها تحمل دين الله؛ مثل ملة اليهود، وملة النصارى، وملة الشيعة، وملة أهل السنة... إلخ.

لذا؛ من الخطأ الفادح استخدام كلمة الدين اليهودي، أو النصراني... إلخ، فالخالق لم ينزل إلا ديناً واحداً هو الإسلام. وهذا الدين قائم على محور ثابت، لم يتَغير منذ بدء نزوله؛ ألا وهو محور التوحيد (الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح)، ومحوره التشريعي له صفة الإنسانية والعالمية، وكان ينزل تباعاً، ويتراكم حسب ما يسمح به المستوى المعرفي للأقوام، إلى أن اكتمل بناؤه، في بعثة النبي محمد ونزل هذا الشرع كاملاً في التنزيل الحكيم، وتم إكمال الدين، فاقتضى ذلك ختم النبوة. وصار الشرع الإلهي شرعاً إسلامياً كاملاً. وكان ينزل برفقة الأحكام الشرعية الإسلامية للأمم السابقة، شرع عيني قومي ظرفي،

يحتوي على الآصار والأغلال عقوبة على كفرهم أو ظلمهم، ويتغير من قوم إلى آخرين حسب تغير الوقائع، ويتناوله النسخ والتعديل.

وهذه دلالة النص﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: 48]، ولكن بعد أن اكتمل الدين الإسلامي بشرعه الحنيف؛ صار الشرع والمنهاج الإسلامي واحداً للناس كلهم، ونُسخ الشرع الخاص الظرفي.

أما القول بأن الشرع الإسلامي كان موجوداً؛ بكامله في زُبر الأولين، فهذه الفكرة خطأ وقاصرة؛ لأن ذلك يتنافى مع مفهوم الإكمال. ومعلوم أن عملية إكمال الشرع الإسلامي حصلت في نزول التنزيل الحكيم، والذي كان في الزبر، والصحف الأولى الربانية، هو الأصوات العربية، التي ذكرت التوحيد، وبعضاً من الأحكام الشرعية الإسلامية، والباقي هو شرع ظرفي عيني.

والنتيجة هي:

أنزل الله – سبحانه – ديناً واحداً فقط، هو الإسلام، أما الملة؛ فهي المجموعة من الناس التي تمثلت هذا الإسلام بصورته الصحيحة، بقيادة إمامهم النبي إبراهيم، وكان النبي محمد مُتبعاً للنبي إبراهيم، أبي الأنبياء من حيث التوحيد، والمنهج، واسمها الملة الحنيفية، ويقابلها ملة اليهود والنصارى وغيرهم من الملل الأخرى مثل ملة الشيعة والسنة.

لذا، ينبغي حذف مقولة الأديان السماوية، أو تعددها، ويجب حصر ذلك في الدين الإسلامي فقط. فالرب واحد، والدين واحد، وجميع الأنبياء والرسل دينهم الإسلام، كما ويجب الانتباه إلى أن اليهودية، والنصرانية، ليستا دينين، وإنما هما ملّتان تقابلان الملة الحنيفية..

إذاً، ينبغي إرجاع الكلمة إلى الفعل الماضي الثنائي، أو الثلاثي، أو تحليل الكلمة إلى أصلها الذي تألفت منه إذا كانت كلمة منحوتة من كلمتين أو أكثر، مع حذف الأحرف الصوتية (ا، و، ي) بشرط أن تكون ساكنة، مثل سمير، سامر، سميرة، تصير سمر، فإن كانت متحركة تصير من أصل الكلمة، ويضاف لدلالتها الصوتية دلالة حركتها كقوة

مصغرة عن صوت الهمزة بقواها الثلاثة (الفتح والضم والكسر)، أو حذف الأحرف الزائدة، التي تدخل في تركيب الكلمة، سواء في بدايتها، أم وسطها، أم نهايتها، وقد تم جمع الأحرف التي يمكن أن تكون زائدة بكلمة (سألتمونيها) لاحظ احتوائها على أصوات المد(آ، و، ي) **وأزيد عليها حرف (الراء)**، مثل (كرر، شرر، فرر، خنزر، بعثر..) كونه صوتاً يدل على تكرار دلالة ما سبقه من الأحرف.

أهم صفات اللِّسان العربي المبين وقواعده

1. نشأة اللِّسان علمية فطرية.
2. اللِّسان العربي منظومة عامة يحتوي على منظومات خاصة.
3. صوت الحرف العربي له مفهوم ثابت أينما أتى في الكلمة.
4. يوجد علاقة بين الكلمة ومحلها من الواقع، حيث يصير الواقع بمنزلة قاموس لساني.
5. قيام الكلمات على قانون الثابت والمتغير.
6. قيام الكلمات على قانون الحركة والعلاقات الثنائية.
7. الترادف بين الكلمات ظاهرة علمية.
8. مفهوم الكلمات حق، وبالتالي لا يوجد مجاز.
9. وجود أسلوب الرمز في اللِّسان العربي.
10. ثبات المفهوم لجذور الكلمات مع تنوع معاني المتكلم ونموها.
11. جذور الكلمات ثنائي أو ثلاثي فقط.
12. إذا اختلف المبنى اختلف المعنى، قرأ، تلا. أراد، شاء. جاء، أتى..
13. التضاد في مجموعة من الكلمات في معناها ظاهرة علمية، مثل عبد، وراء...
14. وجود كلمات تحمل ذات المعنى في مقلوبها، مثل ليل، باب..
15. وجود إمكانية تركيب كلمة من كلمتين، مثل إسرائيل، جبريل، زخرف...
16. مشاركة المُخاطب في صياغة المعنى مع المتكلم.

17. تنافر بعض الحروف من التقائها بسبب عدم وجود ظاهرتها في الواقع. حخ، خغ، حع.
18. اكتمال أصوات اللِّسان العربي، وتغطيتها لكل متطلبات الإنسان الثقافية والعلمية.
19. إمكانية الزيادة على بنية الكلمة الثلاثية لتغطي الحدث زمانياً أو مكانياً أو وظيفياً....
20. الأدوات في اللِّسان العربي مُوجِّهة لمعاني الكلمات ومحددة لها، ولا تنوب عن بعضها.
21. الكلمات المتعلقة بالظواهر يكمن ضدها بمقلوبها. در، رد. كتب، بتك.

قاموس صوتي لدلالة
الكلمات الثنائية

0	ء	صوت خفيف يدل على ظهور منقطع. وهي جزء من صوت (آ)
1	أأ	ظهور منقطع خفيف، مضاعف.
2	أب	ظهور منقطع خفيف، منته بتجمُّع مستقر.
3	أت	ظهور منقطع خفيف، منته بدفع خفيف متوقف.
4	أث	ظهور منقطع خفيف، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	أج	ظهور منقطع خفيف، منته بجهد، أو شدة.
6	أح	ظهور منقطع خفيف، منته بتأرجح شديد، أو سعة.
7	أخ	ظهور منقطع خفيف، منته بطراوة، ورخاوة.
8	أد	ظهور منقطع خفيف، منته بدفع شديد متوقف.
9	أذ	ظهور منقطع خفيف، منته بدفع وسط ملتصق.
10	أر	ظهور منقطع خفيف، منته بتكرار.
11	أز	ظهور منقطع خفيف، منته ببروز متواصل.
12	أس	ظهور منقطع خفيف، منته بحركة حرة متصلة.
13	أش	ظهور منقطع خفيف، منته بتفشّ، وانتشار.
14	أص	ظهور منقطع خفيف، منته بحركة متصلة محددة.
15	أض	ظهور منقطع خفيف، منته بدفع شديد جدّاً.
16	أط	ظهور منقطع خفيف، منته بدفع وسط، مع توقفه.
17	أظ	ظهور منقطع خفيف، منته بدفع ملتصق.
18	أع	ظهور منقطع خفيف، منته بعمق.
19	أغ	ظهور منقطع خفيف، منته بغياب، أو غموض.
20	أف	ظهور منقطع خفيف، منته بفتح خفيف منضم.
21	أق	ظهور منقطع خفيف، منته بقطع، أو وقف شديد.
22	أك	ظهور منقطع خفيف، منته بوقف، أو ضغط خفيف.
23	أل	ظهور منقطع خفيف، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	أم	ظهور منقطع خفيف، منته بجمع متصل.
25	أن	ظهور منقطع خفيف، منته بستر، واختباء.
26	أهـ	ظهور منقطع خفيف، منته بتأرجح خفيف.
27	أآ	ظهور منقطع خفيف، منته بإثارة، وامتداد.
28	أو	ظهور منقطع خفيف، منته بضم ممتد.
29	أي	ظهور منقطع خفيف، منته بجهد خفيف ممتد.

1	ب	صوت يدل على تجمُّع مستقر
1	بأ	تجمُّع مستقر، منته بظهور منقطع خفيف.
2	بب	تجمُّع مستقر، مضاعف.
3	بت	تجمُّع مستقر، منته بدفع خفيف متوقف.
4	بث	تجمُّع مستقر، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	بج	تجمُّع مستقر، منته بجهد، وشدة.
6	بح	تجمُّع مستقر، منته بتأرجح شديد، أو سعة.
7	بخ	تجمُّع مستقر، منته برخاوة، أو طراوة.
8	بد	تجمُّع مستقر، منته بدفع شديد متوقف.
9	بذ	تجمُّع مستقر، منته بدفع وسط ملتصق.
10	بر	تجمُّع مستقر، منته بتكرار.
11	بز	تجمُّع مستقر، منته ببروز متصل.
12	بس	تجمُّع مستقر، منته بحركة حرة متصلة.
13	بش	تجمُّع مستقر، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	بص	تجمُّع مستقر، منته بحركة متصلة محددة.
15	بض	تجمُّع مستقر، منته بدفع شديد جدّاً.
16	بط	تجمُّع مستقر، منته بدفع وسط، مع توقف.
17	بظ	تجمُّع مستقر، منته بدفع ملتصق.
18	بع	تجمُّع مستقر، منته بعمق.
19	بغ	تجمُّع مستقر، منته بغياب وغموض.
20	بف	تجمُّع مستقر، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	بق	تجمُّع مستقر، منته بقطع، أو وقف شديد.
22	بك	تجمُّع مستقر، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	بل	تجمُّع مستقر، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	بم	تجمُّع مستقر، منته بجمع متصل.
25	بن	تجمُّع مستقر، منته بستر، واختباء.
26	به	تجمُّع مستقر، منته بتأرجح خفيف.
27	با	تجمُّع مستقر، منته بإثارة، وامتداد.
28	بو	تجمُّع مستقر، منته بضم ممتد.
29	بي	تجمُّع مستقر، منته بجهد خفيف ممتد.

2	ت	صوت يدل على دفع خفيف متوقف
1	تأ	دفع خفيف متوقف، منته بظهور منقطع خفيف.
2	تب	دفع خفيف متوقف، منته بتجمُّع مستقر.
3	تت	دفع خفيف متوقف، مضاعف.
4	تث	دفع خفيف متوقف، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	تج	دفع خفيف متوقف، منته بجهد، وشدة.
6	تح	دفع خفيف متوقف، منته بتأرجح شديد، أو سعة.
7	تخ	دفع خفيف متوقف، منته برخاوة، وطراوة.
8	تد	دفع خفيف متوقف، منته بدفع شديد متوقف.
9	تذ	دفع خفيف متوقف، منته بدفع وسط ملتصق
10	تر	دفع خفيف متوقف، منته بتكرار.
11	تز	دفع خفيف متوقف، منته ببروز متصل.
12	تس	دفع خفيف متوقف، منته بحركة حرة متصلة.
13	تش	دفع خفيف متوقف، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	تص	دفع خفيف متوقف، منته بحركة متصلة محددة.
15	تض	دفع خفيف متوقف، منته بدفع شديد جدّاً.
16	تط	دفع خفيف متوقف، منته بدفع وسط.
17	تظ	دفع خفيف متوقف، منته بدفع ملتصق.
18	تع	دفع خفيف متوقف، منته بعمق.
19	تغ	دفع خفيف متوقف، منته بغياب، وضياع.
20	تف	دفع خفيف متوقف، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	تق	دفع خفيف متوقف، منته بقطع أو وقف شديد.
22	تك	دفع خفيف متوقف، منته بقطع، أو ضغط خفيف
23	تل	دفع خفيف متوقف، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	تم	دفع خفيف متوقف، منته بجمع متصل.
25	تن	دفع خفيف متوقف، منته بستر، واختباء.
26	ته	دفع خفيف متوقف، منته بتأرجح خفيف.
27	تا	دفع خفيف متوقف، منته بإثارة، وامتداد.
28	تو	دفع خفيف متوقف، منته بضم ممتد.
29	تي	دفع خفيف متوقف، منته بجهد خفيف ممتد.

3	ث	صوت يدل على دفع خفيف ملتصق
1	ثأ	دفع خفيف ملتصق، منته بظهور منقطع خفيف.
2	ثب	دفع خفيف ملتصق، منته بتجمُّع مستقر.
3	ثت	دفع خفيف ملتصق، منته بدفع خفيف متوقف.
4	ثث	دفع خفيف ملتصق، مضاعف.
5	ثج	دفع خفيف ملتصق، منته بجهد، وشدة.
6	ثح	دفع خفيف ملتصق، منته بتأرجح شديد، أو سعة.
7	ثخ	دفع خفيف ملتصق، منته برخاوة، أو طراوة.
8	ثد	دفع خفيف ملتصق، منته بدفع شديد متوقف.
9	ثذ	دفع خفيف ملتصق، منته بدفع وسط ملتصق.
10	ثر	دفع خفيف ملتصق، منته بتكرار.
11	ثز	دفع خفيف ملتصق، منته ببروز متواصل.
12	ثس	دفع خفيف ملتصق، منته بحركة حرة متصلة.
13	ثش	دفع خفيف ملتصق، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	ثص	دفع خفيف ملتصق، منته بحركة متصلة محددة.
15	ثض	دفع خفيف ملتصق، منته بدفع شديد جدّاً.
16	ثط	دفع خفيف ملتصق، منته بدفع وسط.
17	ثظ	دفع خفيف ملتصق، منته بدفع شديد ملتصق.
18	ثع	دفع خفيف ملتصق، منته بعمق.
19	ثغ	دفع خفيف ملتصق، منته بغياب، وغموض.
20	ثف	دفع خفيف ملتصق، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	ثق	دفع خفيف ملتصق، منته بقطع شديد.
22	ثك	دفع خفيف ملتصق، منته بقطع أو ضغط خفيف.
23	ثل	دفع خفيف ملتصق، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	ثم	دفع خفيف ملتصق، منته بجمع متصل.
25	ثن	دفع خفيف ملتصق، منته بستر، واختباء.
26	ثه	دفع خفيف ملتصق، منته بتأرجح خفيف.
27	ثا	دفع خفيف ملتصق، منته بإثارة، وامتداد.
28	ثو	دفع خفيف ملتصق، منته بضم ممتد.
29	ثي	دفع خفيف ملتصق، منته بجهد خفيف ممتد.

4	ج	صوت يدل على جهد وشدة
1	جأ	جهد، وشدة منتهية بظهور منقطع خفيف.
2	جب	جهد، وشدة منتهية بتجمُّع مستقر.
3	جت	جهد، وشدة منتهية بدفع خفيف متوقف.
4	جث	جهد، وشدة منتهية بدفع خفيف ملتصق.
5	جج	جهد، وشدة مضاعف.
6	جح	جهد، وشدة منتهية بتأرجح شديد، أو سعة.
7	جخ	جهد، وشدة منتهية برخاوة، وطراوة.
8	جد	جهد، وشدة منتهية بدفع شديد.
9	جذ	جهد، وشدة منتهية بدفع وسط ملتصق.
10	جر	جهد، وشدة منتهية بتكرار.
11	جز	جهد، وشدة منتهية ببروز متصل.
12	جس	جهد، وشدة منتهية بحركة حرة متصلة.
13	جش	جهد، وشدة منتهية بانتشار، وتفشٍّ.
14	جص	جهد، وشدة منتهية بحركة متصلة محددة.
15	جض	جهد، وشدة منتهية بدفع شديد جدّاً.
16	جط	جهد، وشدة منتهية بدفع وسط.
17	جظ	جهد، وشدة، منتهية بدفع شديد ملتصق.
18	جع	جهد، وشدة، منتهية بعمق.
19	جغ	جهد، وشدة، منتهية بغموض، وغياب. لا وجود لهذه الصورة
20	جف	جهد، وشدة، منتهية بانفتاح خفيف منضم.
21	جق	جهد، وشدة، منتهية بقطع، أو وقف شديد.
22	جك	جهد، وشدة منتهية بقطع، أو ضغط خفيف.
23	جل	جهد، وشدة منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	جم	جهد، وشدة منتهية بجمع متصل.
25	جن	جهد، وشدة منتهية بستر، واختباء.
26	جه	جهد، وشدة منتهية بتأرجح خفيف.
27	جا	جهد، وشدة منتهية بإثارة، وامتداد.
28	جو	جهد، وشدة منتهية بضم ممتد.
29	جي	جهد، وشدة منتهية بجهد خفيف ممتد.

5	ح	صوت يدل على تأرجح شديد منضبط، أو سعة
1	حأ	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بظهور منقطع خفيف.
2	حب	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بتجمُّع مستقر.
3	حت	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بدفع خفيف متوقف.
4	حث	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بدفع خفيف ملتصق.
5	حج	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بجهد، وشدة.
6	حح	تأرجح شديد، أو سعة مضاعف.
7	حخ	تأرجح شديد، أو سعة منتهية برخاوة، وطراوة.
8	حد	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بدفع شديد متوقف.
9	حذ	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بدفع وسط ملتصق.
10	حر	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بتكرار.
11	حز	تأرجح شديد، أو سعة منتهية ببروز متصل.
12	حس	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بحركة حرة متصلة.
13	حش	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بانتشار، وتفشٍّ.
14	حص	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بحركة متصلة محددة.
15	حض	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بدفع شديد جدّاً.
16	حط	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بدفع وسط.
17	حظ	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بدفع شديد ملتصق.
18	حع	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بعمق. ولا وجود لهذه الظاهرة.
19	حغ	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بغموض، أو غياب. ولا وجود لهذه الظاهرة.
20	حف	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بانفتاح خفيف منضم.
21	حق	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بقطع شديد.
22	حك	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بقطع، أو ضغط خفيف.
23	حل	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	حم	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بجمع متصل.
25	حن	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بستر، واختباء.
26	حه	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بتأرجح خفيف.
27	حا	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بإثارة، وامتداد.
28	حو	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بضم ممتد.
29	حي	تأرجح شديد، أو سعة منتهية بجهد خفيف ممتد.

6	خ	صوت يدل على رخاوة، أو طراوة
1	خأ	رخاوة، وطراوة منتهية بظهور منقطع خفيف.
2	خب	رخاوة، وطراوة منتهية بتجمُّع مستقر.
3	خت	رخاوة، وطراوة منتهية بدفع خفيف متوقف.
4	خث	رخاوة، وطراوة منتهية بدفع خفيف ملتصق.
5	خج	رخاوة، وطراوة منتهية بجهد، وشدة.
6	خح	رخاوة وطراوة منتهية بتأرجح شديد. ولا وجود لهذه الظاهرة.
7	خخ	رخاوة، وطراوة مضاعفة.
8	خد	رخاوة، وطراوة منتهية بدفع شديد متوقف.
9	خذ	رخاوة، وطراوة منتهية بدفع وسط ملتصق.
10	خر	رخاوة، وطراوة منتهية بتكرار.
11	خز	رخاوة، وطراوة منتهية ببروز متواصل.
12	خس	رخاوة، وطراوة منتهية بحركة حرة متصلة.
13	خش	رخاوة، وطراوة منتهية بانتشار، وتفشٍّ.
14	خص	رخاوة، وطراوة منتهية بحركة متصلة محددة.
15	خض	رخاوة، وطراوة منتهية بدفع شديد جدّاً.
16	خط	رخاوة، وطراوة منتهية بدفع وسط.
17	خظ	رخاوة، وطراوة منتهية بدفع ملتصق.
18	خع	رخاوة، وطراوة منتهية بعمق. ولا وجود لهذه الظاهرة.
19	خغ	رخاوة، وطراوة منتهية بغياب، وغموض. ولا وجود لهذه الظاهرة.
20	خف	رخاوة، وطراوة منتهية بانفتاح خفيف منضم.
21	خق	رخاوة، وطراوة منتهية بقطع، أو وقف شديد.
22	خك	رخاوة، وطراوة منتهية بقطع، أو ضغط خفيف.
23	خل	رخاوة، وطراوة منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	خم	رخاوة، وطراوة منتهية بجمع متصل.
25	خن	رخاوة، وطراوة منتهية بستر، واختباء.
26	خه	رخاوة، وطراوة منتهية بتأرجح خفيف.
27	خا	رخاوة، وطراوة منتهية بإثارة، وامتداد.
28	خو	رخاوة، وطراوة منتهية بضم ممتد.
29	خي	رخاوة، وطراوة منتهية بجهد خفيف ممتد.

7	د	صوت يدل على دفع شديد متوقف
1	دأ	دفع شديد متوقف، منته بظهور منقطع خفيف.
2	دب	دفع شديد متوقف، منته بجمع مستقر.
3	دت	دفع شديد متوقف، منته بدفع خفيف متوقف.
4	دث	دفع شديد متوقف، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	دج	دفع شديد متوقف، منته بجهد، وشدة.
6	دح	دفع شديد متوقف، منته بتأرجح شديد، وسعة.
7	دخ	دفع شديد متوقف، منته بطراوة، ورخاوة.
8	دد	دفع شديد متوقف، مضاعف.
9	دذ	دفع شديد متوقف، منته بدفع وسط ملتصق.
10	در	دفع شديد متوقف، منته بتكرار.
11	دز	دفع شديد متوقف، منته ببروز متصل.
12	دس	دفع شديد متوقف، منته بحركة حرة متصلة.
13	دش	دفع شديد متوقف، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	دص	دفع شديد متوقف، منته بحركة متصلة محددة.
15	دض	دفع شديد متوقف، منته بدفع شديد جدّاً.
16	دط	دفع شديد متوقف، منته بدفع وسط.
17	دظ	دفع شديد متوقف، منته بدفع ملتصق.
18	دع	دفع شديد متوقف، منته بعمق.
19	دغ	دفع شديد متوقف، منته بغموض، وغياب.
20	دف	دفع شديد متوقف، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	دق	دفع شديد متوقف، منته بقطع، أو وقف شديد.
22	دك	دفع شديد متوقف، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	دل	دفع شديد متوقف، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	دم	دفع شديد متوقف، منته بجمع متصل.
25	دن	دفع شديد متوقف، منته بستر، واختباء.
26	ده	دفع شديد متوقف، منته بتأرجح خفيف.
27	دا	دفع شديد متوقف، منته بإثارة، وبامتداد.
28	دو	دفع شديد متوقف، منته بضم ممتد.
29	دي	دفع شديد متوقف، منته بجهد خفيف ممتد.

8	ذ	صوت يدل على دفع وسط ملتصق
1	ذأ	دفع وسط ملتصق، منته بظهور منقطع خفيف.
2	ذب	دفع وسط ملتصق، منته بجمع مستقر.
3	ذت	دفع وسط ملتصق، منته بدفع خفيف متوقف.
4	ذث	دفع وسط ملتصق، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	ذج	دفع وسط ملتصق، منته بجهد، وشدة.
6	ذح	دفع وسط ملتصق، منته بتأرجح شديد، وسعة.
7	ذخ	دفع وسط ملتصق، منته بطراوة، ورخاوة.
8	ذد	دفع وسط ملتصق، منته بدفع شديد متوقف.
9	ذذ	دفع وسط ملتصق، مضاعف.
10	ذر	دفع وسط ملتصق، منته بتكرار.
11	ذز	دفع وسط ملتصق، منته ببروز متصل.
12	ذس	دفع وسط ملتصق، منته بحركة حرة متصلة.
13	ذش	دفع وسط ملتصق، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	ذص	دفع وسط ملتصق، منته بحركة متصلة محددة.
15	ذض	دفع وسط ملتصق، منته بدفع شديد جدّاً.
16	ذط	دفع وسط ملتصق، منته بدفع وسط.
17	ذظ	دفع وسط ملتصق، منته بدفع أشد لصقاً.
18	ذع	دفع وسط ملتصق، منته بعمق.
19	ذغ	دفع وسط ملتصق، منته بغياب، وغموض.
20	ذف	دفع وسط ملتصق، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	ذق	دفع وسط ملتصق، منته بقطع، أو وقف شديد.
22	ذك	دفع وسط ملتصق، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	ذل	دفع وسط ملتصق، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	ذم	دفع وسط ملتصق، منته بجمع متصل.
25	ذن	دفع وسط ملتصق، منته بستر، واختباء.
26	ذهـ	دفع وسط ملتصق، منته بتأرجح خفيف.
27	ذا	دفع وسط ملتصق، منته بإثارة، وامتداد.
28	ذو	دفع وسط ملتصق، منته بضم ممتد.
29	ذي	دفع وسط ملتصق، منته بجهد خفيف ممتد.

9	ر	صوت يدل على عملية التّكرار للشّيء
1	رأ	تكرار منته بظهور منقطع خفيف.
2	رب	تكرار منته بجمع مستقر.
3	رت	تكرار منته بدفع خفيف متوقف.
4	رث	تكرار منته بدفع خفيف ملتصق.
5	رج	تكرار منته بجهد، وشدة.
6	رح	تكرار منته بتأرجح شديد، وسعة.
7	رخ	تكرار منته برخاوة، وطراوة.
8	رد	تكرار منته بدفع شديد متوقف.
9	رذ	تكرار منته بدفع وسط ملتصق.
10	رر	تكرار مضاعف.
11	رز	تكرار منته ببروز متصل.
12	رس	تكرار منته بحركة حرة متصلة.
13	رش	تكرار منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	رص	تكرار منته بحركة متصلة محددة.
15	رض	تكرار منته بدفع شديد جدّاً.
16	رط	تكرار منته بدفع وسط.
17	رظ	تكرار منته بدفع ملتصق.
18	رع	تكرار منته بعمق.
19	رغ	تكرار منته بغموض، أو غياب.
20	رف	تكرار منته بانفتاح خفيف منضم.
21	رق	تكرار منته بقطع شديد.
22	رك	تكرار منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	رل	تكرار منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	رم	تكرار منته بجمع متصل.
25	رن	تكرار منته بستر، واختباء.
26	رهـ	تكرار منته بتأرجح خفيف.
27	را	تكرار منته بإثارة، وامتداد.
28	رو	تكرار منته بضم ممتد.
29	ري	تكرار منته بجهد خفيف ممتد.

10	ز	صوت يدل على بروز متصل
1	زأ	بروز متصل، منته بظهور منقطع خفيف.
2	زب	بروز متصل، منته بجمع مستقر.
3	زت	بروز متصل، منته بدفع خفيف متوقف.
4	زث	بروز متصل، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	زج	بروز متصل، منته بجهد، وشدة.
6	زح	بروز متصل، منته بتأرجح شديد، وسعة.
7	زخ	بروز متصل، منته برخاوة، وطراوة.
8	زد	بروز متصل، منته بدفع شديد متوقف.
9	زذ	بروز متصل، منته بدفع وسط ملتصق.
10	زر	بروز متصل، منته بتكرار.
11	زز	بروز متصل، مضاعف.
12	زس	بروز متصل، منته بحركة حرة متصلة.
13	زش	بروز متصل، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	زص	بروز متصل، منته بحركة متصلة محددة.
15	زض	بروز متصل، منته بدفع شديد جدّاً.
16	زط	بروز متصل، منته بدفع وسط.
17	زظ	بروز متصل، منته بدفع شديد ملتصق.
18	زع	بروز متصل، منته بعمق.
19	زغ	بروز متصل، منته بغموض، وغياب.
20	زف	بروز متصل، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	زق	بروز متصل، منته بقطع شديد.
22	زك	بروز متصل، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	زل	بروز متصل، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	زم	بروز متصل، منته بجمع متصل.
25	زن	بروز متصل، منته بستر، واختباء.
26	زهـ	بروز متصل، منته بتأرجح خفيف.
27	زا	بروز متصل، منته بإثارة، وامتداد.
28	زو	بروز متصل، منته بضم ممتد.
29	زي	بروز متصل، منته بجهد خفيف ممتد.

11	س	صوت يدل على حركة حرة متصلة
1	سأ	حركة حرة متصلة، منتهية بظهور منقطع خفيف.
2	سب	حركة حرة متصلة، منتهية بجمع مستقر.
3	ست	حركة حرة متصلة، منتهية بدفع خفيف متوقف.
4	سث	حركة حرة متصلة، منتهية بدفع خفيف ملتصق.
5	سج	حركة حرة متصلة، منتهية بجهد، أو شدة.
6	سح	حركة حرة متصلة، منتهية بتأرجح شديد، أو سعة.
7	سخ	حركة حرة متصلة، منتهية برخاوة، وطراوة.
8	سد	حركة حرة متصلة، منتهية بدفع شديد متوقف.
9	سذ	حركة حرة متصلة، منتهية بدفع وسط ملتصق.
10	سر	حركة حرة متصلة، منتهية بتكرار.
11	سز	حركة حرة متصلة، منتهية ببروز متصل.
12	سس	حركة حرة متصلة، مضاعفة.
13	سش	حركة حرة متصلة، منتهية بانتشار، وتفشٍّ.
14	سص	حركة حرة متصلة، منتهية بحركة محددة متصلة.
15	سض	حركة حرة متصلة، منتهية بدفع شديد جدّاً.
16	سط	حركة حرة متصلة، منتهية بدفع وسط.
17	سظ	حركة حرة متصلة، بدفع ملتصق.
18	سع	حركة حرة متصلة، منتهية بعمق.
19	سغ	حركة حرة متصلة، منتهية بغياب.
20	سف	حركة حرة متصلة، منتهية بانفتاح خفيف منضم.
21	سق	حركة حرة متصلة، منتهية بقطع، أو توقف شديد.
22	سك	حركة حرة متصلة، منتهية بقطع، أو ضغط خفيف.
23	سل	حركة حرة متصلة، منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	سم	حركة حرة متصلة، منتهية بجمع متصل.
25	سن	حركة حرة متصلة، منتهية بستر، واختباء.
26	سه	حركة حرة متصلة، منتهية بتأرجح خفيف.
27	سا	حركة حرة متصلة، منتهية بإثارة، وامتداد.
28	سو	حركة حرة متصلة، منتهية بضم ممتد.
29	سي	حركة حرة متصلة، منتهية بجهد خفيف ممتد.

12	ش	صوت يدل على تفشٍّ للشّيء، وانتشاره
1	شأ	انتشار، وتفشٍّ، منته بظهور منقطع خفيف.
2	شب	انتشار، وتفشٍّ، منته بجمع مستقر.
3	شت	انتشار، وتفشٍّ، منته بدفع خفيف.
4	شث	انتشار، وتفشٍّ، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	شج	انتشار، وتفشٍّ، منته بجهد، وشدة.
6	شح	انتشار، وتفشٍّ، منته بتأرجح شديد، أو سعة.
7	شخ	انتشار، وتفشٍّ، منته برخاوة، أو طراوة.
8	شد	انتشار، وتفشٍّ، منته بدفع شديد متوقف.
9	شذ	انتشار، وتفشٍّ، منته بدفع ملتصق.
10	شر	انتشار، وتفشٍّ، منته بتكرار له.
11	شز	انتشار، وتفشٍّ منته ببروز متصل.
12	شس	انتشار، وتفشٍّ، منته بحركة حرة متصلة.
13	شش	انتشار، وتفشٍّ، مضاعف.
14	شص	انتشار، وتفشٍّ، منته بحركة محددة متصلة.
15	شض	انتشار، وتفشٍّ، منته بدفع شديد جدّاً.
16	شط	انتشار، وتفشٍّ، منته بدفع وسط.
17	شظ	انتشار، وتفشٍّ، منته بدفع ملتصق.
18	شع	انتشار، وتفشٍّ، منته بعمق.
19	شغ	انتشار، وتفشٍّ، منته بغموض، وغياب.
20	شف	انتشار، وتفشٍّ، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	شق	انتشار، وتفشٍّ، منته بقطع، أو وقف شديد.
22	شك	انتشار، وتفشٍّ، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	شل	انتشار، وتفشٍّ، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	شم	انتشار، وتفشٍّ، منته بحركة جمع متصل.
25	شن	انتشار، وتفشٍّ، منته بستر، واختباء.
26	شه	انتشار، وتفشٍّ، منته بتأرجح خفيف.
27	شا	انتشار، وتفشٍّ، منته بإثارة، وامتداد.
28	شو	انتشار، وتفشٍّ، منته بضم ممتد.
29	شي	انتشار، وتفشٍّ، منته بجهد خفيف ممتد.

13	ص	صوت يدل على حركة متصلة محددة
1	صأ	حركة محددة متصلة، منتهية بظهور منقطع خفيف.
2	صب	حركة محددة متصلة، منتهية بجمع مستقر.
3	صت	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع خفيف متوقف.
4	صث	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع خفيف ملتصق.
5	صج	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع خفيف بجهد، وشدة.
6	صح	حركة محددة متصلة، منتهية بتأرجح شديد، وسعة.
7	صخ	حركة محددة متصلة، منتهية برخاوة، وطراوة.
8	صد	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع شديد متوقف.
9	صذ	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع وسط ملتصق.
10	صر	حركة محددة متصلة، منتهية بتكرار.
11	صز	حركة محددة متصلة، منتهية ببروز متصل.
12	صس	حركة محددة متصلة، منتهية بحركة حرة متصلة.
13	صش	حركة محددة متصلة، منتهية بانتشار، وتفشٍّ.
14	صص	حركة محددة متصلة، مضاعفة.
15	صض	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع شديد جدّاً.
16	صط	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع وسط.
17	صظ	حركة محددة متصلة، منتهية بدفع ملتصق.
18	صع	حركة محددة متصلة، منتهية بعمق.
19	صغ	حركة محددة متصلة، منتهية بغياب، وغموض.
20	صف	حركة محددة متصلة، منتهية بانفتاح خفيف منضم.
21	صق	حركة محددة متصلة، منتهية بقطع شديد.
22	صك	حركة محددة متصلة، منتهية بقطع، أو ضغط خفيف.
23	صل	حركة محددة متصلة، منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	صم	حركة محددة متصلة، منتهية بجمع متصل.
25	صن	حركة محددة متصلة، منتهية بستر، واختباء.
26	صه	حركة محددة متصلة، منتهية بتأرجح خفيف.
27	صا	حركة محددة متصلة، منتهية بإثارة، وامتداد.
28	صو	حركة محددة متصلة، منتهية بضم ممتد.
29	صي	حركة محددة متصلة، منتهية بجهد خفيف ممتد.

14	ض	صوت يدل على دفع شديد جدّاً
1	ضأ	دفع شديد جدّاً، منته بظهور منقطع خفيف.
2	ضب	دفع شديد جدّاً، منته بجمع مستقر.
3	ضت	دفع شديد جدّاً، منته بدفع خفيف متوقف.
4	ضث	دفع شديد جدّاً، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	ضج	دفع شديد جدّاً، منته بجهد، وشدة.
6	ضح	دفع شديد جدّاً، منته بتأرجح شديد، وسعة.
7	ضخ	دفع شديد جدّاً، منته برخاوة، وطراوة.
8	ضد	دفع شديد جدّاً، منته بدفع شديد متوقف.
9	ضذ	دفع شديد جدّاً، منته بدفع وسط ملتصق.
10	ضر	دفع شديد جدّاً، منته بتكرار.
11	ضز	دفع شديد جدّاً، منته ببروز متصل.
12	ضس	دفع شديد جدّاً، منته بحركة حرة متصلة.
13	ضش	دفع شديد جدّاً، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	ضص	دفع شديد جدّاً، منته بحركة متصلة محددة.
15	ضض	دفع شديد جدّاً، مضاعف.
16	ضط	دفع شديد جدّاً، منته بدفع وسط.
17	ضظ	دفع شديد جدّاً، منته بدفع ملتصق.
18	ضع	دفع شديد جدّاً، منته بعمق.
19	ضغ	دفع شديد جدّاً، منته بغياب، وغموض.
20	ضف	دفع شديد جدّاً، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	ضق	دفع شديد جدّاً، منته بقطع شديد.
22	ضك	دفع شديد جدّاً، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	ضل	دفع شديد جدّاً، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	ضم	دفع شديد جدّاً، منته بجمع متصل.
25	ضن	دفع شديد جدّاً، منته بستر، واختباء.
26	ضه	دفع شديد جدّاً، منته بتأرجح خفيف.
27	ضا	دفع شديد جدّاً، منته بإثارة، وامتداد.
28	ضو	دفع شديد جدّاً، منته بضم ممتد.
29	ضي	دفع شديد جدّاً، منته بجهد خفيف ممتد.

15	ط	صوت يدل على دفع وسط
1	طأ	دفع وسط، منته بظهور منقطع خفيف.
2	طب	دفع وسط، منته بجمع مستقر.
3	طت	دفع وسط، منته بدفع خفيف متوقف.
4	طث	دفع وسط، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	طج	دفع وسط، منته بجهد، وشدة.
6	طح	دفع وسط، منته بتأرجح شديد، وسعة.
7	طخ	دفع وسط، منته برخاوة، وطراوة.
8	طد	دفع وسط، منته بدفع شديد متوقف.
9	طذ	دفع وسط، منته بدفع وسط ملتصق.
10	طر	دفع وسط، منته بتكرار.
11	طز	دفع وسط، منته ببروز متصل.
12	طس	دفع وسط، منته بحركة حرة متصلة.
13	طش	دفع وسط، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	طص	دفع وسط، منته بحركة متصلة محددة.
15	طض	دفع وسط، منته بدفع شديد جدّاً.
16	طط	دفع وسط، مضاعف.
17	طظ	دفع وسط، منته بدفع شديد ملتصق.
18	طع	دفع وسط، منته بعمق.
19	طغ	دفع وسط، منته بغياب، وغموض.
20	طف	دفع وسط، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	طق	دفع وسط، منته بقطع شديد.
22	طك	دفع وسط، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	طل	دفع وسط، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	طم	دفع وسط، منته بجمع متصل.
25	طن	دفع وسط، منته بستر، واختباء.
26	طه	دفع وسط، منته بتأرجح خفيف.
27	طا	دفع وسط، منته بإثارة، وامتداد.
28	طو	دفع وسط، منته بضم ممتد.
29	طي	دفع وسط، منته بجهد خفيف ممتد.

16	ظ	صوت يدل على دفع شديد ملتصق
1	ظأ	دفع شديد ملتصق، منته بظهور منقطع خفيف.
2	ظب	دفع شديد ملتصق، منته بتجمُّع مستقر.
3	ظت	دفع شديد ملتصق، منته بدفع خفيف متوقف.
4	ظث	دفع شديد ملتصق، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	ظج	دفع شديد ملتصق، منته بجهد، وشدة.
6	ظح	دفع شديد ملتصق، منته بتأرجح شديد.
7	ظخ	دفع شديد ملتصق، منته برخاوة، وطراوة.
8	ظد	دفع شديد ملتصق، منته بدفع وسط.
9	ظذ	دفع شديد ملتصق، منته بدفع وسط ملتصق.
10	ظر	دفع شديد ملتصق، منته بتكرار.
11	ظز	دفع شديد ملتصق، منته ببروز متصل.
12	ظس	دفع شديد ملتصق، منته بحركة حرة متصلة.
13	ظش	دفع شديد ملتصق، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	ظص	دفع شديد ملتصق، منته بحركة متصلة محددة.
15	ظض	دفع شديد ملتصق، منته بدفع شديد جدّاً.
16	ظط	دفع شديد ملتصق، منته بدفع وسط.
17	ظظ	دفع شديد ملتصق، مضاعف.
18	ظع	دفع شديد ملتصق، منته بعمق.
19	ظغ	دفع شديد ملتصق، منته بغموض وغياب.
20	ظف	دفع شديد ملتصق، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	ظق	دفع شديد ملتصق، منته بقطع شديد.
22	ظك	دفع شديد ملتصق، منته بقطع خفيف، أو ضغط.
23	ظل	دفع شديد ملتصق، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	ظم	دفع شديد ملتصق، منته بجمع متصل.
25	ظن	دفع شديد ملتصق، منته بستر، واختباء.
26	ظه	دفع شديد ملتصق، منته بتأرجح خفيف.
27	ظا	دفع شديد ملتصق، منته بإثارة، وامتداد.
28	ظو	دفع شديد ملتصق، منته بضم ممتد.
29	ظي	دفع شديد ملتصق، منته بجهد خفيف ممتد.

17	ع	صوت يدل على عمق أو بُعد في الشيء
1	عأ	عمق، منته بظهور منقطع خفيف.
2	عب	عمق، منته بجمع مستقر.
3	عت	عمق، منته بدفع خفيف متوقف.
4	عث	عمق، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	عج	عمق، منته بجهد، وشدة.
6	عح	عمق، منته بتأرجح شديد، وسعة. ولا وجود لهذه الظاهرة.
7	عخ	عمق، منته برخاوة، وطراوة. ولا وجود لهذه الظاهرة.
8	عد	عمق، منته بدفع شديد متوقف.
9	عذ	عمق، منته بدفع وسط ملتصق.
10	عر	عمق، منته بتكرار.
11	عز	عمق، منته ببروز متصل.
12	عس	عمق، منته بحركة حرة متصلة.
13	عش	عمق، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	عص	عمق، منته بحركة متصلة محددة.
15	عض	عمق، منته بدفع شديد جدّاً.
16	عط	عمق، منته بدفع وسط.
17	عظ	عمق، منته بدفع شديد ملتصق.
18	عع	عمق، مضاعف.
19	عغ	عمق، منته بغياب، وغموض.
20	عف	عمق، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	عق	عمق، منته بانقطاع، أو وقف شديد.
22	عك	عمق، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	عل	عمق، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	عم	عمق، منته بجمع متصل.
25	عن	عمق، منته بستر، واختباء.
26	عه	عمق، منته بتأرجح خفيف.
27	عا	عمق، منته بإثارة، وامتداد.
28	عو	عمق، منته بضم ممتد.
29	عي	عمق، منته بجهد خفيف ممتد.

18	غ	صوت يدل على غموض وغياب
1	غأ	غموض وغياب، منته بظهور منقطع خفيف.
2	غب	غموض وغياب، منته بتجمُّع مستقر.
3	غت	غموض وغياب، منته بدفع خفيف متوقف.
4	غث	غموض وغياب، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	غج	غموض وغياب، منته بجهد، وشدة. ولا وجود لهذه الظاهرة.
6	غح	غموض وغياب، منته بتأرجح شديد. ولا وجود لهذه الظاهرة.
7	غخ	غموض وغياب، منته برخاوة، وطراوة. ولا وجود لهذه الظاهرة.
8	غد	غموض وغياب، منته بدفع شديد متوقف.
9	غذ	غموض وغياب، منته بدفع وسط ملتصق.
10	غر	غموض وغياب، منته بتكرار.
11	غز	غموض وغياب، منته ببروز متصل.
12	غس	غموض وغياب، منته بحركة متصلة حرة.
13	غش	غموض وغياب، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	غص	غموض وغياب، منته بحركة متصلة محددة.
15	غض	غموض وغياب، منته بدفع شديد جدّاً.
16	غط	غموض وغياب، منته بدفع وسط.
17	غظ	غموض وغياب، منته بدفع شديد ملتصق.
18	غع	غموض وغياب، منته بعمق. ولا وجود لهذه الظاهرة
19	غغ	غموض وغياب، مضاعف.
20	غف	غموض وغياب، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	غق	غموض وغياب، منته بقطع، أو وقف شديد.
22	غك	غموض وغياب، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	غل	غموض وغياب، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	غم	غموض وغياب، منته بجمع متصل.
25	غن	غموض وغياب، منته بستر، واختباء.
26	غه	غموض وغياب، منته بتأرجح خفيف.
27	غا	غموض وغياب، منته بإثارة، وامتداد.
28	غو	غموض وغياب، منته بضم ممتد.
29	غي	غموض وغياب، منته بجهد خفيف ممتد.

19	ف	صوت يدل على انفتاح خفيف منضم
1	فأ	انفتاح خفيف منضم، منته بظهور منقطع خفيف.
2	فب	انفتاح خفيف منضم، منته بتجمُّع مستقر.
3	فت	انفتاح خفيف منضم، منته بدفع خفيف متوقف.
4	فث	انفتاح خفيف منضم، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	فج	انفتاح خفيف منضم، منته بجهد، وشدة.
6	فح	انفتاح خفيف منضم، منته بتأرجح شديد، وسعة.
7	فخ	انفتاح خفيف منضم، منته برخاوة، وطراوة.
8	فد	انفتاح خفيف منضم، منته بدفع شديد متوقف.
9	فذ	انفتاح خفيف منضم، منته بدفع وسط ملتصق.
10	فر	انفتاح خفيف منضم، منته بتكرار.
11	فز	انفتاح خفيف منضم، منته ببروز متصل.
12	فس	انفتاح خفيف منضم، منته بحركة حرة متصلة.
13	فش	انفتاح خفيف منضم، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	فص	انفتاح خفيف منضم، منته بحركة متصلة محددة.
15	فض	انفتاح خفيف منضم، منته بدفع شديد جدّاً.
16	فط	انفتاح خفيف منضم، منته بدفع وسط.
17	فظ	انفتاح خفيف منضم، منته بدفع ملتصق.
18	فع	انفتاح خفيف منضم، منته بعمق.
19	فغ	انفتاح خفيف منضم، منته بغموض، وتغيب.
20	فف	انفتاح خفيف منضم، مضاعف.
21	فق	انفتاح خفيف منضم، منته بانقطاع، أو توقف شديد.
22	فك	انفتاح خفيف منضم، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	فل	انفتاح خفيف منضم، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	فم	انفتاح خفيف منضم، منته بجمع متصل.
25	فن	انفتاح خفيف منضم، منته بستر، واختباء.
26	فه	انفتاح خفيف منضم، منته بتأرجح خفيف.
27	فا	انفتاح خفيف منضم، منته بإثارة، وامتداد.
28	فو	انفتاح خفيف منضم، منته بضم ممتد.
29	في	انفتاح خفيف منضم، منته بجهد خفيف ممتد.

20	ق	يدل على قطع، أو وقف بشدة
1	قأ	قطع، أو وقف بشدة، منته بظهور منقطع خفيف.
2	قب	قطع، أو وقف بشدة، منته بتجمُّع مستقر.
3	قت	قطع، أو وقف بشدة، منته بدفع خفيف متوقف.
4	قث	قطع، أو وقف بشدة، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	قج	قطع، أو وقف بشدة، منته بجهد، وشدة.
6	قح	قطع، أو وقف بشدة، منته بتأرجح شديد.
7	قخ	قطع، أو وقف بشدة، منته برخاوة، وطراوة.
8	قد	قطع، أو وقف بشدة، منته بدفع شديد متوقف.
9	قذ	قطع، أو وقف بشدة، منته بدفع وسط ملتصق.
10	قر	قطع، أو وقف بشدة، منته بتكرار.
11	قز	قطع، أو وقف بشدة، منته ببروز متصل.
12	قس	قطع، أو وقف بشدة، منته بحركة حرة متصلة.
13	قش	قطع، أو وقف بشدة، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	قص	قطع، أو وقف بشدة، منته بحركة متصلة محددة.
15	قض	قطع، أو وقف بشدة، منته بدفع شديد جدّاً.
16	قط	قطع، أو وقف بشدة، منته بدفع وسط.
17	قظ	قطع، أووقف بشدة، منته بدفع ملتصق.
18	قع	قطع، أو وقف بشدة، منته بعمق.
19	قغ	قطع، أو وقف بشدة، منته بغياب، وغموض.
20	قف	قطع، أو وقف بشدة، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	قق	قطع، أو وقف بشدة، مضاعف.
22	قك	قطع، أو وقف بشدة، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	قل	قطع، أو وقف بشدة، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	قم	قطع، أو وقف بشدة، منته بجمع متصل.
25	قن	قطع، أو وقف بشدة، منته بستر، واختباء.
26	قه	قطع، أو وقف بشدة، منته بتأرجح خفيف.
27	قا	قطع، أو وقف بشدة، منته بإثارة، وامتداد.
28	قو	قطع، أو وقف بشدة، منته بضم ممتد.
29	قي	قطع، أو وقف بشدة، منته بجهد خفيف ممتد.

21	ك	صوت يدل على قطع، أو ضغط خفيف
1	كأ	قطع، أو ضغط خفيف، منته بظهور منقطع خفيف.
2	كب	قطع، أو ضغط خفيف، منته بتجمُّع مستقر.
3	كت	قطع، أو ضغط خفيف، منته بدفع خفيف متوقف.
4	كث	قطع، أو ضغط خفيف، منته بدفع خفي ملتصق.
5	كج	قطع، أو ضغط خفيف، منته بجهد، وشدة.
6	كح	قطع، أو ضغط خفيف، منته بتأرجح شديد.
7	كخ	قطع، أو ضغط خفيف، منته برخاوة، وطراوة.
8	كد	قطع، أو ضغط خفيف، منته بدفع شديد متوقف.
9	كذ	قطع، أو ضغط خفيف، منته بدفع وسط ملتصق.
10	كر	قطع، أو ضغط خفيف، منته بتكرار.
11	كز	قطع، أو ضغط خفيف، منته ببروز متصل.
12	كس	قطع، أو ضغط خفيف، منته بحركة حرة متصلة.
13	كش	قطع، أو ضغط خفيف، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	كص	قطع، أو ضغط خفيف، منته بحركة متصلة محددة.
15	كض	قطع، أو ضغط خفيف، منته بدفع شديد جدّاً.
16	كط	قطع، أو ضغط خفيف، منته بدفع وسط.
17	كظ	قطع، أو ضغط خفيف، منته بدفع شديد ملتصق.
18	كع	قطع، أو ضغط خفيف، منته بعمق.
19	كغ	قطع، أو ضغط خفيف، منته بغموض، وغياب.
20	كف	قطع، أو ضغط خفيف، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	كق	قطع، أو ضغط خفيف، منته بقطع شديد.
22	كك	قطع، أو ضغط خفيف، مضاعف.
23	كل	قطع، أو ضغط خفيف، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	كم	قطع، أو ضغط خفيف، منته بجمع متصل.
25	كن	قطع، أو ضغط خفيف، منته بستر، واختباء.
26	كه	قطع، أو ضغط خفيف، منته بتأرجح خفيف.
27	كا	قطع، أو ضغط خفيف، منته بإثارة، وامتداد.
28	كو	قطع، أو ضغط خفيف، منته بضم ممتد.
29	كي	قطع، أو ضغط خفيف، منته بجهد خفيف ممتد.

22	ل	يدل على حركة بطيئة متصلة لازمة
1	لأ	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بظهور منقطع خفيف.
2	لب	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بتجمُّع مستقر.
3	لت	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بدفع خفيف متوقف.
4	لث	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بدفع خفيف ملتصق.
5	لج	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بجهد، وشدة.
6	لح	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بتأرجح شديد.
7	لخ	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية برخاوة، وطراوة.
8	لد	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بدفع شديد متوقف.
9	لذ	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بدفع وسط ملتصق.
10	لر	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بتكرار.
11	لز	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية ببروز متصل.
12	لس	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بحركة حرة متصلة.
13	لش	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بانتشار، وتفشٍّ.
14	لص	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بحركة متصلة محددة.
15	لض	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بدفع شديد جدّاً.
16	لط	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بدفع وسط.
17	لظ	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بدفع شديد ملتصق.
18	لع	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بعمق.
19	لغ	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بغموض، وغياب.
20	لف	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بانفتاح خفيف منضم.
21	لق	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بقطع شديد.
22	لك	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بقطع، أو ضغط خفيف.
23	لل	حركة بطيئة متصلة لازمة، مضاعفة.
24	لم	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بجمع متصل.
25	لن	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بستر، واختباء.
26	له	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بتأرجح خفيف.
27	لا	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بإثارة، وامتداد.
28	لو	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بضم ممتد.
29	لي	حركة بطيئة متصلة لازمة، منتهية بجهد ممتد.

23	م	صوت يدل على جمع متصل
1	مأ	جمع متصل، منته بظهور منقطع خفيف.
2	مب	جمع متصل، منته بتجمُّع مستقر.
3	مت	جمع متصل، منته بدفع خفيف متوقف.
4	مث	جمع متصل، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	مج	جمع متصل، منته بجهد، وشدة.
6	مح	جمع متصل، منته بتأرجح شديد.
7	مخ	جمع متصل، منته بطراوة، ورخاوة.
8	مد	جمع متصل، منته بدفع شديد متوقف.
9	مذ	جمع متصل، منته بدفع وسط ملتصق.
10	مر	جمع متصل، منته بتكرار.
11	مز	جمع متصل، منته ببروز متصل.
12	مس	جمع متصل، منته بحركة حرة متصلة.
13	مش	جمع متصل، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	مص	جمع متصل، منته بحركة متصلة محددة.
15	مض	جمع متصل، منته بدفع شديد جدّاً.
16	مط	جمع متصل، منته بدفع وسط.
17	مظ	جمع متصل، منته بدفع ملتصق.
18	مع	جمع متصل، منته بعمق.
19	مغ	جمع متصل، منته بغياب وغموض.
20	مف	جمع متصل، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	مق	جمع متصل، منته بقطع شديد.
22	مك	جمع متصل، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	مل	جمع متصل، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	مم	جمع متصل، مضاعف.
25	من	جمع متصل، منته بستر، واختباء.
26	مه	جمع متصل، منته بتأرجح خفيف.
27	ما	جمع متصل، منته بإثارة، وامتداد.
28	مو	جمع متصل، منته بضم ممتد.
29	مي	جمع متصل، منته بجهد خفيف ممتد.

24	ن	صوت يدل على السّتر والاختباء
1	نأ	ستر واختباء، منته بظهور منقطع خفيف.
2	نب	ستر واختباء، منته بتجمُّع مستقر.
3	نت	ستر واختباء، منته بدفع خفيف.
4	نث	ستر واختباء، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	نج	ستر واختباء، منته بجهد، وشدة.
6	نح	ستر واختباء، منته بتأرجح شديد.
7	نخ	ستر واختباء، منته برخاوة، وطراوة.
8	ند	ستر واختباء، منته بدفع شديد متوقف.
9	نذ	ستر واختباء، منته بدفع وسط ملتصق.
10	نر	ستر واختباء، منته بتكرار.
11	نز	ستر واختباء، منته ببروز متصل.
12	نس	ستر واختباء، منته بحركة حرة متصلة.
13	نش	ستر واختباء، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	نص	ستر واختباء، منته بحركة متصلة محددة.
15	نض	ستر واختباء، منته بدفع شديد جدّاً.
16	نط	ستر واختباء، منته بدفع وسط.
17	نظ	ستر واختباء، منته بدفع ملتصق.
18	نع	ستر واختباء، منته بعمق.
19	نغ	ستر واختباء، منته بغياب، وغموض.
20	نف	ستر واختباء، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	نق	ستر واختباء، منته بقطع شديد.
22	نك	ستر واختباء، منته بقطع خفيف، أو ضغط.
23	نل	ستر واختباء، منته بحركة متصلة بطيئة لازمة.
24	نم	ستر واختباء، منته بجمع متصل.
25	نن	ستر واختباء، مضاعف.
26	نه	ستر واختباء، منته بتأرجح خفيف.
27	نا	ستر واختباء، منته بإثارة، وامتداد.
28	نو	ستر واختباء، منته بضم ممتد.
29	ني	ستر واختباء، منته بجهد خفيف ممتد.

25	هـ	صوت يدل على تأرجح منضبط خفيف
1	هأ	تأرجح خفيف، منته بظهور منقطع خفيف.
2	هب	تأرجح خفيف، منته بتجمُّع مستقر.
3	هت	تأرجح خفيف، منته بدفع خفيف متوقف.
4	هث	تأرجح خفيف، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	هج	تأرجح خفيف، منته بجهد، وشدة.
6	هح	تأرجح خفيف، منته بتأرجح شديد.
7	هخ	تأرجح خفيف، منته برخاوة، وطراوة.
8	هد	تأرجح خفيف، منته بدفع شديد متوقف.
9	هذ	تأرجح خفيف، منته بدفع وسط ملتصق.
10	هر	تأرجح خفيف، منته بتكرار.
11	هز	تأرجح خفيف، منته ببروز متصل.
12	هس	تأرجح خفيف، منته بحركة حرة متصلة.
13	هش	تأرجح خفيف، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	هص	تأرجح خفيف، منته بحركة متصلة محددة.
15	هض	تأرجح خفيف، منته بدفع شديد جدّاً.
16	هط	تأرجح خفيف، منته بدفع وسط.
17	هظ	تأرجح خفيف، منته بدفع شديد ملتصق.
18	هع	تأرجح خفيف، منته بعمق.
19	هغ	تأرجح خفيف، منته بغياب، وغموض.
20	هف	تأرجح خفيف، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	هق	تأرجح خفيف، منته بقطع، أو وقف شديد.
22	هك	تأرجح خفيف، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	هل	تأرجح خفيف، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	هم	تأرجح خفيف، منته بجمع متصل.
25	هن	تأرجح خفيف، منته بستر، واختباء.
26	هه	تأرجح خفيف، مضاعف.
27	ها	تأرجح خفيف، منته بإثارة، وامتداد.
28	هو	تأرجح خفيف، منته بضم ممتد.
29	هي	تأرجح خفيف، منته بجهد خفيف ممتد.

26	آ- ى	صوت يدل على إثارة وامتداد زمكاني
1	آأ	إثارة وامتداد، منتهية بظهور منقطع خفيف.
2	آب	إثارة وامتداد، منتهية بتجمُّع مستقر.
3	آت	إثارة وامتداد، منتهية بدفع خفيف متوقف.
4	آث	إثارة وامتداد، منتهية بدفع خفيف ملتصق.
5	آج	إثارة وامتداد، منتهية بجهد، وشدة.
6	آح	إثارة وامتداد، منتهية بتأرجح شديد.
7	آخ	إثارة وامتداد، منتهية برخاوة، وطراوة.
8	آد	إثارة وامتداد، منتهية بدفع شديد متوقف.
9	آذ	إثارة وامتداد، منتهية بدفع وسط ملتصق.
10	آر	إثارة وامتداد، منتهية بتكرار.
11	آز	إثارة وامتداد، منتهية ببروز متصل.
12	آس	إثارة وامتداد، منتهية بحركة حرة متصلة.
13	آش	إثارة وامتداد، منتهية بانتشار، وتفشٍّ.
14	آص	إثارة وامتداد، منتهية بحركة محددة متصلة
15	آض	إثارة وامتداد، منتهية بدفع شديد جدّاً.
16	آط	إثارة وامتداد، منتهية بدفع وسط.
17	آظ	إثارة وامتداد، منتهية بدفع شديد ملتصق.
18	آع	إثارة وامتداد، منتهية بعمق.
19	آغ	إثارة وامتداد، منتهية بغياب، وغموض.
20	آف	إثارة وامتداد، منتهية بانفتاح خفيف منضم.
21	آق	إثارة وامتداد، منتهية بقطع شديد.
22	آك	إثارة وامتداد، منتهية بقطع، أو ضغط خفيف.
23	آل	إثارة وامتداد، منتهية بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	آم	إثارة وامتداد، منتهية بجمع متصل.
25	آن	إثارة وامتداد، منتهية بستر، واختباء.
26	آه	إثارة وامتداد، منتهية بأرجحة خفيفة
27	آآ	إثارة وامتداد، مضاعف.
28	آو	إثارة وامتداد، منتهية بضم ممتد.
29	آي	إثارة وامتداد، منتهية بجهد خفيف ممتد.

27	و	صوت يدل على ضم ممتد مكانياً
1	وأ	ضم ممتد، منته بظهور منقطع خفيف.
2	وب	ضم ممتد، منته بجمع مستقر.
3	وت	ضم ممتد، منته بدفع خفيف متوقف.
4	وث	ضم ممتد، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	وج	ضم ممتد، منته بجهد، وشدة.
6	وح	ضم ممتد، منته بتأرجح شديد.
7	وخ	ضم ممتد، منته برخاوة، وطراوة.
8	ود	ضم ممتد، منته بدفع شديد متوقف.
9	وذ	ضم ممتد، منته بدفع وسط ملتصق.
10	ور	ضم ممتد، منته بتكرار.
11	وز	ضم ممتد، منته ببروز متصل.
12	وس	ضم ممتد، منته بحركة حرة متصلة.
13	وش	ضم ممتد، منته بتفشٍّ، وانتشار.
14	وص	ضم ممتد، منته بحركة متصلة محددة.
15	وض	ضم ممتد، منته بدفع شديد جدّاً.
16	وط	ضم ممتد، منته بدفع وسط.
17	وظ	ضم ممتد، منته بدفع شديد ملتصق.
18	وع	ضم ممتد، منته بعمق.
19	وغ	ضم ممتد، منته بغياب، وغموض.
20	وف	ضم ممتد، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	وق	ضم ممتد، منته بقطع شديد.
22	وك	ضم ممتد، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	ول	ضم ممتد، منته بحركة بطيئة متصلة لازمة.
24	وم	ضم ممتد، منته بجمع متصل.
25	ون	ضم ممتد، منته بستر، واختباء.
26	وه	ضم ممتد، منته بتأرجح خفيف.
27	وا	ضم ممتد، منته بإثارة، وامتداد.
28	وو	ضم ممتد، مضاعف.
29	وي	ضم ممتد، منته بجهد خفيف ممتد.

28	ي	صوت يدل على جهد خفيف ممتد زمانياً
1	يأ	جهد خفيف ممتد، منته بظهور منقطع خفيف.
2	يب	جهد خفيف ممتد، منته بتجمُّع مستقر.
3	يت	جهد خفيف ممتد، منته بدفع خيف متوقف.
4	يث	جهد خفيف ممتد، منته بدفع خفيف ملتصق.
5	يج	جهد خفيف ممتد، منته بجهد، وشدة.
6	يح	جهد خفيف ممتد، منته بتأرجح شديد.
7	يخ	جهد خفيف ممتد، منته برخاوة، وطراوة.
8	يد	جهد خفيف ممتد، منته بدفع شديد متوقف.
9	يذ	جهد خفيف ممتد، منته بدفع وسط ملتصق.
10	ير	جهد خفيف ممتد، منته بتكرار.
11	يز	جهد خفيف ممتد، منته ببروز متصل.
12	يس	جهد خفيف ممتد، منته بحركة حرة متصلة.
13	يش	جهد خفيف ممتد، منته بانتشار، وتفشٍّ.
14	يص	جهد خفيف ممتد، منته بحركة متصلة محددة.
15	يض	جهد خفيف ممتد، منته بدفع شديد جدّاً.
16	يط	جهد خفيف ممتد، منته بدفع وسط.
17	يظ	جهد خفيف ممتد، منته بدفع شديد ملتصق.
18	يع	جهد خفيف ممتد، منته بعمق.
19	يغ	جهد خفيف ممتد، منته بغياب، وغموض.
20	يف	جهد خفيف ممتد، منته بانفتاح خفيف منضم.
21	يق	جهد خفيف ممتد، منته بقطع شديد.
22	يك	جهد خفيف ممتد، منته بقطع، أو ضغط خفيف.
23	يل	جهد خفيف ممتد، منته حركة بطيئة متصلة لازمة.
24	يم	جهد خفيف ممتد، منته بجمع متصل.
25	ين	جهد خفيف ممتد، منته بستر، واختباء.
26	يه	جهد خفيف ممتد، منته بتأرجح خفيف.
27	يا	جهد خفيف ممتد، منته بإثارة، وامتداد.
28	يو	جهد خفيف ممتد، منته بضم ممتد.
29	يي	جهد خفيف ممتد زمانياً، مضاعف.

أهم المراجع

1. **القرءان الكريم**، كتاب رب العالمين
2. **مقاييس اللُّغة**، ابن فارس
3. **لسان العرب**، ابن منظور
4. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي
5. **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني
6. **الخصائص**، ابن جني
7. **جدلية الحرف العربي**، محمد عنبر
8. **الشّيء في ذاته**، محمد عنبر
9. **فقه اللُّغة**، د. محمد خضر
10. **البيان في روائع القرءان (1– 2)**، د. تمام حسان
11. **الترادف في القرءان**، محمد نور الدين المنجد
12. **معجم القواعد العربية**، عبد الغني الدقر
13. **جناية سيبويه**، زكريا أوزون
14. **تجديد النحو**، د. شوقي ضيف
15. **الرد على النحاة**، ابن مضاء القرطبي
16. **(دراسات لغوية) عالم الفكر المجلد 34**، مجموعة من الباحثين
17. **(في نشأة اللغة) عالم المعرفة**، مايكل كورباليس، ت: محمود ماجد عمر
18. **المثاني (تصنيف آيات القرءان بحسب وحدة الموضوع)**، د. راتب السمان
19. **دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللِّسانيات المعاصرة**، د. مازن الوعر
20. **إعجاز الكلمة في القرءان**، حسام البيطار
21. **الكتاب والقرءان**، د. محمد شحرور
22. **التعبير القرءاني**، د. فاضل السامرائي
23. **بلاغة الكلمة في القرءان**، د. فاضل السامرائي

24. **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، د. فاضل السامرائي
25. **التثقيف العربي الأمثل**، إسماعيل العرفي
26. **أم اللغات**، إسماعيل العرفي
27. **المسلمون الأعراب**، خالد محمد حمد
28. **القرءان بين اللِّسان والواقع**، سامر إسلامبولي
29. **دراسة إنسانية في الرّوح والنّفس والتّفكير**، سامر إسلامبولي
30. **فقه اللغة**، د. علي عبد الواحد
31. **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، حسن عباس
32. **الصوت اللغوي في القرءان**، د. محمد حسين علي الصفير
33. **الأصوات اللغوية**، د. إبراهيم أنيس
34. **دراسة الصوت اللغوي**، أحمد مختار عمر
35. **علم الأصوات**، د. كمال بشر
36. **أثر القراءات في الأصوات**، د. عبد الصبور شاهين
37. **كتاب العين**، الخليل الفراهيدي
38. **علم اللغة العام**، دي سوسير
39. **الكتاب**، سيبويه
40. **سر صناعة الإعراب**، ابن جني
41. **مناهج البحث في اللغة**، د. تمام حسان
42. **الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة**، بحث نشر في مجلة التراث العربي (15 – 16) عن اتحاد الكتاب العربي في دمشق / 1984 م
43. **عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم**، د. خليفة عبد الكريم
44. **تطور اللغة**، د. عبد الصبور شاهين
45. **فقه اللغة وخصائص العربية**، د. محمد المبارك
46. **علم اللغة**، د. علي عبد الواحد وافي
47. **حياة اللغة العربية**، حفني ناصيف
48. **اليقين فوق المعاصرة**، محمد عنبر
49. **اللِّسان العربي**، زكي الأرسوزي
50. **علم الأصوات**، محمد منصف قطامي
51. **اللغة الموحدة**، عالم سبيط النيلي

سامر بن محمَّد نزار إسلامبولي

- تولُّد: دمشق، سورية / 1963م.
- باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.
- عُضو في اتِّحاد الكُتَّاب العرب.

نُشر له مقالات في مجلة العالم، ومجلة شباب لك، ومجلة إسلام 21، وجريدة الوقت البحرينية، وجريدة المثقف، وجريدة الأسبوع الأدبي، وبعض الصّحف العربية الدّورية.

مُؤلّفاته حسب تاريخ صدورها:

1. **علْم الله وحرية الإنسان**، دمشق، دار الأهالي، ط1 / 1994 / م.
2. **الآحاد - الإجماع - النسخ**، دراسة نَقْدية لمفاهيم أصولية، دمشق، دار الحكمة، ط1 / 1995 / م، دار الأوائل، ط 2 / 2002 / م.
3. **الألوهية والحاكمية**، دراسة علمية من خلال القرءان الكريم، دار الأوائل، دمشق، ط1 / 2000.
4. **تحرير العقل من النقل**- قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، دار الأوائل، دمشق، ط1/ 2000/ وط2 / 2003/ م، دار العرّاب ودار نور حوران ط3 / 2018.
5. **المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحَّح**، دار الأوائل، دمشق، ط1/ 1999/ وط2 / 2002م.
6. **ظاهرة النَّصِّ القرءاني تاريخ ومعاصرة** (ردّ على كتاب: النصّ القرءاني أمام إشكالية البنية والقراءة للطيب تيزيني)، دار الأوائل، دمشق، ط1/ 2002/ م.
7. **القرءان بين اللُّغة والواقع**، دار الأوائل، دمشق، ط 1/ 2005/ م.

تقديم الأستاذ: د. سمير إبراهيم حسن، عميد كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية في دمشق، والأستاذ: د. محمَّد الحبش، مدير مركز الدراسات الإسلامية في دمشق.

8. **القرءان من الهجر إلى التفعيل**، دار الأوائل، دمشق، ط1/ 2008/ م.

9. **غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري لا قرآني**، 2008م.

10. **مفهوم السنة غير الحديث**، 2008م.

11. **دراسة إنسانية في الرُّوح والنَّفْس والتفكير**، تقديم الأستاذ: جودت سعيد، والأستاذ: ندرة اليازجي.

12. **علْمية اللسان العربي وعالميّته**، تقديم الأستاذ: د. مازن الوعر، دار العراب ودار نور حوران، دمشق، ط2/ 2018.

13. **حوارات ثقافية.**

14. **ميلاد امرأة** (قصة نَفْسية واجتماعية)، تقديم الأستاذ: ندرة اليازجي.

15. **فتاوى أزهرية وأفكار فلسفيَّة** (قَصَص قصيرة).

16. **مفاهيم ثقافية** (الله، الحرية، الشيء، العدم، الموت، الثالوث، التقمص).

17. **اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي**، دار العراب ودار نور حوران، دمشق 2018.

18. **نبي الإسلام غير نبي المسلمين**، دار العراب ودار نور حوران، دمشق 2018.

19. **مسودة مشروع ثقافي راشدي.**

20. **أسطورة نزول المسيح أو شبيهه.**

21. **الإلحاد موقف نفسي وليس فكراً.**

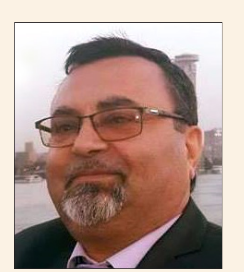
عنوان الباحث

السويد: 0046734233031

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com

يتناول هذا الكتاب:

- الصوت الإنساني الواعي (اللسان) هو شيء من الأشياء التي خلقها الله وفق القانون الإلهي.
- الكلمة العربية لها معنى ودلالة منطقية، ما يدل على أن صوت الحرف له دلالة ضرورة.
- خضوع الأصوات البدائية الواعية لقانون الآفاق والأنفس – الفيزيائي والنفسي- من جراء تفاعل الإنسان الأول مع بيئته، وانفعاله بها.
- كلمة (عرب) لا علاقة لها بقوم أو بجنس، فالقرآن عربي الحكم، وعربي النظام، وعربي اللسان.
- كلمة (عرب) تدل على الأصالة والتماسك والانسجام مع منظومة الكون، وبالتالي أخذ القرآن صفة الكونية والإنسانية.
- اللسان العربي، هو لسان علمي يحكمه ذات القوانين الكونية، فكما أنه لا يوجد في الكون ظاهرتان مختلفتان ولهما ذات الاسم، فكذلك في اللسان العربي كل كلمة لها مفهوم مختلف عن الأخرى مع احتمال تداخل جزئي بينهما، مثل (جاء وأتى وحضر).
- اللسان العربي يخضع لمنظومة واحدة كلية مرتبطة بالمنظومة الكونية، ليصير اللسان يعكس ظواهر الكون بصور صوتية.
- اللسان العربي هو أصل للألسنة كلها، وهو الوحيد الذي حافظ على صفته العلمية، والذي يصلح لدراسته اللسانية.
- نفي المجاز عن الخطاب القرءاني.
- نظام استخدام الضمائر مختلف بالقرءان عن كلام الناس.
- المطالبة بعقلنة النحو العربي.



سامر بن محمد نزار إسلامبولي

ولادة دمشق 1963، سوري الجنسية، مقيم في السويد

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي

عضو في اتحاد الكتَّاب العرب في سورية منذ عام 2008

بلغت مؤلفاته حوالي عشرين كتاباً من أهمها:

• دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير. • علمية اللسان العربي وعالميته. تقديم الدكتور مازن الوعر.

• تحرير العقل من النقل. • القرآن من الهجر إلى التفعيل. • اليهودية إنغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.

القصص

• ميلاد امرأة (قصة نفسية واجتماعية) • أفكار فلسفية وفتاوى أزهرية. مجموعة قصص قصيرة

المؤتمرات التي شارك فيها

• مؤتمر حقوق الإنسان الذي أقامته جمعية التجديد الثقافية البحرينية في عام 2010 في البحرين عنوانها: الحريات وحقوق الإنسان. • ندوة الملتقى الثاني لكُتّاب التنوير في مركز الدراسات الإسلامية في دمشق عام 2006. • ألقى محاضرات في المراكز الثقافية.

مقالاته المنشورة في الدوريات والصحف

• مجلة العالم تصدر في لندن، مجلة إسلام 21 تصدر في لند. • مجلة شباب لك تصدر في دمشق، جريدة الوقت البحرينية. • جريدة المثقف البحرينية. • جريدة الأسبوع الأدبي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

منتدى الباحث سامر اسلامبولي: https://www.facebook.com/groups/170302883083402
الصفحة الرسمية: http://cutt.us/TroyV الإميل: s.islambouli@gmail.com موبايل: 0046734233031



مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر
الإسكندرية – مصر
www.levantcenter.net

